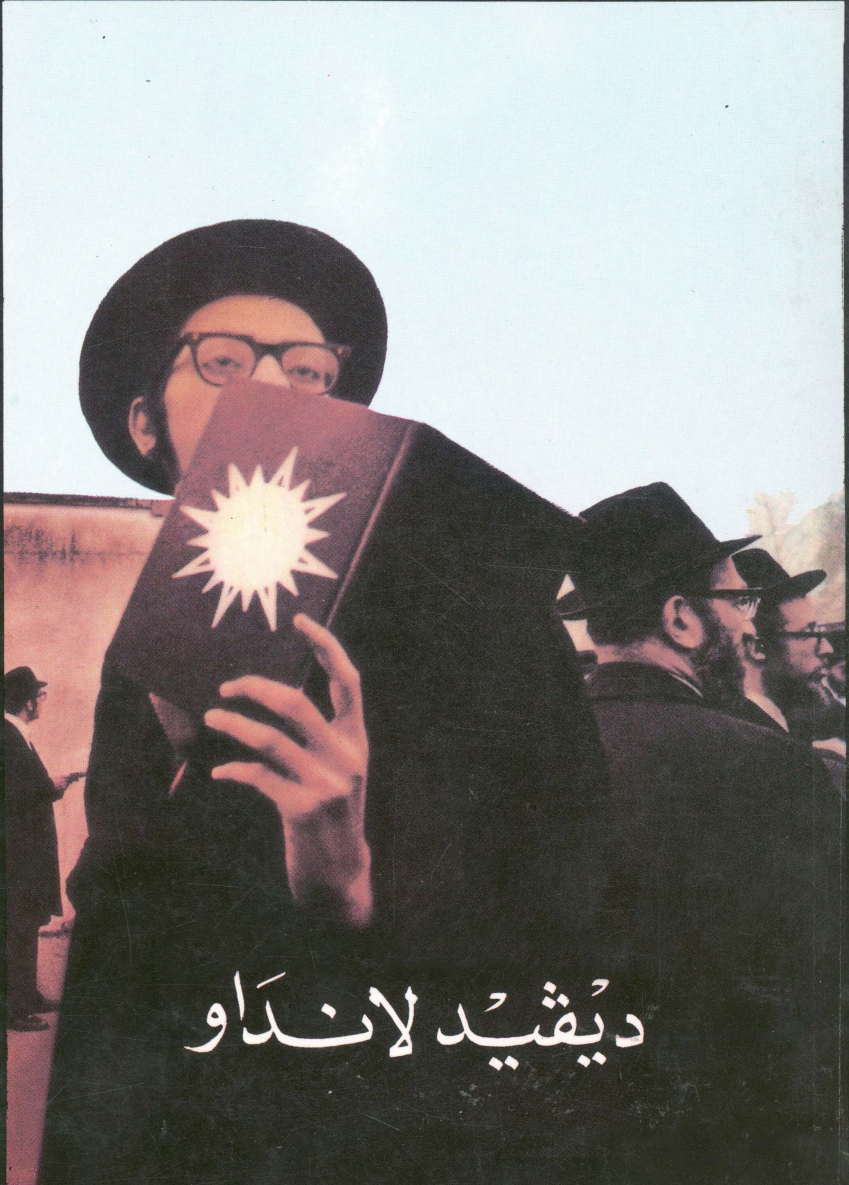


الأصولية اليهودية

العقيدة
لعدة
والف
سنة
3



ديفيد لانداو

الأصولية اليمودية

الأصولية اليهودية

تأليف ديفيد لاندو

ترجمة : مجدي عبد الكريم

مكتبة مدبولي - القاهرة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel:756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٧٥٦٤٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

ملك إسرائيل

المقدمة

ملك إسرائيل

نبدأ حيث يجلس ملايين من الإسرائيليين بانجذاب أمام شاشات التليفزيون علاوة على حشود الجماهير التي احدثت نوع من الهياج داخل الإستاد بسبب قيامهم بالغناء والتصفيق الإيقاعى. لم يحدث ابدأ ولاحتى فى اللحظات الحرجة أثناء الألعاب الخطيرة أن يسيطر مثل ذلك الهياج على قاعة كرة السلة بجنوب تل أبيب لدرجة تجعل الفوضى تعم البلاد كلها. ولم يحدث أن يتجمع الهواة التعصبين كما هم الآن متحمسين ومنفعلين داخل قاعة المسرح. وها نحن نرى الصفوف بعضها فوق بعض مليئة بالملتحمين وذوى القلنسوات السوداء من الرجال والشباب حيث كانوا يغنون بنشوة غامرة وفى نغمة موحدة: «فليضيف الله أيام أخرى إلى أيام الملك، وليجعل أعوامه تعادل أعمار الكثير من الأجيال» .

وفى الواقع فإن قاعة الملعب قد تم تغطيتها بألواح خشبية واقية؛ استعداداً لذلك المؤتمر القومى الأول من نوعه، مؤتمر «ديجل هاتورا» وهو يعتبر أحداث مؤتمر للأحزاب الإسرائيلية الهاريدية (haredi) التى تمثل اليهود الأرثوذكس فى دولة اليهود. (وتعتبر كلمة haredi مصطلح عبرى لكل من «الخوف والإهتزاز»، أما كلمة haredi فتطلق على هؤلاء الذين يخشون الله)،

وفى أقصى الملعب تم وضع منصة مزودة بصفوف من المقاعد المخصصة لأخبار الحزب وكذلك لكبار السن، وفى الجهة الأخرى كان المكان مخصص للصحافة نظراً إلى أن مئات المصورين والمراسلين الصحفيين سواء من إسرائيل أو من الخارج قد تراحموا من أجل الفوز بالنظر لأول مرة «للملك» .

وببطء يشرع فى الخروج ولكن من خلال طريق جانبى وإذا يشخص صغير البنية منحنى، ومحاطاً برجال الأمن المرتدين الزى الرسمى، كذلك كان الرجال التابعين مرتدين ملابس داكنة. ثم تسطح أضواء التليفزيون تفحص وتدقق بشغف بحثاً عنه واخيراً يصل إلى منتصف المنصة وإذا به يغوص فى مقعده، حينئذ قام أحد الضباط بسرعة بوضع كتاب أمامه على المنضدة، ولكنه أخذ يتأمل فيه وهو منكباً عليه كما لو كان قد نسى الكورس الذى يدوى من حوله نظراً لآلاف الأصوات المنبعثة من الحاضرين، ثم يأتى دور رئيس التشريفات الذى يطالب جموع الحاضرين بالغناء بصوت مرتفع وكان يقودهم بكلا ذراعيه، وتعالى وتعالى الأصوات وهى تتغنى بنفس الثرايم: إمنحه أيام وامنحه أعوام بل وامنحه أكثر من أعوام .

وقد قام بعض الحاضرة بدفع عشرة شيكل (عملة إسرائيلية) على عشر دفعات وقاما كذلك بوضع علامات على التذاكر الخاصة بهم من أجل اختبار تلك البقعة. ويقول المراسلون الرياضيون المتحرسون إنه لم يتم على الإطلاق عقد قمة هامه كهذه خارج ذلك الإستاد، كذلك هاج المئات من تلاميذ «Yeshiva» طوال الليل الماضى من أجل اغتنام فرصة الحصول على تذكرة دخول. أما الذين قد فشلوا فى الحصول على أى منها، وبالرغم من ذلك فقد حضروا، وقد آووا إلى باب خارجى مجاور لمدرج الإستاد حيث كانت شاشة ضخمة تقوم بنقل الإجراءات عبر دائرة التليفزيون. أما بالنسبة للسيدات- ونظراً لأنه غير مصرح لهم -من جانب العرف والتقاليد- فلقد استأجر ديجل هاتورا أكبر قاعة احتفالات فى القدس وقامت مجموعة من الأتوبيسات بنقل السيدات من مدينة الهارديين التابعة لبن براك وكذلك من مراكز أخرى لتلك الطائفة فى كل انحاء البلاد .

وبالأختلاف مع معظم الإسرائيليين فإن أتباع ديجل هاتورا ليس باستطاعتهم

البقاء بمنازلتهم لمشاهدة زعيمهم، نظراً إلى أن اتجاهات التليفزيون تعتبر بالنسبة لهم محرمة تماماً فهي تضلل الشباب وتفسدهم وتبث فيهم اجنبية كما إنها تسمم طهارة الأسرة اليهودية المتمسكة بالتقاليد، أما البقية الباقية فيشاهدون ويترقبون دون التقيد بذلك الإلتزام. فمصير الأمة وبمعنى اللقط على (كف عفريت)، فمنذ إحدى عشر يوماً سقطت حكومة رئيس الوزراء أسحاق شامير زعيم الحزب اليميني «ليكود» وكان ذلك في ١٥ مارس ١٩٩٠ بناء على صدور مبادئ السياسة الخاصة بالتفاوض مع الفلسطينيين، ومن ثم فإن الحزب العمالي برئاسة شيمون بيريز يحاول جاهداً خلق «حكومة تهتم بالسلام». أما أعضاء الكنيست البالغ عددهم مائة وعشرين والمقسمين على خمسين حزباً فإنهم موزعون بالتساوى بين hawks (الصقور) و doves (الحمام). ويمكن لكلا عضوي ديجل هاتورا أن يؤيدا الغالبية التي تتبع بيريز. وبطوى ينهض السيد اليزر مناجم شاس كى يتحدث وهو يبلغ من العمر أثنان وتسعون عاماً ويعتبر الزعيم الروحي للملك ديجل هاتورا الذى تعتبر أيامه وسنواته موضوع التغنى. وعلى الفور توقف دوى الأصوات، وإذا بصمت يسيطر على القاعة كلها وأصبح الأفراد مشدودين كى يسمعوا كل لفظ. وفى الماضى لم يكن ذلك «الحبر» يلقى خطاباً إلا لإحداث تهدة سياسية وكان يلقى دروسه مبيناً أن تجنب الحرب والحفاظ على الحياة الإنسانية يعتبران من أنبل الأهداف. إن مذهب الهاريديين «haredism» كان يتخذ فى الواقع موقفاً معادياً، أو مناقضاً للحركة الصهيونية، وكذلك تجاه دولة يهودية، لذا فإن هذا المذهب لايساند بالطبع سياسة التوسع الاستعماري التي يتم الدفاع عنها من جانب ذلك الحزب الداهية، حزب ليكود، وبالرغم من تلك الأزمات السياسية المعاصرة فإن السيد شاس كان يتصرف دون أن يعزى كلامه لأحد وبدأ كلامه بلفه عبرية ظرفية ولكنها ليست باللغة الدراجة حيث يقول: «دعوني أخبركم بالحقيقة» ويواصل قائلاً: «إننى لم أكن أنوى أن أخطب ذلك الجمع الهائل هنا اليوم... لكنى أشعر بسعادة

بالغة حيثما أرى ذلك التعطش العظيم للتوراة... لهذا فلقد أتى العديد من الناس، ونشكر الله على ذلك، لسماع الكلمات التى تعبر عن القوة الروحية وكلمات الحقيقة والصدق دون خوضى فى السياسات بل ودون أى دوافع خفية، فقط من أجل الحقيقة الخالصة الصادقة...».

هذا وقد انتهى كل شىء خلال عشرة دقائق ثم أخذ الساسة والعلماء يوضحون لماذا قضى الحبر شاش على آمال الحزب العمالى ولماذا أشاد فى كلامه بحزب ليكود، بالرغم من شقة الخلاف الواضحة بين وجهات نظره السياسية، وتلك الخاصة باسحاق شامير. وقد تقهقر بيريز زعيم الحزب العمالى بقدر إستطاعته محاولاً أن يتشبث بحكومة معتدلة بالرغم من خيانه ديجل، وفى تلك الحالة يعتبر حبر مبجل يخش الله ذلك الذى يتعامل تجاه اتفاقات الحزب العمالى من خلال Coup de grace. وقبل بدء اجتماع الكنيس فى ١١ إبريل بساعات، وقد كان الاجتماع مقررًا للتصديق على مشروع الحكومة المقدم من قبل الحزب العمالى، قام الحبر مناجم شنيرسون البالغ من العمر ثمانون عاماً ويعتبر حبراً أو زعيماً روحى لطائفة الهاسيديك بلوباڤيتش قام بإرسال تعليمات لإثنين من أعضاء حزب هاريدى آخر وهم أجودات ويسرائيل حتى يحولوا خط سيرهم ويساندون شامير. ونظراً لإنهم اتباعه الموالين له فلقد اطاعة كلا الرجلان.

* تعتبر لوباڤيتش مدينة صغيرة فى روسيا البيضاء وقد نشأت بها تلك الطائفة. أما الطوائف والجماعات المختلفة بما فيها مذهب الهاريدى فمن المعتاد أن يعرفوا أنفسهم من خلال اسم مدينتهم أو قربتهم نظراً لتلك المذبحة البشرية السابقة التى حدثت بأوربا. فهناك شخص معاصر من أنجلترا وينتمى إلى طائفة هاسيديك والذى سوف نتعرض له فيما بعد فهو يلقب نفسه باسم «البوستونرى». فإينما يتفرغ منزل أو طائفة تابعين للمذهب هاسيسك إلى أكثر من مجموعة، حيثذ يتم إطلاق تعريفان ثانيان من أجل الدلالة على كل فرع على حدة: لذلك نجد قيشنتز- مونس (فيشتز هى قرية منشأها فى شرق أوربا) أما مونس فتقع فى المنطقة العليا بنيويورك) ونجد كذلك فيشتنتز- حيفا (الميناء الثانى بإسرائيل).

فعلى الأقل نجد أن الحبر شنبرسون ذلك اللوبا فيتشري* قد ظل متماسكاً. فطالما كان يدافع عن وضع «دولة إسرائيل العظمى»، حتى حينما خاضت إسرائيل حرباً لمدة ستة أيام فى الأراض المحتلة عام ١٩٦٧. وفى الحال ثم توجيه سؤالاً إليه من أحد المراسلين الأسرائيليين بعد سقوط الحكومة فى مارس وإذا به يقول أنه على ثقة من أن المسيح سيأتى قريباً جداً لذلك فاننا نحتاج خلال تلك الدقائق لقليلة التى تسبق ذلك أن ننهج سياسة شامير التى توصف بانها سياسة الانسحاب دون التقهقر لأى مسافة ولو بسيطه، تلك السياسة التى ستجلب السلام على البلاد بل وعلى المنطقة بأكملها .

وبين كل منهما يظهر الحبر شاش والحبر شنبرسون حيث سيقمران المنهاج الخاص بالتاريخ الإسرائيلى من خلال تحديد سياسة تطبيقه على الارهاصات الرئيسية التى تواجه الدولة اليهودية. وقد فعلوا ذلك من خلال انذار القوة السياسية بأن عملية الإحياء القوية الموجهة لصالح المذهب (الأرثوذكسية الهاريدية) سواء فى إسرائيل أو فى المناطق التى تعيش بها الأقليات اليهودية تكمن فى ايديهم ومما يثير السخرية أن كلا الرجلين الكهلين يدخلون سنوياً فى تحالف سياسى فى حين ييغض كل منهما الآخر ويحمل كل منهما للآخر رغبة فى الانتقام.

★ تعتبر لوبافيتش مدينة صغيرة فى روسيا البيضاء وقد نشأت بها تلك الطائفة أما الطوائف والجماعات المختلفة بما فيها مذهب الهاريدى فمن المعتاد أن يعرفوا أنفسهم من خلال إسم مدينتهم أو قريتهم نظرا لتلك المذبحة البشرية السابقة التى حدثت فى أوروبا . فهناك شخص معاصر من إنجلترا وينتمى لطائفة هاسيديك والذى سوف نتعرض له فيما بعد فهو يلقب نفسه باسم «البوستونرى»، وأينما يتفرع شخص أو طائفة تابعين لمذهب هاسيديك إلى أكثر من مجموعة حينئذ يتم إطلاق تعريفان ثنائيان من أجل الدلالة على كل فرع على حدة؛ لذلك نجد فيشتنر مونس (فيشتنر هى قرية منشأها فى شرق أوروبا) أما مونس فتقع فى المنطقة العليا بنينبورك، ونجد كذلك فيشتنر-حيفا (الميناء الثانى بإسرائيل.

فلقد وجه شاش اتهاماً لشنيرسون بالهرطقة (الضلال الدينى) وكذلك تساءل بجدية عما إذا كان مذهب الهاريدية بمدينة لوبافيتش برئاسة شنيرسون يمكن اعتباره كمذهب يهودى يمكن الوثوق به بصورة عامة. ويرى البعض تلك الضغينة بينهما على إنها استئناف للعداوة القديمة بين مذهب الهاسيدية hasidic (النقوى والورع) ويعتبر ذلك المذهب هو المتسبب فى انعاش الحركة التى امتدت عبر حى اليهود بأوروبا الشرقية منذ أواخر القرن الثامن عشر، وبين الساخطين المعادين لذلك المذهب ويطلق عليهم «ميتناجد» (أى المعارضين) الذين يعتبرون أنفسهم هم الحراس الحقيقيون للقانون والتقاليد التلمودية (أى شرائع وتقاليد اليهود).

ومما يستدعى السخرية أيضاً وجود حبر ثالث هاريدى وكان مكروره من جانب كلا الرجلان وقد دبر ذلك الثالث لسقط حكومة شامير، ألا وهو الحبر «أوفاديا يوسف» ذلك الحكيم السيفاردى (اليهود الشرقيين) وهو يصغر كل من شاش و شنيرسون، بحوالى عشرون عاماً ولكن دون ارتباط بانحطاطهم فى الزمالة التلمودية، فلقد ذهب لمبنى التليفزيون كى يتبع إنه لايمكن أن يواجه الله أو ضميره أكثر من ذلك إذا ما استمر فى مساندة «حكومة متطرفة ومثيرة للحروب». وقد أخبر أعضاء الكنيست وهم الحزب السيفاردى الهاريدى بضرورة التصويت لصالح اقتراح عدم الثقة المدرج من جانب الحزب العمالى .

والآن وبعد ما تم تعذيبه وإذلاله من جانب شاش وبعد اخضاعه لطائفه أشكيناز (اليهود الغربيين) فلقد أمر يوسف أعضاء الكنيست. بالانضمام إلى الأحزاب اليمينية فى الحزب الجديد برئاسة شامير. وهاهو العالم بأسره يراقب كل ذلك يارتياحاً، وكما كتبت مجلة التايم بخصوص «النفوز التام» الذى يشعر به اليهود الأمريكان أزاء «امكانيه مهاجمة النظام السياسى الإسرائيلى لاستفسارات وطلبات الطوائف

الأرثوذكسية القديمة المتعصبة. جدير بالذكر أن هذا النظام لم يركز على الأقاليم والدوائر الانتخابية بل على التمثيل النسبي على المستوى لقومى، لذلك فهو يشجع الأحزاب الصغيرة على التنافس، وأى حزب يمكنه الحصول على نسبة ١,٥ ٪ من مجموع الأصوات المحلية يمكنه أن يصبح له عضواً يمثل في الكنيست .

وغالباً ما تحدث موازنه متكافئه بين الشمال واليمين، وقد أثبتت الأحزاب الهاريديّة مهارة في أستغلال قدراتهم على تقطيع الروابط. وبمرور الوقت نجد أنهم يعذبون ضمائهم بسبب حزب ليكود أو الحزب العمالى فهم يقومون بتمويل وبناء مشروعاتهم أو يشرعون مراقبه أثناء احتفال العاشر بالسبق أو يقومون بتحديد وحصر مواطن الفشل كل ذلك فى مقابل مساندتهم .

والآن فلقد حولت دراما التوسط لدى كل من الحبر شاش وشينرسون الوعى المنتشر فى البلاد والذي يمكن وصفه بالضالة أو الوهن إلى صدمة ورعب وكان ذلك بطريقة محموده احياناً وبطريقة غير مقبولة احياناً أخرى .

هذا وقد اخذت اللافتات تظهر على جدران البرلمان على مدار عامين مبكراً حينما فازت الأحزاب الهاريديّة بنسبة ١١ ٪ من مجموعة الأصوات فى احدى الانتخابات والأكثر من ذلك تضاعف ممثلى أحزابهم كنتيجة لذلك وعلى الفور تسببوا فى أحداث صراع حاد فى إسرائيل وفى معظم مناطق الاقليات اليهودية، وكانوا يطالبوا بتغيير فى قانون العودة الذى يحدد من الذى يمكن اعتباره يهودى ؟ (انظر الفصل ٣٣) كئمن لتحالفهم .

فهناك ملايين من اليهود المغالين (المتطرفين) فى مناطق الاقليات اليهودية -ويطلق ذلك اللفظ على اليهود المتمون لحركات الإصلاح والمحافظة على القديم أو

الغير منتسبين لها- قد اصابهم الرعب وتم طردهم كل ذلك من خلال مشاهدوه من محاولات الهاريديين للسيطرة بالقوة على دولة اليهود. وفي شهر مارس بدأ المذهب الهاريدي في صورة أخرى من حيث امتهان الصيغ الأكثر اعتدالاً في المذهب المستقيم وكذلك محاولات الشجار مع بقية القاطنين بحى اليهود وفي عام ١٩٩٢ اثبت الذين يخشون الله بإسرائيل (الهاريديين) أن نتيجة الانتخابات الماضية لم تكن مجرد ومضة حيث أن قوتهم المتزايدة لم تكن حدث عابر. فبالرغم من الهجرة التي حدثت منذ عام ١٩٨٩ لما يقرب من ٤٠٠,٠٠٠ يهودى قادمين من الاتحاد السوفيتى فإن الأحزاب الهاريديية ظلت تفوز بما يقرب من ١٠٪ من الأصوات والآن نجد أن الحبر يوسف قد اتخذ طريقة وقام بقيادة حزبه «Shas» شاس من خلال تحالف حزبي مع الحزب العمالي برئاسة زعيمة الجديد اسحاق را بين .

جدير بالملاحظة أن المظهر الانتخابي للأحزاب الهاريديية يحرص على تقديم صورة حسنة لأعضائها الحاليين، وحتى هناك بعض الأفراد الغير منتمين للمذهب الهاريدي- ومن بينهم آلاف المواطنين العرب- قاموا بالتصويت لصالح الأحزاب الهاريديية .

وبالرغم من موجات الفزع الناتجة عن الآراء السياسية لأحبار المذهب الهاريدي

فإن تأكيد قوة الهاريديين لاتعتبر تطور مفاجئ سواء أكان في إسرائيل أو في مناطق الأقليات اليهودية وكثيراً ما شعر الهاريديون أنفسهم بأن تيار التاريخ اليهودي يحول مسارهم خاصة بعد مرور قرنين من العزلة والتقلص أثناء مجابهة التقدم العصري، كما أن الأسلوب القديم في إستقامة الرأي قد سادت السلطة مرة ثانية معلنة عن الاستحواذ على أراض جديدة. أما الشيء الفجائي فهو تأثير ذلك الانتصار الذي حققه الهاريديون على وعى البقية الباقية من اليهود بمشاهدة أمم العالم لهم .

فثروات الهاريديين المعزولة في نيويورك، ومراكز استخراج الماس، وفي القدس ولندن لايمكن أن تظل بعيدة طويلاً كما لو كانت محولة أو مهربة. فهي تظهر في صورة طفق على الجلد المجروح ويتزايد عددها بصورة ضخمة وتزيد من الثقة بالنفس وكذلك تقوى عزمهم على التأثير على العالم من حولهم .

وتدريجياً أخذ اليهود يتسللون إلى داخل المدينة فلقد تم تسجيل مشروع ذلك الوسيط العقاري الكندي باول رايشمان وهو مشروع ضخيم، حينما قام باستضافة الرؤساء ورؤساء الوزراء وتقديم الطعام اليهودي (Canape's) لهم وكان ذلك بالقرب من موقع المشروع الممتد الذي انشأه هو واخوته (هاريديين) قبل سقوط مستعمرة ممتلكاتهم أوليمبيا-يورك ضحية للتدهور الأقتصادي عام ١٩٩٢، كذلك أصبحت حياة البليونيرات اليهود محط أهتمام العامة. وقد أغدق رجال الأعمال الهاريديين رؤوس الأموال على المدارس و yeshivas في كل انحاء العالم حيث تعول المعرفة والإلمام بتقاليد التوراة إلى قوة عصر الإصلاح الهاريدي .

وفي الولايات المتحدة نجد أن النظام المحرك الهاريدي بناؤه نظام الحياة اليهودية المقرر. وفيما مضى قامت أقليات ومن بينهم الأقلية اليهودية المعتدلة (الأثوذكسية) بأمريكا ومن بعدهم قام الهاريديون الآن بنهج ذلك المذهب المستقيم الرأي

الملوحة (١): تقدير لتعداد السكان اليهود في الغارات واهم الاقاليم (المناطق) الجغرافية
١٩٣٩ - ١٩٩٢ :

٨٩	٦٩	٤٧	١٩٣٩	
٥,٨٢٥,٠٠٠	٦,١٨٦,٠٠٠	٥,١٧٦,٥٠٠	٤,٩٦٥,٦٢٠	الولايات المتحدة، كندا
٤٣٦,٧٠٠	٧٨٢,٢٥٠	٥٧٨,٠٠٠	٥٢٤,٠٠٠	جنوب ووسط أمريكا
٢,٥٥٨,٤٠٠	٤,٠٣٠,٩٥٠	٣,٩٢٠,٠٠٠ ^(٢)	٩,٧٣٩,٠٠٠	أوروبا ^(١)
٣,٧٥٠,٧٠٠	٢,٦٠٥,٥٠٠	٩١٧,٠٠٠	٧٧١,٥٠٠	آسيا (بما فيها إسرائيل)
٨٩,٦٠٠	٧٧,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٣٣,٠٠٠	أستراليا
١٤٩,٩٠٠	١٩٣,٩٥٠	٦٣٩,٥٠٠	٦٠٩,٠٠٠	أفريقيا
١٢,٨١٠,٣٠٠	١٣,٨٧٥,٦٥٠	١١,٢٦٦,٠٠٠	١٦,٦٤٣,١٢٠	

(١) مشتملة على الاتحاد السوفيتي .

(٢) استناداً على التقارير التي أخذت عن لجنة التوزيع المشترك نقلاً عن مصادر أوربية .

اللوحة (٢): تقدير توزيع السكان اليهود تلى اسرائيل والاتحاد السوفيتى وفرنسا
والمملكة المتحدة ١٩٨٩ :

٣,٧١٧,١٠٠	اسرائيل
١,٣٧٠,٠٠٠	روسيا الاتحادية ^(١)
٥٣٠,٠٠٠	فرنسا
٣٢٠,٠٠٠	المملكة المتحدة

(١) بما فى ذلك الأقاليم الآسيوية

اللوحة (٣) تقدير للهجرة الى إسرائيل ١٩٨٩-١٩٩٢ :

٩٢ حتى ٦/٣٠	٩١	٩٠	٨٩	
٣٣,٣٠٩	١٧٠,٥٠٠	١٩٩,٥١٦	٢٤,٠٥٠	إجمالي
٢٧,٣٣٠	١٤٤,٨٠٠	١٨٥,٢٢٧	١٢,٩٢٤	الاتحاد السوفيتي
-	١٤,١٩٤	٤,١٣٧	١,٢٨٩	أثيوبيا

المصادر: الكتاب السنوي لليهود الأمريكيان، ١٩٤٧-١٩٧٠، ٤٨، ١٩٩١

(نيويورك/ فيلادفيا: لجنة اليهود الأمريكيان ومجتمع الأعلان اليهودي

. (١٩٩١، ١٩٧٠، ١٩٤٨)

وزارة الأدماج، إسرائيل .

الوكالة اليهودية الإسرائيلية .

الإدارة المركزية الإسرائيلية للإحصاء .

(الأرثوذكس) وكان ذلك من خلال نماذجهم الدينية الصارمة والمستمرة في الزيادة وكذلك من خلال نبذهم للأغلبية الغير مستقيمة الرأي (الغير معتدلة). هذا وتنبأ الشخصيات الأرثوذكسية البارزة بالولايات المتحدة بحدوث إنشقاق ديني كلى فى المجتمع اليهودى فى خلال جيل واحد .

وكما يعتقدون فسوف يكف الغير معتدلين عن اعتبار أنفسهم من اليهود وكذلك المعتدلين (الأرثوذكسيون) بزعامة الهاريديون سيكفون عن اعتبار تلك النخبة كيهود .

فإذا ما تم معرفة معدل نمو الهاريدي وكذلك كفاحهم الفردى الدؤوب والتسليم بذلك كله فإن مثل تلك التحذيرات لاتبدو شاذة أو مبالغ فيها مثلما كانوا يزعمون منذ عدة سنوات قليلة. ثم قام الزعماء الهاريديين بالجماهرة بالدعوة وكذلك عملوا على اغراء الناس لتأييد الكونجرس مقدميين ضمانات من جانبهم على الشئون السياسية القومية كالفشل، والحقوق المنتهكة، والأعمال الايجابية، والمبالغ التى تدفعها الحكومة لصالح المدارس المحدودة. علاوة على ذلك فلقد أيدوا (ناحروا) الجماعات المسيحية المتطرفة واتخذوا مواقف بعيده كل البعد عن مذهب الأحرار المؤيد من جانب معظم المنظمات اليهودية. ويعتبر الأمر جد خطير حيثما تكون مواقفهم تلك قريبة جداً من خط سير الروح الحافظه التى يقوم كل من رونالد ريجان وجورج بوش بدفعها بكل قوة .

وعلى خلاف معظم اليهود فلقد منحوا أصواتهم بإفاضة لهؤلاء الرؤساء الجمهوريين .

منذ عام ١٩٨٨ ثم لأول مرة انتخاب يهود أرثوذكس فى مجلس الشيوخ

الأمريكي. فبالرغم من أن يوسف ليبيرمان يعتبر (ارثوذكسى عصرى) بالقياس للهارديين إلا أن كل اليهود الأرثوذكس بأمريكا وخاصة الهاراديه يرون فيه الرمز والمثل الأعلى لإرتقاءهم الخاص من السفح إلى قمة المجتمع. وعلى الفور اعترف بإدراكه لذلك الدور

وكذلك الحال أيضاً فى بريطانيا بقيادة السيدة تاتشر، فلقد كان ينظر إلى كبير الأحرار السابق اللورد جاكوبويتس على أنه الكاهن الأقرب من حيث نظرتة السياسية إلى رئيس الوزراء وإلى جانب كونه رئيس لاتحاد مجمع اليهود فلقد كان زعيم روحى للأغلبية اليهودية الانجليزية ولكن إذا مانظرت إلى موقفه تجاه الانحلال الدينى فلقد كان أقرب ما يكون إلى المذهب الهارادى نظراً لراثسته الطويلة لمجتمع اليهود البريطانيين (١٩٦٤ - ٩١). وقبل أن يتولى منصبه فقلما كان يوجد ربان (حبر) ذو لحية طويلة تلك التى تعتبر بالنسبة للأحرار الهارديين وكذلك الحال أيضاً *de rigueur* بالنسبة لبعض العاطلين فى الطوائف الهارادية. فالقليلون يهتمون بأن يكون لهم لحية صغيرة أما الآن فلا تكاد نرى رجل مخلوق ذقنه على رأس منصه الخطابة اليهودية فى جميع انحاء الجزر البريطانية .

وبالنظر إلى المذهب الهارادى الآن فى كل انحاء العالم فنجد إنه واثق بنفسه وكذلك عدواتى، فهم يؤمنون بحقهم الإلهى فى أن يظفروا بمراكز ويستميلوا اليهود والدولة اليهودية. وقد قام زعمائه بغرس أعتقاد راسخ فى نفوس اتباعهم وهو ضرورة مجابهة الأفكار التى دوماً ما تصبح ضعيفه وضئيلة التأثير مثل - الصهيونية، الارثوذكسيه الحديثة، الديانه اليهودية التى تدعو للإصلاح والحفاظ على القديم وكذلك العصرية الدنيوية بصورة عامة. فلقد أستشهدوا بالأزمات والمساوى التى تثير حزن وألم المجتمعات الأخرى. أما الشيوعية التى كانت إحدى الأفكار المتحدة الصادرة

عن جيل من الشبان اليهود فلقد تقلصت في معظم أنحاء العالم ولكن الهاريديون قد أشاروا إلى ذلك على إنه في مواجهة الدين المنبعث، أما الصهيونية فتقاسى من أزمات مؤلمة من حيث الغرض والهوية وهذا ما يقوله الهاريديون وشهادة على ذلك نجد الانقسامات العميقة في المجتمع الإسرائيلي. وغالباً ما يتم الاستناد على بعض المصطلحات مثل التطرف والمذهب الخوميني حينما يقوم الناس بالبحث عن النظائر والمشابهات من اجل ايجاد تفسير لإحياء المذهب الهاردى. (وما يشير السخرية إن مثل تلك المصطلحات احياناً ما يتم تطبيقها على المستوطنين الأصليين فى الأرض المحتلة، هؤلاء الذين يعتقدون انهم يمهدون الطريق من أجل قدوم المسيح) .

على العكس من ذلك فإن المذهب الهارادى يعتقد فى قدوم من نوع آخر وهو القدوم الذى به وحى) .

ومع ذلك فإن الحيرة والارتباك والاذى وقبل أى شئ ايضاً الجهل، كل ذلك يعمل على عرقلة الجهود المبذولة لفهم تلك الحركة اليهودية الهامة والفعالة .

ويعتبر هذا الكتاب بمثابة محاولة على الأقل لتبديد ظلمات الجهل، علاوة على ذلك فهو يحاول وصف العالم الهارادى وكذلك الفكر الهارادى، وهو الأكثر أهمية، سواء لليهود أو لغير اليهود المنتشرين فى العالم الخارجى. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب لايتباحث لصالح أو ضد الهاراديين ولكنه يناشد يبحث المذهب الهارادى ضد انهيار اليهود جميعاً. كذلك فهو ينقب فى الأشتباكات الموجودة فى السياسات والمجتمع الإسرائيلى لكى يبين كيف يمكن للهارديين، بالرغم من تحفظاتهم اللاهوتية على وجود دولة يهودية غير مسيحية، أن يديروا النظام ببراعة وحذق لصالحهم .

وما يشير الجدل أكثر من ذلك؛ أن الكتاب يشير إلى قبلة زمنيته تدق تحت سطح

الوحدة اليهودية المنتشرة في العالم كله وتهدد بصورة خاصة ترابط اليهود الأمريكان. اما السؤال المطروح: «من يعتبر يهودي؟» فلقد هيج العديد من موجات الفزع في الماضي. والآن ونظراً إلى وصية الأحبار الهاراديين، المعروفين بالصلابة؛ بضرورة انشاد مذهب ديني في كل المعسكر الارثوذكس وكذلك بالنظر إلى الاستقطاب المعاصر (نحو اليسار) على الجانب الغير أرثوذكسي، كل ذلك يؤدي إلى وجود خطر حقيقى يهدد بحدوث انفجار لامحالة؛ ذلك الذى سيؤدي إلى انقسام اليهود إلى قسمين. كذلك فإن الهاريديون لايفشلون بسبب تلك الصورة ولكن العديد من الآخرين لايدركون قرب حدوثها .

وقبل التعرض لذلك السيناريو المفزع فإن الكتاب يعمل على اخذ القارئ إلى داخل المجتمع الهاريدى haredi وكذلك داخل المدارس المذهبية التى تعتبر قلب المجتمع، داخل ساحات رجال الطائفة الهاريدية haredic وداخل المنزل الهاريدى لنرى الحياة العائلية الدافئة والقوانين الجنسية المأجنة، وكذلك ايضاً داخل الهيكل العالمى فى اطار البذل فى سبيل الانسانية وتقديم المعونة المشتركة لساندة ودعم مجتمع من المتعلمين لينمو بسرعة وفيه يكون الشباب على استعداد أن يفتنوا عشرات السنوات من عمرهم ويكونوا كدارس للقانون التلمودى. وفى إسرائيل نجد أن لديهم القدرة على الحصول على حصانة من الخدمات القومية من خلال عمل مثل ذلك الانقسام الرجعى فى مجتمع يتم حكمه بتكليف من الخدمة العسكرية .

وقبل أى شئ فإن هذا الكتاب يتباحث لتفسير مسار الطائفة الهارادية haredim . فحياتهم قد تم تنظيمها من خلال «التوراة» التى تعتبر بالنسبة لهم بمثابة فكرة مجردة أو تصور ذلك الذى يشمل على الله نفسه وجميع انبيائه ورسله، وكذلك مجموعة من الآداب الأخلاقية والقانونية إلى جانب سلسلة من الزعماء الروحيين يمكن مقارنتهم

بالأخبار الموجودين الآن مثل الرجال دارسى العلوم الاجتماعية مثل الحبر شاس، وشينرسون، وواقاديا يوسف، الذين يجسدن استعمال السلطه الزمنيه العالميه مثلما يحسنون استعمال السلطه الروحيه .

وبالنسبة للهاريديه haredim انفسهم فإن توثيقهم الحالى وكذلك انحذارهم الماضى كل ذلك من صنع الله. وإذا ما أمكن تباحث تلك التفسيرات والشروح فإنهم يقولون بانهم معتقون ديانه قاسية خاصة بطوائف قليلة من الأحياء الهاريديين الذين نجوا من تلك المجزرة البشرية والذين كُتب لهم أن يعيشوا ويشقوا طريقهم فى الحياة العصرية، ولكن بشروطهم .

الحزب، الله

الفرع والخشية

الفصل الأول

الفرع والخشية

«لقى خمسمائة جندي من قياصرة الروس مصرعهم»، يا الهى... وكذلك خمسمائة آخرون من قياصرة الروس لقوا مصرعهم...» ومع كل مصيبة كهذه كان أحد رجال الطائفة الحاسيدية «مناحم مندل» يقوم بعمل كريات من العجين ويقوم بتسويتها وفردا داخل القرن .

وفى أواخر شتاء عام ١٨١٣، فلقد تراجع عشر الجنود الباقين من جيش نابليون العظيم قادمين من موسكو، فكانوا يحاربون وكانت قطرات دماهم تترك علامات على كل خطوة من خطوات الطريق. وفى قرية ريمانوف، تلك القرية المبهمة بجاليسيا، كان هناك جدل شديد ومثير للهيّاج كما لو كان ذلك قد حدث بين اليهود، أو فى حاراتهم المنتشرة فى أوروبا الشرقية، ويتردد ذلك السؤال القديم على ألسنه ضعفاء الناس: هل ذلك لصالح اليهود أم نقمة عليهم؟

وقد نشأ تلميذ بارز فى ذلك الحبر الحاسيدى «نافتالى» باضطراب كلما شاهد عملية الخبز، إلى أن قفز وشب وأمسك بمجراف سيده مناخم مندل. «وصياح»: توقف إيها الرجل! إن نابليون دنس، وتسود بعد ذلك لحظة من الصمت والوجوم وإذا بكلا الرجلين يحملن كليهما فى الآخر. وتستمر بعد ذلك القصة الحاسيدية ولكن نافتالى استدار وفر من المكان. فلقد لجأ إلى شيخ وقور (واعظ فى كوزينيس) واختبأ هناك خوفاً من سخط أهالى ريمانوف .

أما الزعماء الحاسيديون فكانوا آنذاك وقد علمتهم التجارب، المغزى التاريخي المتغير الذى تدل عليه الأحداث المعاصرة. فلقد كانوا ينظرون لغزو نابليون لروسيا على

إنه بمثابة «حرب يأجوج ومأجوج» جدير بالذكر أن اليهود الروس كانوا يعيشون في معظم المناطق وهم يعانون من الفقر والتمييز، لذلك لأن التقديرات الخاصة بعملية التحرير التي قام بها نابليون، لبعض الزعماء اليهود الروس على إنها تزيد شؤم كما تقول التوراة. ونجد أن مواطن ضعف اليهود في كل أنحاء أوروبا الغربية قد تم التخلص منها. ففي أثناء إقامته في المخيم الفلسطيني عام ١٧٩٩ قام نابليون بتوجيه نداء غير صريح لليهود في آسيا وأفريقيا للانضمام إليه وفي مقابل ذلك ينالون الأرض المقدسة .

وبالرغم من ذلك فلقد نظرت مجموعة من الحاسيدين إلى غزو نابليون لروسيا على إنه تهديد، على المدى البعيد، فهم يدركون جيداً أن حياة اليهود في الغرب قد تغيرت أثناء النصف قرن الماضي وكان ذلك بفضل الأفكار الجديدة والأجنبية التي عمل التلاميذ الذين تربوا «في بيئات أجنبية» على نشرها. أما هؤلاء الرجال فلقد اشتغلوا بدراسة الفلسفة غير اليهودية وكذلك العلوم والآداب، ومن ثم فلقد اقترحوا إجراء تحليلات جديدة لنصوص التوراة وأعلنوا تخديهم الصريح لسلطة الأخبار اليهود .

وتعتبر مطالب اليهود الخاصة بالمساواة والحقوق المدنية- تلك التي منحها نابليون بسهولة- على أنها طفرة وسط تلك المتغيرات، ولكن ذلك كان بمثابة رعونه وإحتقار وقع تجاه التشريعات المقدسة وتقاليذ الدين، وبدأت الدوائر اليهودية التقدمية في برلين وباريس وفيينا تنعم بعصر التنوير وكذلك بالحريات السياسية -التي اكتسبها مؤخراً- ولم يبنذوا الزى اليهودى التقليدى "فحسب؛ بل وكذلك اللغة اليديشية (لغة الحيتو اليهودى)؛ فقط بل أنهم قد تخلصوا أيضاً من التربيـة التقليدية والطقوس والشعائر القديمة وقيود الدين نفسها وقد حدث ذلك بالفعل نظراً لقيام العناصر الرجعية بمظاهرة احتجاج على ذلك.

هذا وقد تحول البعض واعتنقوا المسيحية وقد اتخذوا من ذلك وسيلة للتشبه

السريع والسهل بمن يعيشون في المجتمع المسيحي. وإذا ما نظرنا إلى عمليات التحرير والتنوير ومبادئ الثورة الفرنسية فيمكننا أن نقول أن الأحبار في روسيا ربما لم يستطيعوا إدراك أهمية تلك التطورات المفاجئة ولكن كل ما أمكنهم منهم هو أنهم لا يميلون إلى ذلك ولا يريدون تطبيقه على رعاياهم. وكما دُون الريان شنيور زلمان مؤسس الحاسيدية في لوريفايتش: «إذا انتصر نابليون فسوف تتمتع أمة إسرائيل بالشراء والمكانة ولكن ذلك سيؤدي إلى عدم الثبات فالمسافة سوف تبعد بين الرب في السماء وقلوب الناس. على إنه إذا انتصر رئيسنا الإسكندر فسوف يعم الفقر وتكثر المعاناة ولكن قلوب الناس سوف تقترب من الرب في السماء» ولقد عرض عليه كل ذلك في رؤيه دونها أثناء عيد رأس الغه اليهود «Rosh Hashana» ولم يظهر شنيور زلمان أى تصورات بخصوص «رئيسنا الاسكندر» فلقد رأى مرتين ما بداخل سجون القياصرة الروس في شارع بيتر سبورج وبها المتهم في المؤامرات التي دبرها المعارضين له «mitnaged» ومع ذلك فهو يصلى ويدعو من اجل انتصار قياصرة الروس على نابليون ثم يلوذ بالفرار هو وأسرته قبل تقدم القوات الفرنسية، وقد تذكر ابنه ووريثه وخليفته من بعده «السيد دوف بير» ما يختص بوجود نقطة تحول في الحرب: «فلقد دعانا أبونا ذات يوم سوياً وتحدث بكلمات تعبر عن الراحة والسرور، قائلاً «اليوم قد رأيت في صلواتي أن ثمة تغييراً للأفضل قد حدث؛ بالرغم من ذلك فإن العدو ربما يسيطر على موسكو ولكنه لن يجد خلاصاً منها، أما نحن فسوف يتم إنقاذنا» .

وفي مدينة نيويورك الحالية حيثما نجد الخليفة السابع لشنيور زلمان يقوم باصدار أوامر وتعليمات سياسية أكثر من اهتمامه بالوعظ فقط حتى يسيطر على الأحداث الجارية لذا فإن غالبية سكان المدينة من اليهود البالغ عددهم مليونين يعيشون حياة بعيدة كل البعد عن الأستقامة والتقوى التي كانت تميز مجتمعات اليهود في أوروبا الشرقية في بداية القرن التاسع عشر، ومع ذلك فهم جميعاً ورغم اتساع العالم

اليهودى؛ يعتبرون ابناء المذهب الأرثوذكسى نظراً إلى أن كل اليهود يتمنون إلى ذلك المذهب قبل أن يقوم عصر التنوير والحرية بغزو الكيان المتكامل لليهودية. وقد جاء المصطلح «الأرثوذكسية» إلى الوجود، وظهر علانية فقط حينما بدأ اليهود يحددون عن التقاليد والديانة الأرثوذكسية ديانه آبائهم. ويظهر اتجاهات أخرى يمكن وصفها بإنها ليست أرثوذكسية فى الديانة اليهودية خلال القرن التاسع عشر، لاسيما حركات اليهودية والاصلاحية والمحافظة، وأصبحت «الأرثوذكسية» تُعرّف عبر التناقض مع تلك المذاهب .

ومع ذلك فإن المذهب الأرثوذكسى نفسه قد عانى من الانشقاق نظراً إلى أن بعض الأحبار قد تباحثوا من أجل مزج التقاليد بالحضارة والثقافة الحديثه التى دخل فيها اليهود بعد تأخر وقد سمح لهم بالدخول فيها ولكن بغضب ونفوز .

وأحيانا يُشار إلى أصحاب المذهب الهاريدى على إنهم «الأرثوذكس الأوائل» أو «الأرثوذكس المتشددين» من أجل التمييز بينهم وبين أصحاب الأرثوذكسية الحديثه. ودائماً ما يظهر هؤلاء غضبهم تجاه «الحواشى التفسيرية»؛ فكما يرون فإن مذهبهم يعتبر الشكل الوحيد المعترف به فى الأرثوذكسية اليهودية، لذا فيجب أن يشار اليهم على إنهم «أرثوذكس» فى حين أن الأشكال والصيغ الخاصة بالآخرين - لا تستحق بجدارة أن يطلق عليها: «الأرثوذكس المعاصرة» أو «الأرثوذكس المعتدله» أو «الأرثوذكس الصهيونية». قد شجعت تلك الحساسية الاشتقاقية للالفاظ على استخدام المصطلح العبرى الإسرائيلى «هاريدى» haredi الذى بدأ يشق طريقه الآن أيضاً فى اللغة الانجليزية. أما المصطلح الموجود فى التوراه الأساس فيعنى «الخوف» أو «والخشية» والوارد فى سفر أشعيا * من خلال التعبير الاستعارى والذى يعنى «خشية الله» .

* وصى أشعيا وهو أهم أنبياء اليهود أن الشفقه والرحمة والبر أهم من تقديم القرابين وكان يؤمن بخصوصيه الشعب اليهودى، وهو شعب يلحق به العذاب ولكن لا ينفى تماماً فيوجد دائماً قطاع يهود إلى فلسطين ليصل بين الأرض المقدسة والرب .

وبالتناقض مع المذهب الأرثوذكسى الدال على الاستقامة فإن التنوير السابق لم يكن مطلقاً أحد المقاييس، فعلى مر العصور دائماً ما يوجد جدال أو نزاع لاهوتى ومن خلاله يرمى كل جانب الآخر بالهرطقة. ولكن هؤلاء الآخرين عادة ما يدفعون ذلك عن أنفسهم ويصر كل منهما على أنهم مازالوا متمسكين بالعقيدة القديمة. وكان دائماً ما يوجد إرتداد أيضاً وبالطبع كان ذلك يحدث فى ممارسة الدين. وبمجرد ما تلقى موسى نفسه العصايا العشر فلقد قام بتعنيف الناس بسبب عبادتهم للعجل الذهبى كذلك ثم منع الاجيال المتابعة من التعدى للأنبياء والرسل .

أما عصر التنوير فلقد أصطحب معه بعض التحديات ولكن بشكل جدير تماماً ظهرت من خلال تحدى سلطه الدين نفسها، وبالنظر إلى تحرير اليهود فإن ذلك كان يعنى تعرض اليهودية وكذلك المسيحية العواصف الباردة الناشئة عن التيار العصرى. وكما كتب أحد المؤرخين اليهود الأرثوذكس «إن الواقع الجديد يعتبر مضاداً تماماً لأقوال الرب، فبالنظر إلى كلام الله فجد أن الشخصية الفردية ليست منحه أو نعمة بل إنها فريضة، وتعتبر الانسانية مجرد حالة أو هدف اسمى لخدمة الرب... أما العلم فهو وسيلة للإنسان كى يغزو الطبيعة ولكنه بالتأكيد لا يعد العلم مصدراً للحقيقة» * .

إن حركة الإصلاح فى الديانة اليهودية والتي بدأت أولاً فى المانيا فى بداية عام ١٨٠٠ وانتشرت بعد ذلك فى أمريكا تعتبر طفرة أو نتيجة للحريات، فلقد كانت محاولة لصياغة الدين من خلال روح العصر .

وقد تم النظر إلى تلك الحركة التى تزعمها رجال كانوا قد تعمقوا فى التعاليم القدسية وكذلك اليهودية حيث إنها تعمل على خلق فهم عصرى ونقدى للنصوص

* د. اسحاق بريور، مقدمة للمجلد ٢ عن تغيرات العام من خلال العبر سامسون آر. هيرش (بين براك: نيزا ١٩٦٦) (اللغة العبرية) .

اليهودية القديمة. أما الاختلافات الأولى التي تظهر بين حركات الإصلاح والمعايير الأرثوذكسية فكانت في نطاق الطقوس والشعائر فلقد كانت الصلوات تؤدى باللغة الألمانية أكثر منها باللغة العبرية، كذلك مظاهر الحنين والاشتياق إلى أورشليم أو تقديم القرابين للمعبد قد تم حذفها وإهمالها، أما بالنسبة للنسب فقد تم السماح لهم بالغناء في الكورس مع الرجال وتشبهاً بهم. وبسرعة شديدة تتابعت انتهاكات أكثر خلاعة للشرعية والقوانين (halacha) مثل استخدام آلة أثناء صلاة السبت وبعد ذلك انقطع الأخبار علناً عن التعاليم العرفية التقليدية ومجموعة القوانين (halacha)؛ وأعتبروها خطأً في تسلسل التاريخ والحوادث.

وقد كان تحويل العبادة والصلاة من يوم السبت إلى يوم الأحد بمثابة سمة متطرفة تعبر عن عقيدة المصلحين، ولم يتم تبنى ذلك الوضع وتطبيقه بتوسع (ولكن ذلك قد تم الغائه بين معظم الطوائف الأمريكية التي كانت قد طبقته)، ولكن وإلى أن أثر اهتمام الأحرار الأرثوذكس وخاصة الأحرار الهاريديين في أوروبا الشرقية فلقد كانت حركة الإصلاح باكملها بمثابة تبرير لإعتراضهم المبدأى على اغراءات التحرير، كذلك تبريراً لمعارضتهم لأى مصبوغ بصبغة العصر. وقد كان عزم حركة الإصلاح على تحطيم الصور والتماثيل الدينية فعالاً جداً بالنسبة للمعتدلين غير الأرثوذكس وكذلك بالنسبة للذين أرادوا التغيير ولكن دون إحداث اضطراب. وقد تم إعداد ذلك فى المبادئ الأساسية عند تكوين للحركات الأحيائية والمحافظة بالولايات المتحدة فى القرن العشرين (جدير بالذكر أن بعض أفراد القوة المحركة الأوائل لتلك لحركة قد نشأوا فى ألمانيا).

ويضاف إلى ذلك التيارات المختلفة التى حملت التطور فى طياتها التى تنتمى إلى الدبائيه اليهودية فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فلقد كان هناك العديد من شباب اليهود فى شرق أوروبا وغربها الذين نبذوا البدع الدينية باكملها

لصالح الاشتراكية، أو الصهيونية أو الأفكار والتصدرات الحديثه الاخرى، فلم يكونوا قد اهتموا بصورة خاصة باى تحول جديد عن الدين .

ومن بين السفاريين (Sephardim) وهم اليهود الشرقيون فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط، نجد أن الإنقسامات التى حدثت بين المذهب الأرثوذكس والمذهب المخالف له لم يتحدث أحد عنها من قبل، ولا عن نزاع حاد كهذا، وبالنسبة للتنبؤ فلقد جلب مجموعة من المتغيرات على المجتمعات السفاردية أيضاً ولكن الاصلاح لم يجلب معه تحديات خطيرة هامة ضد مجلس الأبحار الأرثوذكس ولا ضد غالبية الناس الذين قد كبروا بتهاون فيما يخص القوانين اليهودية (halachic) بل إنه ظل قريباً من الطقوس والشعائر المتعارف عليها سواء فى المجتمع اليهود أو فى المنزل ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، حينما توقفت الهجرة الجماعية من أوروبا الشرقية بسبب قوانين الهجرة الجديدة الصارمة، فإن ذلك التيار فى شمال أمريكا كان جلياً لاتخطئه العين؛ فهؤلاء المهاجرون اليهود الذين لم يتركوا دينهم بعد لديهم نية التحرك تجاه المذهب الأرثوذكسى والمحافظ ومن بعدهم يتجه أبناءهم وأحفادهم إلى الاصلاح. وفى بحر عام ١٩٥٠ أمكن لنسبة ١٠٪ من اليهود الأمريكان بالكاد أنه يعرفوا أنفسهم كارثوذكس، وقد أدرك علماء الاجتماع ذلك الميل على أنه الأسلوب العنيد الخاص بالتاريخ اليهودى أو على الأقل فى أمريكا، فلقد أشاروا إلى المظاهر الاجتماعية الراهنة وعلى ما يبدو فلقد أخذوا يفسرون تلك الحركة بعيداً عن الديانة والعرف: «والميل إلى التشقق والاستقرار فى النواحي المختلفة.

وفى بريطانيا وبالرغم من وجود تلك الظاهرة فلقد ظلت القيادة اليهودية بيد المذهب الأرثوذكس رسمياً، أما الحركات غير الأرثوذكسية فلم تحقق أى دور بارز كالذى حققته فى أمريكا، وفى إسرائيل حيث كان مجلس «أخبار الدولة» أرثوذكسياً

وكان نصف تعداد السكان سفارديين فلقد حققت المجهودات المبذولة من خلال فروع حركات الإصلاح والمحافظة الأمريكية من أجل بناء أصل ثابت وقاعدة قوية، حققت نجاحاً قليلاً لا يعتد به؛ وبالرغم من تأسيس مجلس الأقباط الأرثوذكس المكروه من الشعب فإن الإسرائيليين لم يظهروا أنهم انضموا إلى السكان التابعين للطائفة غير الأرثوذكسية .

وقد حدث ما يلي فقط في السنوات الحالية حيث بدأ التلاميذ والطلاب اليهود في كتابة مذكرات حول الأحياء الأرثوذكس وخاصة وبين الهاريديين، وفي حين أن ذلك لا ينفي وجود المذهب الآخر إلا أنه قد كان هناك انحرافاً عن المذهب الأرثوذكسي .

أما بين اليهود السفارديين فلقد حدث إرتباك إقتصادي وثقافي بسبب الهجرة الجماعية في عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ . ولكننا نرى في السنوات الحالية حركة هامة هي «العودة إلى الجذور» تحدث بين شباب اليهود في كل من إسرائيل ويهود الشتات «الدياسبورا» .

وإذا ما إعتبر غرض هذا التدفق على أنه حافز للانحراف عن المذهب

الأرثوذكسى؛ فإن تحقيق ذلك التدفق قد تم ادراكه الآن على أنه سبب لحركة البعث والأحياء، وقد تحاور المؤرخون اليهود بشأن جماعات المهاجرين اليهود القادمين من أوروبا الشرقية إلى الولايات المتحدة أثناء ذلك القرن حيث ألقوا بالاحرزه التى يرتدونها أثناء الصلاة (tefillin) فى المحيط فى اليوم السابق لوصولهم لجزيرة اليس أو فى اليوم التالى له حينما ادركوا انهم لابد وأن يتنازلوا عن المذهب الأرثوذكس من أجل أن تكون لهم حياة فى العالم الجديد. وبمرور قرن واحد تغير كل ذلك. واليوم نجد أنه شئ لا يستحق الفزع ولا يستحق الذكر حينما نرى مواطنين يهود ارثوذكس من بين معظم سكان نيويورك أو لوس انجلوس وهم يسيرون إلى داخل معابدهم أثناء الجليد أو الحرارة الشديدة. ولكنهم يذهبون سيراً على الأقدام لأنه محظور شرعاً قيادة السيارات فى يوم الراحة .

الفصل الثانى

التقييد بالحلال

«الشابات» أن السبت، أحد الثلاثة مفاهيم الأجماعية الرئيسية للديانة اليهودية، والتي يستشهد دائماً بها المفكرون الأصوليون لتعريف اليهودية والتمييز بينها وبين المعتقدات التوحيدية الأخرى. والمبدأ أن الآخرين هما (قواعد الطعام «كشروط») و«طهارة العائلة-القواعد الجنسية»: «طهارات هاميش باشا».

وإذا سألت أحد الحاخامات الأصوليين أو أحد العلمانيين الأصوليين عن تعريف «جوهر الديانة اليهودية»، فسيجيب بصورة آلية ذاكرة ثلاثة مجالات عريضة فى حياته ينظمها دينه بدقة. وعلى أى حال، فإنه بالنسبة لأغلبية اليهود، غير أصوليين، وتعتبر هذه «الميتزفوت» المفاهيم الثلاثة، أى التعاليم الثلاثة، تصف طريقة حياة اليهودى التقليدى ولا تُعرّف اليهودية كديانة، وإذا سألت أحد «الحاخامات» الأصوليين أو أحد العلمانيين عن تعريفه لجوهر الديانة اليهودية، فسيجيب بصورة آلية ذاكرة ثلاثة مجالات عريضة فى حياته ينظمها دينه بدقة وعلى أى حال فإن غالبية اليهود غير أصوليين وتعتبر هذه التعاليم الثلاث «الميتزفوت» وصفاً لطريقة حياة اليهودى الأصولى لكنها لاتعرف الديانة اليهودية

وإذا سئل أحد الحاخامات غير الأصوليين عن تعريفه «الخاص» لليهودية فإنه سوف يفضل الإستشهاد بأحد الحكماء الواردين فى التلمود وهو (هلال) الذى تحذاه أحد المسيحيين قائلاً : «علمنى التوراة بينما أقف على قدم واحدة»، فأجابه: «لاتعامل الغير بما لاترضاه لنفسك، وما بقى مجرد تفسير لهذا المبدأ»، وقد أعلن حكيم آخر، رابى اكييفا، أن النص التوراتى «حب لجارك ما تحب لنفسك» (١٨:١٩) هى أعظم مبدأ

للتوراة» وبالفعل فإن هذه الآية منقوشة على حجر بمدخل كل من اتحاد الطوائف اليهودية الأمريكية، وحركة الإصلاح اليهودية، في الحي الخامس في نيويورك. وبدون الدخول في متاهات اللاهوتية، فإن السبل المختلفة التي يرى بها كل يهودى على حدة أو يتجاهل بها المبادئ الرئيسية الثلاثة لليهودية «شابات، كشروط، وطهارات هامشباشا» تعد أداة نافعة في وصف - وليس تعريف - الصورة الشاملة للعهد الحديث لليهود وتناول قضية الهارديم داخل إطار هذه الصورة المركبة.

شابات Shabbat

جميع اليهود مدركين وفخورين بحقيقة وهي أن اليهودية أعطت العالم فكرة اليوم السابع للراحة. وخلف هذا الأجماع، فإن هناك تباين شديد فى الطرق التي يختارها اليهودى لتمييز الشابات (يوم السبت). بالنسبة للأصوليين، فإن (الراحة) يوم السبت تترجم إلى مجموعة ضخمة من النصوص تحتوى ما يجب فعله وما لا يجب فعله. وليس من المفيد أن ناقش كون الضغط على مفاتيح الإضاءة لا يتضمن مفهوم كلمة «عمل» ولا يتعارض مع مفهوم يوم الراحة، مثلما ينطبق ذلك على «أشعال النار»، حيث أمرت تعاليم التوراة بمنع ذلك أيام السبت. والهلاشا، وهي قواعد القوانين اليهودية، شئ ثابت لا يمكن تغييره. فالنار هي النار، وأشعالها أمر محرم، بصرف النظر عن كيفية الجهد الذى تختصره التكنولوجيا الحديثة للقيام بهذا العمل كذلك القيادة، التي تستلزم أشعال محرك إحتراق داخلى، وبالمثل، ليس من المجدى إدعاء أن ركوب أتوبيس أو قطار أمر مماثل لركوب جواد، والذى يحرمه التلمود فى حال جزبه لغصن شجرة. (لأن تعاليم التوراة تحرم الحصاد فى هذا اليوم). وهو أمر يختلف عن مجرد ركوب الخيل.

وفى التحليلات اليهودية من «اليسار» إلى «اليمين»، هناك مبدئياً بعض اليهود بأنحاء العالم لا يفعلون أى شىء للاحتفال أو تمييز يوم الراحة اليهودى. وهناك ملايين آخرون، لا يتمسكون بالدين بمعنى الذهاب إلى المعابد، إلا أنهم يقومون بإشعال الشمعتين التقليديتين فى مساء الجمعة ويتناولون طعام أسرى، وكلاهما فى الوقت الراهن نشاطات أجتتماعية ذات أصل دينى واضح. كما أن المحافظين الملتزمين والمصلحين من اليهود، فى الوقت الذى يقرودون فيها سياراتهم ويقومون بإضاءة الأنوار- حيث يعتقدون أن قواعد القانون اليهودية «الهلاشا» يجب أن تتقدم مع مرور الزمن- يقومون بتلاوة صلوات الطهارة «كيدوس» وهم يشربون النبيذ فى عشاء ليلة الجمعة، وهذا مطلب آخر «للهاشا» فى أيام السبت.

وهكذا فإنه بصفة عامه يقوم اليهود الغير أصوليين فى احتفالهم الدينى بيوم السبت بأبراز ما يجب عمله طبقاً لتقاليد «هلاشا» ويفضون النظر عما لا يجب فعله إذا تدخل مع المستجدات التقنية .

والأصوليين يلتزمون مذهبياً بجزئية تعاليم الـ«هلاشا». إلا أنهم، يريدون قليل من وسائل الراحة الحديثه ضمن تلك الحدود، وهكذا، على سبيل المثال، يكون لدى الأصولى الاعتدال فى قبول المزايا الحديثة، فى منازلهم ومعابدهم والتى، يتم ضيها قبل يوم السبت، ويمكنهم التحكم فى أدواتهم الكهربائية المختلفة كما يحلو لهم . أو يستخدمون «مساعد السبت» التى يتم ضبطها مسبقاً لتقف فى كل دور أو كل دورين، دون الإضرار لضغط مفاتيح المصعد، والتى تعد ممنوعة، والسماح بهذه الأجهزة يثبت، فى نظرهم، أن «الهلاشا» تتطور مع الزمن، وليست متحجرة أو مهجورة كما هى قناعة الحركات الغير أصولية. وبالفعل فإن التلمود نفسه يقدم مثل هذه الاجهزة. على سبيل المثال: من الممنوع حمل أى شىء، حتى كتاب الصلوات

أو المنديل فى الميادين العامه أيام السبت، ولكن التلمود يوضح كيف يمكن باستخدام بعض العواميد وقطع من الأسلاك اغلاق ميدان عام بصورة رمزيه وتحويله مؤقتا إلى ميدان خاص، حيث يتم فيه السماح بحمل الأشياء. والترتيبات، التى يطلق عليها إيروف، يتم العمل بها فى أغلب المدن الإسرائيلية وفى العديد من المدن فى الولايات المتحدة وأوروبا. وبالتعاون مع السلطات المحلية، يبدخل الحاخام على شواطئ البحار، الأنهار، الطرق السريعه وكابلات التليفون الموجودة أو محطات الطاقة، فى إطار سياجهم الرمزي، مضيفين بعد ذلك أعمدتهم واسلاكهم الخاصة عندما لا يوجد أى نوع من الفواصل .

والهارديم، على الجانب اليميني للتخيل، لا يستطيعون استنكار استخدام وسائل الراحة الحديثه يوم السبت، والتى تضمنتها قواعد القانون اليهود (الهلاشا) ومع ذلك فإن بعضهم يحرم استخدام «مساعد السبت» والبعض يفضل ألا يعتمد على «إيروف» (احدى ترتيبات التلمود)، حتى لا يسقط جزء منها أثناء يوم السبت. ويمتنعون عن حمل أى شئ خارج منازلهم بالرغم من أنهم يضطرون للجوء إلى أجهزة الهلاشا، فهم يضعون مفاتيح أبوابهم الخارجيه فى أحزمتهم أو فى مشبك رباط العنق حتى يعتبرون أنهم يرتدونها ولا يحملونها .

بعض أتباع الـ«هارديم» فى إسرائيل يرفض استخدام الطاقة الكهربائيه فى يوم السبت، حيث أنها تولد من قبل يهود يقومون بحرق مبادئ الهلاشا. ويقومون بدلاً من ذلك باستخدام أدوات تعمل بالغاز أو البطريات. أتباع «هاردى يشيفاس» لديهم مولدات كهربائيه خاصه بهم تدار بالبترول وبعضهم لا يستخدم حتى المياه الجارية يوم السبت، لأن ضخها يتم بالطاقة الكهربائيه. وهم يقومون بملأ بعض الدلاء بالماء قبل يوم السبت. والأصوليين الحديثين، على أى حال، وبعض انصار «هارديم»، يستخدمون

الكهرباء، على أثار انه يجب استخدامها على أى حال فى المستشفيات لانقاذ حياة الناس. وانقاذ الحياة، فى عرف الهلاشا، له الأولوية على الاحتفال بالسبت.

وطقوس «هاردى» الخاصة بيوم السبت مركزة فقط على طاعة جميع تعاليم «هلاشا»، (وهذا شئ مسلم به)، ولكن أيضاً على المحافظة على الأنماط التقليدية لهذا اليوم المقدس كما ورثت، فأنصار «هارديم» يقومون بطبخ نفس اطعمة يوم السبت التى كانت تطهوها جداتهم فى غابر الأزمان وخاصة اكلة «شولنت» وهو طعام يغلى ببطء طوال الليل ويؤكل فى غداء يوم السبت. ويرتدون نفس الملابس التى كان يرتديها أجدادهم قديماً: القفطان الساتان الأسود والقبعة الفرو (شترامل). ويقومون بأداء نفس الترانيم الخاصة بالطعام، بنفس اللحن، حول مائدة السبت، وإيمان يقومون باعادة خلق نفس الطقوس بدقة فى معابدهم أو فى إجتماعاتهم الخاصة التى كانت منتشرة بين طائفتهم الخاصة «أن ديرهايم» فى وطنهم السابق أوروبا الشرقية .

وبالرغم من أن قراءة صحيفة أو ضرب كرة خلف المنزل ليس ممنوعات فى تعاليم «هلاشا» فى يوم السبت، إلا أن تعاليم الـ«هارديم» لاتشجع مثل هذه الأشياء الدنيوية فى اليوم المقدس. فالغرض من السبت هو الصلاة، الدراسة، والإسترخاء الوقور الملائم لذلك اليوم. وفى حين أن التجول بعد الظهيرة شئ ملائم، إلا أن أتباع «هارديم» الجادين يعانون للمحافظة على آحاديث السبت، حتى فى وقت الفراغ، فى صورة وقورة ودينية. ومع تزايد طوائف «هارديم» فى العدد وفى الثقة بالنفس، أصبحوا أكثر صرامة فى مراقبة هذه التعاليم «الهلاشية» والإضافية، والقيود المختلفة الخاصة بها، ويقومون بأقلمتها مع الوضع «الهلاشى الحديث». وهكذا، فإنه بالرغم من سياسة الهلاشة الجامدة، فإن الهلاشا تتغير بالنسبة للهارديم أيضاً. ولكنها تتغير بتبنى متطلبات جديدة، والمطالبة بصرامة أشد فى أداء المتطلبات القديمة .

وجزئياً، فإن أسباب زيادة الصرامة وعدم التسامح بين الـ«هارديم» يمكن أن نجدها في التسامح المتزايد في العالم المحيط بهم. على سبيل المثال، هناك «هارديم» مازالوا يعيشون إلى اليوم، خاصة النساء، ومازالوا يتذكرون وجوب الذهاب إلى مدارس غير اليهود، في حين يذهب أبائهم إلى المعابد. وفي بعض الدول الأوروبية، كانت المدارس يوم السبت إلزامية. فكانوا يسيرون إلى المدارس، ويجلسون في الفصول، ولكنهم يمتنعون عن الكتابة، التي تعد إثم في الـ«هلاشا». واليوم لا يمكن تخيل مثل هذا السلوك على الإطلاق فضمن أى عائلة من طائفة هارديم في العالم. والحقيقة أن جميع أطفال «هارديم» يحضرون مدارس خاصة بطائفة «هاردى»، أو على الأقل مدارس يهودية. حتى الأعداد القليلة التي لاتفعل تبعد فوراً من المدارس غير اليهودية من قبل عائلاتهم إذا تطلب وجودهم بهذه المدارس حضور أيام السبت. والبداءل موجودة بالفعل. وعائلات «هاردى» اليوم ترسل أبنائهم إلى المدرسة يوم السبت، رغم عدم ارتكاب إثم بحق قواعد الهلاشا، إلا أنها تصبح منبوذة من قبل الطائفة.

كاشروط

إن التحسن المتماثل في الأحوال الموضوعية الخاصة بالوفرة والغنى، خاصة في الدول الغربية، مكن الـ«هارديم» من تطوير المعايير الصارمة الخاصة بالطرق التي يتبعونها في تطبيق قوانين كاشروط بصورة متزايدة، وهو ثانى أهم التعاليم الاجتماعية. وقد تحولت بعض القيود سريعاً إلى مبادئ مقبولة داخل طائفتهم، وبدت كعلامات إضافية تفرق بينهم وبين اليهود الآخرين. والكتاب المقدس «العهد القديم» نفسه يحدد أى الحيوانات التي يمكن أكلها وأيها غير مباح لدى اليهود. وتتطوى ضمناً على المتطلب الأساس الثانى لـ «كاشروط» وهو أن الحيوانات يجب أن يتم ذبحها بطريقة معينة. ولكن هناك قليل من الوضوح فيما يلى، ففي حين أنه في القاعدة الأساسية

الثالثة، والخاصة بفصل اللبن واللحم، فإن التوراة تدعوا فقط إلى «أنه لا يجب سلق لحم الجدى فى لبن أمه» (سفر ١٩: ٢٢). هنا أيضاً، مثله مثل قوانين السبت، ترك الأمر للقانون الشفوى لتفسير الطريقة «الهلاشية» للذبح - عن طريق شق القصبة الهوائية والمرىء - وإخراج الدم عن طريق التمليح والفسل، وعن المحافظة على أن يكون اللحم ومنتجات الألبان منصلين. ومثلما حدث مع السبت «شابات»، فإن الإصلاحات الكلاسيكية التى سادت الصرح الكلى كذرة من القواعد الأولية الخاصة بالصحة والعادات الصحية، فى حين أن اليهود الغير متدينين ينبذون ببساطه القيود الخاصة بالطعام ويعتبرونها مرهقة، وععبء لاعمى له .

ومع ذلك، ومع ذلك، بعد قرنين، مازالت بعض المعتقدات القديمة، سواء كانت بدائية أم لا، باقية بتكيف ملحوظ حتى بين الأكثر بعداً عن الأصوليين وملايين من اليهود الذين لايتقيدون بالحلال سوف يمتنعون عن أكل لحم الخنزير والماكولات البحرية، الكثير منهم لا يستطيعون تفسير سلوكهم بصورة منطقية، حتى لأنفسهم .

وبالتقدم فى التحليل الطيفى، نجد أن هناك بعض اليهود الذين يتقيدون أسرياً بالحلال على الأقل، وإذا مضينا قدماً فى تحليل الصورة الكلية؛ بمعنى شراء اللحم الحلال فقط لحاجاتهم الشخصية. وعلى أى حال، فإنهم عندما يأكلون فى الخارج، لا يكونوا شاذين، ويأكلون اللحوم الأخرى هذه المجموعة الأخيره متمثلة فى كل من الطائفتين الإصلاحية والمحافظة بين اليهود المشتتين فى أرجاء العالم «دياسبورة»، وبين الإسرائيليين الغير أصوليين .

وهناك من يأكلون اللحم الحلال فقط - وهو لحم من حيوان حلال ومذبوح حسب قواعد «الهلاشا» عن طريق جزار مؤهل لذلك. وهذا يستلزم تضحيه فى المال والتذوق، حيث أن لحم «كوشر» يكون عادة أكثر غلاء وهذا يرجع إلى إضافه سعر

الإشراف الدينى. وعلى أى حال فإن هذه المجموعة لاتصر على أن يكون كل منتج غذائى مصدق عليه بأنه حلال من قبل أحد الحاخامات. فإذا كانت المكونات حلالاً، هذا إن لم يكن يحتوى على مواد حيوانية، فإن هؤلاء اليهود يمكنهم أكل هذا المنتج.

ويراعى عدد بسيط من المصلحين اليهود، وعدد كبير من المحافظين، وكثير من الأصوليين الحديثين أن شروط الحلال فى مشترياتهم (كاشروط)، خاصة أولئك الذين يعيشون فى بلاد أخرى غير الولايات المتحدة، حيث لا تحمل المنتجات تصديق الحاخامات وليست متوفرة أو متاحة كما هو الحال فى أمريكا .

وحتى جيل مضى، كان كثير من الـ«هارديم» يشعرون بالرضاء للعيش فى هذا المستوى أيضاً. ولكن الخط الذى يفصل «الهارديم» عن «الأصوليين الخالصين» يجرى على قدر طول مسأله «هشيشريم»، أى التصديق الحاخامى بصلاحيه المنتج. فـ«هارديم» لا يمكن أن يأكل أى منتج غذائى مصنع لا يحمل تصديق بالحلال «هيشر». والسبب أنه حتى إذا كانت المكونات خلالة، فإن من الممكن أن يكون قد تسلفت بعض الكميات البسيطة من المكونات المحرمة خلال عملية الإنتاج. وتصديق الإباحة؛ يعنى أن مشرف حاخامى قد قام بالتأكد لمنع حدوث ذلك .

ولكن الأمر لاينتهى هنا. ففي أمريكا وإسرائيل، توجد آلاف المنتجات التى تحمل التصديق الحاخامى. ويمكن لآى يهودى يراعى تعاليم الحلال أن يقوم بالدخول إلى أى سوبر ماركت فى أى مكان بالولايات المتحدة، ويخرج ويديه مليئة بالسلع الرائجة وجميعها تحمل علامة OU أو «الاتحاد الأرثوذكس» أو علامة «K» على الغلاف. (والعميل العادى لا يلاحظ حتى هذه العلامات، ولا يعلم مغزاها). ولكن بالنسبة لأتباع «هارديم» فإن ذلك جيداً بصورة كافيه. فهم يصرون على وجود تصريح حاخامى ومن قبل حاخامات معينين، رافضين السلع التى صدق عليها حاخامات آخرون على أساسى

أنها غير موثوق فيها وعلى سبيل المثال، فإن سيدة بريطانية شابه من أتباع «هاردى» كانت تطير من إسرائيل على الخطوط الجوية البريطانية ولكنها رفضت أن تأكل الإفطار الحلال «كوشر» الخاص الذى تم تقديمه لها فى الطائرة، كما شرحت للمضيفة الأنجليزية، أنها تحمل تصديق الصلاحية لرئيس الحاخامات الإسرائيلى فقط، وغير مقرون بتصديق الطائفة «الهاردية» فى القدس .

وطائفة القدس واحدة من طوائف «هاردى haredi» العديدة والتي تتبع أنظمة خاصة بها فى تصديقات الحلال «كاشروط»، ويتم الاشراف عليها من قبل «المحاكم الحاخامية» الخاصة بهم «batei dim». وعودة للسيدة البريطانية نجد أنها فى النهاية أذعنت بسبب جوع إبنتها الصغيرة وسمحت لإبنتها بتناول الطعام) .

وعملية التصديق بالإباحة، والتي تعد من العمليات الكبرى لجمع الأموال ، تواجهها منافسات داخلية من الـ «هاردى». بالاضافة إلى أنها مشحونة، مثل كل شئ فى حياة الـ «هاردى»، بالعقيدة والسياسة؛ فطائفة هاردى بالقدس وحاخاماتها مناهضين للصهيونية. فرفض المراه على الخطوط الجوية البريطانية لتصديق الإباحة لحاخامات الدولة كان يعنى أنها تدلى بتصريح سياسى بالإضافة إلى آخر دينى .

وتظهر مشكلة الصهيونية كل سبعة أعوام، عندما يشهد التقويم اليهودى الشميتة «Shemitta»، وهو العام الذى يجب فيه ترك الأرض المقدسة للراحة بعد حرثها (إصحاح ٢٥). ففى بداية هذا القرن، عندما بدأ أول المزارعين الصهانية فى الإستيطان فى فلسطين، قرر رجال «الرابى» المتعاطفين بأن هذا القانون، الذى كان يمكن أن يكون عائقاً أمام عملية بناء المنازل والمزارع الجماعية اليهودية، يمكن التحايل عليه عن طريق بيع الأرض إلى شخص غير يهودى. وبالتالي أصبحت تلك السياسة «الهلاشية» لرئيس الحاخامات الإسرائيلى. ولكنها كانت مفروضاً كمبدأ من قبل قيادة حاخامات

«الهاردى» المناهضة للصهيونية، وهكذا فإن الـ «هارديم» فى إسرائيل اليوم يقومون باكل ما يتم انتاجه لدى غير اليهود، والتي تبنى فى المزارع العربية خلال عام «Shemitta»، ويتجنب الـ «هارديم» المشتتين «الديسابورة» فى البلاد أى صادرات إسرائيلية لا يتم التصديق عليها من قبل حاخامات الـ «هاردى» بانها مزروعة خلال عام الشميت «Shemitta» .

والكشروط تم تعقدها أكثر بالإختلافات الموجودة فى التقاليد «الهلاشية» بين اغلبيه الـ (أشكينازيين) «Ashlenayic»، واطليه من السفرديم «Sephardic» فى اليهودية. فـ «الهاردى» من الـ «Ashlenayic» (الأشكينازيين)، وهم يهود ألمانيا وبولندا وروسيا، لايمكن أن يأكلوا لحم تم ذبحه تحت إشراف حاخام من السفرديم «Sephardic»، والعكس صحيح. وتظهر الإختلافات بصفة خاصة فى عيد الفصح، عندما يأكل السفرديم «Sephardic» الأرز، الفاصوليا، والخضروات الأخرى والتي تعتبر ممنوعة للأشكيناز «Ashlenayic». ومجموعة قواعد (أصولحان اروش) «Shulhan Aruch» تسمح بتناول هذه الأطعمة، ولكن الـ «Shulhan Aruch» التى كتبها رجل الدين الحكيم السفرديمى «Sephardic» «يوسف كارو» فى فلسطين فى القرن السادس عشر، تم نقضها بالنسبة للأشكيناز فى بعض التفاصيل الهلاشية، بواسطة الحاخام «موش ايسرلى» الذى نشر فى بولندا فى القرن السابع عشر. وهذا يعنى عملياً أن أياً من أفراد الأشكيناز لن يتناول الطعام فى بيت أى سفرديم خلال عيد الفصح، لأن الأطمعه وأوانى المائدة الفضية ينظر لها على أنها ملوثة .

تأهارة العائلة - القوانين الجنسية «طهارة هاميشباشا»

تعد «تأهارة هاميشباشا»، من التعاليم الإجتماعية الثلاثة الهامة، وهي قواعد للنقاء الجنسي، وهي تمدنا بأوضح الفروق، بالأيديع مجالا للشك، بين الإقليمة الأصوليعة والأغلبية الغير أصولية بين اليهود. فالأغلبية الغير- أصولية، بإستثناء عدد قليل من زوجات الحاخامات المحافظين وعدد صغير من أتباعهن، ببساطه ترفض أو تتجاهل قواعد القانون اليهودي في هذا المصطلح، الذى يتطلب من المرأة أن تغطى فى حوض الطقوس الخاصة بعد القاعدة انقضاء فترة الطمث ولا توجد طائفة محافظة أو إصلاحية لديها هذا الحوض الشعائرى أو الـ (متلقى) لهذا الغرض، فى حين أن أغلب رعايا الأصولية لديهم واحدا منها أو تشترك فى حوض الشعائر الخاص بناحيثهم، (ميكف) بالرغم أن نسائهم لا يذهبى جميعهن، وبالنسبة اليهود الديسابورا غير الملتزمين تعد هذه القوانين غريبة أو لم يسمع بها كلية. ومع هذا، فإن جميع الإسرائيليين، يواجهون موقفاً واحداً محددا ولا يمكن تجنبه مع قواعد (الهلاشا) الخاصة بالجنس. فالزواج بين اليهود يتم فى إطار القوانين التشريعية لحاخامات الدولة «من الأصوليين»، والحاخامات يطلبون من كل «عروس» أن تغطى فى حوض الشعائر قبل ليلة زفافها .

وقوانين التحريم الأصلية الواردة فى أسفار موسى الخمسة الأولى تنص بإحكام تقول: «لن تقترب من امرأة لتعرى جسدها خلال بخاستها بالطمث» (سفر ١٨: ١٩) الأسفار الخمسة الأولى نفسها كثيراً ماتشير إلى الإنغماس فى حوض الشعائر كوسيلة للحفاظ على أو استعدادتها الطهارة. وطبقاً لذلك فإن قواعد الـ «هلاشا» تأمر بأن المرأة المحيضة يجب أن تمر بهذه الطقوس قبل أن تحل لزوجها بمعنى والسماح لها بالمعاشرة ثانياً .

وهناك قواعد كثيرة ومعقدة لتوقيت الانغماس (وهو على الأقل بعد مرور سبعة أيام من نهاية الحيض، تاركين بالكاد إسبوعين كفترة سماح للمعاشرة في كل دورة)، طريقتيه، حجم الحوض، نوعية المياه الخ... ولكن الفقرة الشرطية الأساسية أن المرأة تبقى حائضاً في نظر قواعد «الهلاشا»، اللهم إلا أو حتى تغمر نفسها كما ينبغي، ولا يغير من هذا الوضع، المحرم مرور الزمن أن أو الحمل أو حتى إنقطاع الطمث في سن اليأس. والتشريعات المعقدة التحريمية لاتنصف فقط عملية الجماع نفسها، ولكن السلسلة الكاملة للتصرفات والاضاع التي تؤدي إلى الرغبة في الجماع. بين الزوجين خلال فترة حيض المرأة والتي تمتد حتى اداء طقوس الغطس بعضها واضح بما فيه الكفاية، كالتقبيل أو النوم على نفس الفراش. والبعض الآخر نابع من المجتمع الحديث مثل الشرب بصورة متتابعة من نفس الكوب، أو الجلوس على نفس الأريكة، وعلاوة على ذلك فإن هذه التحريمات تطبق بصرامة أكبر- وبعضها تبدو للعقل الحديث أكثر انتماء لزمان بعيد- كالعلاقة بين الرجل والمرأة غير المتزوجين فأى شخصين من جنسين مختلفين وغير مرتبطين غير مسموح لهما الا نفرد ببعضهما في نفس الغرفة. والمجتمع «الهاردى» بادئ في الفصل الصارم بين الجنسين في دور الحضانة .

فإن الأصولية الحديثة- تلتزم على الورق حرفياً بقواعد الهلاشا بمثل إيمان الـ«هارديم»، وهى بذلك تشعر بالالتزام بهذه القيود. إلا أنهم فإنه عند التطبيق قاموا بعمل بموازنة جوهرية مع الحوالة في هذا المجال. وبالنسبة ليسار الأصولية في الواقع الحديث، حيث يتلقى الأطفال تعليمهم في مدارس مشتركة والحركات الشبائية، ويختلطون بحرية في الميوط الاجتماعي وبالنسبة لممارسة الجنس قبل الزواج فإن للشباب بالأصولى لايعترف به صراحة، إلا أنه منتشر بصورة واضحة في الحلقات التي تلتزم الشعائر الخاصة بالمبدئين الرئيسيين الاجتماعيين الآخرين، (السبت) و (قواعد الطعام) بشكل أكبر من التزامهما بـ«القيود» الجنسين لقواعد الهلاشا .

وبالمثل، فإن بعض المتزوجين من الأصوليين الحديثه، الذين يتقيدون بالقاعدة الرئيسية الخاصة بالغوص للطهارة متساهلين بالنسبة لتحريمات كبح الرغبات .

وعلى أى حال، فإن «يمين الوسط» الأصوليين الحديثين، المتأثرين بالطهارة «الهارديمية»، يمارسون الآن سلوكاً جنسياً أكثر تشدداً. والتعليم المشترك الآن مرفوض من قبل الآباء الأصوليين الحديثين فى كل من أمريكا وإسرائيل، وهم والذين تلقوا تعليمهم فى مدارس مشتركة كما أن السباحة المشتركة تم منعها حيث كان يتم الاستمتاع بها كمسألة طبيعية. أصبح كثير من السيدات الأصوليات الحديثات يقمن بتغطية رؤوسهن بقبعة أو وشاح أو شعر مستعار، لأن قواعد القانون اليهودى «الهلاشا» تقرر أن شعر المرأة مثير للشهوة، وأحد نتائج هذا التغير فى القيم هو زيادة الضغوط الاجتماعية على شباب الأصولية الحديثة للزواج المبكر، كما يفعل الـ «الهارديم» .

ومازالت، الفجوة بين «الهارديم» والأصوليين الحديثين فى مجال الأعراف الاجتماعية والجنسية عميقة. وهنا أيضاً، تجعل القواعد الجنسية، الفروقات بين الجماعات المختلفة جلبة للنظر- ولكن هنا، فى اليمين المتطرف من الصورة المتكاملة لليهودية، فإن التغيرات الإسمية- من طهارة هاميشباشا، بمعنى الغطس بعد الحيض، والذي يؤخذ بأنه شئ مسلم به وليس مسألة حديث مهذب بين الهارديم، إلى تنسيون «Taniwt» أو الاحتشام، وهو مصطلح يشتمل على مجموعة واسعة من القواعد القانون اليهودى للقانون الهلاشا وما يشبه تلك القواعد. كما يشتمل، أيضاً، على مجموعة عريقة من والعادات والاختلافات الدقيقة بين طوائف «الهارديم» المختلفة. وفى حين أن بعض نساء «الهارديم» يلتفين بتغطية رؤوسهن بقبعة، أو وشاح أو شعر مستعار فإن، هناك أخريات مثل بلزر حاسيديم، يرتدين نوعين من الغطاء معاً: باروكة تعلوها قبعة صغيرة إلا أن تحكم السفارديمى «أوفاديا يوسف» يحرم الشعر المستعار أيضاً لأنها

يمكن أن تبدو. كالشعر طبيعى. وفى حين أن أغلب نساء «الهارديم» يقصرن من طول الشعر فإن بعضهن كنساء مياشاديم القدس يقيمن بحلاقة كامل شعر الرأس عندما يتزوجن، ويبقينه كذلك، تحت الوشاح الأسود، طيلة الحياة .

والجوارب، وهى شئ أساس لحشمة النساء (تنسيون)، تختلف أيضاً بصورة كبيرة داخل «الهارديم». فبعض نساء الحاسيديم يرتدين فقط جوارب سميكة سوداء، وفى وسط النساء الهارديم الأكثر ويعتقدن أن الجوارب السوداء أو الملونة مثيرة، جداً ويرضين فقط بإستخدام الجوارب المماثلة للون الجلد، وكل مجموعة لديها الفرعى بمقدار السمك الذى يجب أن تكون عليه الجوارب ولكن الـ «tsniut» تهتمون بما هو أكثر من الملابس. أنه قاعدة للسلوك الاتجاهات عقلية وقواعد حشمة النساء تؤثر على كل جانب فى الحياة، الأكثر عمومية إلى الأشد خصوصية ففى بعض جماعات «الهارديم»، لايشير إلى زوجته علناً (وبالتأكيد لا يفعل ذلك مع زوجة الغير) باسمها الأول، والجيريرها سيديم، الذين ينظرون من الـ إلى قواعد حشمة النساء Tsniut بتعصب، تذهبون فى تشديم إلى أبعد من ذلك، فالرجل لايجب أن يشيروا إلى زوجاتهم ولـ «زوجة» حتى فى الحديث العابر مع الرجال الآخرين، ولكنهم يجب أن تستخدموا عبارة ملطيفة إيجازية. وأتباع «جرير» متشددين حتى بين «الهارديم». ويتذكر أحد الأنجليز ويعتبر من «الهارديم» أنه كان يرشيه أحد أصدقاءه من طائفة الحرير، والذى يتحدث الأنجليزية أيضاً، والذى ظل يسأله بالألمانية قائلاً «هل هناك من يعمل فى بيتك؟» فأجابة بصورة مأكرة علما بأنه من غير طائفة الحاسيديم..... بصورة مأكرة. فعاود سؤاله بالألمانية «لا، لا- فى منزلك...؟» ولكن الثانى استمر فى ادعاء بعدم الفهم حتى خرج الحاسيديم بالإنجليزية: «أنا أعنى، هل زوجتك تعمل؟» .

ومن الواضح، أن قواعد حشمة النساء Tsniwt تتضمن حظر صريح لأى تعبير

بدنى أو صوتى عن العاطفة بين الزوج والزوجة فى المجتمع. فالإمساك بالأيدي، أو حتى اللمسة الحائنة للذراع، ممنوع أمام الغرباء خشية تهيج الأفكار الفاسقة (التي بدورها يمكن أن تؤدي إلى إنطلاق شهوانى للحيوانات المنوية، التي تعد إثم «هلاش» ونكبة روحية ومينافيزقية) طبقاً لـ «القبلانية» المعارف السرية الدينية. فإن أتباع «الجيرير» يتطرفون ثانية: فى أن فالازواج والزوجات لايتوقع منهم أيسيروا معاً فى الشارع على الأقل حتى يبلغوا لا منتصف العمر. والأنتقال من نقطة «أ» إلى نقطة «ب» بالنسبة لأسرة من طائفة الجيرير، عندئذ تتطلب التخطيط الدقيق وشئ من المنطق الرمضى. وهذا أيضاً وأدى ذلك الأمر لزيادة النكات بين طوائف «الهاريديم». (فقد سأل احد اللذين لاينتمونلطائفة الهاسيد» من هى تلك المرأة التي رأيتك معها ليلة أمس؟» فأجاب الجيرير هاسيد: «ليست زوجتى! ليست زوجتى!»).

على أن مبالغة الجيرير فى الاحتشام تمتد إلى مخدع الزوجية أيضاً ، وقد أصبحت موضوعاً لجدل أقل مايوصف به أن عنيف، داخل مجتمع «هاريدين». وقد بدأ أتباع «الجيرير» وهو تحت قيادة الرابان للناطق رابى «إسرائيل آلتر» (١٨٩٥-١٩٧٧) حملة ضد «الإفراط فى ممارسة الجنس» فى الزواج. ولكن ماهو مقياس الإفراط إلى الكنيس؟ وقد واظب «الجيرير حاسيديم» على مناداة بعضهم البعض للاستيتعاض والتناصح بالذهاب الكنيسه بدلاً من الاسترخاء بجواد زوجاتهم. شيوخ الطائفة، يقودهم «رابان»، بتعليم بتلقين الشباب حديثى الزواج أن يقوم أعضاء الطائفة الأكبر سناً بممارسة الجنس مرة واحدة فى الأسبوع كافية، وأنه ليس من واجبهم إطالة الممارسة الجنسية أو جعلها مصدر لذه لزوجاتهم. ولقد تم تثقيف المرأة بما يجب أن تتوقع، لا تتوقع ويبدو أنهم أيضاً «قبلن» هذا المنظور الخاص بالزواج كغاية دينية. والمقرهم الرئيسى للجيرير فى إسرائيل وفروعه فى أمريكا وأوروبا، ويعتبر الجيرير تجمع كبير مؤثر داخل «الهاريديم»، وكات لأفكارهم تأثيرها، خلال الأعوام الماضية، على

الطوائف الأخرى أيضاً، مما أثار خنق الشخصيات القيادية التي لا تنتمي «لحاسيدى». والذى أثاروا الجدل مؤخراً حول تلك الحجج، بطبيعة الحال بتحفظ - مشيرين إلى أن الأصولية اليهودية ستكون، كل قيادها الإجتماعية واشتراطات الحشمة، يعد بصورة أساسية ايجابية تجاه الحياة الجنسية للبشر، وتشجع على الممارسات المتكررة الجنسية والمتعة فى إطار الحياة الزوجية، والتعاليم الخاصة بذلك فى فنشر. فالآلاف الاستشهادات من التوراة والتلمود تدعو إلى ذلك. أنه توجد رهبانية فى اليهودية، وعلى العكس، فإن لحبر الأعظم نفسه، فى زمن الهيكل كان المفروض عليه أن يكون متزوجاً، وعلى أى حال، لم تكن لتعاليم «هاريدى» المعروفة الخاصة بالـ «Taniut» ولاتعاليم «الجرير» أية أثار سلبية على الخصوبة فمعدلات الولادة ضمن طوائف الهاريدى غالبية بطل المقاييس. وهذا يمكن تفسيره جزئياً بعدم موافقه رجال الدين على استخدام العوازل الطبيه (موانع الحمل عامة)، والأجهاض، والحقيقة؛ أنه فى حين أن العازل الطب مرفوض دائماً، إلا أن حاخامات «هاردى» يسمحون للمرأة باستخدام IUD أو الحبوب إذا كان هناك سبب طبى أو نفس لتجنب الإنجاب. وهذه الأسباب ليست بحاجة للإقناع الكامل طالما حقق الثنائى الـ Mityna الخاصة «كن مثمراً وتكاثر» (عهد ١: ٢٨)، وذلك يعنى طبقاً لتفسير قواعد القانون اليهودى الزوجين الوصية الخاصة بالإنجاب، إنجاب ولد و بنت على الأقل .

ولكن مثل هذه العلائلات الصغيرة تعد استثناء، إلى حد بعيد وستدعم الأقاويل بأن «هناك خطأ». وكقاعدة، فإن عائلات «الهاردى» عائلات كبيرة العدد، ومن الطبيعى أن تضم هناك سبعة أو ثمانية طفلاً، ومن وكثيراً مايبلغ عددهم لإحدى عشر أو الإثنى عشر. لا يعد طفلاً وينظر «الهارديم» بعين الرأس للأسرة الحديثه المكونة من طفلين أو ثلاثة أطفال. فالبيت الذى يحج بالأطفال الصغار هى خلاصة الحياة السعيدة كما يميل معدل المواليد بين الأصوليين الحديثين فى أمريكا وإسرائيل للارتفاع عن نظيرة بين باقى اليهودى .

الفصل الثالث

«لم أذهب أبداً إلى بروكلين!»

يعتقد القادة الأصوليون، خاصة في الولايات المتحدة، من أن النمو الجياش في الحركة السكانية الديمقراطية والإقتصادية لجماعتهم لا يؤخذ الحسبان بشكل كاف، سواء قصداً أو الاسقاط بتهاون، في المسح الذى تجرية المنظمات اليهودية الوطنيه من وقت لآخر، ويقول الحاخام «إسرائيل سنجر» المدير الأصولى للكونجرس اليهودى الدولى، «أنهم جميعاً كذابون! «مشيرا» إلى الأحصاءات التى مازالت تقدر عدد الأصوليين إلى اليوم بنسبه ١٠٪ فقط من يهود أمريكا. ويقول أن الاتحادات تقوم برشوة دراساتهم.. [وهو يلمح بذلك إلى أن الاتحادات الخيرية اليهودية القوية فى المدن الكبرى بطبيعتها مناهض للأصولية]. والعدد الذى يمكن تقديمه ذلك هو نمو الطفل. حيث يتجاهلون معدل نمو الطفل الأصولى ويحصون عین ملاك المنازل ويجروا التقديرات الأستقرائية. إنظر إلى إننى لدى خمسة أطفال، وأفى لديها ستة، وأبناء عمى ليس لديهم أقل من ذلك» .

مالكو لم هولین، مدير تنفيذى لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى، وهو أصولى أيضاً؛ وهو عادة أقل عنفاً من «سنجر»، ولكنه أيضاً عبر عن إمتعاضه من ذلك الأمر قائلاً: «التبجح والهراء هو ينطيف فى رأبى ما يسمى على النتائج الإحصائية إذا نظرت إلى الجيل القادم من اليهود الملتزمين- فسوف تحصل على رقم مختلف جداً عن العشرة فى المائه للأصوليين» وقد ذكر «هولین» الجمعيات الخيرية وخاصة الخيرية الثقافیه، كمؤشر ذى دلالة. حيث قال، «أنه فى شهر واحد تلقى ٢٦ دعوة عشاء ضخم- ضم كل منهما أربعمائه ضيف أو أكثر- وجميع الدعوات بتمويل من بعض الأصوليين من أجل مساعدة المدارس الأصولية. وقد دفع

الناس من ٢٠٠ إلى ٥٠٠ دولار عن كل طبعه .

الحاخام «بنهاس ستولير»، مدير منذ فترة طويلة لاتحاد الطوائف اليهودية الأصولية في أمريكا (المنظمة المسؤولة عن (OU) للإشراف الغذائي الخاص «بكوشر»)، أكد أيضاً أن «الإحصاءات تكذب. فالمسح يتم أخذه من قبل يهود علمانيين في مناطق علمانية لا طعام الحلال)، وبالتقديرات الأستقرائية. و٩٠٪ منهم لا يعملون في المناطق الأصولية. وأنا أعلم ما يحدث. فقط إنظر إلى وضع الأسكان في «فلات باش»، أو في «بوروابارك» [أكبر قطاعات أصولية في بروكلين، والتي يسيطر عليها «الهاردي»]. اليوم في «فلات باش»، يقوم سبعة «YESHIVAS» من طائفة اليشيفا بإقامة مباني جديدة، بتكلفة من اثنين مليون إلى سبعة مليون دولار. للمبنى الواحد إنها هذه جماعة تنفذ بقوة من خلال الشقوق. ومعدل الوفيات منخفض جداً وهي نسبة ضئيلة قد تصل إلى ١٪.

ولكن الحاخام «الكسندر شندلر»، رئيس إتحاد الطوائف العبرية الأمريكية (مصلح)، مستعد لأن يثبت أن الأصوليين في أحسن الأحوال ثابتين بعد.... ويبدو أنهم مستقرين حول نسبة ١٢٪. وأضاف أن هذا رائع. ليست لدى مشكلة مع الأصوليين. فحمى لإسرائيل يشمل الطاعين في شخص! على أنه يتوجب على القول أن الأصولية التي أحترامتها اشتملت على التواضع .

ولدى بالفعل مشاكل مع الأصولية السياسية المسيسة، والأصولية التي يهيمن عليها حاخامات ييشرون أن على اليهودي قريباً أن يلجأ إلى أحد الكنائس هرباً من الكنييس الإصلاحيين «ويقول شندلر» أنه يتمنى أن يرى الأصوليين يتزايدون» لكن ذلك لا يحدث. وأنا أعلم ما يقوله علماء الاجتماع لنا، بأن هناك فئات من الأصوليين، وأن الجيل الرابع والخامس من اليهود الأمريكيين يختارون التيار

«الاصلاحي». وهذه الصور جسدتها لدراسات الطوائف. فلدينا ٨٥٠ تجمع، وملفاتنا زادت بنسبه ٢٥٪ في عشرة أعوام. لا يوجد شيء مشابه لهذا النمو في الأوساط الأصولية في أى مكان. قد يكون هناك نمو في مراكز المدن، المراكز الحضرية. ولكن دعنا نتحدث عن وسط أمريكا. فمثلاً «ورسستر»، ماسا شوستس. حيث اختفت الأصولية حقيقة، «جاري روزنبلات»، رئيس تحرير صحيفة «بالتيمور جويس تايمز»، وهى أحد الصحف الأمريكية اليهودية الكبرى، قال عن هذا الاختلاف الملحوظ فى الرؤية: «إن المصلحين يشعرون أن الأصوليين resurgence يحرزون بعض النمو. ولكن إلى متى يمكن أن يستمر هذا داخل أمريكا فى القرن العشرين والحادى والعشرين؟ أن نوعية الأشخاص داخل الاتحاد ليست لديها أى إدراك حقيقى بما يحدث داخل الأصولية، وبما يتم تعليمه فى المدارس. خذ مثال عن ذلك فى «LUBAVITCH». فأغلب الأشخاص الذين أغلب نقودها لا يعلمون الكثير عنها حولها. والأصوليون من جانبهم يشعرون ببساطه أن الآخرين يموتون، يتبرعون لها بمعظم تقودهم وبالتالي سيتلاشون». مع الوقت مراقب Shrewd آخر لحياة يهود أمريكا، وهو الحاخام ولف كلمان، الذى رأس «الجمعية الحاخامية الربانية» (محافظ) لعدة أعوام، إذ يقول أن إنبيعات الأصولية ليست بالضبط ما يريدو الأصوليون، ولكنه موجود فلا بأس. منذ أربعين عام، عندما بدأت فى الجمعية الحاخامية الربانية، كانت الأصولية ضعيفة وتعتمد على الغير لم يكن لديها ملاك منازل Philanthropic ولا مساندين ذوى نفوذ. والآن، أصبحوا أغنى الأصوليون أفراد الطوائف بين يهود أمريكا. ووالد «كلمان» كان حاخام «هاسيدى» فى ثورنتو ويقول: «إننى أتذكر كيف كان الناس يحضرون مساء كل سبت، يلفون أيديهم حول أطفالهم الذين كانوا يتحولون عن الأصولية. ولكن أمر لا يحدث الآن فإن اتسرب قد إنتهى، فهم يتمسكون بصغارهم. وأى تسرب حادث فى الجهة الأخرى؛ لقد بدأت الأصولية المعاصرة تفقد مكانها لـ «هارديم» تفقد أرضيتها

التي يزحف عليها الهاديون .

بين الأصوليين ويمد الأصوليين في التصورات بشأن نمو الأصولية، وخاصة فيما يتصل بنمو «الهاريدين» الأصولية، هو سبب ونتيجة معاً للتباعد المتزايد بين «الهاريدين» والأغلبية الغير أصولية من اليهود. «توم داين» الرئيس التنفيذي للوبي المناحر لإسرائيل في واشنطن، لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية- الأمريكية (AIPAC)، وهو لاعب أساسي آخر في المؤسسة اليهودية الوطنية، Confids أشار إلى «أنه خلال تسعة أعوام في هذا العمل لم أذهب أبداً إلى بروكلين.... إن رجال الكونجرس من هناك موالين جداً لإسرائيل على أى حال، فليست هناك حاجة للتركيز عليهم «وأضاف!» أنا لا أظن أن اليهود الرئيسيين يشعرون بالارتياح من علاء الأصولية. أنه مسألة طائفة Class كما أعتقد. وصورتهم كريهة. هذا ما يمكن أن أقوله الآن فيما جعلتوني أفكر فيه. إن أفراد «البذاء اليهودي الموجد» (UJA) أخبروني عدة مرات أنهم لا يريدون الطيران على شركة «العال» بسبب هؤلاء الأشخاص. وحقيقة، إننى أفضل السفر على شركة السويسرية أو لوفتهانزا. ولكننى أصير على طائرات «العال» لأنها مباشرة إلى إسرائيل. وشركة TWA تطير مباشرة أيضاً. ولكن مستواها أقل، مثل الأصوليين. نعم مازالت هذه هي الصورة. صورة المهاجرين الفقراء. هذه هي وجهة نظر كثير من التماس الذين اختلط بهم .

على الجانب «الهاردى» يمكن للشخص أن يسمع تعبيرات مشابهة عن النفور. «فهارديم» عادة تعنى إلى اليهود غير الأصوليين مستخدماً مصطلح «يديس» dsparay الذى كان اليهود الروس يستخدمونه لوصف الفلاحين المحليين الغير محبوبين. وقد تربي الأطفال على الفرار من الغير أصوليين وفي نفس الوقت النظر اليهم بشفقة وبكراهية وعلى الصعيدين السياسى والتنظيمى، يقوم قادة «هاردى» فى الولايات المتحدة ببناء هياكل مستقلة خارج هذه الطائفة اليهودية العامة. فلديهم مناسباتهم

المصورة فيمقرهم البيضاوى، والممثلين الخاصين بهم فى لوبيات واشنطن لخدماتهم الاجتماعية، ومكتب العمالة المدعم فيدراليا والخاص بهم وبرامج تدريب خاصة. وحملتهم لصالح المساندة الفيدرالية ومسانده الدولة للمدارس الابتدائية الدينية- والتي حاربوا من أجلها إلى جانب الجماعات المسيحية وتمت معارضتها من قبل المنظمات اليهودية الليبرالية الرئيسية وكسبت أرضية ثابتة خلال فترة حكم ريجان وبوش إن. والنقل، الوجبات والفروض أصبحت ممكنة الآن لطالب yeshiwa نتيجة لهذه الحملة المكثفه، ولوبيات هاردى تأمل فى كسب تسهيلات ضريبية من أجل مصاريف الدراسة .

يقول الحاخام «موش شرير» «لقد قمنا ببناء جديد من اليهود الأصوليين لقد زرعنا فيه تقدير الذات. رئيس حزب حوادث إسرائيل نمط فى أمريكا ويذكر أنه فيما كان الشاب «الهاردى» الذى يتحدث عن الطائفه بلكنة بالإنجليزية طلقه قرب مايكون لصورة البطل فى «الجيتو». «إنه بإمكانه الحديث لرجل البوليس»، وكان الجميع يتحدثون من يتهمون خلق تقدير له .

ويعتقد «شيرير» أن النفور الهلاش والإجتماعى بين الأصوليين وغير الأصوليين سوف يؤدى بصورة حتميه إلى تمزق كامل فى اليهودية. وهو وكالات الطوائف البديلة التى يقوم بينائها، بالرغم من أنها أساساً لا تستهدف هذا الغرض، قد تخدم كأساس تنظيمى سابق للإعداد للأصوليه فى حالة انقسام Token ونفتش السبب «ويرد شيرير» يجب أن نفعل ذلك وإلا سنموت؟ نحن نرى ماسيحدث. تدعيم أنفسنا، لإنقاذ أرواحنا» هل تفضلون موتنا؟ إننا نرى ماسيحدث ومهتمنا وذلك على الرغم من قوة تأثير ونجاح جهود الانفصاليين الهارديين فى إحداث الأنقسام.

الفصل الرابع

راحة ومتعة

فى أغلب الأحيان تُستخدم كلمة «حاسيديك» *hasidie* فى عناوين الصحف كمصطلح لوصف الهارديين ويشمل كلا من الحاسيديين وخصومهم، والميتناجديميين *mitnagdim* وبالنسبة لمعظم اليهود هذه الأيام، المنحدرين من أصل إحدى الأطراف الفئات أو الأخرى من أطراف هذا النزاع القديم، فإنه من الطريف أن الفرق بين الطائفتين غير مفهوم لفئة إلا لعدد محدود من الناس ولا علاقة له البتة بحياتهم الخاصة. ومع هذا، فبالنسبة للهارديين المتزمين يجعل الماضى حياً . يعتبر الانقسام بين الحاسيديك والميتناجديك مازال مسألة ذات مغزى ودلالة عملية.

هذا ومازالت أصول الحاسيدية تطويعها الأساطير والألغاز فالخرافات والأضحية، فالحقائق الأساسية والأحداث المحيوية غير واضحة، رغم القرب النسبى لزمان حدوثها. ومؤسس تلك الحركة، الحاخام يسرائيل بآل شيم طوف، «المعلم ذو الاسم الطيب» (١٦٩٨ - ١٧٦٠)، وخليفته الحاخام دوف بير ماجيد الميزرتش *Maggid of Mezritch* (توفى عام ١٧٧٢) بشر بمتعة جديد وتلقائية فى اليهودية ونفذا إلى قلب الجموع، يعلمان أن العبادة البسطية، إذا ما تم تاديتها باخلاص وحماس، يمكن أن تصل بالمؤمن إلى السمو الروحى. وقد أكدوا على أهمية الصلاة والترانيم، والصداقة، والألفة، ودراسة لمذهب القبالة السرى*. وقد ظهر أنهما يقللان من قيمة نظام القيم التقليدى، المبني على تعاليم التلمود والتحليل الشرعى وفتاوى الهالاشيك (قواعد القانون اليهودى، بشأن الخير والشر فى المسلك والضمير).

* القبالة: علم التاملات الباطنية والصوفية عند اليهود... ويؤمن أصحاب المذهب بأن الله قد خلق العالم عن طريق

العنقن الإلهى.... وهى تجسيد للفكرى الأسطورى فى اليهودية .

ومع هذا فإن قصة حياتهما مليئة بالشغرات، ورغم جهود المؤرخين فليس لدينا صورة واضحة عن شخصيتهما ولا فهما كاملاً لأنشطتهما والنجاح الخاطف لثورتهما الدينية. بجانب هذا فإن الحركة المبكرة، في ما يعرف الآن باسم أوكرانيا لم تتأثر بالتحور اليهودي في الغرب. ومن ثم فلم يكن هناك علماني ومتجرد للأحداث المتعاصرة من الداخل، ومثل تلك الأحداث التاريخية المعاصرة المسجلة فاضت بها أقلام الأعداء المتيناجيد الخبثاء لبال شيم كوف وماجيد الميزريتش، أو من الزيارات المختصرة العارضة من جانب الماسكيليم Maskilim (دعاة الاستنارة اليهودية)، الذين كان لهم أهداف شخصية يسعون إلى تحقيقها .

وقد كتب الحاسيديون أنفسهم سرداً للسيرة الذاتية التي نزعت لأن تكون مطولة حول صنع المعجزات، والتنبؤ والتخاطر، لكنها قصيرة مما يشير الشفقة حول المجالات الأكثر دنيوية للتطور الشخصي والمهنة العامة للتابع. ومازالت تلك هي الأسلوب الأدبي المفضل في عالم الهاردى haredi، كما أنها شائعة على حد سواء بين الحاسيديين والميتناجيد. وفي سرد السيرة الذاتية الهاردى، فإن الحاخام أو البطل الحاخامي يظهر بشكل ثابت نبوغاً أكاديمياً في سن الثالثة، حيث أنه كان موهوباً بسمات شخصية طيبة وعطوفة، وعادة ما كان ذو قوة خارقة للطبيعة أو على الأقل قوى ذات حساسية مفرطة.

هذا وقد بحث العلماء في ضوء علم الاجتماع عن جذور الحاسيدية بانهيار ادعاءات شاباتي زيفي في القرن الماضي وجاكوب فرانك في منتصف القرن الثامن عشر بأن كل منهما «المخلص المنتظر»، فضلاً عن هذا فقد جذب كلا الرجلان، وعلى الأخص شاباتي زيفي، عدداً كبيراً من الأتباع من كل الشتات اليهودي وأثار آمالاً عريضة وكبيرة والتي، عندما أصيبت بالخيبة بعد إعتناق زيفي الإسلام في آخر الأمر،

أو حدث فترة من الكآبة والقنوط .

وبالتأكيد فإن الأعداء المعاصرين للحاسيدية المبكرة، بقيادة أكثر كتاب التلمود البارزين في ذلك العصر، الحاخام الإشع، جاعون فيلنا، أوجد العلاقة بين بال شيم طوف والمدعين بأنهم «المخلص المنتظر». وهكذا يمكن فقط فهم عنف وتعصب معارضيتهم - والذي إنتهى بحرق الكتب والاتهامات الزائفة لسلطات القيصر أعتقدوا أنهم يتعاملون مع منشقين عن العقيدة ومن المحتمل، إذا ما تركوا دون أن يكبحوا، أن يحدثوا كارثة تاريخية أخرى من الخيانة والردة في صفوف الشعب اليهودى علاوة على ذلك فإن الواشين من متينا جيد الذين دبوا عملية سجن الحاخام شنيور زلمان من لوبايتش بسانت بطرسبرج لا بد وأن يكونوا قد افترضوا أنه لن يعود حيا. وبعد ذلك فقد اندحرت تقريرا الاتهامات بالخلاص المنتظر الكاذب - حتى بعثها من جديد مؤخراً الحاخام شاس ضد حاخامات لوبايتش الحاليين .

ويرى المؤرخون أيضاً فى بال شيم توف وحركته عصيانا ضد ضيق افق علم الحاخامات فى ذلك الوقت، والتي نزعت إلى التسلطيه المتعجرفة، مع وضيق المجال أمام «غير الدارسين» لتطوير طاقته الروحية، ومن ناحية أخرى، وفى «القاعة» الحاخامية، التي كانت تتناول بسرعة خاطفة حماس وسحر التجربة الروحية الجماعية، تكمن الحاسيدى من أن نسيان السعى اليومى المطلوب للمعيشة، وقد أمكنه أن ينسى، أيضاً إحساسه بالتذمر وعدم التكيف فى مواجهة النصوص التلمودية المبهمة والمعقدة. بجانب ذلك فان بإمكان راحة أن تسمو بالعظات الدينية النبيلة والصرفية الحاخامية، وتلك على أية حال هى الصورة الرومانسية - والتي تدعو إلى الازدراء ولقد عززت تأييد اتهام المتينا جيد بان القادة الحاسيديين الأوائل، وأيضاً الحاخامات فيما بعد، كانوا من الرجال الجهلة الذين استخفوا بالتعليم.

وهكذا أصبحت الإشاعة الكاذبة بالجهل من أقوى البواعث للمنافسة بين الحاسيدي والمتيناجيد وقد برهنت على أنها سهلة التكيف على نحو لافت للنظر، بافتراض أن البعض من كتاب التلمود والأكثر إكتساباً للشهرة في المائتي عام الماضية كانوا من الحاسيدية، وفي بعض الأحوال من حاخامات الحاسيدية. وهكذا فإن بال شيم نفسه جذب العديد من الحاخامات القياديين ليصبحوا من أتباعه، كما لوحظ أن العديد من المشاغبين للماجيد كانوا من مؤلفي الهالشيك halachic، ومن بينهم شينور زلمان من لوباڤيتش. ومع هذا، فإن التعميم الذي كان يتكرر في أغلب الأحيان من أن الحاسيديين غير متعلمين لازال حتى هذه الأيام ليصبح أكثر من طالب وخريج جامعة من يهود المتيناجيد بإحساس معتد بنفسه من التفوق، ولغزى شعوراً بالدفاعية والاستياء بين الحاسيدي.

ويقول الحاسيدي أن سوء الفهم بدأ مع بال شيم نفسه، فهو الذي «حجب» مواهبه العظيمة، وعاش لسنوات، كحراجي بسيط وفيما بعد كمدرس بالمدارس الأولية قبل أن «يكشف عن نفسه» في النهاية لأسرته ومؤيديه المقربين. وكما جاء في تحليلهم، فإن هدفه كان مقاومة الكبرياء الخبيث الذي يجئ مع الإعتراف العام بالإنجازات العلمية أو الإلتواء للأسرة والأفضل من ذلك - بالنسبة للروح، بمعناها، الاعتقاد بأنها ساذجة وجهولة، وربما تكون القصة مشكوك في صحتها، أو أنها تتجافى العقلانية وتجسد الجنوح المعادي للمذهب العقلي والموجود بين الحاسيديين، والذي يكبل النضال الدائم الحاسيدية الأولى لكي تهزأ بالسلوكيات والضغط الاجتماعي التي تكبح التحليق الحر للروح.

وبصراحة كان هنالك إسراف وإستفزاز على كلا الجانبين. ولقد أسس أحد جوارى الماجيد، وهو الحاخام چاييم هابك من أمدور، جماعة من الرجال، ولقد أسس أحد المتشابهة الذين (إذا ما كان هنالك تصديق للغضب المتفجر العنيف المفاجئ

للميتناجيدية) كانوا متعودين على القفز والتخطي والوقوف على رؤوسهم أثناء الصلاة. كما أنهم من المحتمل أن يصلون بشكل ثابت في وقت متأخر عما يسمح به وقت الهالك، فضلاً عن هذا فانهم يرتدون ملابس شاذة وعن عمد، ويضعون أحذيتهم ذات السيقان العالية في الاقدام الخطأ وقبعاتهم داخلها إلى الخارج- ويبدلون كل جهدهم لتحطيم الرغبة البشرية الطبيعية للحصول على إجلال واحترام المجتمع. وبهذه الطريقة فقد نجحوا كما ينبغي. ولقد حرمهم حاخامات المتناجين كنسيا وطرودهم من المدينة.

ولقد كشف مؤلفو المتناجين الذين صاحبوا تلك الممارك الأولى أن «السر الجديد» فعل شيئاً آخر ضئيلاً لكنهم مع هذا وقفوا على رؤوسهم، ورغم هذا فإن حايم هايك نفسه كان مؤلفاً لأحد الكتب المعروف على نحو نادر، وقد تم نشره بعد فترة طويلة من وفاته، والذي كشف المؤلف باعتباره واعظاً دينياً ذا حساسية وبعد نظر مرهق.

ومن خلال الماجيد، انتشر الحاسيدية خلال أوكرانيا وإلى بولندا، وروسيا البيضاء، وهكذا أصبح الكثير من تلاميذه حاخامات بحكم أحقيتهم الشخصية بعد وفاته، مشيدين المباني الكبيرة ومؤسسين للأسر، ولقد إحتفظ البعض ببساطة وروحانية الحركة الأولى، وفضل البعض الآخر الحياة الراقية، وصاروا أثرياء على حسب الهبات النقدية لاتباعهم. وتسبب هذا في توجيه الاتهامات بالفساد، تلك من قبل المتناجيد المستعدين للمعركة، والذين يظلوا أقوياء، وعلى الأخص في ليتوانيا وأجزاء من روسيا البيضاء، ومن قبل علماء المذهب العقلاني «المتنور» في الغرب، والذين كانوا يعيرون الحاسيدية تجسيدا للبدائية. ولقد وفاة المؤرخ الالماني اليهودى فى القرن التاسع عشر، هيزين جرتيس «زادت البربرية والانحلال..».

ولقد وجه ناقدوا الحاسيدية إحتقارهم إلى الإفراط الذى له علاقة بالأسر الحاكمة لما أسموه باحتقار «الزاد بكيزم». ولم ينتقل التاج فحسب فى معظم قصور

الحاسيدية من الوالد إلى الابن، وفي بعض الاحيان بنظرة استخفاف لصلاحيه الابن، بل في كثير من الأحيان لكل ابن، وحتى كل زوج ابنه، لأحد الأحبار المتوفين أو القديس كان يبنى قصرًا خاصًا به كان من المتوقع، ومطلوبًا من الحاسيدية أن يحافظوا على هؤلاء الأمراء الذين يصبحون ملوكًا في الدولة التي أصبح فيها سلفهم متعودون على ذلك الوضع.

فضلاً عن هذا فإن العداء بين النوعين من الحاسيدية يهدأ إلى حد ما من قتالهم المشترك ضد أصحاب المذهب العقلاني المتنورين في العديد من مظاهره، وهكذا فقد كان ذلك هو الأساس المنطقي وراء إقامة اجودات إسرائيل عام ١٩١٢، وهي منظمة سياسية مشتركة من الحاسيدية والمنتياجين بقصد محاربة الصهيونية وضد تزايد الحركات غير الأرثوذكسية في اليهودية، والتي كان يعتبرها الهارديم Haredim أنها نمرة المذهب العقلاني المتنور.

ورغم هذا، كانت الحاسيدية بكل حماسها الديني وجاذبيتها الشعبية، والتي ثبت أنها أكثر أذرع الحاسيدية مرونة في المعارك ضد الغزوات المتعددة للعصرية. ومن بين اليهود الذين بقوا في أوروبا الشرقية ولم يهاجروا إلى الغرب، كانت أسر الحاسيدية إلى حد ما أقل نزعة عن المينتاجيد إلى العلمانية، وهكذا كان عدد قليل ممن نحوا من الإبادة الكاملة، والمحتفظين بمقعدهم الهاريدى هم نواة صحوة الحاسيدية في العقود الأخيرة.

وفي الواقع كانت تلك خاتمة لواحد من أكثر حاخامات المنتياجين البارزين في هذا القرن، حزقيال أيرامسكى (١٨٨٦ - ١٩٧٦) لقد كان من الحاسيدية في لوبافيتش الذين يعملون في ظروف من الحرمان والخطر في روسيا ما بعد الثورة، وقبل ان يفر بنفسه إلى إنجلترا، حيث أصبح رئيسًا لبيت دين (الرباني). وفي أواخر سنواته

كأكبر الكهان المسؤولين عن سلايودكا، وهى من اليهود منتياجين القياديين فى إسرائيل، كان يشجع طلبية الحاسيدية لقضاء عيد الحصاد مع أحبارهم، مفسراً بان المنافسة العتيقة لم تعد صالحة، وان تاريخ الهاريدى قد دافع عن الحاسيديين .

الفصل الخامس

أطياف من السواد

لقد تشرب أعداء لحاسيديين بالأمس فى الحقيقة العديد من السمات التى سبق وأن ازدروها. وأهم تلك الحالات الواضحة ذات الأهمية مسألة الملبس. وفى هذه الأيام فإن الذكور- من الحاسيديك أو منتياجديين (السيفارديك الهارديم على وجه العموم يتبعون قيادة المنتياجديين)- قد شرعوا فى أن الظهور عن عمد لشكل مختلف عن غيرهم من الناس، ولم تكن تلك هى القاعدة الدائمة فى الماضى، برر الحاسيدية نقطة اختلاف فى المظهر عن الآخرين حولهم، بينما حاول المنتياجد أن يظهروا بنفس المظهر.

هذا وقد شجع يهود المنتياجين العظام فى ليتوانيا طلبتهم فى وقت مبكر من هذا القرن على ارتداء الزى المسابير لزمهم، ملابس ذات ألوان وقدره، وقمصان بيضاء بياقات منشاة، وأربطة عنق وقبعات حديثة، ووجنات ناعمة حلقة (تتم باستخدام بودرة ذات رائحة رديئة، دون استخدام الموسيقى، والذي يحرمه قواعد القوانين اليهودية الهاليك). أما هذا المظهر «العصرى» الأنيق الذى يتفق مع تعاليمهم الفلسفية gadlut "hadam" عظمة الإنسان. كان طالب التوراة يدرّب على الشعور أنه بإمكانه رفع هامته عالياً فى المجتمع، وفى نفس الوقت فقد احتفظ الحاسيدية، بإخلاص لتعاليمهم الخاصة، غير عابئين باللحية غير المهذبة وخصل من الشعر الجانبي مجمعة، كما كانت سترتهم الطويلة تزرر بطريقة خاطئة لمجرد تجسيد الاختلاف، وكذلك سراويلهم القصيرة الواسعة وأحذيتهم غير الأنيقة، ولم تكن هناك أية محاولات للتغيير مع الزمن، بل على العكس تماماً.

وبعد قرن لم يتغير أى من المعسكرين بل ظلا كما هما من حيث المظهر الخارجى. لكن بالنسبة للمنتيجين فإن ما يعنيه ذلك هو التعديل الراديكالى لطريقة فهمهم السابقة، وقبول، فى الواقع للمعتقد الحاسيدى بأنه لا بد وأن يبدوا الهاريديم مختلفاً عن بقية المجتمع، والأسلوب الوحيد الواضح لتحقيق ذلك هو إرتداء ملابس عتيقة أو متنافرة.

وهكذا لا يمكن أن نخطئ الشخص الهاريدى - متيجين هذه الأيام، فمن ذلك هو الشخص الآخر الذى يرتدى بدلة سوداء، وقميصاً أبيض ورباط عنق فى وسط موجة الحر التى تجعله يتصبب عرقاً فى نيويورك أو تل أبيب؟ ومع هذا فان يهود لثوانيا يصرون على أن يحتفظ طلبتهم بتلك الملابس الطويلة غير المسيرة للزى الحديث كما أن عمداء المشفى أنفسهم، وبعض حاخامات الوعظ والتبشير من الهاريدى، يرتدون الفراك (سترة رجالية تبلغ الركبتين) من عصر إدوارد. وهذا المظهر الجانبي الذى كان مطلوباً بالضرورة فى مجتمع مهذب منذ عقود مضت كان موقوفاً على الأهمية الدينية.

وفى المجتمع الحالى فإن بعض المتيجين يبدون بتباه لخصلات الشعر الجانبية الطويلة مثل الحاسيديزم، كما أن العديد قد تعود على لبس السترات الطويلة بدلا من سترة البدلة الطويلة، وعلى الأخص فى عيد الحصاد. والفحص عن قرب مازال يشير إلى أنهم رغم هذا مستقلين عن الحاسيديزم. فخصلات شعره الجانبية ليست طويلة كخصلات شعر الحاسيدى عادة، كما أنهم يميلون إلى تثبيتها خلف أذانهم بدلا من تجيدها أو أن تكون مدلاة على أكتفاهم مثل بعض الحاسيديزم، أو تكون مجمعه تحت قبعاتهم مثل البعض الآخر، أو ملفوفة حول أذانهم فى اختلاف ثالث شائع للحاسيديزم. (وهذه الممارسة الأخيرة ينتج عنها مجموعات حاسيديك يكون فيها

للدكور آذانا صغيرة، أشبه بالصدفات)، وأكثر من هذا، فإن قبعتهم السوداء، عادة ما تكون وفقا لاسلوب الفيدورا Fedora أو الهومبورج homburg حيث رفض الحاسيديزم أى فراغ فى التاج.

فضلاً عن هذا فان السترات الطويلة لمتتياجين يمكن تمييزها كذلك عن تلك التى يرتديها الحاسيدى أمام أعين الدارسين، على الأقل فى عيد الحصاد. وأكثر من هذا فأنها مصنوعة من نفس مادة الجوخ كسراويلهم، وليست من الجبردين الاسود اللامع، أو من قماش الحرير (أو الحرير الاصطناعى البديل)، وهذا هو عيد الحصاد الحاسيدى ومفخرة الأعياد.

ومهما كان طول سترتهم، فإن المتتياجين يتحاشون الحزام الأسود الشبيه بالجبل أو الرباط الذى بدونه لن يصلى الحاسيد، يقترب من الأحبار، أو يؤدى أى طقوس أو شعيرة، وتتطلب الهالاشا halacha «إنفصلاً بين القلب والأعضاء الجنسية». ويقول المتتياجين أنه يمكنه إنجاز ذلك بواسطة حزام السروال المعاصر، إلا أن الحاسيديم يذكرون نوعاً آخر من الهالاشا ولاسباب فلسفية دينية سرية لدعم موقفهم. والانقسام فى رأى بشأن ذلك التجهيز الصغير نسبياً يتسلل إلى الأعمال والحزام ، وأكثر عن أى شئ آخر، يُعتبر السمة المميزة للحاسيد.

ومن بين طوائف الحاسيد أنفسهم يوجد اختلافات دقيقة فى الملبس، فالبعض يلبس بنطلونا قصيراً يُربط أسفل الركبة، حتى يمكن رؤية الساق بجوربها الأسود أو الأبيض (اعتماداً على الطائفة) أسفل ستراتهم الطويلة والبعض الآخر يرتدى بنطلونا قصيراً مزموماً عند الركبة أشبه بالبنطلون الرياضى، مجتمعاً فوق الكاحل (رسغ القدم)، وبعض الطوائف قد اختاروا سراويل ذات أحجام عادية، والبعض الآخر يرتدى سراويل

ذات أحجام عادية فى منتصف الأسبوع، والأقصر، التقليدية يوم عيد الحصاد، وسراويل الحاسيديزم، من أى طول عادة من ماتكون من أقمشة ذاكنه اللون، لكن فى بعض الطوائف يرتدى الأحبار بنطلونات مرسوم عليها أنياب.

أما الجيررز Gerers وطوائف الحاسيد البولندية الأخرى فإنها لا ترتدى الشترايميل Shtreimels، وهى مسطحة ومستديرة ومصنوعة من ثلاثة عشر قطعة من جلد الحيوان غير المدبوغ- وفى بعض الطوائف من ست وعشرين، وكل طريقة إعداد لها مغزى فلسفى، دينى، سرى- إلا أن السبوديكس Spodiks، وهى أطول وأضيق، فإنها تكاد تشبه قلنسوة القوقاز، والتنوعية الجيدة من جلد السيوديك القاتم من الممكن أن تكلف العريس الجديد (أو حماء) عدة مئات من الدولارات، ومع ذلك فإن الشترايميل الرقيق من الممكن أن يكلف الآلاف. واللويافيتشرين، وحدهم من بين الحاسيديزم، لا يلبسون القبعات الفرو كلية، لكن الترابيس Trilbies الأسود ذات الحجم العادى فى وسط الأسبوع وعيد الحصاد.

وإذا ما شاهدت هذه الأيام واحدا من الهاريدى فى ملابسه الملونة والمريحة التى يفضلها معظم البشر، فمن الواضح الافتراض بأن يتحول تدريجياً من الهاريديزم إلى الأرثوذكسية، أو ربما أبعد من ذلك إلا أن التأثير الأعم للحاسيديزم على أغلبية الهاريديزم هذه الأيام أبعد بكثير عن الملابس؛ فضلاً عن هذا فهناك استيعاب وتحول إلى الدولية مستمر بواسطة المتواجين للقيم الرئيسية للحاسيد- التلقائية الروحية، الغناء والرقص، والاسترسال فى العاطفة دون خجل- والمتواجينزم، تقريباً رغماً عن نفسها، ليست صارمة إلى حد كبير كما كانت فى ذروة معاركها ضد الحاسيديزم.

وهكذا فإن الاقتران بين الهاريدى- متواجين فى هذه الأيام صاخب ومفعم بالحيوية كما هو الحال بين الحاسيديزم، ومن ثم فإن الشباب من الرجال والنساء

يدورون كالدوامة فى دوائر تجعلهم يتصببون عرقا، يرقصون بنفس الخطوات السريعة وعلى نفس الأنغام - أنغام الحاسيديك، وعادة ما ترتبط بخمس أو سبعة فرق من نفس النوع ومجهزة بأحدث أجهزة الإستريو.

وبالطبع فإن دوائر الراقصين تكون منفصلة كليه. فرجال ونساء الهاريدى لا يجلسون سويا فى حفلات الزفاف أو المناسبات العامة الأخرى، وومن النادر أن يرقصون سويا، حيث أن ذلك ممنوع وفقا لمعتقدات الهالاشيكالى، وفى معظم حفلات الزفاف، يتم هذا الفصل عن طريق فصل الحجرات - ستائر - سلال نبات السرخس أو حواجز متحركة - وتوضع وسط القاعة. وفى بعض الأحيان، فان هذا الفصل الجسدى يتوقف لفترة قصيرة بالنسبة للعروس والعريس، حيث يُسمح لهما بالجلوس جنبا إلى جنب عند مقدمة المائدة، ولكن ليست تلك هى العادة، فبين معظم المنتاجين، وكل الحاسيديم لابد وان يفترق العروس والعريس (الذين يكونان بالكاد قد قضيا وقتا مع بعضهما قبل زفافهما) بعد الحفل، القبه huppa (القبه التى يقام تحتها الاحتفال)، ويقضيان بقية حفل الزفاف بعيدين عن بعضيهما، تتناول العروس الطعام وترقص مع النساء والعريس مع الرجال.

وفى الحقيقة فإن بعض حفلات زفاف الحاسيديك تتم فى قاعتين منفصلتين واحدة لكل جنس، وتقضى معتقدات الهلاشا بوجوب استماع العروس للبركات التى تتلى بعد تناول الطعام، وإحتساء الخمر، وعلى هذا ولتلك الأسباب، فانه يسمح لها على مضض الدخول والجلوس عند حافة «قاعة الرجال» ومع هذا، فان الحاسيديزم ينهون حفلات زفافهم بالعادات القديمة والجميلة للميتز فاتينسل، وذلك عندما ترقص العروس لفترة قصيرة مع أقاربها الذكور المختلفين ومع الحاخامات وغيرهم من ضيوف الشرف الذين يكونون مدعوون للبقاء لهذه اللحظة الودية والمتحررة.

ويتم الرقص باستخدام مندبل أو خفاض طفل (وأحيانا يستخدم حزاما)، حيث أن أى اتصال جسمانى بين رجل وامرأة محرم على نحو صارم وفقا لمعتقدات الهالاشا. وفى الوقت الذى تعزف فيه الفرقة الموسيقية موسيقى Klezmer (موسيقى تقليدية) لحنا بطيئا ولطيفا، تدور العروس وزوجاتها فى ارتباك، بينما يرقص الرجال الآخرون حولهم وتراقبهن النسوة عن بعد، وبعد دورات قليلة، يلتق العريس بطرفه المرتبط بالقماش إلى الراقصين الآخرين. وأعلى درجة فى رقصه العروس هى رقصها مع العريس. وهنا يستغنى عن القماش، ويمسك الشابان بيديهما ويرقصان برزانه وبجر القدمين على الأرض مع الموسيقى.

وهناك شئ آخر جوهري للحاسيديك فى هذه المناسبة، خليط من المعتقدات الدينية العملية والسابقة التى تتبدد مع الحركة. (كان أساتذة الحاسيديك الأوائل مولعين بالفلسفة الدينية السرية وتخيلاتها الجنسية الصريحة، والتى يستشهد بها فى الشعر والنصوص الخفية، لتمثل الاتحاد الصوفى بين الرب وإسرائيل).

ولقد أوجدت الميترزفتسل فى حفل زفاف «طبقة» الحاسيديل فى بناء براك Bnei Bark منذ بضع سنوات مضت صورة لأحد المشاهد الملونة. لقد كان العريس إنا لأحد الأبحار المحليين من أصل روماني، النادفورنر Nadvornor. بجانب ذلك فقد جاء جد الحبر الشيخ الجليل المبجل للعشيرة، من نيويورك لحضور تلك المناسبة، متألقا بسترته البيكيش bekeshe الزرقاء المتألقة (ستره حريرية) وأمتع الصحبة بالعزف على كمانه وواحدًا فواحد، أعمام وأخوة العريس، جميعهم من أبحار إسرائيل أو أمريكا، كل منهم يرتدى بيكيش مطرزا باللوان مختلفة من خيوط الحرير المقصب، أخذوا دورهم فى الرقص مع العروس.

ومن المحتمل أن يجادل المتتبعين بأنه كان هنالك الكثير والكثير من التحول الهام للتأثير على استيعابهم لثقافة ملابس الحاسيديك، بمعنى أن يتبنى جانب الحاسيديك لقيم المتتبعين الأساسية للدراسة النظامية للتلמוד. وكانت حركة أوائل يهود الحاسيديك في بولندا المستمرين وفقاً لخطوط يهود ليتوانيا، الهاشمي (الرجال الحكماء) لوييلين، قد تكونت في أقل من عقد قبل الإبادة الكاملة، وكانت تعتبر فكرة عظيمة وقبل ذلك، ثقافة التلمود في مجتمعات الحاسيديك غير رسمية إلى حد كبير، عملية غير منظمة (رغم أن الحاسيديم من المحتمل أن يردوا بالحجة على أنها أفرخت العديد من العلماء الممتازين، وجمهور مثقف).

وفي هذه الأيام، فإن كل فرع من الحاسيديك، والذي يحظى باحترام ذاتي، لا بد وأن يؤمن بتعاليم شيفيا، كما أن الأفرع الكبرى قد طورت شبكات تعليمية كاملة، بوجود معاهد للصبيان والبنات في المقر الرئيسي للأخبار وفي المراكز الرئيسية للطائفة في مكان آخر وهكذا فإنهم يوفرون التعليم منذ الطفولة إلى سن الزواج، وبالنسبة للرجال فهناك الكويليم Kollelim أيضاً- تعاليم يشيكا المتقدمة حيث يمكنهم أن «يظلوا في التعليم» فيما بعد الزواج. وفي الواقع، فإن اقرار التكيف مع تركيبة يشيكا «ليتفيشر» (اليهودية ليتوانيا) قد أثبتت، ربما من المفارقات، أن الحاسيديزم المعاصرة تعتبر نجاحاً خبيثاً. ولم تفرخ «يشيقيت الحاسيديك» الخريجين المدربين على التوراة فقط، بل أيضاً الحاسيديم.

ويقول الحاخام نافتالي (رب نافتولش) هالبرسقام، الابن والوريث الاحتمالي لبوبوكرري من بروكلين، نيويورك: «إن سر إزدهارنا الذي يمكن ملاحظته، شكراً للرب، في عالم واحد، لشيفيا». ولقد وصف كيف أن أباه، سليل أسرة كبيرة من الحاسيديك في جاليسيا Galicia، والتي محاها النازيون كلية، وصل أمريكا في عام

١٩٤٦، وحيدا وناقما. وأقام الشول Shul (معهد يهودى) فى أعلى الجانب الغربى من مانهاتان، دون أن يعرف، ويستعيد الإبن الذاكرة، وعلى وجه تعبير عن الاستياء، «بالكاد لدينا مينيان minyan (مجموعة مصلين مختارة من عشرة رجال) فى الشابوس Shabbos». وفى آخر الامر أنتقل إلى بيئة أكثر كرمًا فى بروكلين، أولا إلى قطاع مرتفعات كراون، وبعد ثذ إلى بورا بارك.

غير أنه كان يوجد العديد من مثل هؤلاء الأخبار اللاجئين فى نيويورك، فى ذلك الوقت، وكان البعض منهم من الرجال ذوى الكسور المتعذر إصلاحها، وآخرين، مثل الحاخام شلومو من بوبوف، قرروا إعادة الحياة التى تم تدميرها، وقد مد يد العون إلى البويوتر إحدى الشخصيات المليئة بالحبّة غير المتحفظين، والذي يتسم ابتسامة ترحيب، وهى منحة نادرة لسرد القصص وذخيرة لا تنضب من قصص الحاسيديك التى جذبت الناس إلى مائدته، أو وجبات الأعياد. إلا أن مفتاح نجاحه كان فى الإشفا التى أسسها بسرعة جنبا إلى جنب مع قصره المتواضع. بجانب هذا فقد استخدم أفضل المدرسين، بصرف النظر عن انتسابهم إلى الحاسيديك أو المتتياجيديك. وقد قبل أى شاب أرثوذكسى يتطلع إلى التعليم.

وهكذا دخل الطلبة دون أى تعصب طائفى ويزغو الحاسيد بويوفر، فى هذه الأيام، فى المعبد اليهودى لليوبوفر الضخم، المغطى بالرخام وفوق ذلك فانه يدل على حسن الذوق على نحو ما تقتضيه الحقيقة فى بوروبارك- وقد تم تشييده عام ١٩٨٨، إلا أنه بالفعل صغير جدا بالنسبة للمجموعة التى تنتشر بسرعة- وهنالك عدد قليل من الذين يمكنهم الإدعاء بانهم من سلالة يوبوفر «من المسقط»، يعود إلى الورا لبولندا ما قبل الحرب، إلا أنهم قد أصبحوا جميعاً يوبوفر حاليا، جسدا وروحا، جزاء من طائفة تزدهر بسرعة بالاف المتسبين إليها. بجانب هذا فإن الجماعات الفرعية فى

إسرائيل وانجلترا مازالت تحتفظ بالشيقة الحاسيدية.

وبمعنى آخر، فإن الشيقة الحاسيدية، لا تشبه الجامعة النظامية، ولا تهدف إلى إعداد الخريجين الذين يستمرون في الإتصال الحينى فقط مع الكلية الأم ويقتربون فى الحياة من أجل العون المعتمد على الصدقات. فضلا عن هذا فإن خريجى الكلية من الحاسيديك لا يرحلون فى الواقع؛ بل على الأصح، إذا ما نجح البرنامج الدارس، فإنهم يتحولون إلى حياة أطول من «الخريجين الذين يحصلون على منحة لمواصلة الدراسة». وأكثر من هذا، فإن المنحة الجامعية تتجاوز الحدود. وبالنسبة للهاريديم، وعلى الأخص بالنسبة للهارسيديزم، فإن الجغرافية لا تتصل بالموضوع على تحولات النظر وتعليمات أحد العلماء السياسيين الإسرائيليين. «سواء فى القدس أو باناي براك، فى بروكلين أو أنتور، فإنهم يشاركون فى مناقشات شائعة عالميا المعبد اليهودى وسلطة الحاخامات، الهالاشا والملاحظة، التوراة والدراسة... (أنهم) يحتفظون بشبكة أسرية محكمة وإخلاص «طائفى» للحاخامات والمدارس، وينطلقون عبر الحدود والبحار*.

تعتبر قاعة الأخبار مركزا لحياة الحاسيد، والبيت الوافد إليه، والذى يؤثر فى وجدانه بجانب هذا فإن موقعه المحدد والواضح - فى إسرائيل، أمريكا، أو أوروبا- غير هام، كحادثه تاريخية، والتي فى كثير من الأحوال، بعد جروح وتمزق بسبب الإبادة الكاملة، ظل كما هو أما الاثرياء فلا يفكرون فى شئ لعبور الأطلنطى، أو البحر المتوسط، لأربع أو خمس مرات فى السنة لقضاء عيد الحصاد أو احتفال مع أخبارهم، لكن حتى البرسليفهاسديزم، ذوى الملابس الرثة، فى القدس ينجحون فى القيام برحلة روسن هاشانا لمدة أربعة أيام إلى أوكرانيا والعودة بعدة مئات من الدولارات، حيث يرقد جثمان حبرهم، الحاخام ناشمان من يرسليف فى مدينة أو مان منذ ١٨٠ عاما، وهؤلاء

* فراهام أنى رهاى، «الشعوب اليهودية الثلاث»، جريدة الحيردزالييم بوست ٥ فبراير ١٩٨٩.

البرسليقر، والذين يطلق عليهم موتى الحاسيديم» يعتقدون في أنفسهم أنهم مازالوا مرتبطين بروح حبر واحد فقط، وبعد عقود من الزمان، والتي خلالها تم تصنيف أومان كمناطق عسكرية سوفيتية مغلقة، فقد أصبح لتركيز أفكارهم ولرغبتهم الصوفية الشديدة ممكن الوصول إليها مرة أخرى.

فضلا عن هذا لقد قام بال شيم فوف نفسه، وهو مؤسس الحاسيديزم (والحبر الأكبر للهاخام ناشمان)، بتعليم تلاميذه «حيث يوجد عقل الإنسان، فان ذلك حيث يوجد الإنسان كله» وفي هذه الأيام، عندما يتحدث اللوبافيتشر حاسيديم عن «اللوبافيتش»، فانهم عادة يشيرون إلى مقر رئاسة أحبارهم في قطاع مرتفعات كرادن بيروكلين، نيويورك، وليس إلى القرية في روسيا البيضاء حيث منشأ أسرهم الشهيرة. وهكذا أصبح صف الاحجار البنية اللون على طريق المنتزه الشرقي من اللوبافيتش.

هذا ويحتفظ الهاخام شنير سون، الحبر، بازدواجيته الخاصة تجاه المناطق الجغرافية. ومن ناحيته، فانه يرفض مغادرة نيويورك ولم يخرج من المدينة لما يقرب من أربعين عاما، ومن ناحية أخرى، فإن لديه صورة مطابقة دقيقة لمقر رئاسته في نيويورك، بنيت في كفارهاباد، القرية الرئيسية للوبافيتشر في إسرائيل، ويقع المنزل هناك بكل ما به من تنافر معماري، انتظاراً لصاحبه الذي لم يزوره أبداً.

وعندما يلتقى الحاسيديم ويختلفون في قصر حبرهم، فان الجو حقيقة يكون عالميا رغم أنهم جميعاً يبدون متشابهين بالنسبة للدخيل عليهم، حيث أنهم يلبسون زيّاً خاصاً لطائفتهم المستقلة، وتتم المعاملات التجارية، وترتب الزيجات، وكلها لجذب الجماعة للاقتراب عبر القارات. أين ترى سيعيش الأزواج الشبان؟ أفى بلدة العروس، أو بلدة العريس، أو ربما في مجتمع جديد تقوم الطائفة في إحدى المدن الريفية في إسرائيل أو الجزء الشمالي من نيويورك؟ وهذا القرار متروك للحبر، الذي يزن مصالح

الطائفة وكذلك مصالح الأسر المستقلة بذاتها.

فضلا عن هذا فإن حب الخير، مثل التجارة تمتد فوق القارات. فمن المتوقع أن يقوم أحد أفراد الهاريدى فى نيويورك بمساندة طائفة من اليشيقا فى اسرائيل وأوروبا وكذلك مؤسساتها فى مدينته واماكن أخرى فى أمريكا الشمالية، إلا أنه رغم إن اقتصاديات الهاريدى العالمية لها جوانبها المتقلبة: عندما تسوء التجارة فى نيويورك، فان اليشيقا فى إسرائيل وأوروبا تعاني من جراء ذلك. ولنفس السبب، فعندما انهارت الامبراطورية المالية لرجل الأعمال المليونير، من الهاريدى، فى لندن عام ١٩٩١، كان الهاريديم فى نيويورك، أنتورب وبنائى براك من بين المفلسين، وكابن لحبر الحاسيدسيك من ساسوف، فقد أئتمنوه على أموالهم.

وعندما أحتفل حبر الحاسيديك من يلز، الحاخام يساشار روف روكيس بالبار مئيزفا bar-mitzva لأبنة الوحيد أهارون، فى القدس فى مارس ١٩٨٩، فقد استأجر قاعة المؤتمرات الرئيسية فى المدينة لاجتماع اتباعه للاحتفال. وعند قراءته باليهودية لخطبة ثم إعدادها، فقد وصف الدور المركزى لتلك القرية الصغيرة، بيلز فى حياة عشرات الآلاف من اليهود فى أوروبا ما قبل الإبادة الكاملة. وفى حقيقة الأمر فان الحاخام روكسن، الذى ولد فى إسرائيل عام ١٩٤٨، لم يزر بيلز أبداً. فضلاً عن هذا فإن جماعة بيلز تقريبا أبادها الشايزون عن آخرها. ولقد هرب الحبر الأسبق وشقيقه، والديساشار دوف، عبر البحر إلى فلسطين وعندما أصبح يساشار دوف حبراً، عام ١٩٦٨، فإن اتباعه كانوا لم يزلوا قلة وضعاف، بقية حزبية لجماعة ما قبل الحرب، وفى الوقت الحالى فإنه يسرد قائمه طويلة من اليشيقا، والمدارس والمعابد ليز، من موتز بال إلى ملبورن.

علاوة على ذلك فإن الحير Ger، أكبر طائفة حسيديك فى بولندا قبل الحرب، إلا أنهم جميعاً قد أبيدوا كغيرهم، ولقد هرب الحاخام أفراهم موردخاى آلتر إلى

فلسطين مع بعض أفراد من أسرته. وأبنائه، إسرائيل، الشخصية الساحرة للجماهير كان جدا من ١٩٤٩ إلى ١٩٧٩، وبعدئذٍ سيمحا يونيم، راس عملية الانبعاث الروحي، وفى هذه الأيام يوجد أحد عشر يشيقا من الجير منتشرة عبر إسرائيل وفى يوربارك، بروكلين يوجد ثمانية من الشيتبلاش Shtieblach للجير Ger [معابدها حاسيديك، والمعنى لكلمه شتيل Shtiebel (حجرة صغيرة).

وأكبر طائفة حاسيديك هى الساتمار Satmarer، والتي كانت تتخذ مركزاً لها قبل الابادة الكاملة فى المجر، حيث تحركت آلة الموت النازية إليها فقط عام ١٩٤٤، وعلى ذلك، نسبياً، فقد نجى الكثير من اليهود المجر من الحرب عن اليهود البولنديين. وتتواجد جماعات الساتمار الرئيسية فى قطاع وليامز يورج بيركلين، وفى مونرو، وهى بلدة صغيرة شمال مدينة نيويورك، كما أن لهم أيضاً أفرع فى إسرائيل، وبريطانيا وبلجيكا وبلاد أخرى.

هذا وكان التزايد المثير للساتمارر فيما بعد الحرب من مسئولية زعيمهم الساحر، الحاخام يورك تاتيليرم (١٨٨٧ - ١٩٨٨). وكان تطرفه عنيف - كان عدواً للدودا للصهيونية وإسرائيل - يتلائم مع الحماسة الشخصية الكبيرة هذا وقد إنجذب الكثير من اللاجئين الهاريد المجر الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة فى الأربعينات، من خلال الموجة الثانية بعد الإنتفاضة المجرية القصيرة عام ١٩٥٦، إليه وأصبحوا من الساتمارر.

وعندما يتكيف الحاسيد الساتمارر أو الجير مع الطريق، فإن يمكنه أن يجد نوعه المستقل الخاص فى العديد من المدن حول العالم. بجانب هذا فإن اللوبافيتش سيواجه رفاقه فى مئات المواقع، ومن بينها مثل تلك الجماعات اليهودية الصغيرة جداً المنتشرة فى هونج كونج ومانكوك، وفى الحرم الجامعى للكليات فى الولايات المتحدة، والصفة المميزة للوبافيتش هى التجاوز الروحانى، ويدير الأخبار برنامجاً أشبه بفريق السلام من «المبعوثين»، إلا أن أى يهودى حاسيديك ينتقد أى معبد فى أى مكان يقابل بالترحاب الحار والكرم السخى.

ويعتبر أحد مؤرخي اليهودية المعاصرة، البروفسور عزرا منيدتسون، هذا «الاستشراق الدولي» بأنه أكثر الملامح البارزة للأنبيعات الحالية للهارديزم. أنهم اشبه بالاشتراكيين اليهود لعالم ما قبل الحرب، وإذا كنت يهوديا اشتراكيا، عندئذ أينما كنت، بإمكانك أن تجد أناسا متفتحي الذهن يكون لك معهم لغة مشتركة وفي هذه الأيام فإن الهارديم هم الذي يتمتعون بتلك الميزة.

الجزء الثاني

خطوط السلطة

الفصل الأول

إعلاء كلمة الله

حدث زلزال سان فرانسيسكو فى أكتوبر ١٩٨٩ اثناء مراسم افتتاح المسابقة العالمية الثالثة للعبة البيسبول وجعل كل اللاعبين الرياضيين لكلا الفريقين - أوكلاند وسان فرانسيسكو - غير مستخدمه لأكثر من أسبوعين.

وبعد أيام قليلة من الزلزال، نشرت جريدة الهاريدية الإسرائيلية ياتد نيحان Yated Ne'eman فى طبعتها الإنجليزية، وتباع بصورة أساسية فى أمريكا، النبأ القصير التالى بشكل بارز فى الصفحة الأولى وجاء فى المقال: «القدوس الواحد، تبارك فى علاة، يشاهد مسارحهم وملاعبهم تنعم بالهدوء بينما Bais Hamikdosh بيت المقدس أطلال متناثرة، فيشاء تدمير العالم، كما هو فى النص المقدس: «وسيهدر الرب بقوته، بسبب بيته» .

وفى حقيقة الأمر، فان مشاهدى البيسبول لم يصابوا بأى ضرر. وكان معظم ضحايا الزلزال من السائقين على جسر أوكلاند. إلا أن تلميح جريدة ياتد هو أن توقيت الزلزال لم يكن حدثا عشوائياً. لقد كان الرب يشير إلى الإنسان بالإشارات. فلعبة البيسبول، وهى نشاط الذى يجرى وسط «مدرجات» القرن العشرين لا يرضيه، وعلى الأخص بسبب بقاء بيته أطلالاً متناثرة - بمعنى، المعبد اليهودى القديم فى القدس، الذى دُمر منذ ما يقرب من ٢,٠٠٠ سنة مضت، والذى أصبح مكانه حالياً مسجداً للمسلمين.

ولقد تلقى الجمهور الإسرائيلى عام ١٩٨٧ م درساً ماثلاً فى فاعلية الثواب والعقاب الإلهين بواسطة وزير الداخلية الهاريدى، الحاخام إسحاق بيرتز، بعد أن توقف

أحد الاتوبيسات والذى كان يحمل أطفالاً فى رحلة مدرسية فوق تقاطع السكك الحديدية وجرفه أحد القطارات. وأشار بيرتز، فى بيان عام، أن الأطفال الموتى كانوا من مدينة بتاح تيكفا، حيث تعمل إحدى دور العرض السينمائية فى ليالى الجمعة، وهكذا تكون قد انتهكت يوم السبت. ومن ثم استمر الهاريدون المحليون فى التظاهر كل أسبوع خارج السينما، واشتبكوا مع الشرطة. إلا أن العروض استمرت وقال الحاخام بيرتز، إن الرب قد أنزل عقاباً شديداً على المدينة التى دنست يوم السبت. وقد تسببت ملاحظاته فى إحداث احتجاجات عنيفة .

وطبقاً لمعتقد الهاريديين - وتلك هى العقيدة الأساسية لإيمانهم - «القدوس، تبارك» يدير العالم بنشاط. أنه لم يخلقها فحسب وثم تركها لتسير نفسها بواسطة قوانين الطبيعة التى سبق وأن قدرها. كما أنه لم يتركها لتسير نفسها بينما يتدخل بقوة خارقة للطبيعة من وقت لآخر. أنه يتدخل دوماً ومباشرة - فى كل شئون الإنسان وعمل الطبيعة .

وكانت هناك تنوعات عريضة لهذا المعتقد فى الفكر الأصولى اليهودى، عبر العصور. فقد تمسك الحاخامات والعلماء بأسرار الباطنية والتسامى بقوة الفكر، كما اقترب المتصوفة اليهود من مفهوم الحلول أو وحدة الوجود، لدرجة أنهم تشربوا بإحساس غامر من الورع يغمر ما حولهم. ومن ثم فإن القاسم المشترك لكل مدارس المعتقد الأصولى هو أن الرب يمكنه التدخل. وبكلمات أحد علماء اللاهوت اليهود المعاصرين: «عند القيام كل صباح، يسلم اليهودى بأن الخلق يتجدد، ليس له فحسب بل إن من الجائز أن يفنى العالم من الوجود بين عشية وضحاها» .

وبالنسبة للهارديين هذه الأيام، فالرب لا يمكنه فحسب؛ بل يفعل، فالرب وجود دائم فى حياتهم، وهم من ناحيتهم يحاولون أن يعيشوا فى حالة من الوعى الدائم

بالرب. ومن ثم فإنهم وعلى فترات قصيرة يذكرونه فى أحاديثهم الدنيوية: «بمساعدة الرب»، سيسافر القطار فى الموعد، «شكراً للرب» لقد سافر القطار فى الموعد. إنه أسلوب الحديث، لكنهم يعنون مايقولون أيضاً. وستكون الإجابة المعتادة من أى هاريدى على السؤال: «كيف حالك؟»، هى «مبارك باسم الرب»، حتى ولو لم يكن ذلك هو حالة، وهكذا يراقب أحكام التلمود: «تماماً كما يجب أن يبارك الفرد الرب للأشياء الطيبة، يجب على الإنسان أن يباركه للأشياء الرديئة أيضاً. وبنفس المزاج، فإن التلمود والهالاشات التالية تؤكد على بركة خاصة عند سماع أخبار الوفاة أو أخبار أخرى سيئة، تبارك القاضى الحق.

إلا أن الهاريدىين ليسوا قديرين بطريقة سالبة (على الأقل ليس فى حياتهم الخاصة: يمكن أن ينظر إلى الهاريدى المعادى للصهيونية كشكل من القدرة على المستوى القومى، والتاريخى). فضلاً عن هذا فإن بعض الأصوليين، فى الأديان الأخرى، يفضلون الاعتماد على التدخل الإلهى فى المرض بدلاً من الاستسلام للعلاج الطبى. والبعض يُحرم الجراحة، والبعض الآخر يعوقون حتى عمليات نقل الدم. ويرفض الهاريدىون مثل هذا المسلك باعتباره انحرافاً وتوقع. ومن تعاليم التلمود أن «على الإنسان ألا يعتمد على المعجزات». بجانب ذلك فإنها تأمر الرجل المريض خصيصاً بأن يبحث عن المشورة الطبية وفى الواقع، فإن العديد من حاخامات الهاريدى يديرون شبكة اتصالاتهم العالمية مع أفضل الاختصاصيين فى فروع الطب، كما أنه فى مقدورهم أن يسيروا على أتباعهم بأفضل المستشفيات وأكثر طرق العلاج تقدماً.

وفى بعض الحالات، فإن أحد الحاخامات أو أحد الحاخامات الحاسيد سيوصى بالذهاب إلى أحد الأطباء أو يقترح علاجاً ما، وذلك على أساس التفضيل، ونادراً ما يسدى النصيح بشأن الامتناع عن الخضوع لعلاج خاص أو عملية جراحية رغم

إجماع الآراء على وصفها، وفي الواقع فإن المريض الهاريدى يحيل صنع القرار والمسئولية، على عاتق الرجل الربانى لأنه يعتقد أن الحاخام بالمستوى العالى لحكمته، لابد وأن يكون أكثر دراية، وهذا ما يسمى بقبول (دالت توراه) (معرفة التوراة: التوراة تعنى حرفياً، أو الكتب الخمسة الأولى لموسى، ولكن طبقاً للمدلول اللفظى أصبحت تعنى المجموعة الكاملة للقانون الدينى) أو أمونات هاشامين emunat Hachamim (الاعتقاد فى الرجال الحكماء) .

ومن الأمثلة الجديرة بالذكر للأمونات هاشامين والتي حدثت فى شهر يناير ١٩٩١، عند اقتراب الموعد النهائى المحدد من الأمم المتحدة، وتجمعت سحب الحرب فوق الشرق الأوسط. أعلن حاخام اللوبفيتشر أن إسرائيل هى «أمن مكان على الأرض»، وهكذا، فإن اتباعه من الحاسيديين فى إسرائيل نحواً جانباً أية فكرة عن الرحيل - رغم أن الآلاف ممن يحملون جوازات سفر أجنبية، ومن بينهم الهاريديين، كانوا يفرون من البلاد. وهكذا انطلق دون تردد أتباع اللوبافيتشر هاسيديمى فى الشتات (الدياسبورا Dia-spora) الذين كانوا يخططون لزيارة إسرائيل. وقد ذكر أحد الهاسيديين، عند هبوطه فى مطار تل أبيب الذى كان نصف مهجوراً: «إن الحاخام أخذنا بأن الأمور ستكون على مايرام، وأن التوراة تقول أن الرب يرمى الأرض المقدسة...».

فضلاً عن هذا فإن طاعة الهاريديين العمياء للحاخامات تعتبر أحد المميزات التى تميز الحاسيديين فى أعين العالم الخارجى، كلا من اليهود وغير اليهود، وبالنسبة للهاريديين أنفسهم فإن من الصعب عليهم فهم شدة ذلك الاعتراض، حيث أنه بالنسبة لهم فإن التبجيل الدينى يعتبر نسيجاً لا يتشقق. والرب نفسه، العهد القديم والتلمود، وكتابات الحاخامات، والحاخامات أنفسهم؛ جميعهم متشابهين فى خيط متصل يمتد من إبراهيم وموسى إلى جيدوليم (الحاخامات العظام) فى هذه الأيام، وفى

المستقبل. بجانب ذلك فإن الاخلاص الكامل والمتزمت للكتاب المقدس، والذي يعتبر سمة لكل أشكال الأصولية الدينية، يعتبر العنصر الرئيسى للهاريدية. على أن التبجيل التوراتى عند الهاريديين غير مقصور على العهد القديم. بل أن المفارقة بالنسبة لهم فى كون العهد القديم وقضية التبجيل قضيتان لا رابط بينهما، فالتعاليم التلمودية تحرم القراءة الحرفية للنصوص المدونة، والعهد القديم يجب أن يقرأ ويفهم على ضوء التفسيرات الأخيرة .

وفى بعض الأحيان يتم وصف الهاريدية على أنها «أصولية تلمودية» بمعنى أن الهاريديين يتصلون بالتلمود، الجزء الكبير من القانون والأساطير الذى تم تجميعه فيما بين القرن الأول والخامس CE*، بنفس تبجيل المسيحيين الأصوليين الدينى للإنجيل إلا أن الأصولية التلمودية للهاريديين لم تتوقف مع التلمود. إنها تمتد إلى القرون التالية لما بعد الأدب التلمودى، آلاف من التعليقات، ومجموعات المبادئ، وكلمات جمهور المصلين بعد الكاهن، والكراسات الدينية الصوفية، والمواظب الدينية حتى هذه الأيام. ومن ثم فإن كتابات حكم وفيلسوف القرن الثانى عشر ميمون Maimonides ، أو صوفى القرن السادس عشر إيزاك لوى، ينظر إليها باحترام وتبجيل كذلك، ولكن ليس تماماً بنفس درجة التبجيل للأعمال الأولى، لكن رغم هذا بتبجيل عميق لا يدعو إلى النقد .

وأكثر من هذا فإنها تمتد إلى أبعد من النصوص ذاتها، إلى مؤلفيها. وهكذا فإن الحاخامات الذين كتبوا التلمود وكل الكتابات التى تلت ذلك كانت مقدسة، وحكيمة وقوية، ولا بد من تبجيلها دون نقد. ومن هناك فإنها مجرد وثيقة قصيرة لتطبيق نفس التبجيل الأساسى للحاخامات المقدسين، الحكماء والصالحين، سواء

* CE التاريخ المشترك، استخدمه اليهود فضلاً عن AD، بعد البلاد، ومن ثم فإن BCE، قبل التاريخ المشترك.

كانوا أمواتاً أو أحياء والذين ربما لم يتركوا مؤلفات، لكنهم يعتبروا تجسيدا شريفاً للنصوص المقدسة. فضلاً عن هذا فإن كل عبارة صادرة منهم متشربة بـ «دالت توراه»- أو على الأقل بالروح، المتضمنه فى الوحدة الكاملة للنصوص والتي فى مجموعها هى كلمة الرب .

ويقول أحد الأطباء فى القدسانها هذه المهابة، وهذا القبول (دالت توراه) Torah كأسلوب يتضمن الحياة كلها، سبب انفصال الهارديين عن بقية الأصوليين. ويقول أن اليهود الأصوليين- وهو نفسه أصولى [معاصر] مخلص يعيش حياته الدينية وفقاً للشولهان آرورش S'hulhan Aruch، تجميع وتنسيق الهالاشا رسمياً. ومن ثم فإنه سوف يستشير حاخامات إذا ما كان لديه سؤال بخصوص أحد نقاط الهالاشا، وسيلتزم بحكم الحاخام. وربما يستشير الحاخامات بشأن مشكلة لا علاقة لها بالهالاشا، إلا أن ذلك من المحتمل أن يكون طريق البحث عن المشورة، ومن ثم لن يكون هناك أى تفويض إلزامى برد الحاخام. ومن ناحية أخرى، فإن الهاريدى، سوف يستشير حاخامه أو حبر حاسيدى بشأن كل مجال من مجالات حياته، وسيطيع النصيحة التى يحصل عليها كما لو كانت إحدى قواعد الهالاشا .

وبالنسبة للطبيب، الاختصاصى فى أمراض النساء، يخدم منطقة مشتركة هاريدية وأصولية معاصرة، لم يعد الأمر مجرد تمييز لعلم دلالات الألفاظ وتطورها أو أنه علماً لاهوتياً، أنه يحمل نتائج عملية مباشرة فى أغلب الأحيان بعيدة المدى لكل عمل من أعماله اليومية. وهكذا، سيحاول دوماً التحقق من الانتساب الصحيح للمريضة الهاريدية، وإلى أى طائفة حاسيدية تنضم هى أو زوجها ، أو أى حاخام متناجيدى يتبعان، ويسجل ذلك فى ملف المريضة. بجانب ذلك فإنه يعرف أن تشخيصه وما يقدمه من علاج سيتم «مراقبته» من جانب الحبر أو الحاخام.

فخلال فترة الحمل، وأحيانا فى حجرة التوليد نفسها، سيكون هناك تدفق دائم من المعلومات الطبية من الطبيب، عن طريق المريضة إلى الحبر أو الحاخام، فضلاً عن هذا سينتج مشكلة أو تعقيد على شكل فيض من التساؤلات، وفى أغلب الأحيان نصيحة تفصيلية، فى الاتجاه الآخر، وكثيراً ما يحدث من أجل توفير الوقت والطاقة، أن الطبيب والحبر/الحاخام سيعدون قناتهم الخاصة المباشرة للاتصالات لمناقشة الحالات. كما أن لبعض الأحبار مساعد خاص (ليس لديه تدريب طبي رسمى)، والذي يعالج موضوع الاتصالات بالأطباء والمستشفيات. وفى بعض الحالات، فإن أى حبر- أو زوجة الحبر، حيث أن هناك من النسوة الورعات النشاطات فى المجال الطبي، وعلى الأخص فى مجال علم أمراض النساء؛ سيقوم بكتابة الروشته، كما أنه يوجد فى القدس صيدليات تقوم بتركيب الأدوية دون مقابل .

وهذا الطبيب، وآخرون مثله فى القدس والمدن الأخرى حول العالم التى بها مجتمعات هاريدية قوية، يعترضون بطبيعة الحال على ذلك التدخل، لكن رغم هذا ليس بصوت عالٍ فالهاريديون يمثلون العملاً المهمين، وبكل حماس فإنهم يعنون بصحتهم كواجب دينى تماماً وكنوع من الاهتمام بمصالحهم الشخصية، فضلاً عن هذا فإنهم يفضلون دفع ثمن العلاج الخاص بدلاً من الاعتماد على الدواء العام. وبالنسبة للأطباء الذين يفضلهم ويوصى بهم أحبار الطائفة، وعلى الأخص بالنسبة لأطباء أمراض النساء، فإنهم يعتبرون مصدراً خصباً للعمل والدخل.

وكان الطبيب يغالى عندما ساوى بين الأصولية والنظام الكامل الذى يخضع له الشولهان أروخ، كتاب القوانين الذى كتب فى نهاية القرن السادس عشر، والذي ينظم معظم المجالات الدقيقة للحياة كما أن العديد من اليهود الذين يعرفون أنفسهم بأنهم أصوليون، وفى الواقع إن الذين يجاهدون لكى يكونوا أصوليين، سيعترفون، إذا كانوا

على استعداد لأن يكونوا أمناء، أنهم لا يقدرّون، أو لا يحافظون على تفاصيل الطقوس الدينية لكتاب الأحكام. كما أنه ليس بالضرورة أن يكونوا مرتدين ملابسهم بينما يكونوا تحت غطاء الفراش بسبب التواضع [شولهان آروخ ١: ٢]، أو يربطون رباط حذائهم الشمال قبل اليمين [٤: ٢]، أو يلبسون وعن عمد ملابس مختلفة عن الجتيليين (كيتسور شوللان آروش ٢: ٣)، أو يحجمون عن المشى بين امرأتين، أو كلبين أو خنزيرين [٨: ٣].

وهكذا فإن ذلك بعد اختياراً متميزاً وعن عمد، إلا أنه يفيد فى تصوير كيف يتوصل اليهود الأصوليون المعاصرون، هؤلاء اليهود الذين يطيعون الشابات Shabbat، الكاشروت Kashrut والتهارات هاميشياخا taharat hamishpacha، إلى حلول وسط مع الشوللان آروش بالنسبة للمواضيع التى يعتبرونها منطوية على مفارقات تاريخية ولوهامشية. وهؤلاء اليهود، رغم هذا، من المحتمل أن يشعروا بالضيق لاستثنائهم من تعريف الطبيب للأصولية .

وتحاول الأصولية المعاصرة إلى توجيه مسارها ليس فقط فى الممارسات الدينية، بل أيضاً فى العقيدة. كما أنها ترفض توسع الهاريديين فى معتقدتهم الأصولى من النصوص القديمة والشخصيات المقدسة من الماضى إلى حاخامات هذه الأيام. وبالنسبة للأصولية المعاصرة، فإن ذلك يعتبر تنازلاً عن واجب الإنسان للتفكر فى نفسه، للمعبد التطرفى لما له ويصنع القرارات بشأن حياته. ومع هذا فإن الأصولية المعاصرة أصولية أيضاً، إلى درجة ما، ويقول رئيس حاخامات بريطانيا الجديد، جوناثان ساكس، المتحدث الرسمى الرئيسى باسم الأصولية المعاصرة، «إذا كانت اليهودية» تامرنا بان نكون أصوليين، فلنكن كذلك، وبكل افتخار ودون دفاع. ولكن فلنكن كذلك أيضاً، بكل دقة وإخلاص. إن الأصولية تتضمن معتقداً فى اقتراح رفض معظم اليهود غير الأصوليين، أى أن الأسفار الخمسة لموسى هى كلمة الرب بدون وسيط».

ويفسر ساكس: «وهذا لا يعنى أن العهد القديم حقيقة موضوعية. بل بالأحرى، أنه «تعاليم، قانون، وأخلاق»، كما فسرها حكماء اليهود فى تفسيرهم للعهد القديم. «إنها لم تجئ رداً على السؤال: الذى حدث؟ لكن السؤال، «كيف بعدئذ سأعيش» وليس هناك قراءات للتوراة لم يصحبها إيمان. وإذا كانت تلك هى الأصولية، فلتكن كذلك أنت واتبعها، فأنى أراهن بدينى كيهودى».

ومن ثم فإن قراءة ساكس للعهد القديم تنحدر إلى القانون الشفهى. وإجابته على السؤال، «كيف بعدئذ سأعيش؟» يقدمها الحكماء. ولكن هذا بدوره يفضى إلى السؤال أى حكماء؟ وهكذا فإن الهاريديين لديهم الإجابة الشاملة المريحة، الوضع الشرعى للحكمة عبر الزمان وعلى طول الطريق، إلى زعمائهم من هنا وإلى الحاضر، وعبر النطاق الكامل لقرارات الحياة. وبالنسبة للأصوليين المعاصرين أمثال ساكس، فإن تلك هى الأصولية أيضاً، إلا أن المعتقد الأصولى المعاصر، كما يعلق ساكس، أصولى جداً بالنسبة لمعظم اليهود، هذا وقد حرم حاخام وعالم بريطانى متقد الذكاء، دكتور لويس چاكويس، من أن يصبح الحاخام الرئيسى فى أوائل الستينيات، فى خلاف مشهور مازال یرن صداه فى جماعة اليهود الأنجلو، وتدقيقاً بسبب عدم قبوله للتوراة على أنها كلمة الرب دون وسيط، لكنها علمت بينما كان الرب يوحى بها، أنها نتاج الإبداع الإنسانى أيضاً.

وباجتياز الأرض المتوسطة الضيقة لكل من الممارسة الدينية والعقيدة، فإنه يجب على الأصوليين المعاصرين أن يدافعوا عن الخط المتأصل الدقيق والحساس، ومن السهل بالنسبة لهاريديين مهاجمتها باعتبارها حلولاً وسط، والهاريديون هذه الأيام الواقفون من أنفسهم بشكل حاد يهاجمون بشدة ويحرزون النقاط. وقد أبدى أحد المراقبين ملحوظة، إن التاكيد (فى الأصولية المعاصرة) يتحول من الأصولية المعاصرة. هذا ويوجه أحد

الحاخامات الأصوليين المعاصرين من نيويورك والمولعين بالجدل، الاتهام إلى البعض من رفاقه بتغيير المواقع، وقد أصبح البعض الآخر صامتا.. إن النضال من أجل روح الأصولية المعاصرة أصبح الآن فى حالة غضب».

وأحد الشخصيات الرئيسية فى هذا النضال، الحاخام الدكتور نورمان لام، رئيس جامعة اليشيفا نيويورك، يتلفظ بألفاظ جارحة ضد «النمو العقائدى» فى معسكر الأصوليين المعاصرة ويحذر بقوله، «إن طريق العصرية مفتوح للهجوم عليه من جانب المتطرفين، لا يجب أن نكون خائفين» ولكن من خلال معهده الخاص، والذى يعتبر الموقع الأكاديمى والحاخامى الحصين للأصولية المعاصرة، توجد نزعات قوية تجاه الهاريدية. هذا وقد وقع لام نفسه ضحية لتلك النزعات، كما سنرى (راجع الفصل ٣٧)، عندما سعى للتفاوض مع حاخامات الإصلاح والمحافظة على القديم إزاء السؤال الحرج «من هو اليهودى». ولقد استسلم رئيس الحاخامات البريطانى المعتزل، لورد جاكوبوفينس لتحول القوة من خلال معسكر الأصولية. ويقول «شخصيا بالتنشئه والافتناع، إننى ملتزم وبعمق بفلسفة تومراى إم ويريس ارتيز» [«الدين - مع - الحياة»]. ذلك كان المعتقد الاصلى للأصولية المعاصرة، والذى طوره الحاخام الألمانى سامسون رافائيل هيرسن فى القرن التاسع عشر[إنه أسلوبى فى الحياة، أنها عقيدتى. لكننى واقعى لدرجة أننى أدرك أن مثل ذلك الاندماج الدينى - العلمانى، كحركة، ليس من المحتمل أن يسود فى حيالنا... لابد وأن نعترف بتزايد سطوة عالم اليشيفا الحاسيديين ونصل إلى اتفاق معها».

وفى ذلك العالم، كما رأينا، فإن الحاخام له اعتبار أكبر بكثير من مجرد قاضٍ القاضى، ليس يضع الهالاشا موضع التنفيذ. إنه يدير السلطة زمنية إلى جانب السلطة القضائية والروحية كذلك. كما أن أسفار موسى الخمسة الأولى ذاتها (دويت ١٧: ٩،

(١١)، ويُعتقد أنها قد أوضحت بتعايير لا لبس فيها ذلك الدور الشمولى: «سوف تاتى إلى الكهنة، الليقايت، وستأتى إلى قاضيك وسيظهرون لك الحكم .. ولن تنحرف، ولا يمينا ولايساراً». والتلمود إلى ذلك بوجوب طاعة الحاخامات المعاصرين لجيلهم وقد «حتى إذا قالوا أن اليمين هو اليسار واليسار هو اليمين». وقد استشهد الهارديون بذلك النص عندما غير الحاخام ساش، فى خطابه فى الاستاد، ودون توقع ولائه السياسى من اليسار إلى اليمين.

وهكذا فإن السياسات الإسرائيلية أحد الأمثلة الواضحة للمجال غير الهالاشى فى الحياة حيث يجد الهاريدى فى التماس الـ «دالت توراه» من الحاخام الخاص الذى ينتسب إليه أو الذى يحترمه على وجه الخصوص. وكل حزب هاريدى فى إسرائيل له مجلسه الخاص من الحكماء، وكل تعهد سياسى هاريدى ليس فقط ولاء، بل تبعيته منضبطه، لحكماء حزبه. ويمثل ذلك الجماعات المتطرفة التى ترفض أى مشاركة فى سياسات الدولة الصهيونية، لهم حاخاماتهم الخاصين بهم وكذلك (بيت الدين) batei din الذين يطلقون التصريحات العنيفة الدورية ضد الهاريديين الآخرين.

وفى أمريكا، أيضاً، فإن الهاريديين لهم اختياراتهم السياسة التى صنعها لهم حاخاماتهم. وكل مرشح للمكتب الانتخابى فى ولاية نيويورك- وكذلك العديد من مرشحي الرئاسة- يعترف بهذه الحقيقة، ويتأكد من أنه يعلن عن تودده إلى أحبار الحاسيديك وعمداء الشيفاف القيادين فى بروكلين. ويعتبر الهاريديون أحد آخر التكتلات الممكنة تخليها عن والناخبين العرقيين المنضبطين فى إطار الحياة السياسية الأمريكية. وبنفس المنطق، فإن المسؤولين المنتخبين الذين يمثلون المناطق المزدهمة بالهاريديين على مستويات المدينة أو الولاية حريصون على التشاور مع الحاخامات المحليين. وتلك هى الوسيلة المؤكدة بالنسبة لهم كى يحصلوا على النبض السياسى لهذا القطاع من جمهور ناخبيهم، فنواخ دير، وهو أحد أعضاء مجلس مدينة نيويورك كما أنه نفسه أصولى ويمثل حياً كبيراً من الهاريديين فى بروكلين، يقول أنه يسترشد بأحد حاخامات الهاريديين القيايين بشأن كل الأصوات المثيرة للجدل فى المجلس.

وليس هناك حاجة لوجود خداع هنا. فالحاخامات وتلاميذهم يعتقدون بكل إخلاص أن عملية الزعامة والتشاور، والاسترشاد والقبول، حقيقة مشتركة تسعى وراء مشيئة الرب وبركة الرب.

فضلاً عن هذا فإن سلطة الحاخام لم تكن دائماً عامة أو مكثفة فى حياة الفرد الهارىدى. وفى الشتل Shtete، وهم هؤلاء الناس الذين يعيشون حياتهم، بالضرورة، منقطعين إلى حد كبير عن العالم الخارجى- والذى يشتمل على الشتل الجيران وبالتأكيد المدينة الكبيرة التى تبعد بمسافة يوم سفر يوم حتى أنه من المحتمل أن يقوم الحاسيديون بزيارة أحبارهم مرة أو مرتين فى العام. وبالنسبة لبقية الوقت، فإنهم على مسؤوليتهم، يتعاملون مع مشكلات كل يوم بقدر ما يمكنهم ويفتقر (الميتناجديون) حتى إلى الاتصال المنتظم القليل مع أحد شخصيات السلطة.

وفى هذه الأيام، فإن التودد إلى الحبر، أو حاخام الشيشا الموقر، يتم عن طريق المكالمات الهاتفية، أو الطيران وفى الواقع، فقد تقبل الحاسيديون بسرور وضع فن الاتصالات بنفس الطاقة التى تتجنب معظم المجالات العصرية الأخرى. فضلاً عن هذا فإن عالم الهارىدى شتيتل عالمى. ويتصل الحاسيديون اللويفيتشر برئاستهم فى نيويورك عن طريق الاتصال بالقمر الصناعى. فضلاً عن هذا فقد تم إرسال آخر تعليمات الحاخام شاس عن طريق الفاكس إلى أتباعه فى الوقت الصحيح. وتحمل الجرائد الأسبوعية لهارىدية أعمال وأقوال قارئى قادتهم الروحانيين العديدين والحديثة كل يوم جمعة، مشتملة بالكامل على صور بالراديو للرجال المقدسين وهم فى العمل، وأكثر من ذلك ففى هذه الأيام يوجد القليل للتمييز بين علاقة جبر الحاسيد واعتماد تلميذ الميتناجيد على حاخامه، فى الموضوعات المؤقتة الروحانية، كما أن الحاخام شاس نفسه وهو رئيس الميتناجيد، للمفارقة، هو أفضل تصوير لعدم الوضوح فى التميز السابق.

وفوق ذلك يسجل الهاريديون المختلفون حاخامات مختلفين، وهذا يؤدي إلى الكثير من الخصام، لكنه أيضاً يؤدي للنشاط والقوة فى الحياة الهاريدية. والحقيقة أنه من المستحيل بالنسبة للهاريدي أن يكون هاريدياً فحسب، دون تخطيط خاص. وكل واحد تابع لشخص ما.

الفصل الثانى

أحكام قديس

بدأ يوسف ليفى، وهو اسم لا مستعار، يشعر بقلق ينتابه من جراء عدم ظهور أعراض الحمل على زوجته أدينا خلال عامين زواجهما، وحينها كان يوسف يتابع دراسته فى الكوليل، المدرسة العليا للمتزوجين، بعد الإنتهاء من دراسته فى كيشيفا بونفيز فى بنى براك التى كان عميدها الحاخام شاس .

ولقد كان الحاخام شاش دائماً طبيباً مع يوسف خلال سنوات وجوده فى بونيفيز. وكان يعرف الأسرة قليلاً، حيث كان قد علم والد يوسف قبل ذلك بجيل فى يثيفا أخرى، وعندما بدأ يوسف يجتذب أنظار وسطاء الزواج المحترفين والهواة، سعى لطلب نصيحة الحاخام شاش. وكان رد الحاخام «تجاهلهم، استمر فى التعلم بشكل كامل لنصف سنة أخرى على الأقل - إلى أن يقدم لك شيئاً مميزاً حقاً».

وبعد ذلك بعدة شهور، عاد يوسف الذى كان فى ذلك الوقت فى عامه الثانى والعشرين إلى حاخامه «بشئ مميز حقاً». لا بد أن لها شخصية مميزة، هكذا قال يوسف «لأنها ذهبت لمدرسة عليا أرثوذكسية حديثة حتى سن ١٥ سنة، ثم قبلت فى مدرسة لاهوت ذات مكانة».

ولم يكن الحاخام شاش يقول شيئاً بشكل مباشر. وقال: يجب عليك أن تستمع جيداً وأن تلتقط التوجيهات. قم بعمل مزيد من الاستقصاءات» وانتظر يوسف وقته، واثقاً من توجيه عميد يثيفا (الحاخام شاش) وعندما تزوج أدينا، فى العام التالى، ألقى الحاخام شاش موعظة فى حفل الخطوبة، وهذا شرف نادر.

وعندما علم بعد ذلك بعامين بخوف تلميذه الشاب من العقم، أرسل شاش الزوجين لعدد من الأطباء. وكان تشخيصهم. حالة غير قابلة للعلاج من عقم المرأة وفى يأسه هذا، علم يوسف الرجل اليمنى (ميكوبال)، صوفى مصطلح على أسرار القبلانية، يعيش فى قرية صغيرة يمارس العلاج الطبيعى والسحر القديم، وله شهرة فى مثل هذه الأمور.

«ووافق الحاخام شاش على أن تذهب إليه. وترددنا عليه ثلاثة سنوات، أعطاها كامميوت Kameyot (وهى صيغة قبلية مكتوبة على رقعة جلدية). وكان علينا أن نرتديها، ولكن بشكل أساسى أعطانا أدوية عشبية، وعليها غسل كما قام بتدليك جسد زوجتى بدهان، دائماً بوجودى، فلم يكن هناك شئ غير لائق.

«كيف كان شكله؟» مثل أى اليمنى عادى، له لحية، ولم يكن يتصرف بشكل صوفى بشكل خاص، على أى حال، فى مرحلة معينة، أخبرنا أن زوجتى قد شفيت. وأصبحت قنوت فالوب لديها مفتوحة الآن، وأخبرت الحاخام شاش بذلك، وقالت أننا يمكننا اختبار ذلك عند أحد الأطباء.

«وبشكل مؤكد، أظهرت أشعة إكس أنه لم يحدث تغير. فالقنوت مازالت مسدودة. وقال الحاخام شاش أنه على أن أخبر اليمنى. وكنت متردداً فى إخباره، لأن رد فعله دائماً كان، إذا لم ترد أن تعتمد على علاجى لا تأتى مرة أخرى، إلا أن الحاخام شاش أصر، وأطلعت اليمنى على الوضع بكامله، باسم الحاخام شاش. وقد أخذ الأمر بهدوء شديد، وقال أنه سيحاول شيئاً آخر.

«وأخبرت الحاخام شاش الذى قال : يكفى ذلك مع اليمنى إذا كان باستطاعته أن يجرب شيئاً آخر، فأنا يمكننى ذلك أيضاً. سافر للخارج ؟! ولم يقل إلى أين، قال فقط سافر للخارج».

وأجرى شاش سلسلة من الاستقصاءات، بين أعضاء هاريدى Haredi المشتغلين بالأمور الطبية فى إسرائيل وخارجها. ووصل الأمر إلى أن هناك طبيباً شهيراً على درجة من الدقة فى هذا المجال، أحدهما فى كندا والآخر فى لندن. وقال الحاخام شاش «ولماذا نذهب بعيداً حتى كندا؟».

ووجه الحاخام شاش يوسف بفطنة للحصول على قرض حسن للمساهمة فى تمويل الرحلة والعلاج. إلا أن أدبنا كانت مازال غير واثقة. «وطلب منى الحاخام شاش أن أحضرها إليه، وأجلسها عكسه، وشجعها قائلاً «لا تقلقى، إنها ليست عميلة خطيرة. سوف يساعدك الله..» وعندما يقابلنى فى حفل ختان أو أى احتفال، كان يقول: مازيلتوف Mazeltov - إرضوا الله، يرضى عليكم».

«عندما ولدت ابنتى الأولى، اتصلت تليفونياً بالحاخام شاش من المستشفى ولا أستطيع وصف سعادته، والطريقة التى تمنى لى بها السعادة».

كان هناك المزيد من القلق والحزن وقبل هذه اللحظة السعيدة، فلقد نجحت العملية الجراحية فى لندن، إلا أن المشكلات الهرمونية سببت سلسلة من حوادث الإجهاض. وذهب يوسف إلى عدد من أحبار الحاسيديين لتلقى بركاتهم، وكذلك للراحل شيلر راف حاخام ياعكوف إسرائيل كانيشكى فى بنى براك، وكان أيضاً مثل الحاخام شاش من طائفة ميتناجيد إلا أن عمله المحتفى به وورعه المعتدل جعلته مشهوراً كـ تزايديك (رجل صالح وقديس)، وسعى للحصول على بركاته الهارديون فى كل الملل.

كان يتلقى طلبات إغاثة تحمل الاسم العبرى الكامل للشخص المكروب واسم والدته على طريقه الحاخامات الحاسيديين «وكان ذلك لأنه كان أصم» هكذا يشرح يوسف على أى حال، أرسلت له مثل هذه الورقة كل ليلة ميكيف وكان على أن

أكتب اسمينا وأضيف «برجاء الصلاة» مع أربع نقاط. وهو يفهم.

وبمجرد أن أخبرته أن أدينا تواجه خطر الإجهاض، قال أنه سيصلى، وأنا سنرزق بطفل صحيح، إلا أننا فقدناه.

«ورغم ذلك فإن الأمر لا يعنى أن الصلاة ذهبت هباء، فإذا كانت لم تفلح فى ذلك، فإنها ساعدت فى أمر آخر...»

ويشرح يوسف فاعلية بركات الحكيم بتلاوته قول مأثور من التلمود: «من القديس الدعاء ومن الله الاستجابة». ويعطى مثالا حديثا آخر من حياته الشخصية. حيث أن أدينا، وهى الآن أم متألفة لأربع بنات مرحات، مدرسة (ومازال يوسف يدرس فى الكوليل، وليس لديه خططاً للمستقبل سوى أن «يتعلم أكثر وأكثر») وكانت تدرس فى مكان يبعد ساعة بالأتوبيس عن بنى براك، ولكن الآن، مع زيادة واجباتها المنزلية، طلبت نقلها لمدرسة أقرب إلى منزلها. وكان القرار فى يد موظف متشدد مجهول فى قسم التعليم.

فذهبت إلى الحاخام شاش وطلبت أن «يمنحنا عميد اليشيفا أن بركاته حتى يتم نقل أدينا». وليس هناك حاجة للقول أنها حصلت عليه.

الفصل الثالث

جذور الروح

«كان هناك مفهوم منتشر بين (تزايديكيم) الرجال الصالحين، والمقصود هنا هو الحاخامات، بأن الإجابة الأولى التى ترد على ذهن الفرد هى الإجابة الصحيحة، وأحياناً، أشعر بذلك أيضاً، وهناك نصيحة التمتع ما كانت لتخطر ببالى» .

وكان حاخام «بويان» الحاسيدى، رابى مناحم ناحوم برير، يحاول أن يشرح جوهر دور الـ «الرباه»، وعلاقته بالأعماق الدينية والنفسية للحاخام الحاسيدى .

«إننى أجد أن هذه القدرة تنمو مع الوقت، ولكنها ليست فضيلة فىّ، وأنا لا أنسب ذلك لنفسى، إنه الميزة الجماعية لجماعتنا. ويفضل إيمان الشخص فى الحاخام، يساعده فاءنه يعنيه .

أحياناً- وهذا كان يلاحظه العديد من الصالحين فى الماضى- يشعر الـ«الحاخام» فى البداية أنه غير قادر ببساطة على المساعدة، وأنه ليس لديه نصيحة يقدمها. إلا أن الـ«الحاسيدى»، عن طريق إيمانه، يستطيع أن يستخرج العون الذى يريده، ويمكنه أن يستبطن النصيحة الصحيحة. وفى الاعتقاد الحاسيدى، فإن الإيمان ليس فقط الاعتقاد، ولكنه قوة عن طريقها يستطيع الشخص أن يجلب الشئ الذى يحتاجه. فإذا اعتقد شخص، بإيمان الرجل الصالح، أن الله يمكن أن يساعده، فإن الأمر يتحقق. حتى لو الرجل الصالح أن ذلك ليس بسبب إيمانه .

وعند بلوغه سن الثانية والثلاثين، كان الحاخام بويان قد خلف وراءه سبع سنوات خبرة كحاخام ولازال ينظر لنفسه على أنه يتعلم ويتطور فى وظيفته، وبحديثه اللين ومظهره المتقشف، مثل الناسك، يقضى أيامه يتعلم ويصلى فى معبد اليهود بالقرب من

منزله فى منطقة جويلا فى القدس .

ويرتدى قبعة واسعة وبكيش (سترة طويلة) حرير سوداء، التى يرتديها الحاسيدى العاديون فى فبراير فقط أو فى المناسبات، ولكن الحاخامات يرتدونها دائماً. وعلى عكس الطوائف الحاسيدية المحافظة، فإن البويانييرين، بما فى ذلك الحاخامات، يرتدونه طوال الوقت ويرتدون سراويل، تصل إلى أخصيتهم، وكملحوظة غريبة. يرتدى الحاخام التابع لبويانيير يرتدى رابطة عنق. فهذا هو التقليد بين حاخامات الطائفة، رغم أن رابطة العنق احتقرها وهجرها معظم الحاسيديين لأنها كرمز لصيحة متفسيخة إضافة إلى أنها لاتخدم أى غرض مفيد .

وقد ولد مناحم ناحوم برير ونشأ فى نيويورك، وهو ابن لأستاذ علم نفس فى جامعة اليشيفا الأصوليين العصريين، إلا أن جده من جهة الزنه كان الحاخام حاسيدى من نسل عريق وكان محبوباً من موردخاى شلومو البويانى حاخام الهاريديين فى نيويورك. وهو الابن الرابع للحاخام البويانييرى الأصلى موردخاى شلومو بويان، الذى غادر أوروبا إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى وقد تدمرت بويان فى جاليشيا، خلال الحرب ففر والده الحاخام إلى فيينا حيث توفى سنة ١٩١٧. وقد انتقل أكبر إخوته إلى زيرنوفيتش فى رومانيا بعد الحرب وهناك أخ آخر أقام فرعاً للتجمع البويانييرى فى ليمبرج لقوف، بولندا، وانتقل الثالث إلى ليبزيج، ألمانيا. وقد اختار الحاخام موردخاى شلومو المنطقة الشرقية المنخفضة من منهاتن.

والبويانيير الأصلى كان ابن الحاخام إسرائيل ساداجوار، أحد أحفاد الشهير روزينير. ريبى (١٧٩٦ - ١٨٥٠) والذى كان ابن أحد أحفاد الحاخام بير، الماجيدى، تلميذ من أتباع (البال شيم طوف) وذهب الروزينير فى عربة مزخرفة تجرها خيول بيضاء رائعة. وعاش الساداجورى فى قصر فخم. وقد قدمه تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤)،

مؤسس الحركة الصهيونية، على أنه (رئيس أساقفة) الدولة اليهودية الجديدة التى تمنى خلقها. وكان الحاخام يسرائيل أحد القادة الهارديين القلائل فى نهاية القرن الذين أنصتوا بتعاطف إلى رجل الدولة الصهيونى الحالم .

وعندما توفى الحاخام موردخاى شلومو سنة ١٩٧٣، عقد الحاسيديون فى إسرائيل وأمريكا آمالهم - وهم البقية ضئيلة من الالاف التى احتشدت حول البويانير تزاديكيم (الصالح) قبل معسكرات الإبادة - على الصغير مناحم ناحوم لإعادة بناء مجد العائلة السابق، وقد أرسل ليتعلم فى يشيفيا روزين - بويان فى القدس، حيث علمه ووجهه كبار رجال الجماعة .

«عندما يطلب منى شخص ما النصيحة، أفكر: كيف كنت سأنصح نفسى لو كنت فى نفس الموقف؟ إذا كانت مشكلة عمل، أناقش جميع الوجوه معه، ثم قد أدله على شخص معين، داخل مجموعتنا، له خبرة فى هذا المجال، أو إلى محامى أو أى متخصص (محترف) آخر» .

«بالمثل فى الأمور الطبية، أدله على شخص ما له صلات بالأطباء والمستشفيات فى أسرتنا، لا يعطى الحاخام نصيحة مباشرة بالموافقة أو عدم الموافقة بشأن القيام بعملية. فنادرًا ما كان جدى يعطى رأياً واضحاً. وهذا غير معتاد، على الرغم من أنه قد يقترح أن يجرب الأطباء علاجاً أو إجراءً معيناً. وأنا لست على هذا المستوى بعد، لست على المستوى الروحى الذى يؤهلنى للإجابة بالموافقة أو عدم الموافقة على إجراء عملية، وبالتدريج أنخرط أكثر، وأسمع المزيد من المعلومات، وأحصل على مزيد من الخبرة» .

ترى أيهما أهم المنزل، أم الخبرة والتخصص؟ فالخبرة تساعد، ولكن الأمر له علاقة أيضاً بمستوى (الاستقامة)، فكلما كان صلاح الشخص أكثر، كلما تعاظمت معونة السماء لإعطاء الإجابة الصحيحة» .

ومنذ «تتويج» الحاخام برير سنه ١٩٨٥، تنامت جماعة البويانير بشكل مستقر، ففي الوقت توجد، حوالى ٤٠٠ أسرة فى إسرائيل (أساساً فى القدس وبنى براك)، وهناك أيضاً ١٥٠ «أسرة هاسيدية منغلقة» كما يسميهم الريبي الحاخام فى الولايات المتحدة، «وهناك كثيرون غيرهم ليسوا قرييين جداً، ولكنهم يعتبرون أنفسهم بويانير حاسيديين ويقتربون أكثر بشكل تدريجى. كثير من الناس يأتون إلى لأن والدهم أو جدهم كان هاسيدى من أسرتنا، أو له علاقة ما بجدى. وبالتدريج يعودون، واليشيفا، التى تقع الآن فى مبنى جديد رائع له سطح على شكل قبة، والذى يعيد ذكرى أيام روزين- ساداجورا- بويان العظمى، تزدهر أيضاً، ويقوم الحاخام بالإشراف على المنهج ويختبر الطلبة .

ويقول الحاخام ليفى أسحق هوروفيتش، ريبي بوسطن، عندما سئل أن يشرح كيف يصبح الشخص ريبي وينجح فى ذلك «أنها القصة الحاسيدية القديمة للحلم»، إن الحاسيدى يأتى للحاخام ويقول: «سيدى الحاخام، لقد رأيت فى المنام أننى أصبحت حاخاماً، فيجب الحاخام: «نعم ولكن هل رأى أى حاسيدى هذه الرؤية فى المنام أيضاً...؟» .

والحاخام هوروفيتش، الزعيم الروحى لمركز نيو إنجلاند الحاسيدى فى بوسطن منذ أوائل الأربعينيات، يقول أنه لم يرد يوماً أن يكون حاخاماً، رغم- أن والده، الذى كان يوقره، كان حاخاماً- فى بوسطن- منذ وصوله إلى أمريكا من فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى .

«حاولت أن أجد عملاً آخر، جربت الأعمال التجارية، تعلمت قطع الماس. إلا أننى كنت غير موفق بصورة دائمة [شليمازيل] فى العملين» .

«والآن وأنا أنظر إلى الخلف أتأمل والآلاف من أشكال الحياة التى عايشتها عبر السنين، أشعر أن الأمر كان يمكن أن يصبح فشلاً، ليس فقط فشلاً وإنما فشلاً ذريعاً..»

والحاخام هوروفيتش، والذي كانت لهجته الإنجليزية (لهجة بوسطن) فى البداية تبدو غير متلائمة مع رداء الحاخام، فخورا جداً بعمله الذى يمتد بين الطلبة اليهود وقاعات جامعات بوسطن العديدة، وهو يقول : «لقد كنا السابقين فى مجال توبة (اليهود الأصوليون المولودون من جديد). ويقول عن الآلاف من أتباعه والمعجبين به، هناك نسبة عالية أتت من أروقة الجامعات، ولديهم معرفة سابقة قليلة باليهودية أو الالتزام بالأصولية، وبالطبع، ليس لديهم معرفة سابقة بالحاسيدية ولكن بالرغم من أن العديد من الحاسيديين التابعين عصريون أنفسهم هاريديين، فهو يقول أن دوره كريسى لحاخام لا يختلف عن الدور التقليدى. ولا يعدون قصة الحاخام موسى ليف فى ساسوف، وهو علامة حاسيدى فى بداية القرن ١٩، والذي بحث عن «الأرواح اليهودية الضائعة» فى حانه روسية، استمع إلى محادثة بين فلاحين مخمورين. «أنا أحبك»، «لا ، أنت لا تحبنى «بل أحبك حقاً» ، لو كنت حقاً تحبنى لعرفت ما يؤلمنى.

«إن الحاخام يجب أن يعرف ما يؤلم الآخر». هكذا يقول، فإذا أتى إليك شخص بمشكلة طلاق، أو بمشكلات مع الأبناء، يجب أن تفكر: كيف ستتصرف لو كنت مكانه، لو أن أولئك أبنائك، وهو يقدم قصة أخرى على سبيل المثال ، تلقى عراف لوبلين المينتاجدى» (١٧٥٠ - ١٨١٥)، (كفيتلاش)، وهى وريقات صغيرة يكتب عليها الحاسيديون أسمائهم وأسماء والداتهم ويحددون مشكلاتهم، ويتوقع أن يصلى الحاخام بالنيابة عن الحاسيدى- وهى ممارسة ينظر لها المينتاجديون دائماً على المستوى الدينى أنها، تستوجب التعنيف لأنها كما يرون، تعطى الحاسيدى شعوراً بأنه ليس فى

حاجة ولا من واجبه أن يصلى لنفسه.

وحدث ذات مرة أن العراف لم يقض وقتاً فى صلاته أكثر من بقية المصلين فسأله المييتاجديون بتحدٍ «كيف تصلى لكل هؤلاء الناس بهذه السرعة» فأجاب إننى أطلب، يارب، ساعد ساكوف إسحاق ابن مثنيل [اسمه هو]. إن مشكلاتهم هى مشكلتى ...»

ويقول الحاخام هوروفيتش «إن هذه ليست مبالغة، إنها جزء مما يجربه الشخص عندما يقترب من مشكلات الآخرين» .

«أحياناً، يريد الحاسيدى أو الحاسيدية فقط إطلاعى على وضعهم المتدهور. ويكون الحوار فى ذاته هو الحل. فأنت تريد اكتساب القوة بإفصاحك عن الصعوبة، وإذا كان هناك اتصال فى (منبع الروح) بين الحاسيدى والحاخام؛ بالتأكيد يكون الشعور بالاتصال الروحى مساعداً للحاسيدى على أن يكون قادراً على اكتساب تلك القوة.

وبالطبع فإن الحالات المتدهورة تكون نسبية، فقد تكون على صورة طفل صغير طاح الأرضاً، والزوج خارج المنزل، بينما لا تستطيع الأم الوصول للطبيب. فلذلك تتصل فقط لتقول أن ذلك هو ما حدث، أحياناً قد تتصل أنت بوالدتك، وفى وقت آخر قد تتصل بأعز أصدقائك. وفى بعض الأحيان تشعر بالراحة عندما تتصل بالرباه بالحاخام، لكى تتحقق فقط أن هناك شخص ما على بعد يأخذ بيدك ...

لقد فتحت الحاسيدية للنساء. وحتى ذلك الوقت كان الباب مغلقاً دون المرأة. وكان دور الحاخام أن يرد على الاسئلة الدينية المتعلقة بالشرعة، وأن يعلم ويدرس ويعظ فى المعبد، ويقول البوسطونى، إن الحاخام الحاسيدى يفعل كل ذلك وأكثر

بكثير. إنه هناك ٢٤ ساعة فى اليوم ، وتعلق زوجته وهى تستمع للحوار بأن «أغلب المكالمات تأتى بعد منتصف الليل».

كان يوجد على المكتب المواجه الحاخام هورفيتش صندوق نحاسى، غطاءه مفتوح قليلاً، يضع داخله الحاسيدى الفدية، وهى هبة نقدية- تختلف قيمتها حسب واهبها الذى يرفق معها شكواه المكتوبة .

وأغلب الحاخامات يأخذون فدية. ومن بين الذين لا يأخذونها (جيرير)، لأن أسرته ثرية، ولوبفيتشر فقبل مرضه فى فبراير سنة ١٩٩٢ الذى أدى إلى اعتزاله، كان يمنح ورقة من فئة الدولار لكل شخص يزوره. إلا أن الفدية نصف رمزية. فمن المتوقع أن يساهم الحاسيديون بسخاء مستمر وباستمرار للحفاظ على تجمع الريسى وعلى اليشيفا، ومدارس اللاهوت والمعابد والمؤسسات الأخرى التى يحافظ عليها مقرهم الدينى.

وشقة الحاخام القدس هورويتش، (وهو يقسم وقته بين القدس وبوسطن)، الكاتنة فى إحدى ضواحي هارنوف صغيرة ومتواضعة. وقد حاول إيجاد هذا الجوار الذى كله من الأصوليين فى بداية الثمانينيات، وكنيسة الذى يتضمن الكوليل (المدرسة العليا للرجال المتزوجين، ويقف مهيباً على التل المجاور، هو محور حياة الجماعة.

يقول الحاخام هو رويتش: «إن الحاسيدية سبقت فى تحليلاتها علم النفس الفرويدى، ويمكنك أن تجد ذلك فى التلمود»، وتاماماً مثلما وتاماماً مثلما أن الاحتياجات النفسية للحاسيدى وتوقعاته من الحاخام بقيت دون تغير جوهرى منذ بدايات الحركة؛ فإن الإيمان بالقوة الخارقة للطبيعة مازال يلعب دوراً هاماً فى رؤية الحاسيدى لحاخامة، وكذلك فى رؤية الحاخام لنفسه، إلا أن البوستونى الراحل مثل البويانير الأكثر حياءً، يكون حذراً عند تناول هذا الموضوع؛ ان الحاسيديين البولنديين،

الذين كنا جزءاً منهم، يعبسون عموماً تجاه أى توقع للأحداث خارقة للطبيعة تأتي من الحاخام، رغم أن الحاخام فى الواقع يمكنه تحقيق أشياء عن طريق صلواته. كان أبى يقول عن قصص البال شيم توف، وغيرها إننا غير مضطرين للتصديق بأنها حقيقية جميعها، ولكننا يجب أن نعتقد أنها قد تكون كلها حقيقية. لقد رأينا أشياء معينة فى المنزل. ولكننا إذا حاولنا أن نناقشها مع أيينا يخرسنا، إننى أفهم الناس الذين يضعون حياتهم ومستقبلهم بين يدى الحاخام، والذين يطلبون نصيحة بشأن القرارات الهامة فى حياتهم، متوقعين أن يكون له أثر تأثير إيجابى فيها. ولكن هنالك فرق بين تقدير عظمة شخص ما، وبين أن تقول له «يجب أن تحقق لى ما أحجاجة».

وعندما يطلب منى شخص المباركة، لن أعطيه مباركتى دون أن أحاول معرفة بعض الشئ عنه، وأن أجد شيئاً ما أبنى عليه الثقة فى قرارة نفسه بما قد يحدث، والتي يجب أن تكون مباركتى قادرة على التأثير فيها.

ما وجه التفرد فى الاستجابة لدعاء الحاخام؟ والسؤال الذى يظهر دائماً هو لماذا يجب بأن تكون صلوات الحاخام مؤثرة ومقبولة أكثر من أى شخص آخر؟ فאלله، فى نهاية الأمر يستمع لصلواتنا جميعاً ...

«أن الحاخام والحاسيدى شخصان يستطيعان اللقاء روحياً. فهناك اتصال بين دقات قلبيهما. والحاخام بصفته الذى يجب أن يكون، خادماً لله بالشكل المفروض أن يخدمه بها، يخدم بالنيابة عن الحاسيدى أيضاً. وكما رأينا، تصبح مشكلة الحاسيدى مشكلة الحاخام. والآن، فى السماء، يتردد السؤال ما إذا كان هذا الشخص يجب أن تستمر معاناته. فعلى فراش هذا الرجل المريض - الذى ربما كان مرضه بسبب بعض الأخطاء التى ارتكبها، أو أيا كان الأمر - يوجد فجأة شخصان بدلاً من واحد. فالحاخام يرقد هناك إلى جواره.

«الآن ليس من المفترض أن يعانى الحاخام، فلماذا يجب أن يعانى؟ إلا أنه الحاخام يقول: إن هذا الرجل يعانى، وأنا معه أعانى».

وهكذا تدخل فضائل الحاخامات فى الميزان الإلهى، وتتنامى فى اعتقاد الحاسيديين ويذكر الحاخام هوروفيتش، فى حالته الخاصة، أنه ساعد آلاف الشباب على إعادة اكتشاف يهوديتهم ، وفى حالات كثيرة، على العيش حياة أصولية، إنهم وأولادهم أيضاً الآن، «يتبعون التعاليم طول الوقت»، وبذلك يبنون مصداقية الحاخام. وفى كل مرة يصلى فيها من أجل أحد، يضاعف بذلك مصداقيته أيضاً، وبذلك يبقى فى مهمته بزدهاء الأسود»

ويسجل الحاخام البويانير نفس النقاط، بأسلوبه الأكثر استبطاناً. «إن لدى أسماء الناس فى الكفيتلاش وأنا أحاول أن أصلى من أجلهم. والصلاة لا تعنى فقط ثلاث مرات فى اليوم. فالواحد يستطيع أن يسأل الله طول الوقت أن يساعد أحد الأشخاص. وطيلة اليوم، يكون فى رأسى حالات معينة تحتاج للمساعدة، حتى التى يجب على «نيشوس» النضائل التى تعلمتها أو إحدى الوصايا أن تساعدهم».

فى سنوات ماضية، كان هناك بالطبع توقع لتدخل القوى الخارقة للطبيعة بواسطة الحاخامات، وفى أحيان كثيرة كان يتم تحقيق ذلك. وهذا موجود فى هذه الأيام أيضاً، ربما ليس بشكل مفتوح أمام الرأى العام، كما كان الحال قبل سنوات، إلا أن ذلك التوقع موجود اليوم على كل حال .

«ماذا يعنى هذا بالنسبة لى؟ أنها تجعل الشخص يتوقع المزيد من نفسه. فكل شخص يجب أن يحترس فيما يقول. وعلى الحاخام، الذى يدرك أن كل شئ يقوله سينظر إليه الحاسيديون بطرق مختلفة، وسوف تخلل بكل الطرق المختلفة، أن يكون حذراً جداً».

«وعندما يأتى الحاسيدى لاستشارة الحاخام، فإن ذلك مناسبة خاصة. فالحاسيدى يعد نفسه. والريبي يكون قد أعد نفسه أيضاً، إننى لا أشعر أننى أتحديث بأى طريقة مختلفة.. إننى أحاول أن أفكر وأنصرف مع الناس بنفس الطريقة التى أفعالها عندما أكون مع نفسى. فأنا لا أرى أى اختلاف فى نفسى. إلا إننى أعلم أن هناك اختلاف. أعرف أن هناك عون من السماء. وأن الناس الذين تمت مساعدتهم، إنما تمت عن طريق عون السماء.

الفصل الرابع

المائدة المرتفعة

بالنسبة للحاخام البوياني، يعد التصرف بطريقة طبيعية وبشكل متسق في كل المواقف غاية شخصية وروحية هامة. فهو يقول «أن الحاخام شخص سلوكه واحد على المائدة الإحتفالية، أو بين جماعية؛ أو في غرفة نومه، ولا يتغير سلوكه سواء كان هناك كثير من الناس أو قليل . وأنا أجاهد نفسي كي لا يكون هناك أى اختلاف. أحد الحاخامات في عائلتنا، وهو هوسياتينير، كان يتبعه آلاف الحاسيديين في أوروبا قبل الحرب، وبعد ذلك بسنوات في تل أبيب، وبالكاد يتجمع حوله عشرة من الأتباع لاكمال نصاب الصلاة، إلا أن الناس قولوا أنهم لم يروا أى اختلاف على الإطلاق في سلوكه، لقد كان بالضبط نفس السلوك .

و الوجبة الإحتفالية الرسمية للحاخامات الحاسيديين يوم السبت هي أقوى اختبار لهذه الصفة. في بويان، تتم الوجبة الإحتفالية في قاعة المعبد الكبيرة المخصصة للدرس في مبنى الإيشيفا. (مدرسة التلمود)، ويجلس طرف المائدة الطويلة ذات الغطاء الأبيض، وعلى طول جانبي المائدة يجلس الأكب سنأر. وخلفهم توجد مصاطب مدرجة قوية على عجلات تدخل المكان قبل بدء الوجبة الإحتفالية، وعلى هذه الأسطح يقف الحاسيديون الصغار وطلبة الإيشيفا للمشاهدة .

إنهم يراقبون الحاخام، الذى يأكل ويشرب، يقدم فاكهة وأكواب بلاستيكية صغيرة من الخمر. وهو يقول: «ليشائيم»، وهو النخب اليهودى التقليدى، لكل شخص بالشاي. وبالطبع لا يستطيع بلوغ كل الأيادي، ولذلك يتصل بهم بالنقاء النظرات، وبحركة خفيفة من يده، يستجيب لها بحماس كل في دوره. وبينما تعبر نظرتهم صفوف الحاسيديين، ترتفع الأيدي في حركة تحية. وعندما يتحدث، تشرّب أعناقهم لسماع

الغزاة التى يقولها بعذوبة ويملؤها بتوريات وإشارات للكتب المدرسية والحاسيدية. إنه يغزل أفكاره. وعندما يبدأ أغنية، يشتركون جميعاً باستمتاع ويتميلون مع الغناء بينما يضبط إيقاع النغمات بحركات ذراعة الرقيقة ويتلو عليهم النصائح وبإشارة منه يتوقفون على الفور، وقد تستمر الوجبة الاحتفالية لساعات، وكل العيون مسمرة على الحاخام. ومن درجات سلم البهوى، تختلس النساء والبنات النظر من خلال ستار شبكة معتمة. إلا أنهن مشاركات سليات حيث لا يتصل الحاخام بهن .

وفى الفكر ملحوظة الحاسيدى، كل نشاط إنسانى طريق للعبادة، بما فى ذلك الأكل، ووفقاً للقبلانية، فإن عملية تناول الطعام، إذا تمت بالغرض اللائق، تحرر «الشرارات الإلهية» الملتقطة فى الطعام، والتى تتوق للعودة إلى أصلها السماوى، وعلى مستوى أكثر عامية، فإن وجبة الحاخام الاحتفالية هو بؤرة الأسبوع فى الساحة الحاسيدية، وهى الحدث الاجتماعى الأساسى، متشربة بالمحتوى الدين عن طريق أعانى شباط ومواعظ الربى، التى يحفظها (يردها) الطلبة المختارون، (الكتابة والتسجيل ممنوعان فى يوم السبت) فالمواعظ تسجل غالباً بعد ذلك، وتنشر عن طريق هؤلاء الطلبة أو عن طريق الحاخام نفسه، ومعظم الكتب الحاسيدية تتضمن محاضرات ألفت أساساً فى الوجبة الاحتفالية .

إن الوجبة الاحتفالية البويزية لا تحتوى الكثير من الطعام، فالحاخام يتناول وجبته الاحتفالية فى المنزل مع أسرته، ويشعر أنه ليس مستعداً بعد من الناحية الروحية لإعطاء الشرايم (بقية الأكل) - وهو عامل أساسى آخر فى الوجبة الاحتفالية .

وفى فيشنيتس Vishnitz . فى بنى براك، كما فى معظم الجماعات الحاسيدية الأخرى، فإن الحاخام رابى موشيه ييهو شوا هاجر، يواظب على إقامة الوجبة الاحتفالية، وكل شخص موجود يشارك فى تناول (الشرايم). والفيشنيتز، جماعة كبيرة لها مؤيدون أثرياء فى أوروبا وأمريكا، ولذلك لها مبنى منفصل خاص للوجبة الاحتفالية، بجانب المعبد الأنيق. وتصميمه مثل الذى فى بويان، ولكن على مستوى

أكبر، فالأعمدة ترتفع خمسة أو ستة طبقات فى الهواء.

والقسم الأقرب للحاخام مخصص لمجموعة المرتلين الرسمية، مع قائدهم ومؤلفهم الموسيقى الذى يقوم بضبط إيقاع الأغانى والترانيم الفيشنيتزية .

تبدأ الوجبة الاحتفالية ليلة الجمعة بقيام الحاخام بصلاة الـ (كيدوش)، التى تتلى فوق كأس فضى أو ذهبى من النبيذ. وهذا هو ذروة الوجبة الاحتفالية، أو السبت فى مفهوم الهلاشا، وأغلب الحاخامات يضعون الكثير من الطاقة والعاطفة فى هذه الصلاة، بينما يستمع الحضور ويشاهدون باهتمام بالغ، وتحكى القصص الحاسيدية عن الحاخامات الذين بلغوا قمة الإلحجاب أثناء الصلاة (الكيدوش) حتى أن معظم الخمر قد يخرج من الكأس. والحاخام فى بويان- تشيرنوفيت مناحم ناحوم فريدمان (١٨٦٩-١٩٣٦)، يذكر عنه أنه أسقط الكأس نفسه، ولكنه استمر فى شد الأنظار إليه وكأنه مازال ميمسكاً الكأس بيده الممدودة .

كما أن حاخام بيبالير، رابى يهيل ييهوشوا لاينوفيتش ، الذى مات عام ١٩٨٤، كان يأخذ نصف ساعة فى الكيدوش (التلاوة الاعتيادية للنص تحتاج إلى حوالى دقيقة) وهو يقفز ويدق الأرض بقدميه ويصرخ بالكلمات فى تيارات شديدة العاطفة. وفى القدس اعتاد الناس التجمع تحت نوافذ معبده الصغير ينصتون لتلاواته، وصوته المدوى فى سكون الليل .

وبعد الفراغ من الصلاة الكيدوش، يغسل الحاخام الفيشنيتزى يديه ويبدأ فى قطع أرغفة كبيرة من خبز الهالا المرصوفة أمامه. ويكمل أعونه المهمة، حيث يناولون قطع الخبز لمئات وأحياناً الآف الناظرين .

ومن خلف مقعد الحاخام، حيث المطبخ، يخرج صحن كبير تتوسطه سمكة كاملة كبيرة، محاطة بشرائح من السمك الذى هو أساس الطهى اليهودى الأوروبى التقليدى. ويبدأ الحاخام أولاً بالسمكة الكبيرة، ثم القطع المحيطة بها، ويغمس الخبز فى الصلصة، ويأكل ببطء، وكأنه غافل عن الأعين المراقبة لكل حركة، والأفواه التى سال لعابها. وهو يتناول أطباقاً صغيرة من السمك لأقاربه المقربين والعديد من كبار الحاسيديين الجالسين إلى المائدة، ثم يقوم مساعدون بالأمر مرة أخرى، ويوزعون السمك الباقى ويتناولون القطع من المائدة إلى المقاعد وتمر من يد إلى يد، بينما يشير الحاخام أحياناً للقمّة معينة من أجل حاسيدى معين. وعلى الفور، يكون كل شخص قد تذوق الطعام، والأن يبدأ شرب النبيذ وطقوس تبادل الأنخاب (لوشائيم)، كما يحدث فى بويان ولكن على نطاق أوسع .

إن العصر الحديث، عصر الأنية وأدوات الطعام البلاستيكية، ساعد الحاسيديه على تخطى بعض المشكلات الخاصة بنقل الطعام، والمشكلات الصحية للوجبة الاحتفالية. فى أيام الريبي الفيشنييتزى السابق الحاخام حايم ماير (١٨٨٨ - ١٩٧٢)، على سبيل المثال، كان أحد المساعدين يمشى عبر المائدة فى جواربه البيضاء ينقل الحساء ملعقه من وعاء الحاخام إلى أفواه الحاسيديين .

إلا أن العادات القديمة تموت بصعوبة، خاصة عندما يتم استئثارها بشكل فعلى عند الجير ، هناك إزدراء للصفوف المدرجة، النافعة لكتل الحاسيديين المزدحمين الذين يتصبّبون عرقاً، والذين كانوا يقفون معاً على أرض مسطحة ويحاولون اقتناص نظرة للحاخام، ويعتبر هذا تلاصقاً اجتماعياً، وبناء للشخصية، وشئ يستحق التقدير دينياً، ويسترجع الحاسيديين بفخر أنه ما قبل الحرب بالقرب من وارسو، كان الحاخام مناحم زيمبا (١٨٨٤ - ١٩٤٣)، يرفض دائماً الجلوس فى مكان الشرف فى (التيش) الوجبة الاحتفالية، مفضلاً أن يخوض معركة فى صفوف المشاركين الواقفين المندمجين.

ويحتفظ الحاسيديون الجيريون ببعض البيكشيات لاستخدامها في التيش، إلا أن هناك قواعد يفهمها كل واحد، فيسمح بضغط مستمر من الكتف، إلا أن ضربة الكوع تعد عملاً مشيناً، والحاسيديون المحظوظون القلائل من الشباب هم الذين يستطيعون الجلوس تحت المائدة، حيث يمكنهم الاستماع للحاخام، وربما رؤيته.

وعلى أية حال، هذه هي تقاليد الجيرير؛ وستستمر إذا كان الحاخام الجديد، رابي بنحاس مناحيم ألتر (ولد في ١٩٢٦)، سيحافظ عليه عندما يكتمل بناء المعبد الجديد مقر الطائفة في القدس، والذي تكلف ١٣ مليون دولار. لقد خلف أخاه، الحاخام سيمشا بونيم ألتر، الذي توفي سنة ١٩٩٢.

وفي كل وجبة احتفالية للحاخام، سواء كان التقليد يشجع الدفع أو التزاحم أم لا، فإن كل الحضور سوف يحركون أنفسهم، وعلى الأقل سوف يخوضون حركات الدفع والتزاحم، وعندما يبدأ الحاخام في الحديث. وبعض الحاخامات يتحدثون عدة مرات في كل وجبة احتفالية، إلا أنه، خاصة في المساء الطويل المتأخر لأيام الجمعة في الصيف، يمكن خوض معركة كبيرة للفت انتباه جماعة المصلين والحفاظ على هذا الانتباه. والحاخام البوبوفير في نيويورك، الذي يبلغ ٨٥ عاماً، يهتم كثيراً بمواعظ، يجهز لها، في الوقت الذي يجلس فيها الحاسيديون في بيوتهم يتناولون عشاءهم. هذا ما يقوله عنه ابنه ريب نافتولى وفي الوقت الذي يجتمعون فيه للوجبة الاحتفالية، وقد يكون الوقت قد اقترب من منتصف الليل، تكون الرؤوس تدلت واحدة واحدة، بينما يحاول الحاخام بعزيمة قوية أن يبقى أتباعه المهقنين بتفسيراته الأخلاقية الخاصة بتلاوة التوراة في اليوم التالي، إنه يحتفظ بتلاوة قصته الشهيرة تيشين ليلة السبت. في ذلك الوقت يكون الحاسيديون قد ملأوا بطونهم في فبراير، وأصبحوا منتبهين مستيقظين.

وفى أغلب الوجبات الاحتفالية، يكون الحاسيديون قد أكلوا وجباتهم فى البيت. وطلبة اليشيفا فى حجرة طعامهم، ولذلك فهم لا يتوقعون قطعاً كاملة من الأطباق الرئيسية للحاخام، فقط لقمة رمزية. أما الكوجل Kugel، فهو أمر مختلف. وظهور هذه المتعة المتعلقة بالطهى عند اليهود فى أوروبا الشرقية، والمصنوعة من حساء المكرونة أو البطاطس، تمثل قمة التذوق فى المأكّل فى هذه الليلة. فالطهارة لا يصنعون إثناء كوجل واحد، وإنما خمسة أو ستة من السجق المدخن الضخم، حتى يستطيع كل شخص أن يحصل على شريحة معقولة الحجم.

وبين الدروس تقود فرقة المرتلين جماعة المصلين بكاملها فى تلاوة الترانيم التقليدية أثناء تناول الوجبة. ويتم ضغطها أو مدها لكى تلاءم النغمة الموسيقية، التى يختارها قائد فرقة المرتلين. وكل مقرر حاسيدى له تقاليد الموسيقى الخاصة، وجميعهم يشتركون فى بعض النغمات القديمة المؤثرة فى المشاعر، والتى يعود تاريخها للبائع شيم توف وتلاميذه الأوائل.

وفى مودزيتش، والتى مقرها معبد متواضع فى شارع ديزينجون فى تل أبيب، يقود الحاخام نفسه الغناء وكثير من الصلوات الأساسية. ومتوقع منه أن يعرف عن ظهر قلب مئات النغمات المودزينشية، التى ألفها سابقوه، وبعض هذه النغمات نسبياً، بإيقاع المارش أو الفالس. ولكن بعضها الآخر أعمال طويلة ومعقدة. مليئة بالشجن والحزن، بالرغم من أنها عادة ماتتدرج حتى الوصول إلى غلبة التأكيد على الإيمان، فى الحركة الأخيرة المثيرة.

والحاخام الحالى، رابى دان توب مطلع على كل الموسيقى، بل إنه بدأ تأليف أعمال خاصة به، بالرغم من أنه لسوّ الحظ لم يحظى بصوت انسيابى، حاخام كليفر وعلى عكسه من الناحية الأخرى، رابى مناحم مندل توب (ليس هناك قرابة بينهما)

فى بنى براك، له صوت حلو مؤثر، وهو يغنى منفرداً فى التيشين به لإسعاد أتباعه الحاسيديين.

إذن، ما هو المفترض أن يفكر فيه احاخام أثناء «التألق»، أسبوعاً بعد أسبوع، وبعضهم يقيم احتفالين أو ثلاثة كل سبت، فى هذا العرض الذى يؤديه رجل واحد؟.

وفى سعيه من أجل الاتساق السلوكى، يلاحظ الحاخام البويانى: «هناك أشياء يجب أن يفكر فيها الشخص ليس فقط فى وجبته الاحتفالية، وإنما دائماً، وأنا لا أفكر بشكل خاص فى التأثير على الناظرين. بل يجب أن أفعل ما هو واجب على، وليساعد الله [تبارك وتعالى] هؤلاء الناس على أن بالشعور بما يجب أن يشعروا به».

«وقيام الحاخام بمناولة الطعام أو الفاكهة هو عمل رمزى للخير، والقيام بشئ طيب للآخرين. وإذا كان الحاسيدى يعتقد فى ذلك بشكل سحرى أو صوفى - فإن هذا هو جانبه فى القصة».

وهناك بعض الحاسيديين يعتقدون فى ذلك صراحة. والبعض منهم يأخذون فى جيوبهم بقايا طعام الاحتفال لكى يشارك بها زوجته وأولاده بعد ذلك فى البيت. وفى الحاسيدية اللوبافيتشية، لاتمارس نفس تقليد التيشين، ولكن الحاخام، قبل مرضه، يناول النبيذ والفودكا، وأحياناً يقف على قدميه لساعات حيث يمر أمامه صف لا نهائى من الحاسيديين والزائرين للحصول على شراب الليشيم (النخب اليهودى) والمباركة، بينما يستقر نظر الحاخام للحظة على وجه كل رجل أو صبي. وكانت الفودكا تخذن، وتفرغ فى قوارير فودكا أخرى، وتصب هذه فى زجاجات، حتى لا يخلو بيت لوبافيتشى من نوع «فودكا الحاخام» القيمة.

الفصل الخامس

باتيا والسائق

إن لوبا فيتش أو حاباد حاسيديم حالة منفصلة، وظلت دائماً هكذا. كان هذا إلى حد ما راجعاً إلى الموقع الجغرافي الأساسي للحركة حتى العشرينيات، في ليتوانيا وروسيا البيضاء، حيث لم تفلح الحاسيدية أبداً في التغلب على نظام الحاخامات المستقر. يعيش المتناجديم والحاسيديم جنباً إلى جنب، على أفضل حال، في تعايش وارتياح. كانت الحاباد علاوة على ذلك تعتبر دائماً أكثر عقلانية من الجماعات الحاسيدية الأخرى، تقول المستناجيدية إن هذا كان نتيجة للجغرافيا، كان اللوبافيتشيون هم الليتوانيون المنحدرون من موطن الميتناجيدية، وهكذا فمن الطبيعي أنهم قاموا بزرع طريقة أكثر علمية وأكاديمية، حتى في حاسيديتهم.

نظر الحاسيديميون إلى ذلك الأمر بطريقة مختلفة. فيقولون إن كل منزل حاسيدى هام متخصص في احد وجوه الحياة الدينية أو الفكرية. وأكد بالتالى بريزليف على خدمة السعادة التامة، ومدرسة كوتزك أكدت على الحقيقة والصدق، وركز فيشتنس على حب الرفقاء اليهود. وإنه وفقاً لهذه الدراسة كانت خاصية حاباد هي التأمل اللاهوتى.

إن «تانيا» التى كتبها مؤسس الحاباد، الحاخام شنوير زلمان، من المؤكد أنها ظلت المثل النموذجى للاهوت الكاسيدى. كتب شنوير زلمان أيضاً مجموعة قوانين، قيل أنها نزولاً على رغبة مجيد رب بير، حيث أراد أن يوضح أن الحاسيديين كان لديهم درجة عالية- ولم ينحرفوا أيضاً عن الهالاتشا فى أى نقطة تفصيلية هامة- حاول الحاخام شنوير زلمان أن يحصل على أنصار ضد جاعونفيلنا، زعيم ميتناجديم، بأمل إقناعه بأنه قد تم تضليله بشأن الحاسيدية. إلا أنه قد تم صده مراراً.

إن أحد المظاهر المميزة لعقلانية الحاباد هو حافز الحركة الدافع إلى طباعة الكتب. إن معدل ما لدى الحاسيدى اللوفايتى فى منزله هو خزانات كتب مليئة بتعاليم وأقوال وخطب وخطابات وكل الكتابات الأخرى لأرباب الحركة السبعة، وعشرات المؤلفات التاريخية والسير الذاتية وكتب الحكايات والأدب المرتبط. بينما تكون بعض الأعمال مثقفة وعميقة، تبدوا الأعمال الأخرى دنيوية مضجرة مؤرخة الأعمال اليومية للأرباب ومساعدتهم، ثم إنتاجها بصورة جميلة ومرتبطة بشركة حاباد للنشر فى نيويورك.

إن الربان الحالى مناحم مندل شيرصن (المولود عام ١٩٠٢) أدخل صفة مميزة له، أراد أن يتم طباعة «تانيا» فى كل مكان على الأرض حيث يعيش اليهود. (إن تانيا، بتقليد حاباد، مثل التلمود ذاته، مطبوع بصورة ثابتة بنفس الترقيم، لذا فإن كل تلك التغييرات الحقيقية فى الطباعات المختلفة هى تغييرات فى عنوان الصفحات)، إنه منذ عام ١٩٧٣ عندما تم إصدار نظام الربان ثم إنتاج «التانيا» فى مثل تلك الأماكن بعيدة الاحتمال مثل غرناطة وكالدونيا الجديدة. جلب الحاسيد الحاباد مطبعة عبر قناة السويس بعد حرب الشرق الأوسط عام ١٩٧٣ لطبع النص المبجل بالنسبة لهم الخاص بقطعة الأرض المصرية التى تم الاستيلاء عليها أثناء القتال (وتم إعادتها بعد ذلك مباشرة). وقد أحاط تلك الطبقة المميزة الجناح اليمنى الإسرائيلى بأهمية سياسية لأن الربان عارض بالفعل وبشدة أى إعادة لأى أرض تم أخذها من العرب.

إن حاباد، بالنسبة للغرباء ولمن هم غير هاريديين، مختلفة وأمر خصوصى ليس بسبب أصولها الجغرافية ونزعتها الفكرية (أو شدة ولعها بالكتب)، وإنما بسبب سعيها إلى سد ثغرة الجهل بطريقة أكبر من أى سعى قامت به أى مجموعة هاريدية أخرى، حتى أنها سعت فى أغلب الأحيان لسد ثغرة العداء بين الهاريديين واليهود الآخرين.

يمكن أن نجد «الحاباد سكاريين» يحاضرون للطلاب في الحرم الجامعي في أمريكا الوسطى، أو يعملون في فندق في هونغ كونغ، أو يقيمون احتفالاً بعيد الفصح للسائحين في كاتماندو.

إنهم يتولون زمام الأحداث - العامة ذات المظهر النبيل التي أعدت لتعزيز اليهودية - الحابادية كما يقول عنها خصومهم - في وسائل الإعلام العامة: إضاعة هانوكا مينورا ضخمة في ميلانو أو ملبورن، تقديم هدية للرئيس في البيت الأبيض بمناسبة عيد ميلاد الرّبّان، شرح «نواميس نوح السبعة» لملك سوازيلاند.

(إنه وفقاً للحالات فإن الذين هم غير يهود أو منحدرين من أصل نوح مطالبون بالتقيد بالوصايا السبع - بالمقارنة بيهود عام ٦١٣. فهي وصايا ضد الوثنية والإلحاد والقتل والسرقة وإثيان المحارم. وتقطيع اللحم من حيوان حي، وتوجب إقامة محاكم قضائية؛ قام الحاخام شنيرصون بإصدار تعليماته لمبعوثيه حول العالم أن يجعلوا هذا المفهوم كل غاية رجال الدولة والقادة الباسيين «ليكون بمثابة قاعدة أساسية للسلوك الأخلاقي».

يرسل الرّبّان مبعوثية حيثما يوجد اليهود أيما كان عددهم أو مهما كان بعدهم عن معتقدتهم القويم. يأتي المبعوثون دون دعوة ليعطى ويفسر الملحوظة، ويطلق بحثهم الدؤوب عن الأرواح اليهودية فأقاموا المدارس والمعسكرات الصيفية، وقاموا بزيارة المرضى، وإقامة شعائر يوم السبت في حرم الكليات، ودعوة الطلاب إلى منازلهم. يحاولون الإمتزاج بالجمالية المقامة، إلا أنهم في بعض الجاليات يتم الحقن عليهم باعتبارهم مبعوثين طائفيين، وتجعلهم القيادة المحلية على الهامش؛ وناصب بعض اليهود العداء للمضايقة المستمرة من جانب الحاباد مكاريين - غالباً - وكانت هذه الحالة بصفة خاصة في روسيا قبل الجلاسنوست - يعملون في أماكن لا تكون فيها

يهودية منظمة أخرى.

تَقُولُ حاباد أن لها ثلاثة آلاف مبعوث. يتضمن العدد زوجات المبعوثين اللاتى يعتبرن شركاء كاملين فى المهمة وعليهن العمل بجد مثلما يعمل أزواجهن، وهم منتشرون فى ثلاثة وثلاثين بلد حول العالم، وفى أربعين ولاية فى الولايات المتحدة الأمريكية. هذه الشبكة تجعل الحاباد أكبر منظمة فى الهاريديّة وتفوق الأخريات بمراحل.

أقام المبعوثون المعابد اليهودية، والمدارس، ومدارس الحضانة، وبرامج تعليم الكبار، وبيوت الطلاب، والمقاهى، حتى مراكز علاج سوء استخدام المخدرات. ومن المتوقع أن يقوموا بتنمية مواردهم المالية الخاصة بهم من داخل الجالية، كما يقومون بالتبشير والحديث وإلقاء المحاضرات حيثما يتسنى لهم منبر الوعظ أو المنصة غير منزعجين من الهجوم عليهم، ولا يفسدهم النجاح وغير هيابين من الفشل. إن رجل الحاباد فى مدريد الأمريكى الأصل، يوسف جولّد شتاين- ظل هناك لعشرات السنين إلا أنه يعتبر كفريب من جانب التمسك بالتقاليد بشدة لكنه لا توجد جالية السيفارديم من غير اليهود بدرجة كبيرة فى العاصمة الإسبانية- يرسل أطفاله إلى مدارس حاباد فى فرنسا أو المملكة المتحدة فى سن التاسعة. ولم يفكر مع هذا الانتقال. إن اتمرار خدمة المبعوث فى أى مكان معين يقره الرّيان.

إن باتيا كالما نصون، على سبيل المثال، تبدأ يومها العملى فى السادسة صباحاً كل صباح طوال الثمانية عشر عاماً الماضية، تطهو الطعام فى مدرسة لوبقيتش فى ضاحية أورفوير وهى إحدى ضواحي باريس. وتقول إنها مؤخراً تصل متأخرة قليلاً؛ ليس لأن السادسة صباحاً وقت صعب بالنسبة لإمرأة فى أواخر الستين من عمرها وإنما «بسبب نمو المدرسة بدرجة كبيرة، شكرًا لله، حيث أن لدينا الآن هيئة إضافية

للمطبخ»، مازالت تنهض فى الفجر أيام الجمعة عندما تقود سيارتها المينى باص لسوق الجملة للفاكهة والخضر لتشتري الإمدادات للأسبوع التالى، وتشرح قائلة: «أود الحضور مبكراً، ليتسنى لى الخيار الأفضل، إنها تأخذ زوجها شوليم منديل معها إلا إنها هى التى تقود السيارة وتقول أكون عصبيه قليلاً عندما يقوم أحد ما بالقيادة».

باتيا، التى تغطى شعرها بياروكة على الغرار الهاريدى ومرتاحة جسدياً مثل اليديش رغم مدة بقائها خمسة وأربعين عاماً فى فرنسا، هى سائقة أوتوبيس ضليعة. عندما بدأت المدرسة فى الستينيات بدأت تلتقط الأطفال من أوبرفير والضواحي المحيطة وتعيدهم إلى منازلهم ثانية بعد الظهر، وتقوم بالأعمال الإدارية أثناء اليوم، ولا تزال تقود الأوتوبيس لو لم يظهر السائق.

تقول: «إنها تود التوقف عن العمل، وغالباً ما تفكر فى ذلك. فلديها الكثير لتقوم به فهى تحب القراءة على سبيل المثال. وبإمكانها قضاء المزيد من الوقت مع أحفادها؛ إلا أنهم يتوجب عليهم الحصول على ثلاثة أشخاص ليحلوا محلها. وإن طلبات الرّبان كثيرة. وإنه قاس كثير المطالب! ويعمل هو نفسه بجد بطريقة مذهلة».

إن باتيا كالما نصون وزوجها شوليم مينديل لم يكونا مبعوثين نموذجيين. لم ترسلها مقر القيادة فى بروكلين إلى باريس لكنهما وصلا إلى هناك قبل أن يبدأ نظام المبعوثين فى الظهور بصورة رسمية بفترة طويلة. لكن باتيا بالمعنى العميق هى النموذج الأصلى للوبافيتش هاسيد والمبعوث التى تعيش كل حياتها فى خدمة الرّبان والحركة. وإن باتيا وشوليم مينديل غرسا قيمهما فى عائلتهما، إن ثمانية من أطفال كالما نصون التسعة هم مبعوثون حاباد أو مدرسون فى باريس أو للجاليات اليهودية حول العالم.

جاء مولد باتيا فى عائلة تشن، وهى بارزة من الحاسيديم اللوبافيتش فى روسيا. إن ذكريات طفولتها، فى قرية صغيرة ثم موسكو، مليئة بالتوتر والخطر حيث أن والدها

وأصدقاءه حاولوا الحفاظ على التقاليد القديمة فى مواجهة النظام الجديد «ومخلبه اليهودى الإدارة اليهودية فى الحزب الشيوعى»، وقد هربت العائلة عام ١٩٤١ ناحية الشرق واستقرت فى سمرقند مع مجموعات اللاجئين اليهود الأخرى من روسيا وبولندا، كانت الحياة قاسية هناك إلا أن المضايقة الدينية كانت أقل شدة لأن اليهود المحليين كان معظمهم من السفاردى، وقد دخل ثلاثمائة طالب لوبافيتش القبو، وعندما إنتهت الحرب ثم إعادة الوطنيين البولنديين ونجحت عائلة باتيا العبور كبولنديين أيضاً، ووجدوا أنفسهم فى قصر متهدم خارج باريس بعد قضاء سبعة شهور فى معسكرات المرحلين بالقرب من فيينا؛ حيث تم وضع لجنة توزيع مشتركة، جمعية خيرية يهودية أمريكية، فى خدمة جماعة حاباد، وأقاموا مدرسة بنات فى الدور الأرضى حيث يعيش فوقه العديد من العائلات (إن مدرسة بيس ريفكا العالية للبنات اليوم ومعهد تدريب المدرسين يحتلان أماكن منفصلة قريبة بينما يستخدم القصر كمركز خدمة اليهود اللوبافيتش فى فرنسا).

وبعد عامين فى أيرلندا حيث قام شوليم مينديل بذبح العجول للتصدير، تقول باتيا: «لم يكن هناك أى من اللوبفينش وتعودنا على أن نكون مع أنواع أخرى من اليهود» فكرنا فى الذهاب إلى أمريكا. وقد رحل والدى إلى أمريكا مع شقيقى وشقيقتاى. وطلبنا من الحاخام وكان الرد: إسألوا أصدقائكم فى باريس وفهمنا أن ذلك معناه أنه علينا البقاء هنا».

واستمروا هناك، وعمل شوليم مينديل كذايح شعائرى وقائم بالتختين وكانت الحياة هادئة، وغير ممتعة بصورة إجمالية. وتذكر باتيا «ذهب رجل عجوز إلى الربآن ليشكو من عدم وجود يهود فى أوبرفير. أجاب الربآن. «حقيقى!»، «لكن هناك مائتى عائلة يهودية لماذا لم تتصلى بهم؟ ربما نستطيع أن نبدأ بمدرسة...»

«قال الرجل العجوز إنه لم يرى يهودياً آخر سوى عائلتنا القليلة. إلا أن شوليم مينديل التقط دليل التليفون وبدأ البحث عن الأسماء اليهودية. أرسل دعاوى توديع الملكة (يشير إلى عشاء يوم السبت ليلاً، إن السبت هو الملكة أو العروس). ويجب أن ترى ما ينتهى إليه الحفل. ولقد حضروا جميعاً مؤخراً من شمال أفريقيا. قابل البعض أناساً لم يروهم لسنوات ولم يعرفوا أنهم كانوا يعيشون فى الجوار، وعندما أحصينا الأسماء وجدنا أن هناك مائتى عائلة!».

«لذا بدأنا المدرسة. عمل زوجى أياها وليالى. دفع الكمبيالات من المرتبات. عبر باريس جيئة وذهابا يجمع المال لكنه لم يكن أبداً جيداً فى هذا الأمر. كانت بناتنا أول المدرسات، وتولت بالتدريج الفتيات خريجات مدرسة بيس ريفكا التدريس. قال الربان: «فلتقيموا معسكراً يومياً فى الصيف». وقال إن المعسكر سوف يجلب المال، وأتى بالفعل بالمال.

كانت المدرسة فى بادئ الأمر للأولاد فقط. لكن أولياء الأمور ضغطوا علينا لأن نقبل البنات بالمدرسة. لذا فقد أقمنا مدرسة بنات منفصلة. وتطورنا ببطء. طاف زوجى على المنازل يقرع الأبواب ويطلب من الناس أن يرسلوا بأطفالهم إلى المدرسة. والداى فى نيويورك كانا قلقين بشأن عملى الشاق جداً. لكن الربان قال: «إن الله يفرج بعملكم. فأعملوا بجد أكبر! إبعثوا بوالديكم ليقابلونى ولسوف أتعامل معهم».

«بدأت العائلات منذ ذلك اليوم فى إرسال أبناءهم إلى المدرسة، وسرعان ما حدث لنا إنفجار كان من الواضح أن ذلك هو نتيجة لمباركة الحاخام. ولا يمكنك فهم هذا الأمر على نحو آخر. إلا أننا كان لدينا شعور العائلة الرائع فى المدرسة. يقول كل الآباء ذلك أيضاً. وإن التعليم حقاً جيد.

وكتب زوجي إلى نيويورك منذ اثني عشرة سنة بأن المدرسة وتمويلاتها صارت أكبر من أن يتولى شأنها ويجب أن يرسلوا أحداً إليه. كانت الإجابة: «لديك شخص بالفعل عندك ...» وهو مناحم دويتش زوج أبنتنا. كانا متزوجين مؤخراً وعلى وشك أن يعودا إلى إسرائيل».

يوجد بالمدرسة الآن خمسمائة وخمسون تلميذا حتى سن الرابعة عشر. الحاخام دويتش، وهو الآن في الخامسة والثلاثين، هو مدير المدرسة. شقيقة زوجته، هايا نيسلقتش، هي الناطرة. وشقيقة أخرى، سارة، تدير حضانة الأطفال، والشقيق الأصغر يوسف أسحاق مدرس. والمصاريف ألفان ومائتان دولار سنوياً إلا أنه ليس كل واحد يقوم بالدفع. يقول دويتش أن عليه أن يدفع المبلغ إلى خمسمائة ألف دولار سنوياً من مصادر خاصة. هناك بعض الدعم في متناول اليد من الحكومة والسلطة المحلية (شيوعية) لمثل تلك المدارس الخاصة، ولاحظ دويتش بفخر أن منهج المدرسة «معترف به تماماً» وأن نتائج الإمتحان جيدة باستمرار، ويقوم الأطفال بدراسة مواد يهودية في الصباح، ومواد عامة بعد الظهر، ويذهب معظمهم إلى المدارس اليهودية العليا.

ثم ضغطت المدرسة في سلسلة أبنية قديمة وأكواخ سابقة الصنع، لكن الأطفال يبدون فرحين تماماً، ولو أتيت فرصة لقاء مجموعتين من الوالدين في الساعة الثانية في ليلة السبت في دار بيتزاكوشير على بعد من بيجال فإن الوالدين يشعرون بالفعل بالرقى والاحترام تجاه عائلة كالما نصون وعائلتهم الممتدة من المدرسين.

إن مطعم بيجال تكتنفه أنوار النيون بشكل نجمة داوود؛ مما يجعله ساطعاً بجانب الإعلانات الأخرى بالمنطقة، وما يشير إلى تزايد الشعبية لأكلة كوشير في باريس هذه الآونة. يوجد أكثر من ستين مطعمًا للكوشير تحت الإشراف الحاخامي في العاصمة الفرنسية، بداية من أماكن تناول اللبن والفلفل حتى أرقى وأشيك المطابخ، ولقد كان

يوجد عشرة مطاعم بالكاد منذ حقبة مضت. هل إتساع المطاعم يعكس إرتفاعا فى الإستقامة الدينية بين يهود فرنسا السبعمائه ألف، وهى أكبر الجاليات فى أوروبا؟ إنه من الواضح أن يعكس تزايد رخاء مئات الآلاف من السفارديين الذين هاجروا من المغرب والجزائر وتونس فى الخمسينيات والستينيات، الذين فاقوا الآن عدد اليهود الأشكناز الأصليين.

قال ثيوكلين، زعيم اشتراكى بارز فى العهد البائد «إنهم يحبون أن يكونوا معا، فيشعرون بأنهم بخير، مشيرا إلى هذه الاستقامة المرفهة. وإنهم يحبون أن يشعروا كما لو إنهم فى إسرائيل»، أما بالنسبة للحاخام الكبير السابق، الجزائري المولد، رنيه صمويل سيرات لم يكن هناك شك، يقول: «هناك عودة إلى الدين، تراها فى عدد من المطاعم والجزارين اليهود والمعابد والمراكز اليهودية الجديدة حتى فى أكثر الأماكن بعدا، علاوة على عدد المدارس. كان يوجد عام ١٩٨٨، سبع وسبعين مدرسة يهودية، ومائة وواحدة حضانه أطفال، وهنالك المزيد باستمرار».

لم تكن لوبا فيتش هى شبكة التعليم التقليدية الوحيدة والأكبر فى الجالية اليهودية الفرنسية. «إن عوتزار خاتورا، وهى حركة سفاردية عالمية، تدير المدارس فى باريس ومدن إقليمية عديدة، وهناك منظمات أخرى نشطة فى «تجاوز الاستقامة» لكن لوبا فيتش حازت على الثقة لأنها فى الإتجاه الصحيح منذ بداية إنعاش المعتقد الدينى. ويتذكر الحاخام شمويل أزيموث قائلا: «كنت مازلت طالبا غير متزوج. استدعانى الربان الساعة الخامسة والنصف ذات صباح وأخبرنى أن أذهب إلى فرنسا. وتعنى لى النجاح. وسألنى الربان: هب تعلم ماذا يعنى ذلك؟ إنه يعنى النجاح الكبير جدا الذى لا يمكنك تخيله».

اليوم، يدير أزيموث «شبيبة لوبافيتش» فى باريس، التى تقدم ثمانية حصص أسبوعياً للكبار حول المدينة. إن مركزها الرئيس أيام الأحاد يمتلئ بالنشاط. «هناك الآلاف من اليهود التقليديين فى هذه المدينة حيث أقتصرت فى أول الأمر حيث لم يكن يتسنى أماكن أخرى لهم فى ذلك الوقت. لا مكان على الإطلاق، ويقول أزيموث: أترى ذلك الرجل، مشيراً إلى حاسيد لوبا فيتش بلحية طويلة. إنه من كبار مهندسى الطيران فى داسولت. ويصر الربان على أن يستمر طلاب المدرسة العليا والجامعة فى دراساتهم...».

يوجد المئات من هؤلاء بأعالى تسهوا القادمين الجدد إلى مجموعة حاباد فى باريس. يرتدى الكثيرون منهم الحاباد شابات «زى خاص»: قبة سوداء من الجوخ الناعم، معطف طويل أسود مطوق بحزام سميك بشرابتين تصلان إلى الركبتين.

لا يجعلهم «الزى» مميزين عن الأرثوذكس الأصليين أو اليهود الأصليين حقيقة، إن أحد الملتحقين وهو محاضر فى تجمع حاباد فى باريس - الذى فقد معظم مستمعيه بصورة واضحة بما فيهم اثنان من الحاخامات تحول إلى اليهودية - وقد بدأ يثير الإنتباه عندما تصادمت زوجته اليهودية مع حاباد منذ سنوات عديدة.

ولو أن المظهر الحاسيدى واللحية قد يعطيان إشارة على الكثير من الصدق والحماس فإنهما أيضاً يخفيان الجهل الكثير. يجعل الباعالى تسهوا التحول من غير اليهود إلى مظهر الحاباد الحاسيدى فى غضون شهور. إنهم مثل الحاسيديين إلا إنهم لا يتحدثون مثلهم. إن هذا التعارض عرض الحركة إلى النقد الكثير والسخرية من جانب الجماعات الهاريدية الأخرى. وتسبب فى الإنتقاد حتى من جانبهم هم. يقول أحد بائعى الكتب فى باريس، خريج يشيفا حاباد فى المغرب: «إن الكثيرين جداً من تسهوا باعالى حاباد جهلة، يصيحبون ويصافحون إلا أنهم لا يدرسون».

طارت باتيا وشوليم مينديل كالما نصون إلى نيويورك كل عيد صفح لقضاء الإحتفال بالقرب من الرّبان. وتذهب ثانية بمفردها فى الصيف لتكون مع والدها. إن شقتها المتواضعة تزينها صور فوتوغرافية صغيرة لعائلاتها وصور كبيرة ولوحات للرّبان ومن سبقوه. ويظهر الرّبان شنيرصون فى بعض تلك اللوحات وهالة القداسة اللامعة حول رأسه.

أفاضت باتيا بأن ولديها ولدا بعد سبع بنات «وقد جاء الولدان تلبية لطلب الرّبان. لكن هناك غموضاً قليلاً بشأن الوقت الذ أثارت فيه هذا الموضوع مع الرّبان. هل كان هذا بعد البنات السبع؟ أو كان هذا قبل ذلك، وجاءت بعض البنات قبل مباركته؟ فهى لا تستطيع أن تتذكر هذا إلا أنها تتذكر مدى الشجاعة فى طلبها الولد الثانى بعدما ولدت الأول.

إن إنها الأول مع زوجته فى أستراليا حيث تخدم إحدى بنات كالما نصون مع زوجها كمبعوثين وأبنته أخرى «فى مهمة» مع زوجها فى إيطاليا، وأبنة أخرى وزوجها مبعوثون فى كونكتيكت، وأخرى متزوجة من مدرس فى موريس تاون فى نيويورك. هناك أبنة واحدة وزوجها يعيشان فى نيويورك لا تستخدمها الحباد، ومع هذا فهما حاسيد بمثابة متشددان.

إن الرّبان وزوجته المتوفاه تشايا موشيا شنيرصون، كانت أبنة الرّبان السابق، أمضيا معظم فترة ما قبل الحرب فى باريس حيث درسا فى السوربون. وإنه من الواضح أن هذا حدث غير عادى فى السيرة الذاتية لرّبان حاسيدى مع أن شوليم مينديل الباريسى لمدة خمسة وأربعين عاما لم يظهر أى اهتمام لمعرفة المزيد فى هذا الشأن. إننا نعرف مكان يلتزىل، الحى اليهودى السابق، حيث يقف الرّبان يصلى مشيرا إلى مبنى أثرى قديم، أين عاش؟ ماذا فعل؟ من كان أصدقاؤه؟ ولم يكن شوليم مينديل فى وسعه شئ حيال

ذلك، ولم يكن قادراً فى الحقيقة على اكتشاف الكثير من قراءة السير الذاتية الرسمية المتعددة وكانت الفترة الباريسية محددة تحديداً كروكيا. «ماذا فعل؟ تعلم التوراة بالطبع!» هذا ما يقوله شوليم مينديل، من كان معلمه؟ يبدو أن السؤال أذهل شوليم مينديل. «لم يكن للربان معلم. من الذى يستطيع أن يتعلم مع الربان؟».

الفصل السادس

نريد المسيح المنتظر الآن!

كان الرّبان اللوبا فيتشى يقف كل يوم أحد، حتى إصابته الدماغية فى أوائل ١٩٩٢، لساعات حيث تصطف الجماهير: وهى مزيج من الحاسيدين ويهود من كل طائفة، من شتى أنحاء العالم. يقوم بتسليم كل واحد كيس كبير من الورق البنّى به بطاطس مقلية قيمتها دولار (لأجل التبرع) وهو يصغى وينصح ويواسى ويتسم ويبارك، كان يتم تصوير المشهد بكاميرا فيديو، ويستطيع كل زائر شراء فيلم الفيديو الخاص به أو بها.

غالبًا ما كان يستمر وعظه ومواعظه الدينية لساعات أيضاً مع فترات راحة واحتساء مشروب «لوحايم» والغناء الجياش. ويتم نقل الإحتفال على الهواء إلى مراكز حاباد فى أرجاء البلاد وعبر البحار. كانت معظم الأغنيات عبادات، وكان يرجع تاريخ الألحان فى بعض الأحيان إلى بدايات الحركة، لكن البعض كان مديحا للرّبان بصوت مجلجل خشن حيث يستمتع به الحاخام شنيرصون على ما يبدو دون حرج.

ظهر الرّبان فى خريف ١٩٩٢ وهو مشلول جزئياً علانية لأول مرة منذ إصابته الدماغية. كان يأمل الحاسيديم ويعتقدون أنه رغم كبر سنه يمكنه أن يشفى لإستئناف زعامته النشطة للطائفة. أصر مساعدوه على أنه رغم مرضه ظل على إتصال بأحداث العالم وإدارة الحاباد، واستمرت الخطابات والفاكسات فى الإنهمار من المبعوثين والهاسيديين حول العالم بتساؤلات وطلبات، ويجب المساعدون باسم الرّبان.

إن النظام الدينى الشخصى (العبادة الشخصية) المحيط بالحاخام شنيرصون هو القضية الأساسية موضع الخلاف مع الحاباد، خاصة فيما بين الهاريديين الآخرين؛ إن

عدوه اللدود الحاخام شاح بتهمه بإضمار الضغينة للحجج الخاصة بالمسيح المنتظر: القائد الأعلى للهاريديين المیتناجين يتسم الربان الحاسیدی البارز بالإنشقاق عن العقيدة.

إن الإتهام بالنسبة للمسيح المنتظر- بالنسبة للمسيح الزائف- ربما هو الشيء الفظيع الذى ينطلق بقوة فى النزاع الحاخامى. إن أى إشارة فى الخطبة أو الكتابة الهاريدية حتى المسيح الزائف فى القرن السابع عشر، شابتاى زفى، تتبعها الكلمات العبرية «يماح شمو» (ربما يتم محو إسمه). إن الحساسية التى تحيط بذلك الحدث المتجمع فى التاريخ اليهودى يبدو أنها تضاءلت عبر القرون، خاصة فيما بين الحاخامات ربما لأن الكثير من الحاخامات القيادية آنذاك قد خدعهم زفى.

لم يزل الاعتقاد المسيحى فى نفس الوقت هو أحد الدوافع الروحية الفعالة فى المعتقد اليهودى القويم. إنه بالنسبة لكثير من اليهود العصريين فإن دولة إسرائيل هى البشر الحقيقى لتحقيق نبوءات الخلاص. الهارديم الذين يرفضون ذلك النوع من تفسير النبوءات ويتمسكون بالإيمان فى قدوم رؤيوى (نسبة إلى سفر الرؤيا)، إن كل عظة وخطبة دينية فى الدوائر الهاريدية تنتهى بصيغة تقليدية: «عسى أن يرسل القدير العظيم المسيح مخلصنا بسرعة فى أيامنا هذه»، أو: «عسى أن يساعد المقدس المبارك فى مجيئ المخلص الحقيقى بسرعة، كما يقول الإنجيل: «وسياتى المخلص إلى صهيون [إشعيا ٥٩: ٢٠]». ويرد الحضور «آمين».

إن المبدأ الثالث عشر والأخير من الإيمان الذى أدرجه الميمونون الحكماء القدامى ويتلوها الكثير من الهارديم كل صباح بعد صلواتهم، هو إعلان عن الاعتقاد الكلاسيكى بالنسبة للمسيح المنتظر: «إنى أعتقد تمام الاعتقاد فى قدوم المسيح المنتظر، حتى ولو توانى، مع ذلك سوف أنتظره كل يوم». ذهب الكثير من اليهود

المؤمنين إلى الإعدام حرقاً أو غرفة الغاز وذلك الإعلان على شفقتهم.

يقول مؤيدو الحاخام شاح إن هجماته ضد الرّبان يقصد بها التأكيد على المأساة الممكنة وبذلك يحاول الإجبار على تغيير اتجاهها. إن تركيز شينرصون على المسيح المنتظر فى مواعظه وكتابات، وتأكيداته المتكررة على أن المسيح المخلص المنتظر على وشك القدوم، عزز جوا من التوتر الحاد المملؤ بالرجاء فى كل الحركة؛ يذهب الأطفال إلى نومهم بأفضل الثياب التى يضعونها على حافة السرير استعداداً لتحية المسيح المنتظر، يخشى شاح من موجة خطيرة من الضلال فيما بين الآلاف من السنج، والحاسيديم اللوبافيتش المضليين، عندما يموت الرّبان دون تحقيق الوعد للمسيح المنتظر.

إن المناقشة المضادة للحاباد لم يتم توضيحها علناً، لأنه لم يتم الإعلان عن سيناريو بشأن وفاة الرّبان ومناقشته صراحة من جانب الحاسيديم التابعين له. ويتضمن أنه لو لم يكشف المسيح المنتظر عن نفسه؛ كان أن يعلن متحدثون رسميون حاباد أن الرّبان هو أوسوف يكشف عن نفسه بأنه المسيح المنتظر. عندما يتم توجيه أسئلة من جانب الغرباء كانت إجابة الحاباد أن كل اليهود مطالبون بالإعتقاد فى أن المسيح المنتظر قادم حيث أن مصادر التلمود تقول إن المسيح سيظهر من بين الناس، و: «هل تعرفون أى واحد على قيد الحياة الآن يصلح لهذا الأمر بصورة أفضل من الرّبان؟».

إلا أن الجانب الآخر رفض أن يتم خداعه بهذا النوع من الحديث المزدوج المتحفظ. استشعاراً بالندم من التدخل الناجع من جانب حاباد فى السياسات الانتخابية الإسرائيلية (حاباد أبرت أجودات عزرائيل ضد ديجيل حاتوراه وهو من شاع، واعدة بمباركة الرّبان الشخصية لكل واحد بصوت لصالح أجودات، قامت صحيفة ياتيد نعيمان عام ١٩٨٩، وهى تابعة لحزب شاح بتجميع ملف من كتابات وتصريحات حاباد عبر السنوات الأخيرة. كان من بينها ما يلى:

«تناقضا مع الصيغة التقليدية للإشتياق اليهودى بالنسبة لمجئ المسيح المنتظر، يتكلم اللوبافيتش اليوم عن كشف المسيح المنتظر، لأسباب واضحة...»

إنه فى إعلان غير ضار فى إحدى مطبوعات حاباد عام ١٩٨٤ ظهر الترحيب التالى:

«نأمل أن يكون العام الجديد هو عام نشر تعاليم الحاسيديم، حتى مجئ مملكة بيت داود. عندما يكشف (الرَّبَّان) عن نفسه وربما يكون فى وقت قريب فى أيامنا هذه - الآن».

(كان نص الإعلان بالعبرية، لكن الكلمة «الآن» التى ظهرت بالإنجليزية إشارة إلى وفرة الحاباد المثابرة فى أمريكا وإسرائيل: «بالنسبة ليسوع» أختارت الشعائر الآتى ليكون شعارها: لدينا موشياح الآن - إسمه يهو (اليسوع)، ظهرت الأسطورة على البوسترات، والتى شيرت فى منهاتن كلها، قال الطباعون الحاباد: إن هذا أثبت فعالية شعارهم.

وصل أحد مطبوعات حاباد الإسرائيلية عام ١٩٨٣ المشهد فى نيويورك فى إفتتاح حركة شباب لوبافيتش، تسيقوت حاشيم («جيوش الرب»): هو جيش الخلاص، جيش الملك المسيح. «شهدنا عند إفتتاح الحركة مشهدا يهيجاً عندما.. إلتف الأطفال اليهود ذوى الروح النقية حول تزايدك من جيلنا... وهذا الحشد الدينى الرابض تحت أقدام راعى وقائد إسرائيل والكل يشيرون إليه بأصابعهم ويصيحون، نحن نريد المسيح المنتظر الآن، وذلك باصوات متوسلة. ولا نستطيع الإنتظار أطول من هذا» «أكد الرَّبَّان فى خطبة أحد أيام السبت عام ١٩٨٤ على أن كل يهودى لديه القوة والواجب للمساعدة فى إيجاد المسيح القادم، «وليس باكر أو فى وقت فى المستقبل وأنما هنا والآن ... ولذلك فإنه يمكنكم أن تفتحوا عيونكم وتروا أن المسيح هنا معنا فى هذا

المعبد بلحمه ودمه، جسدا وروحا...».

أخاف ياتيد: أى واحد عازم على أن يكون مراوفاً يمكنه أن يعلن أن الرِّبَّان كان يسعى إلى تقوية إيمانهم فقط بمبدأ أن المسيح يمكن أن يظهر قريباً. إلا أن أى واحد لديه إلمام بالحماس المتعلق بالمسيح المنتظر وتوتر اللوفايتش يتوجب عليه أن يفهم أن الكلمات «هنا معنا فى هذا المعبد، لحما ودما ..» له مغزى خاص جداً.

يكتب الميمونين، فى وصف خصال المسيح المنتظر، أنه سوف (يحارب معارك الرب). رتل ياتيد كتابات حاباد -بما فيها خطبة الرِّبَّان فى عام ١٩٧٥- بمضمون أن معارك المسيح سوف تكون لأجل سلامة الأرض، وسلامة الأمة، أسماء حملة اللوفايتش السياسية لأجل إسرائيل الكبرى، ولأجل الحالاخى «الذى هو مُشرع يهودى» والحقيقة أن الرِّبَّان لم يقوم بزيارة الدولة اليهودية بالرغم من اشتراكه المكثف فى حياتها وسياستها، وهذه الحقيقة أوردتها أيضاً أعداؤه كدليل واضح على تطلعاته بشأن المسيح المنتظر، كما وأن ظهوره بالأرض المقدسة يمكن أن يحدث فقط فى نص من سفر الرؤيا.

إن هذا هو اتهام مؤثر ولو أنه ليس كمثّل اللعنة التى تكشف عنها المعارضة. رغم التلميحات المتعمدة والواضحة التى تغمر لفته فإن الحاباد وقفت على بعد قرية من عبور حدود الغموض، فلم تقل صراحة أن الرِّبَّان هو أو سوف يصبح المسيح المنتظر. ولم تقم بقيادة شعبها، من ناحية أخرى، إلى الاعتقاد بذلك أو التوقع بحدوثه.

إن التوتر بشأن المسيح المنتظر داخل الحاباد وصل فى ربيع ١٩٩١، إلى نقطة الانفجار عندما أعلن الرِّبَّان فجأة إلى حاسيدى أنه أخفق فى جهوده للإسراع فى الظهور، وأن ذلك «راجع إليكم الآن». إنه بعد احتجاج عنيف من تابعيه حول العالم شرح أنه كان يعنى أن ذلك يحتاج إلى جهد مشترك من جانبهم كلهم، ويجب أن

يحاولوا بشدة أكبر لإقناع السماء بأن الوقت قد حان لقدم المسيح المنتظر، إن مرضه فى العام التالى؛ ألقى بمجموعة المخلصين فى الرعب من جديد. أوصى بعض المؤمنين العنيدين بأن معاناته فى حد ذاتها أضافت دليلا على إمكانية حيال المسيح المنتظر، ودليلا على قرب اللحظة التاريخية.

يصر الحاخام شاح من جانبه على أن العداء المرير الذى لم يبق له مثيل فى استقامه العقيدة منذ التنافس بين جاعون قليلنا ومؤسسى الحاسيدى ليس إندلاعا جديدا للشقاق الميتناجيدى- الحاسيدى الأصلى. ثم أشعل المعنيون بالظاهرة المزيفة للمسيح المنتظر أيضا الخلاف، يعلن شاح إن جدله هو مع ربّان لوبافيتش اليوم وليس مع الحاسيديم بصفة عامة، ولا حتى مع الحاسيديم اللوبافيتش فى الماضى، إن لغة خطابه مُدَكَّرَة بصورة واضحة فى أسلوبها ومفرداتها بالانتقادات الساخرة للذعة ضد الحاسيديم فى أواخر القرن الثامن عشر. حتى أنه أثبت، طبقاً لأتباعه، أن «الحاباد هى أقرب شئ لليهودية...».

لم يكن هناك غموض أو تكتم من جانب الحاباد فى أن تغزو القوى الخارقة للطبيعة للرّبان. هناك كُتِبَ حابادى إسرائيلى يصف زيارات الرّبان المنتظمة لقبر حماء (والد زوجته)، الرّبان السابق: يصوم أثناء ذلك اليوم، يقف هناك خالعا حذائه، حتى فى البرد والثليج، لمدة ساعات على حافة... ماذا يفعل هناك لا أحد يدرى... يقف بمفرده.

غالبًا ما يحدث أن الرّبان يعود من (زيارة) القبر ويدعو إلى إجتماع «فورى» حيث يصدر تعليمات جديدة أو يشن «حملة» جديدة. أحيانا يتكلم عن القبر بتعبيرات «أُخْبِرْتُ ... أُكْرِهْتُ على ...».

توجد المقبرة فى بلدة كويتير فى نيويورك سيتى. إنه بصرف النظر عن ذهابه إلى هناك، الذى إزداد بصورة متكررة خلال الفترة ١٩٩٠ - ١٩٩١، حتى أسقطته الإصابة الدماغية بينما كان واقفاً بجانب المقبرة، لم يغادر الربان بروكلين لمدة أربع حقب من الزمان، وهو مازاد من التخمين الخارق للطبيعة المحيطة به، والذى بالتالى شجع شخصية الطائفة. «وقد تم وصفه كشخصية يهودية ظاهراتية فى وقتنا»، هذا ما أورده كراسة موجزة صدرت مؤخراً عن الحاباد، وقد صدرت كآى إصدار من النشرات فى شارع ماديسون. «إنه بالنسبة لمئات الآلاف من أتباعه وبالنسبة لملايين المتعاطفين معه والمعجبين به حول العالم فإنه «الربان» الشخصية البارزة للغاية اليوم فى اليهودية، وهو بدون شك الفرد المسئول عن إثارة الضمير والصحو الروحية للشعب اليهودى فى العالم».

إنه بصرف النظر عن الخلاف الخاص بالمسيح المنتظر، كثير من اليهود غير الموالين، واليهود غير قويمى رأى يقلقهم التنازل التام عن المسئولية الشخصية للحاسيديم الحابادية تجاه حياتهم هم. إن الأفراد الأذكاء والكيسين سيقدمون طلباً إلى المحكمة فى بروكلين لأجل الإرشاد تجاه القرارات الشخصية الدنيوية للغاية التى يقبلونها بعدئذ كقرارات ملزمة. يوجد أيضاً فى العمل المخادع للحاباد طبقاً لإنتقادات الحركة، تلطيف متعمد بين الحاباد واليهودية ذاتها، لأن القادمين الجدد إلى الحركة جاءوا ليعتبروا الإثنين مترادفين.

ليس الأمر بالأمر المناسب لأن حاباد، بعيد عن أى صنف من الهاريدية، تعلن قبولها للمساواة بين كل اليهود، الحريصين على التقاليد وغير الحريصين على حد سواء. ويقول الكتيب المصقول: عندما أثير السؤال، «لماذا تضعون التفيلين فى الشارع، وتعطون شموع السبت لرجال ونساء لم تقابلوهم أبداً من قبل؟» ويرد حاسيد لولفيتش:

هذا لأنهم بالفعل كما هم وليس بسبب ما قد يصبحون، وليس لأنه أو لأنها قد يصبح أو قد تصبح يوما ما «مستقيم العقيدة»، إنما لأنهم بالفعل يهود الآن، وأن التفييلين وشموع السبت تنتمى إليهم. إنه من حقهم والتزاما عليهم أن يحققوا الميثاق، وهذا هو امتيازنا، وشرفنا والتزامنا بمساعدتهم على القيام بهذا..

لفظ النقد وذلك كهدية تحت الإلحاح بالضغط تهدف إلى حشد غير قويمى العقيدة «المتحولين» إلى حاسيديم الحاباد، قد يجد المتعاطفون أنها مثيرة للمشاعر وصادقة. التى فقط تخدم إلى عمق الخلاف المحيط بهذه الحركة.

هناك حقيقة بعيدة عن الخلاف: إن الحاخام شنيرصون هو شخصية ساحرة إن لقاءات صباح الآحاد القصيرة معه تركت بصفة عامة انطبعا لدى الزائرين. وعندما كان يتحدث إلى أحد حاخام أو زعيم قوى أو حتى فتاة صغيرة، كان يتكلم بإهتمام دون أن يعرفه شئ آخر عنهم، إن تنبيههم العلنى يتضمن حقيقة لا يمكن مهاجمتها: إن الربان اللوبايتشى هو شخصية هاريدية سائدة لفترة ما بعد الحرب. وقد سعى بمفرده من بين الحاخامات الهاريدية إلى الإتصال المباشر مع أكبر الأعداد الممكنة من اليهود.

إن الأغلبية العريضة من هؤلاء اليهود لم يصبحوا حاسيديين اللوبايتش. إن الصفوف الحقيقية للحاباد من الأعضاء الذين يحملون بطاقات ظلت صغيرة نسبيا فهناك المزيد من الحاسيديم الساتمارار فى نيويورك أكثر من اللوبايتشيين إن عددا مُعينا من اليهود غير مستقيمي العقيدة الذين أثرت فيهم الحاباد حياتهم دفع دينهم لم يشعروا بطريقة أخرى، ولم يكن من المؤكد الإتصال بالهاريديم الآخرين. إنه فى أوقات الأزمة الشخصية، دخول المستشفى أو الشكّل، على سبيل المثال، يجد الناس غالبا الوجود الحريص للحاسيد الحابادى للمواساة. إنه فى حروب إسرائيل نجح اللوبايتش فى الوصول إلى المواقع المتقدمة جدا للترفيه عن القوات بجرعة من الفودكا أو رقصة

حاسيدية مليئة بالحيوية.

إن تشدد الحاباد بشأن السؤال «من هو اليهودى»، قد تضاعف بالنسبة لصورته المحتملة فى عيون اليهود غير مستقيمي العقيدة. وإنه من المسلم به أيضاً أن بعض اليهود بما فيهم اليهود مستقيموا العقيدة أرتبكوا من ناحية الوعي الذاتى حيال الإنتفاضة اليهودية للحاباد، ويحق الكثير على الخدمات الدينية الكهنوتية الملحة وغير الجذابة. لكن الكثير من الآخرين يشعرون بأنه قد تم إثراؤهم دينياً. وأن المزيد، الذين ظلوا غير متحركين روحياً، يشعرون بفخر معين أو بالرضا من مشاهدة اللوبايتش يقومون بعملهم دون خجل أو كلل.

الفصل السابع

الحكيم البسيط

«نحن محظوظون»، يدندن بها الصوت الجذاب لمدير المراسم الملتحي عبر الميكرفون حيث يخيم السكون على جماعة المستمعين. «حقا محظوظون». يرتفع صوته، «محظوظون لأننا نعيش فى هذا الجيل». ويتصاعد الصوت. «هذا الجيل، كبرياؤه ومجده وعظمته، هنا ليتكلم إليك الليلة...»

يقفز الجمهور مهللين ومصفقين بينما يتألق الحاخام أوفاديا يوسف، بين الحاخامات الآخرين ذوى المعاطف السوداء، فى ردائه المطرز بالذهب وقبعته الشبيهة بالعمامة الأرجوانية وهو يشق طريقه إلى المنصة العالية. وبدأوا فى الأغنية. «أضف أياما إلى أيام الملك، واجعل سنواته بمثابة أجيال كثيرة...»

هذه هى نفس الأغنية التى تقدم التحية للحاخام شاح. ولكن تنطق الكلمات بالطريقة السيفاردية والتى هى أيضا طريقة العبرية الإسرائيلية الحديثة بدلا من الأشكينازية القديمة وهى الطريقة الأوروبية. شانيم (سنوات) بدلا من شونيم، توسيف (أضف) بدلا من تويسيف. لكن بنفس الارتفاع والنغمة تتكرر وتتكسر. إنها إرتفاع غربى مميز، ليس به أى من الأساليب الرقيقة للموسيقى السيفاردية.

تكرر المشهد فى عشرات التجمعات الإنتخابية لحزب شاس فى أوائل صيف ١٩٩٢، عندما جذب الحاخام يوسف حشودا أكبر من كل من المتنافسين على رئاسة الوزراء: اسحق رابين رئيس حزب العمل، واسحق شامير زعيم الليكود.، خلافا للسياسين الذين يقومون بالحملة بطريقة تقليدية بالسيارة أو ميني باص، فإنه سافر بطائرة هليكوبتر من لقاء إلى الآخر. ولم تكن هذه ببدعة بالنسبة له: إن الشعبة التعليمية، إل

هامايان («إلى المصدر») يستأجر طائرة هليكوبتر كل سنة لحملة القائد الروحى الموقر على نطاق قومى وهى حملة «التوبة والصحوة» خلال شهر أيلول، قبل أيام عطلة العيد الدينى الكبير. يطير فى بعض الليالى إل ثلاثة أو أربعة أماكن. يطير مرتين فى السنة على الأقل إلى الخارج لزيارة الجاليات السيفاردية.

تنوع جماهير المستمعين لكن الروتين المتحفز دائماً كما هو. إنه جوهر هذا الروتى، إنها المبالغات التى تعبر عن الحارديمية السفاردية الفردية فى التبجيل الإجماعى لهذا الرجل الوحيد. ما من متكلم أشكينازى يفكر فى الإطراء بإفراط تجاه حاخام على قيد الحياة أكثر من أولئك الحاخامات فى الماضى أو من الجيل الحالى أكثر من الحاخامات السابقين. ويقول التلمود: «لو كان الحاخامات الأوائل مثل الملائكة فإننا حينئذ مثل الأشخاص» وإذا كانوا مثل الأشخاص فإننا حينئذ مثل الحمير، إن القاعدة الثابتة، التى تكون كل وجه من وجوه الحياة الهاريدية فيما بين الاشكيناز، هى أن «الأجيال أخذة فى الإنحدار». وأنه لذلك فإن الهارديم ينظرون إلى الورا، دائماً إلى الورا، وذلك فى التعليم والقيادة والنورع والمثل الشخصى.

إن الحاخام شاح، على سبيل المثال، يفضل عمره الكبير ومقامه الرفيع، يشير إلى أنه «المتبقى من الجيل الحكيم»، أو «العضو الباقى من العظماء». إن أبلغ تقدير يمكن أن يقدم إلى عالم موقر هو جعله مرتبط بالعصر الماضى. الحاخام يوسف، من ناحية أخرس يجلس بنظارته الداكنة (يعانى من حاله مرضيه فى عينه) بينما يعلن مدير المراسم أنه ما من أحد مثله ظهر «فى حقبة زمنية، فى قرن، فى أجيال طويلة». لم يعترض الحاخام لأن البيان ببساطة تامة دقيق. إن الشعب اليهودى السيفاردى لم يأت منه حكيم بهيئته منذ مائة سنة. إن ليس فى شمال إفريقيا، ولا فى العراق ولا سوريا ولا اليمن حيث كانت التجمعات السيفاردية الرئيسية حتى بدأوا كلهم فى التحرك إلى

إسرائيل أو الغرب بعد عام ١٩٤٨ .

يعرف أن ثقافته المتميزة ، والتبجيل والإعجاب ، هي أمور مقنعة وعناصر أساسية في حد ذاتها في الإنتعاش الدينى الحالى فيما بين السفارديين . حيثما يذهب ، في إسرائيل أو الخارج ، فإن جماهير الناس تندفع لتقبل يده أو حافة ردائه . الكثير هم من الطلاب في (اليشيفا) أو خريجي الجامعة ، وهي ظاهرة في المجتمع السفاردى . وكثيرون منهم ، تمسكوا مؤخرا بالأصولية . هو بالنسبة لهم بطل ، وقمة النموذج النهائى . وبوقره السفارديم الذين هم من غير الأصولين . إن التبجيل الشخصى حياله أمتد ليكون من جانب اليشيفا والحاخامات ... وتم ترجمته إلى التأيد الإنسانى . وصارت الحارديمية بين السفارديم ، صارت شعبية بصورة مفاجئة ، وصارت شكلاً سائداً أيضاً .

إنه فى بوينس آيرس ، بينما يتم استيعاب الجالية الاشكنازية بسرعة ، تحتفظ الجالية السفاردية بأعداد ، وتتحول بصورة متزايدة إلى «اليمين» دينيا تحت تأثير كادر جديد من الحاخامات الهاريدية . كلهم يعتبرون أنفسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمثابة حوارى يوسف .

إنه بالنسبة لسيفاردى العالم ، فإن الحاخام يوسف هو بؤرة كبريائهم السفاردى . وحيث تشامخ على الاشكيناوى وتفوق عليهم فى دراسة التلمود ، ولو أنه يحمى التقليد السفاردى ، ويؤكد بشدة على الحقيقة السامية للأحكام والطقوس السفاردية ، وإذا تم إثارته فبكشف عن خط متشدد من الشعور المعادى للأشكيناوى .

وعند السؤال عن سبب عدم قيام اليهود السفارديم بتقديم شريعة خاصة لهم لأمد طويل ، حيث شرح يوسف قائلا : «إن السبب بسيط . لم يكن هناك أى يشيفا . فإنه يتعلم بمفرده . إلا أن التعلم بمفرده هو أمر شاق . يقول التلمود ذاته : إن الذى يتعلم بمفرده معرض لأن يغفل عن الطريق المناسب للفهم .

إن أول يشيفا لدينا كان يورات يوسف (فى القدس)، وكانت صغيرة جدا. أرادت عائلات قليلة جدا أن يرسلوا أبناءهم إلى اليشيفا. حتى عشرون أو ثلاثون سنة مضت كانت اليشيفا (السيفاردية) الوحيدة فى العالم. لكن الآن، وشكرا لله يريد كل واحد أن يتعلم. هنالك الكثير والكثير من اليشيفا. يتوسل الأباء إلى اليشيفا لأجل قبول أبنائهم، ولم يكن هناك أماكن كافية؛ هذا يرجع أيضاً إلى الحكماء العظماء فى الجيل «الذى نزل» إلى الناس وشرح لهم ماذا تعنى يشيفا، ماذا يعنى التعليم، وسبب أهميتها لأبنائهم ليكونوا دارسى التلمود. لم تكن هذه القيمة موجودة من قبل فى مجتمعنا.

إن إشارة يوسف الغامضة إلى «حكماء الجيل العظماء» هى طريقته فى الإشارة إلى دوره الرئيسى فى نمو اليشيفا السيفاردية. «لدينا الآن جيل من الشباب الممتاز، نغمس فى التعليم. وسوف يزدادون ويتضاعفون بعون الله.

وأضاف: «أنه بالطبع، هناك يشيفا أشكنازى أيضاً تستقبل تلاميذ سفارديين حتى نسبة معينة مهما تكن الظروف. إن التعليق بمثابة لطمه إزاء التناقض داخل اليشيفا الليشوانية» حيال الطلاب السيفارديين. إلا أنه يعكس أيضاً تناقض لوسط الوجدانى تجاه «الليشوانيين». ويقول: «إنهم يظنون أن حاخاماتهم هم الأفضل». «ويظنون أنهم يعرفون كل شئ».

إنه بعد انتخاب ١٩٩٢ التى خاضها حزب شاس، بمفرده، وبينما شكل أجودات إسرائيل وديجيل كتلة واحدة، أفلت يوسف فى النهاية من أبوية شاس وأحيانا الوصاية التى تتسم بالإزدراء. قال الحاخام شاس فى اجتماع للحاخامات فى بنى براك، فى تعليق غير مدروس قبل الانتخابات بفترة قصيرة، أن السيفارديم لم «ينضجوا بما فيه الكفاية ليقودوا سواء كانت القيادة فى التوراة أو فى الشؤون القومية». وما أن إنتهى الانتخابات- وتم تبرير جهود حملته- أصدر يوسف تعليمات إلى أعضاء الكينسيست من

«شاس» بالتفاوض بشأن إتفاق الإئتلاف مع المل، وأمرهم بالتمسك بها حتى ولو قام رابين رئيس الوزراء بإسناد وزارة التعليم إلى مسز شولاميت ألونى، زعيمة حزب الميرتيز العلمانى، تعهد رابين وألونى بالإدارة الذاتية للتعليم الهاريدى، تحت إشراف نائب الوزير وهو من شاس؛ ووعد رابين يوسف أيضاً، فى خطاب شخصى، إن منهج «التراث اليهودى» الذى يتم تدريسه فى كل مدارس البلد لن يختصر.

قاد الحاخام شاس صيحة ضد «التخلى عن مليون طفل (الأطفال من غير الهاريديين) وتحركهم عرضه للامداتداد العقائدى»، قام مع ذلك هو وحاخامات الميئناجيد بإصدار «مرسوم دينى» يمنع الهاريديين من الإلتحاق بالحكومة. تجاهل يوسف أخيراً هذا المرسوم.

ويمثل الحاخام يوسف رغم ثقافته الواسعة، وربما بسببها، نموذج تراث الشعبيو التي تميز الحاخامية السيفاردية عن نظيرتها الإشكنازية. إن الوصف الذى يستخدمه دائماً بسيطة وعميق. وله قصد أو حكاية فى كل لقاء عام، يحكيها بالعبرية العامية (لا يعرف أى لغة أخرى) ويمس الوتر الحساس عند المستمعين على اختلافاتهم. ويسميه الإشكنازيون الذين ينتقصون من قدره «البدائى غير العصرى»، ويسخرون من زوجته مارجاليت، وهى إمراة واقعية تظهر حوله مثل الحارس الخاص. وأحياناً يعبود مزاحه الجاف، وقد حكى لمجموعة من حاخامات شاس أن شامير، رئيس الوزراء، «أكل القوارض» وذلك فى إحدى مراحل فشله فى مناورته السياسية عام ١٩٩٠ (إشارة إلى ميل شامير لأكل أرجل الضفادع وأنه خبير بالمأكولات والمشروبات الفرنسية، وهى غير أكلات (كوشى)، إن مسز شولاميت شامير «هى سيدة لا تأكل فى مطعم يهودى إذا كان بإستطاعتها الأكل فى مطعم غير يهودى»، أريل شارون «لا يأكل» القوارض، لكنه يحب الخنزير، والمراقب العام (أقوى رجل مهيب يحقق فى تهم

أختلاسات شاس) هو «عدو حقيقي لليهودية»، وكمدعى عام «ربنا يخرّب بيته» (شتيمة عربية شائعة).

ويكون نادراً مثل هذا السلوك الذى يعبر به قائد حكيم وروحى عن نفسه. إلا أن أولئك الذين يعرفون يوسف جيداً يعرفون أن طريقته الشائعة للحديث تأخذ الشكل التهكمى. ويشعر أن أوراق أعتماده لا يشوبها شئ ويتسنى له أن يتمتع بالخطوة عند الجمهور، ويحاول خصومه ومنافسوه أن ينهشوه باسنانهم.. بسبب شعبيته مع جماهيره.

رغم أنه كان مطالباً بحكم القانون أن يعتزل كرعيم سفارى للحاخامات فى إسرائيل عام ١٩٨٣، فى نهاية العشر سنوات من تولية؛ فإنه لا يزال يرتدى رداء ذلك المنصب ويصر على الاحتفاظ بلقب «الأول فى صهيون» مما يكدر خلفه. إن لقبه كرئيس الحاخامات، ناقشها يوسف مع نظيره الأشكنازى، شلومو جورين اللامع والعاصف، ذات مرة توقف به المصعد بين الطوابق فى فندق مانهاتن حيث نوهت مارجاليت بكل جدية إلى أن عملاء الحاخام جودين عبثوا بالكهرباء، ويقول يوسف اليوم عن جورين: «يعرف عشرات المرات أكثر مما يعرفه شاس».

لكن إذا كان الحال هكذا؛ فلماذا يختلف يوسف عن الحكيم الإشكنازى بهذا القدر؟ إنه فى محاوله فهمه يشير حكماء السياسة (البانديت)، بصيغة عامة، إلى بنية لجمهور الناخبين لشاس. وهم «صقورا». وبعضهم متطرفون، يكرهون العرب تماماً، عندما اقترح يوسف فى أول الأمر فى أواخر عام ١٩٨٨ تحالفاً مع العمل؛ تلقت مارجاليت مكالمات تهديد هاتفية من مؤيدى شاس. وقد هاجموا عندما كانت تذهب للتسويق، وكان هذا هو رد الفعل، حيث إعراف فى محادثة خاصة فى ذاك الوقت، مما جعله يكف عن العمل وفقاً للإتهامات السياسية الحمائية.

ولقد تغلب عام ١٩٩٠ على ذلك الكبت. وقصد أن يطور جمهور ناخبية

ويجعلهم معتدلى، إعتقد أن فترة في الحكومة إلى جانب حزب العمل، مع منافع مصاحبة لحركة شاس التعليمية مما يجعل الحزب يفوز بالكثير من الأنصار به، ولم يعد خائفاً من أن يواجه الناصيون الذين ينتابهم الغضب، إلا أنه مازال خائفاً من مواجهة الحاخام شاس.

إن جذور ذلك الخوف عميقة في المواقف العدائية المتبادلة بين للسفارديم والإشكنازيين في العالم الهاريدى. إن يوسف ذاته مكسو بالذهب والأرجوان، لكن الحاخامات الآخرين، عند ظهوره في لقاءات عامة، يرتدون معاطف سوداء كالحلة ولا يتم التمييز بينهم تابعى شاس واليتوانين. عندما يكون يوسف باللباس المدنى فإنه يرتديه على النمط «الليتوانى»، حقيقة إن هذا الأمر ينتقل من تخلق مارجاليت ومساعديه، فى طائرة فارغة فى مطار كنيدي، إلى ألقاعه- ويرجع تاريخه إلى ١٩٨٤، بعد انتخابه رئيساً للحاخامات بفترة قصيرة- لكى يرتدى الملابس السيفاردية الرسمية لأول مرة.

درس كثير من حاخامات شاس فى بونفيز ويشيفا الاشكنازى الأخرى. البعض تفوق هناك إلا أنه ما من أحد وصل إلى القمة: ما من أحد تم تشجيعه ليتزوج من عائلات هيئة التدريس، حيث يتنافس الطلاب الأشكنازى على ذلك، فكانوا ممزقين بين الدافع لأن تقبلهم الإشكنازية والرغبة فى الإحتفاظ بالانفصالية العرقية.

وكانوا مشدودين إلى شاس، ليس لأنهم يشعرون أنفسهم بالحاجة إلى صوت هاريدى سيفاردى مستقل فقط؛ وإنما لأن الحاخام شاح قرر أن هناك حاجة إلى ذلك. وإنه من الناحية الموضوعية، هناك حاجة بكل تأكيد، أجوداه- بما فيهم شاس- كسب ناخبين السيفاردى ووعدهم بتمثيل فعال فى الكنيست واجتماعات صنع سياسة الحزب، ثم يتم الحث بالوعد دائماً بعد أنتهاء الانتخابات، كان يوسف والد شاس هو مصدر القوة الانتخابية الأساسى إلا أن شاس هو الأب الروحى. كان يقوم بتقويته

ليضرب به الحاخامات الحسيديين والسياسيين الذين لم يفسحوا له الطريق فى اجوداه إسرائيل. ملأ قائمة ضرب الكنيست الجديدة بأتباعه السيفارديين، ليحبط مناورات يوسف الساذج عديم الخبرة، عندما حانت عملية السحق فى مارس ١٩٩٠ لم يجرأ على تخديه، ولم ينظر يوسف إلى الوراء رغم إصراره على أنه لا يتم ترويعه (بالتهديد). وشرح أنه لم تكن هناك ببساطة أى إشارة فى قتل الحاخام شاس، منذ أن سار قرار الحاخام الاشكنازى المبجل عبر العالم الهاريدى، «ويقول التلمود: وكما يقول الميثيافا شاس شيئا يتم الإصغاء إليه حيث أن ميتزفا ليس الذى يقول شيئا ولا يتم الإصغاء إليه».

«دعنى أقول لوقارته (دائماً يستخدم يوسف الاسم الثالث) قصة عن الحاخام اللوبافيتش الثالث، الحاخام مينديل، «تسمياع تسيدريق» هو الاسم الأدبى «إزدهار الاستقامة» وهذا هو اسم كتاب الحاخام مناحيم منديل الذى صدر فى ستة أجزاء فى فيلنا فى الفترة (١٧٨١ - ١٨٨٤) ذات يوم قال لخادمه: «دعنا نذهب»، لم يقل أين، وبالطبع لم يسأله الخادم.

«وصلا إلى المنزل الخاص بأحد مديرى البنوك، رجل غير مستقيم. لكنه كان رجلا محترما، رحب الحاخام، وقدم إليه المرطبات. جلس الحاخام فقط ولم يقل شيئا. شعر المضيف أنه ليس من باب الأدب سؤال الحاخام عما الذى أتى به، لذا سأل الخادم. «فقال الخادم أنا لا أعرف أيضاً». ولذا جلسوا جميعا صامتين.

«نهض الحاخام بعد فترة وقال إلى خادمه: «دعنا نذهب»، وأتجها إلى الباب، ولم يعد مدير البنك يستطيع أن يتمالك نفسه وسأل بأدب جم، عن ماذا تشرفت بهذه الزيارة. فقال تسمياع تسيدريق: «يقول تلمودنا، كما يقول ميتزفا شيئا يتم الإصغاء إليه، وإن الميتزفا لذا جئت إلى هنا، أجلس معك، ولا أقول شيئا لا يتم الإصغاء إليه.

وباستكمالى هذا الشئ فأنا الآن مغادره .

«طلب المدير بالطبع أن يعرف ماهو الشئ الذى لم يكن ليصفى إليه. أخبره
الحاخام بعد إلحاح: إن الأرملة الفقيرة لا يتسنى لها رد مدفوعات وثيقة الرهن، وقام
بنكك بإرسال مذكرة نزع ملكية عقارها، أين الرحمة عندك؟ التوراة يأمرنا بحماية
الأرملة...».

قال المدير إن البنك ليس بنكه، وإن عليه اتباع الإجراءات.

«وها أنت ! أعرف أنك لن تصفى. إلا أنك الآن أحبطت نيتى وهى نية
إستكمال المينرفا» أختتم يوسف القصة أخيراً، ودفع المدير الدين من جيبه الخاص،
وباركه الحاخام بطول العمر و الرخاء.

نجح قصد يوسف. إنه فى عام ١٩٩٢ بنفسه قد ربط نفسه بوقته وأعتقد أنه لو
عبر بوضوح عن رأيه سيتم الإصفاء إليه من جانب أتباعه على الأقل رغم معرضة
الحاخام شاس.

الفصل الثامن

المياه المعدنية

«المياه هي تقليد عائلى يرجع تاريخه إلى مئات السنين»، ويقول باروخ أبوحا تسيرا، وهو يعدل من رداؤهبنى فوق ركبتيه . باروخ، رجل ضخم فى أوائل خمسيناته، بعيون داكنه وشفقتين حسيّتين ولحية رمادية ويعرف بأنه بابا باروخ، وهو أبن ووريث لحاخام حاسيدى تيفوت الشهير، بابا سالس. تُلَوَّت البركات فى نفسى والنّى تم تسليمها (توريثها) فى عائلتنا من الأب إلى الابن. ثم أعطيتها للشخص. وإن لم يعتقد فيها- فالبطبع لن تساعد».

أعد ساعده العديد من زجاجات الماء على منضدة منخفضة أمام كرسيه ذى ذراعين. يبدأ وقت جمهور الحاضرين فى بضع دقائق. وتبدأ حفنة من الناس بالفعل فى الإصطفاف فى الخارج. يمسك البعض بزجاجات بلاستيكية التى ملؤها بماء من صف من الصنابير فى الفناء الأمامى للمبنى. ومعظمهم من النساء اللاتى تبدوا أنهن نساء تقليديات أكثر من كونهن حارديات.

بابا سالى الذى كان اسمه بالكامل الحاخام عزرائيل أبو حاتسيرا حضر من المغرب فى أوائل الستينيات واستقر بعد ذلك مباشرة فى تيفوت. مات فى عام ١٩٨٤. عاش فى هذا المبنى الأبيض المهيّب، الذى يضم معبدا، السنة الأخيرة من عمره. كان منزله قبل ذلك شقة صغيرة فى بلوك متهدم فى هذه الناحية الهادئة من النقب.

يهرع إليه من كل حرب مصوب من البلد ومن وراء البحار، الأشكنازيون والسيفارديون. غير مستقيمي الدين والتقليديون والحارديم. هناك كان يوجد صنوبر فى الفناء أمام الشقة، ويحضر له المعتقدون به الماء لينالوا بركته، يفصح الآخرون عن

متابعهم ويصفون إلى الحكيم العجوز شبه المختبئ فى قلنسوته وهو يهمس بنصيحة وبرأته. كان البعض يعطيه المال الذى يقوم بتوزيعه على الفقراء. كان على الحاريديم كتابة أسمائهم وأسماء أمهاتهم فى قطعة صغيرة من الورق، مثلما كانوا يفعلون إلى الحاخام الحاسيدى.

الحخام إيساحار، مايثر، ألمانى المولد، خرج بونفيتز، الذى أسس ورأس يشيفات حانيجيف بالأسلوب «الليتوانى» فى نتيقت، يتكلم باحترام عن المرحوم بابا سالى. يقص ذات مرة أن بابا سالى كان يزور اليشيفا عندما بادره رجل ضعيف بالكلام. سأله التساديق إذا ما كان يراعى مبدأ الميترقوت: شابات، كاشروت، ميكف. إعترف الرجل بأنه لا يعرف. «إذاً تستحق أن تكون ضعيفاً» انفجر الرجل باكياً. وتوسل الرجل لأن ينال مباركة. قال سالى: «إذهب ، لا أستطيع». «بل إنك تستطيع! إنهض وأمشى».

مشى الرجل. إحتشد الطلاب اليشيفا حوله. ورقصوا معه.

«اليوم التالى» أنهى الحاخام مائير قصته، «أرسل بابا سالى لى برسالة: «برجاء جعل الطلاب فى اليشيفا يقولون المزامير لأجلى. لقد أحدثت معجزة لأجل واحد لم يكن يستحقها. استفاد من معجزتى؛ وأحتاج الآن إلى صلواتكم».

يقول الحاخام أوفاديا يوسف أيضاً أن بابا سالى كان «رجلاً ورعاً، رجلاً استغرق فى التوراة والصلاة طوال أيام حياته. كان يتحقق الكثير من بركاته»، عندما زاره، يقول يوسف إن بابا سالى يقف ويقبل يده، «ولو أنه يكبرنى بثلاثين عاما. شجعنى على أن أصبح زعيم الحاخامات. تشاورت معه وأخذت نصيحته».

إن احترام يوسف ومائير لذكرى الأب يثير إزدراؤهما للإبن، الذى تتضمن مهنته الملونة السجن بسبب الرشوة، وشئون الزواج المتزايد المعلن عنه بطريقة كبيرة، وأمكن باروخ أن يعلن - وأعلن فعلاً - عن الدور المحورى فى الأنتعاش الدينى فيما بين اليهود

السيفارديين .

إنه فى ذكرى وفاة والده تدفق أكثر من عشرين ألف، معظمهم من الإسرائيليين المغاربة، إلى نتيפות لحضور التجمع لإحياء ذكرى وفاته. (الحارديم الإشكنازى أيضاً أحيوا الذكرى الخاصة بأبائهم أو الحاخامات، بتعلم الميشنا، والحاسيديم بتعلم الميشنا وشرب الشنبص. يذهب اليهود غير مستقيمي الدين كذلك مستقيمي الرأي إلى المعبد فى الاحتفال بذكرى الوفاة للآباء ليتلوا صلاة خاصة، الكاريش). مئات من شرطة المرور يحولون المرور إلى مواقف للسيارات مؤقتة فى الصحراء. وتقوم الأوتوبيسات برحلة مكوكية إلى المكان المزدهم، القبر ذى القبة البيضاء وذلك من باب المجاملة.

يتلون صلواتهم، ويتحركون إلى مناطق خلوية فسيحة حيث يشعلون النيران من الفحم ويشوون اللحم. ويقيم البعض الخيام لأجل الإقامة لمدة يومين أو ثلاثة أيام. البعض يحضر الخراف والماعز لذبحها ويأكلون عند موقع القبر. يقوم الصقور ببيع صور بابا سالى وبابا باروخ، شرائط الفيديو، والتسجيلات والتعاويذ، والحليات. يقوم الناس بالعزف على الآلات الموسيقية أو يقومون بتشغيل شرائط المسجلات. ترقص النساء وتزغرد. يحضر الوزراء وأعضاء الكنيست لمشاهدوا وتتم مشاهدتهم؛ فلا يتسنى لهم تجاهل مثل هذا التجمع الشعبى بمثل هذا الحجم. يحضر الحاخامات أيضاً بقيادة الحاخام السيفاردى الزعيم، مورديخاى إلباهو. يقومون بالصلاة عند القبر، ويوزرون أيضاً البابا باروخ فى فناء مبناه الذى بناه بالأسلوب المغربى بجوار موقع المعبد.

الحقيقة أن باروخ أمضى أربع سنوات فى السجن من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤ بتهمة الإحتيال والنصب والتزوير والإرتشاء بينما كان يخدم كسياس محلى فى بلدة أشكيلون، وهذه الحقيقة تبدو أنها تنحسر تدريجياً مع كل احتفال يمر. إن الشجار بين باروخ وخليلته، التى ظلت معه مدة طويلة، الذى وصل إلى المحاكم تصدر عناوين الصحافة

بعدما تولى كبابا بعامين، سرعان ما خَفَتَ أيضاً فى مواجهة نجاحه الضخم الذى لا ينكره أحد.

إضافة إلى الإحتفال السنوى كان موقع القبر وباروح نفسه محل جذب سنوياً. أن فيض الزوار واحتفالات العرس (الزواج) المستمرة فى المطعم المجاور للقبر - يؤكد النشاط المستمر ويؤكد على الدخل المنتظم. يدافع مساعدو باروح عن التحول الفورى من إنسان وضيع إلى حاخام، حيث فسر ذلك بأنه رجل جديد (إنسان جديد)، بأعمال تسهواً. يقول التلمود إن: «حينما يقف بأعمال تسهواً لا يستطيع حتى الصالح جداً أن يقف».

لا تزال شخصية عامة تتجنب باروح، وهى موسى نسيم، زعيم حزب الليكود الذى كان وزيراً للعدل عندما بدل رئيس الدولة حكم السجن بالتخفيف على باروح نسيم، الرجل المستقيم نفسه وكان والده العراقى المولد زعيماً حاخامياً سيفاردى قبل يوسف، أعترض عن دوره فى إعطاء المشورة إلى الرئيس لتخفيف الحكم. ويذكر أن «الضغط عليه كانت رهبة»، شامير، ديفيد ليفى، شيمون بيريز، زعماء الإتحادات التجارية، زعيم الحاخامات إياهو. كان الأمر مشيراً للاشمئزاز».

تركز انتقادات باروح الأكثر اعتدالاً على ما يقولونه وهو جهله بالأمور الدينية والتلمودية. إن الحاخام يوسف، الذى أذانه علانية عندما أُعْطِيَ معطف والده حالما غادر السجن، يقول أنه حثه مؤخراً أن يجلس ويتعلم. فتح باروح آنذاك كوكليل فى نتيثوت، رغم سمعته المريية، التى وطدت نفسها كمعهد خطير لطلاب التلمود المتقدمين. يذكر نفسه بوضوح وفخر أن خريجيه تفوقوا فى أمتحانات الحاخامات على مستوى الدولة وأمتحانات قضاة المحاكم الحاخاميين. وأنه عند زيارة الكوكليل (مدرسته) التى توجد فى جناح فناء على الطراز المغربى تجد أكثر من ثلاثين شاباً يدرسون بجهد

ولا يبالون بما يدور حول باروخ من نشاطات في المبنى المجاور. وقد جذبتهم هذه المدرسة لأنها دون شك تدفع مرتبا شهريا أعلى من أى مدرسة أخرى في البلد.

يقول الحاخام يوسف إنه يهنئ باروخ على كل ذلك، عندما تقابلا مصادفة في بنى براك. لكنه تلى عليه النص في أغنية الأغنيات (١ : ٦): «جعلوني حارس حقول الكرم لكن حقلى لا أحرسه». «أخبرته أن يتخذ دارسا شابا يتعلم معه لمدة ساعات يوميا. قال إنه لا يملك وقتا. يا للأسف جداً، لم أعتنى حقيقة».

الحاخام إيساحار مائير، الذى قام بالتدريس في يسهيفا في المغرب قبل افتتاح يسهيفا خاصة به نتيقوت، عرف باروخ منذ شبابه. فيقول: «لامع، لكنه لا جدوى منه». «لا يعرف الكثير ولم يردّ التعلم أبدا. سبب إلى والده حزنا لا نهاية له. عرضت عليه التعلم معه بنفسى. أعطيته أحد أفضل العلماء لدينا ليقوم بتدريسه. لكن كل ذلك على غير طائل».

رغم أن مائير مشدود إلى الطريقة الألمانية- اليهودية فهو حكيم وأقر أهمية خلف باروخ للقب والده والحشد عند موقع المقبرة. إنه في أحياء ذكرى وفاة بابا سالى الأولى نشب نزاع بين رجال باروخ واتباع ابن شقيقته بابا إيليعازر أبو حاتسيرا من ييرشيبا وذلك عند موقع المقبرة. وتم طرد المتطفلين وظل باروخ سيد هيلولا الوحيد. قرر مائير أن يعيش في في صداقة واقعية مع البابا الجديد.

تدهورت بالتالى العلاقات بين مائير وباروخ، وأصبحوا أعداء منذ أنتخابات الكنيسيت عام ١٩٨٨ عندما عضد باروخ آحودات عزرائيل ومائير، كعميد يسييفا «اللتوان»، وساند حزب حاتوراه للحاخام شاح، تناثر الأعداء إلى سياسات نتيقوت المحليه وإلى صراع مرير حيال حقوق الأرض والبناء. ويتيح مائير نشاطات باروخ الخيرية. تتلقى مئات العاطلات، في نتيقوت عبر المنطقة، دعماً كريماً في أوقات الأعياد الدينية. ولم

يكن يتوجب على متلقى الإعانة الخيرية الحضور أو الوقوف فى صف فى خجل؛ يجوب مساعدو باروخ الريف فى سيارات حيث يضعون سلات كبيرة على عتبات أبواب العائلات التى يتم مساعدتها بهذه الطريقة.

يقول باروخ إنه أنفق «مابين عشرة ملايين دولار وثلاثة عشر مليون دولاراً أثناء فترة تولية القصيرة، كان معظمها فى العمل الخيرى. ويقول إن «مثير يستغرق حقبا من الزمان ليقوم بمثل هذا العمل، إن لديه مؤيدين أثرياء فى الخارج، فى شمال أفريقيا وفرنسا، آخذ من واحد وأعطى الآخر، وهذا هو تقليد عائلتنا».

يريد أن يكون مع مثير وجالية يشيفا أصدقائه، وتقدر عائلاتها ما يقرب من مائتى عائلة، إضافة إلى حوالى ثلاثمائة وخمسين طالبا فى يشيفا وفى معهد لاهوتى للفتيات. حتى أنا أعطيته خطاب توصية إلى ناس أعرفهم فى فرنسا لأجل جمع المال. وكانت هناك فترة من الإحترام المتبادل. لكن العداء بدأ عندما قمت بتأسيس معاهدى التعليمية. لم أستطيع أن يتحمل ذلك. كان لديه الاحتكار فى نتيقت. «والحقيقة أن الحاخام مثير لا يجب السيفارديم».

أضاف باروخ: «كان على الحاخام مثير أن يتعلم لمدة عشرين عاما ليعرف ما أعرفه فى التلمود. أستطيع كتابة عشرين كتاب تعليمى لو أردت ذلك. يظنون أنهم علماء هاه! إننا متواضعون ببساطة، طريقنا هو كشف تعليمنا. طريقتنا هو النزول إلى الناس والترحيب بكل يهودى، بالحب والأبتسامة لا نرد أى يهودى...».

إن مزيداً من الإتهام الحقيقى يكمن تحت الإستخفاف ببراعة باروخ فى تعلم التلمود وذلك من جانب زعماء هاريدى، والإستخفاف بحرصه على الشكليات فى مراعاة الميثزفوت المتنوعة، والكف عن الخطايا المتعددة، وأن عبادته غير متشددة من الناحية الدينية - سواء بالنسبة له أو العدد الكبير من مواليه - إن احتفال العائلة عند

موقع القبر، وزجاجة الماء المقدسة، وعيون باروخ المتجهة ناحية السماء، والتعويذة المعلقة فى سلسلة مفاتيح، كل ذلك يصير فى أنتقادات الحاريدى، بدائل مناسبة لأجل ممارسة دينية حقيقية. إن رجالا مثل الحاخام يوسف يعتقد أنه مع باروخ صار التسامح منافسة عنيفة حتى أن المنافسة الدينية التى منها مقبرة بابا سالى هى البؤرة المركزة على الدين بصورة أقصر من إدارة المعتقد الخرافى بغية التريح، بينما الأتقياء السيفاردى فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كانوا أكثر تسامحا وأقل تطرفا من نظيرهم الأشكنازى.

أنكر باروخ أنه لم يقم بعمل مطالب دينية من الحجاج الذين يأتون للتنزه ويأخذون الماء الذى باركه. يحتفظ مكتبه بسجل مستخرج من الكمبيوتر بالنسبة لكل الزائرين. هناك مصدر معلومات للمتابعة. يتلقون تاريخ الأدب الدينى بالبريد؛ وينصحون زيادة طقوسهم الدينية. «لكننا لم نرد أى واحد أبداً. لم يكن هذا هو طريقنا. أولئك الذين لم يريدوا التوبة لتحسين مستوياتهم الدينية لا يعودون بصفة عامة».

أما بالنسبة لبركاته فهو «لا يعطى وعداً أبداً- إن لم يعد الشخص بالعودة إلى الاستمرار فى ميتزثوت. وإن كل وعد قمت به فى الست سنوات هنا أشكر الله أنه تحقق. هناك عشرات الحالات من الزوجين غير المنجبين للأطفال أنعم الله عليهم بالأطفال. هناك طبيب أسنان من باريس، على سبيل المثال، متزوج منذ تسع سنوات دون أطفال. جاءنى، وتعهد بالإحفاظ بالميتزثوت- وبعد عام كنت الأب المعمدانى فى ختان ابنه. أى واحد يظن أن هذه الأشياء مجرد مصادفة فما هو إلا أحمق. هناك نظام أعلى للشواب والعقاب. إن الذى يتوب بحق يشبه الله».

إن إدارة بارح أبوحاتسيرا لمقبرة والده هى مثيرة للجدل، والعبادة نفسها لا ترتبط بالعرف اليهودى الثابت. الشعب اليهودى فى شمال أفريقيا له تقليد قوى بصفة خاصة بالنسبة لأقامة المزارات والقبور كمواقع للحج حيث يمتزج الدين بالفولكلور. إن مقبرة

جدّ البابا سالى وهو الحاخام ياكوف أبوحاتسيرا (يعقوب أبو حاتسيرا) موجودة فى مصر غرب الإسكندرية، وهو مزار هام منذ أمد طويل قبل أن يقوم باروخ ببناء صرح تيفوت لسالى. (أحضر باروخ طائرات، محمله بالاتباع إلى الموقع كل عام إلى تجمع الحاخام يعقوب). كل موضع يهودى فى المغرب له مقبرة قديس خاص به، أو مزار لمعجزة خاصة. إنه فى بعض الحالات المسجلة إن مسلمين محليين إنضموا إلى تبجيلات ذكرى القديس اليهودى.

كانت زيارات مقبرة الحاخام والصلوات عنده، فى الجاليات الاشكنازية، سائدة بين الطوائف الحاسيدية أكثر من الميئناجديمية. حقيقة قاد بعض حكماء شمال إفريقيا جماهيرهم بأسلوب يذكر بالربّانات الحاسيديين، يوزعون البركات والعلاج، ويقدمون الصلوات نيابة عن الجموع المحتشدة، يتلقون ويوزعون الصدقات، ويقومون بصفة عامة بدور الوساطة بين المجموعة والله.

يدعى الحاخام أوفاديا يوسف أن ذلك وطوائف القبور ربما تكون «شيئا مستوردا من الخارج» - نتيجة الإنصالات بين هذه المجموعات والحاسيديين فى أوروبا. ويصر، على أية حال على أنها ظاهرة من شمال إفريقيا، غير معروفة فى المراكز السيفاردية الهامة فى العراق وسوريا وفلسطين. إن البابا باروخ، المتشدد فى دفاعه عن السمة السيفاردية، ويؤكد على أنه لو كانت أى شىء؛ فإنما هم الحاسيديين الذين يطابقون نسخة من التقليد المغربى الذى كان فى حد ذاته متوارثا بصفة حقيقية من الكباريين الفلسطينيين فى القرن السادس عشر. إن «التارة» المستخدمة كديكور فوق تابوت العهد فى معبده، يصور نوعا من شجرة العائلة الروحية مع البابا سالى فى المنتصف الذى فيها يكون بأعلى شيم توف، متصل بمنتصف حكماء السيفارد.

إنه بعد الانتقال المباشر الجغرافى، والثقافى ليهود شمال إفريقيا بعد عام ١٩٤٨ إن توقيير رجال الدين المطرودين صار عديم الفعالية بصورة مؤقتة. لكنهم الآن يعودون إلى هيبتههم. إن عبادة المرحوم بابا سالى هى العبادة الأكبر بالنسبة لإبنه، إلا أنها لم تكن الوحيدة.

هناك فى مدينة بشمال إسرائيل عائلة متواضعة غير مميزة قامت ببناء ضريح للحكيم المغربى الذى مات منذ مدة طويلة الحاخام ديفيد موشيه. يقولون أنه ظهر لهم فى حلم يهدد بأنه قد تحول ليس جسدياً وإنما روحياً من قبره فى المغرب إلى وطنهم. إن المزار يجذب مجموعة أتباع - مثلما يفعل مزار مماثل تم بناؤه فى ظروف مماثلة من جانب عائلة فى بلدة عوفاكيم.

إن حاييم حورى، حاخام تونس المحترم، هاجر إلى إسرائيل فى الخمسينيات ومات بعد ذلك مباشرة، صار فى موته بؤرة عبادة هامة ونامية. يأتى حوالى خمسة وعشرين ألف إلى المقبرة فى بيرشيبا كل عام لحضور أحتفاله. إن ألكس فينجرود، عالم الاجتماع الأكاديمى الإسرائيلى، يدرس فى كتابة هذه الظاهرة (قديس بيرشيبا: صدر فى نيويورك عام ١٩٩٠)، يسجل حنق الكهان التونسين تجاه الجماعات غير التابعة للمغاربة الذين يقدمون ممارساتهم الصاخبة فى تجمع حورى. وينتشرون فى الجبانة يعزفون موسيقى خشنة غير مناسبة، ويشجعون الرقص غير المحترم.

إن أكبر تجمع إحتفالى فى إسرائيل، وأكبر من إحتفال بابا سالى، هو ذلك الإحتفال الذى يحضره الحاخام شيمون باريوخاى، حكيم تلمودى حيث يوجد مدفته فى قرية ميرون فى الجليل. إن الموعد هو الإحتفال الصغير فى الربيع، الإحتفال بوفاة الحاخام شيمون، ونهاية الطاعون الذى حل بتلاميذ الحكيم التلمودى الأول وهو الحاخام أكيثا. هذا التجمع فريد بسبب تاريخه الطويل - هناك تقارير مسجلة عن

الإحتفالات فى ميرون من القرن السادس عشر- الذى يجذب السيفارديين والإشكنازيين.

إن آلاف الحارديين من شتى أنحاء البلد فى ميرون أثناء ليلة الإحتفال الصغير فى الربيع يصلون عند القبر ويلقون بالقليل من الزيت على النار الضخمة التى تضىء الليل من قمة مبانى القبر. هناك فرق رقص، وطعام، وشراب، ومرح. إن العادة الإشكنازية فى وضع النهار هى لأجل الأولاد فى سن الثلاث سنوات، حيث يتم أول قص شعرهم عند القبر حيث يصاحب كل مرة إبتهاج زائد ويتم ترك الصغير مقصوصا شعره.

لكن الإشكنازى الهاريدى يزداد عددهم عند الميرون عن طريق حشود السيفارديين حيث أن الكثيرين منهم لا حارديين ولا يهود مستقيمي الديانة بصفة خاصة. يحضرون فى أسطول من السيارات، وصفوف طويلة من السيارات الخاصة، ويأتى الكثيرون فى مجموعات عائلية ممتدة ومعهم الخيام وصناديق الثلج ويعسكرون حول الموقع. هناك على أمتداد نصف ميل أكشاك تبيع كل شئ بداية من الأحذية الحديثة والهجيز إلى شرائط الفيديو التى وصلت مؤخراً من تركيا واليونان. ومفتشون من الوزارة المسئولة عن الدين يجاهدون لجعل ذبح الأغنام والماعز مقصورا على المنطقة المحددة لذلك، لصالح الأحوال الصحية.

يصر الهاريديم على فصل الأجناس فى المنطقة المباشرة للمقبرة. ويقدر الحشد فى بعض السنوات بأكثر من ربع مليون، والشكوى من أن الزائرين يقومون بالشعائر بصورة مختصرة عند القبر ويمضون باقى الوقت يمتعون أنفسهم. إن الإحتفالات مناسبات إجتماعية على الأقل كاحتفالات دينية.

«إنه من السهل الإشتراك فى الإحتفال أكثر من محاولة أتباع الممارسات الدينية الصارمة» كتب شلومو ديشن أحد علماء الإجتماع الإسرائيليين، ويشرح إزدياد شعبية

هذه الأحداث. شعر السيفارديون، كمهاجرين إلى إسرائيل بروابطهم بتقاليد «بلدهم القديم» تضعف. «إن الإحتفال هو طريقة ليحرر الواحد نفسه من هذا الشعور وهو شعور بالضياع. الإشتراك مركز ودرامى ويملاً المشاعر».

البروفيسور فينجرود يؤكد على الأهمية السياسية لظاهرة الإحتفال. ويكتب: «أنهم يحددون أنفسهم علانية ويفخر أنهم من شمال إفريقيا»، ومن ثم «تمت ترجمة هذا كمساندة للمرشحين السياسيين الذين يمثلون جماعتهم العرقية» هناك أيضاً روابط ثابتة «بين المعتقدات الخفية فى قوى القديسين المعجزة من ناحية، وظهور الأيديولوجيات الإسرائيلية والحركات التى تزوج بين القومية السياسية والأصولية الدينية اليهودية من ناحية أخرى... وتوجد نفس الحساسية، وكنتيجة لذلك، فإن التيارات المختلفة تنساب فى النهاية فى نفس الاتجاه».

نظم حاخام سيفاردى فى صيف ١٩٩٠، حدثا كان يأمل فى أنه سيتحول إلى إحتفال سنوى بنسب هامة. حايم ينتو، حاخام بلدة كيريات مالاخى ومن عائلة شهيرة من الحكماء السيفارديين، قام بإحياء هياكل أربعة منهم من قبورهم فى المغرب وآخر من بلد عربى لم يذكر إسمه، وضع العظام فى حقائب وعاد بهم إلى إسرائيل وأدخلهم فى مقبرة كيريات مالاخى. كان أحد الأربعة جده ويدعى أيضاً حايم ينتو. لم يتم الإفصاح عن هويات الثلاثة الآخرين لكى لا يتم تعرض التحفظ الدبلوماسى للشبهة بالنسبة لعملية التحويل. وقال فى مقابلة صحفية «إن الجماجم كانت دافئة، وعند ملامستها... إهتزت الأرض عندما قمت بإزالة العظام» حقيقة أوردت الصحف المحلية فى الصباح التالى حدوث زلزال صغير فى المنطقة».

كان وزراء وزعماء المعارضة والحاخام أوفاديا يوسف وأصحاب المقام الرفيع المحليين على موعد لمخاطبة حشد، من حوالى عشرة آلاف، عند القبر الجديد ذات مساء

فى شهر أغسطس بعد الغزو العراقى للكويى بفترة قصيرة. جميع المتكلمين حثوا (ناشدوا) أرواح التساديقين الذين دخلوا إلى إسرائيل أن يحموا إسرائيل من تهديدات صدام حسين.

ثم طرد أحد بائعى زجاجات الماء المقدس من جانب منظمى الإحتفال الذين قالوا إنهم مصممون على حفظ اللياقة، ومنع الإبتجار، لم يكن من الواضح من أين أتى هذا الماء المقدس لكن الناس أحضروه على أيه حال.

البابا باروخ لفظ فكرة أن قبر بنتو يمكن أن يمثل منافسة لموقع قبر البابا سالى. «هناك بابا سالى واحد فقط كل واحد يحبه فى حياته، وكل واحد يوقره الآن وهو ميت»، ويلاحظ أن ميرون ونتيفوت هما موقعا الحج الوطنى الهامان فى إسرائيل الحديثة. مامن مكان آخر، لا المقابر الخاصة للباطريارك (ابراهيم، اسحق، يعقوب) بالعبرية، ولا مقابر الكابالين فى ساقيد، ولا موقع دفن الملك داوود الموجود على جبل صهيون فى القدس- قد حقق شيئا يقرب شعبية الجماهير من هذين المسرحين..

أما بالنسبة لعملية إدخال بنتو، يعكس باروخ أراد كثير من الإسرائيليين الذين رأوا الحقيقة مليئة بالعظام فى أخبار التليفزيون عندما ذكرها بأنها «مثيرة للإشمئزاز وعدم الاحترام».

الفصل التاسع

الجذب السرمدى

إن بابا أليسا، ابن شقيقة بابا باروخ، هو موضع السخرية المحدد فى ذم بابا باروخ. إن الابن الأول لبابا سالى وهو ماثير الذى مات قبل والده والذى كان رجلاً متعلماً حسن السمعة وزاهداً، وكان إيسار لديه البالغ من العمر واحد وأربعين عاماً «يحب المال»، يبيع البركات وهو ليس على وئام مع باقى العائلة. «الله وحده يعلم من هو التساديق الحقيقى. يستطيع أى أحد أن يخدع الناس - بما فيهم إيلار» ينكر باروخ بشدة أية غير من جانبه تجاه إيلار المتزايد. «على العكس. أكون مسروراً وفخوراً إذا ما أصبح تساديق شهير فى العالم فهو من لحمى ومن دمى. عاش فى منزلى لسنوات الذى فى أشيكلون، لقد ربيته».

حيثما إقتسما الماضى فليس هناك حب مفقود بينهما الآن. ومن الصعب وجود اتصال بينهما منذ الشجار بين أتباعهما عند قبر بابا سالى عام ١٩٨٥. إنهما يبدوان فى الحقيقة مختلفين كأي شخصين يختلفان رغم علاقتهما الوثيقة والخلفية المشتركة. إن عبارة «يبدو أنه» تستخدم لأن اليسار لا يتسنى للغرباء رؤيته وحتى أتباعه الكثيرين لا يتسنى لهم رؤيته. إن وجهه مغطى حتى أنفه بقلنسوة وعباءته الرمادية. أحياناً يميل برأسه إلى أعلى ويرفع حافة الثوب ليختلس نظرة على محاوره. وإنه من الصعب بعد ذلك رؤية عينيه وملامحه. إن صيغة زهد الدينى تسمى «حماية عينيه». إنها أعلى درجة من مجرد عدم النظر إلى النساء. إنه يحاول أولاً أن ينظر إلى لاشئ على الإطلاق، سوى الكتب المقدسة والخطابات الطويلة والتفصيلية التى يبعث بها زائريه، متضمنة مشاكلهم أو مطالبهم. وإنه عندما يخرج من منزله، وهو شقة جميلة بعيدة عن الفخامة، متوجهاً إلى معبده الصغير الذى على بعد عدة بلوكات بصحبة

مساعدته ولذلك لم يتسنى له أن ينظر حيث يمشى. إن هذا التصرف فى الحقيقة أقل الملمحين الغريبيين الذين يميزان هذا الزعيم الدينى الشاب. والثانى هو أن يصطف الناس بصفه منتظمة لمدة خمسة عشر ساعة تقريبا للقاء قصير معه. إن هؤلاء الناس أشكنازيون وهو الرّبان بالنسبة لهم. وضمن هؤلاء الناس كثيرا من رجال الأعمال وهم من مستقیمی الرأى الأصولين العصريين بمثابة هاريديين. وصلوا إلى بيرشيا (تسعون دقيقة من تل أبيب والقدس) فى وقت مبكر من بعد الظهر. يكتبون أسمائهم فى قائمة خارج بابه. ثم ينتظرون حتى الفجر فى بعض الأحيان.

لم يكن هناك تسجيل، وعلى كل واحد أن يدون اسمه شخصيا. وإنه مع هذا ليس بالضرورة أن يبدأ الناس وفقا للقائمة: أحيانا يستدعى الحاخام اسما من أسفل القائمة، وأحيانا يترك اسما وصاحبه أو صاحبه تنتظر ساعات أطول؛ لا يذهب بابا إليسار إلى منزله حتى يستقبل كل واحد ينتظر رؤيته، ويستغرق ساعات أقل لأنه يستغرق وقت أقل فى لقائه مع كل فرد بعد الظهر. إن صبر الحاسيديين دون شكوى هو أمر ملحوظ ورائع. يجلسون حول المعبد ويدرسون، يجلسون على مقاعد أو يدخنون فى الفناء. يذهب الرهبانيون إلى منزل إليسار حيث تقدم زوجته ومساعدوه البوفيه من الظهر حتى منتصف الليل. إنهم يعرفون فى كل مرة يأتون بيرشيا أن الزيارة يستغرق ساعة أو ساعتين حتى الصباح التالى مما يفسد عليهم يومى عمل. وإنهم مع ذلك يحافظون على الحضور. إن المعتادين يعرفون عن لقاء زعميهم وإذا مالم يتسنى لهم لقاء يعاودون هذا شهريا على الأقل.

يثق الناس بهذا الرجل ثقة كبيرة، وبصحة نصيحته وببصيرته الصوفية، ويتدفق عليه غير الهاريديين يبحثون عن المساعدة فى أزمتهن الطبية أو المالية. حتى أنه من بين معتادى الحضور من الحاسيديين هم من غير الأصوليين، وهناك على الأقل واحد من

غير اليهود؛ عضو هندى فى بورصة تل أيب للماس، وهو يقول إنه لا يتم أى صفقة كبيرة دون مشاورة الحاخام إليسار (العارز).

لكن الكثير من أتباعه المتزايدين هم هارديين وأصوليين. يعيش بعضهم فى الخارج، فى الولايات المتحدة أو أوروبا. يلفون زوجة الحاخام تليفونيا بأسلكتهم أو طلباتهم، والبعض رجال أعمال، ويقوم إليسار ببناء مجمع كبير من معبد ومبنى للإقامة فى مكان فضاء مواجه لمقر إقامته الصغير الحالى. يسافر مرة أو مرتين إلى الخارج ليزور أتباعه. يقال أنه عالم تلمودى صارم، وصوته يتم عن مبشر مقنع.

إن زعامته لها جاذبية قوية للناس الأذكياء الذين يبحثون عنهم بأسرهم. إن الصوفية المكثفة لعائلة وحاشية البابا إليسار ربما توضح شكل المستقبل الهاريدى، بصرف النظر عن التقسيم السيفاردى الأشكنازى.

هناك اتجاه مماثل يتضح فى الإعجاب المتزايد بزعيم هاسيدى فى القدس وهو ياكوف ميليكوفسكى الذى يبلغ الواحدة والأربعين عاماً، وهو حاخام هاسيدى من أمشينوفا (قرية صغيرة بالقرى بمن وارسو). إنه مثل إليسار يستعرض التفانى الملحوظ، الذى دام مدة طويلة فى معاناة، فى مواجهة صيغته الخاصة للحماس الدينى والغفلة التامة فى العصر. إن هذا ليس بوضوح فقط من جانبه وإنما إهمال للوقت أيضاً. إن هذا هو محاكاة الآباء الحاسيديين الأوائل الذين لم يقابلوا، عن عمد، الأوقات الخاصة بالصلوات المتنوعة، لنقل صلاة الشحاريت فى منتصف الصباح وصلاة بعد الظهر منحة عند الشفق.

إن الحاخام ميليكوفسكى هو دخيل أكثر من ذلك بصورة هائلة. كان يعرف بأنه ينهى صلاة الصباح فى مساء الأحد. أيام الاثنين والخميس يقوم بقراءة جزء صغير من التوراة فى موعد تناول الشاي، وأحياناً بعد حلول الليل (حيث لم يعد الاثنين أو

الخميس بعد ذلك). عندما يضىء اليهود الآخرون شموعهم كل مساء بعد الغسق، يقوم بإضاءة شموعه قبل الفجر. يتجمع عشرات الحاسيديم عند شقته فى الرابعة صباحا ليشاهدوا الإجراءات. يقوم الرّبّان بالقاء خطبة مطولة يعم الضياء والغناء، كما يعطى العظة الدينية. ثم يقوم كل واحد بمصافحته. ينتهى احتفال إضاءة الشموع، وتسطع الشمس، ويبدأ باقى البلد يوم جديدا.

إنه زعيم دينى «عادى»: مصفى متعاطف، محلل متبصر، متكلم مستحوذ. يصّر على أن الحشد إليه لا ينتظرونه بل ينظمون أنفسهم وفقا للقائمة والتقويم والساعة، بينما يقوم بالممارسات الدينية بمفرده لازالت هناك فرص تقييد الهاسيد الأمشينوڤر. عندما تزوجت إينة الرّبّان فى صيف ١٩٩٠، أقيم الإحتفال حتى منتصف الليل وكان أصدقاء العروس عليهم الرحيل فى آخر أتوبيس للعودة إلى منزلهم. ويعودون فى الصباح لأجل عشاء العرس الذى قد أصبح إفطارا.

إن الحاسيديم الأمشينوڤر لم يقدموا الشكوى. إن معظمهم من الشباب ولدوا فى طوائف حاسيدية أخرى، لكنهم وجدوا أنفسهم مشدودين بثقافة الرّبّان وسلوكه الذى يبعد بنفسه عن الأضواء - ويصر على أنه ليس ربّانا ويرفض أن يبارك الناس - ومشدودين بدون شك بروحه الغريبة. هذه هى المناشدة المزدوجة للعقل والروح التى تميز بالزعامة الهاريديّة الناجحة فى السنوات القادمة، الأشكنازى والسيڤاردى المتعلمين تعليما علمائنا جيدا فإنه يواجههم من خلال خيار السلطة الروحية الواسعة.

الجزء الثامن

المنفيون وسط اليهود

الفصل الأول

كابوس صهيوني

كان قرار الحاخام شاح في مارس ١٩٩٠ بمساندة الليكود أكثر الأحداث أهمية في السياسة الإسرائيلية لسنوات. فعندما بدا حزب العمل واثقا من تولى السلطة، بالتحالف مع الأحزاب الهاريدية، فإن تدخل الحكيم الكهل لإحباط تلك الخطة المحكمة الإعداد. وجاء قراره في فترة حكم الجناح اليميني، بعد خمس سنوات ونصف السنة من إئتلاف العمل - الليكود الموحد. الذي سارعت حكومته في بناء المستوطنات في الأراضي المحتلة، مما تسبب في توتر مستمر بين إسرائيل والولايات المتحدة. واشتركت على مضض في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط، والتي بدأت في أواخر ١٩٩١ واتخذت مواقفًا متشددة في المحادثات .

إن المراوغة الظاهرة للحاخام شاح من الحمايم إلى الصقور، حتى بالنسبة للهارديين أنفسهم كانت مجرد حيلة أخرى ضمن قصة طويلة وقديمة تمتد عبر أكثر من قرن مليء بالتضارب والعداء بين الهاريدية والصهيونية. ويقول مناحم كارمل، من كبار مساعدي الحاخام شاح وسكرتير عام حزب حاتوراه: «إن اليهود الهارديين ليسوا بصهيانية». و «إن قيام دولة إسرائيل لم يكن وفقا لرغبات جيدوليم. لكن الدولة حقيقة، ومع الحقائق لا جدال».

ونظرا لمركزية وجود دولة إسرائيل في الحياة اليهودية اليوم فإن هذا التناقض هو العنصر المكروه لغاية في الهوية الهاريدية من وجهة نظر باقي اليهود.

وبنفس المنطق فإن تلك الفكرة المركزية تحدد مواقف الهارديين تجاه بقية اليهود. فأى صهيوني غير متحفظ لا يمكن أن يكون هاردي، في رأى معظم الهارديين، مهما

كان أصولياً في آداء السعائر الدينية، وسواء كان وطنياً إسرائيلياً أو من الديسابورا أنصار دولة إسرائيل، لأنه يتبع حاخامات ضالين، أو لأنه لايقبل بما فيه الكفاية سلطة الحاخامات العظام «الجادوليم» حسب التصنيف الهاردى، والأنكى أنهم يعتبرون إيمانه ناقصاً. كما أذان بعض الجدوليم الحركة الصهيونية بإعتبارها ضلال محض. حتى أن أولئك الذين وصلوا إلى تأقلم عملى متنوع معه الصهيونية يبقون على تحفظاتهم الأساسية حيال حركة سياسية تأسست وقادها يهود من غير الأصوليين والتي تسلم بالقيام بعمل قدره الله نفسه القيام به: إعادة قيام إسرائيل على أرضها .

وفى الوقت الذى رأت أوروبا فى الآباء المؤسسين للصهيونية فى منعطف القرن الماضى بديلاً فعالاً لإستيعاب اليهود فيها، فإن الهاريين رأوا دائماً الزعماء الصهانية أنفسهم بمثابة تجسيد لقيم الاستيعاب. أراد الصهانية إقامة دولة يهودية، وهذا أمر مسلم به. إلا أن الدولة ستستوعب ضمن الأسرة العالمية للدول وتكون دولة مثل غيرها من الدول، وهى دعوة بعيدة عن مخطط لقيام دولة دينية.

عقب قيام إسرائيل مباشرة عام ١٩٤٨، خفت وطأة المعركة. حيث كان الهارديون فى أشد ضعفهم. وكان التاريخ يبدو وكأنه إلى جانب الصهانية، وأشاروا إلى معسكرات الإبادة لقمة التبرير لمذهبهم. وسعى قادة المعسكرين بنشاط إلى تسوية من شأنها تمكينهم من العيش معاً فى الدولة الجديدة. إن بن جوريون، مؤسس إسرائيل وأول رئيس وزراء لها، أعد اتفاقية مع الأطراف الأصولية بأن يكون يوم السبت هو اليوم الرسمى للراحة بالنسبة لمواطنى الدولة، وأن كل مؤسسات الدولة تراعى الكاشروت، وأن قانون الأحوال الشخصية سيعد وفقاً لحالات (لقواعد الهلاشا)، وأن مدارس منفصلة ستنشأ لأبناء الأصوليين.

لا تزال إتفاقية بن جوريون تراعى «الأمر الواقع» القانونى الذى يحكم الأمور الدينية فى إسرائيل. إلا أن روح تلك الفترة، المتسامحة، لم تدم طويلاً. فالهاريديم اليوم أكثر عدداً، وأكثر قوة سياسياً، وأكثر رسوخاً فى المؤسسة الحاكمة، وأيديولوجيتهم المعادية للصهيونية اتسمت ثانية بالشدة، ومواعظهم وكتاباتهم أكثر حدة وعنفاً من ذى قبل. وكما يقول مناحم كارمل إذا كانوا «لا يجادلون» فى حقيقة وجود إسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة فإنهم بالتأكيد لا يقبلونها من الناحية العقائدية أو اللاهوتية. إن قبولهم لها هو قبول نفعى محض، ويتذمرون من ذلك بطريقة متزايدة. إن مصاعب إسرائيل، وفشلها فى التوصل إلى سلام مع العرب ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، كل ذلك يتم رؤيته كتأكيدات سماوية للمعارضة الأساسية من جانب الهاريديم لفكرة أن «المشكلة اليهودية» يمكن حلها عن طريق السبل السياسية العادية.

كتبت ياتيد نعيمان، محررة صحيفة حزب حاتوراه، وهو حزب الـحاخام شاح، فى يوم الاستقلال الإسرائيلى عام ١٩٩٠ إن الحلم اليهودى تحول إلى «كابوس». وعنوان المقال «هل كان الأمر يستحق العناء؟»، وعدد المقال محن البلد، الانتفاضة الفلسطينية المستمرة، أزمة الإسكان والبطالة التى تسببت فيها هجرة السوفيت على نطاق كبير، انتشار الشعور بهبوط المعنويات. إن الآباء المكلمين بأبنائهم الذين قضوا نجهم يتساءلون جهاراً عما إذا كان كل ذلك يستحق المعاناة، وقد ركزت المحررة ياتيد نعيمان على ذلك الطرح.

إننا لا سمح الله، لانبتهج لسقوط أولئك الذين يتبدد حلم الاستقلال أمام أعينهم. إننا جميعاً فى نفس القارب، وصلواتنا لله أن ينقذنا جميعاً. علينا نحن لانحرف مفهوم الاستقلال. إن الاستقلال الحقيقى الوحيد هو استقلال روحى، استقلال يحققه التمسك بالتوراة والمتسوفوت.

واحتفلت صحيفة هاموداي، الناطقة بلسان حزب هاريدى المنافس أجودات إسرائيل، بيوم الاستقلال بنفس المزاج. مشيرة في طبعة عيد الاستقلال أنه «ما من مكان آخر على الأرض اليوم سوى إسرائيل حيث يكون اليهود هدفاً للقتلة. ولا يوجد مكان في العالم تكره فيه جالية بأكملها اليهود بالطريقة التي يكرهنا بها (العرب) هنا، في هذه الدولة التي يزعم أنها جنة لليهود».

إن الهوة العقائدية بين الهاريديم وباقي المجتمع الإسرائيلي لم تكن مجرد مسألة حملات صحفية. ففي يوم الذكرى عام ١٩٨٩، على سبيل المثال - اليوم الذي تحيي فيه الدولة ذكرى شهدائها في الحرب - قامت جماعة من الحاخامات في بني براك بتنظيم «تجمع للصحة الروحية للنساء» لتذكر «سلسلة من الحوادث الرهيبة وقعت في الشهر الماضي حيث مات عدد من الرجال والنساء في ريعان الشباب. وتكون صلوات النساء فعالة بصورة خاصة في مثل تلك الظروف». ويبدو أن تحديد يوم التجمع تزامن مصادفةً مع إحتفالات يوم الذكرى فلم يتم ذكر ليوم الذكرى في الدعاوات المعلنه عن هذا التجمع، ولم تكن موضوعاً لأي من المواعظ التي تم إلقاؤها على النساء.

كان هذا الأمر مذكراً بحادثة وقعت في بني براك أيضاً منذ ثلاثة وعشرين عاماً حين قام الجيش الإسرائيلي بعملية إنتقامية ليلية ضد رجال المقاومة الفلسطينية عبر الحدود الأردنية، إلا أنه واجه مقاومة غير متوقعة من الجيش الأردني، وأخذت المعركة تزداد عنفاً حتى الصباح مخلقة وراءها خسائر عالية في الجانبين. قامت الإذاعة بإذاعة بيانات متلاحقة بينما تترقبها الأمة كلها بلهفة، بينما أخذ الأصوليون يتلون المزامير، افهى الملاذ التقليدى في أوقات الشدة.

وفي نفس اليوم، في مدرسة تلمودية كان يقود المراقب الروحي الطلاب في تلاوة المزامير بعد صلوات الظهرية. وكان صوته مفعم بالعاطفة. إلا أنه كان يصلى لأجل أحد

المرضى فى مستشفى، ولا يعرفا المريض شخصيا لكن طلب منه تلاوة المزامير لأجله. ولم يشر إلى الجنود.

يقول موشيه إيشون، منظر عقائدى صهيونى أصولى ومحرر صحيفة هاتسوفيه، صحيفة الحزب الدينى القومى*، وهو حزب حديث وصهيونى أصولى، يقول: «إنهم يعيشون بين عالمين: بين الدولة اليهودية والمنفى وسط اليهود» [جملة صاغها ناتان بيرنبوم، مفكر هاريدى فى أوائل القرن العشرين].

يفوز الحزب الدينى الوطنى باستمرار بمعدل عشرة إلى اثنى عشرة مقعداً فى الكنيسيت ذى المائة وعشرين مقعداً وذلك خلال الحقب الأولى الثلاث من قيام الدولة، وكان طرفاً نشطاً فى أغلب الائتلافات التى يشكلها حتى عام ١٩٧٧. وأصبح بعضى السنين متشدداً بطريقة متزايدة فى سياسته المتعلقة بإسرائيل الكبرى، كجيل شاب من الساسة الذين يحثهم مستوطنو يهودا وإسامرة (الضفة الغربية المحتلة منذ ١٩٦٧)، وأزاح بالقيادة القديمة تدريجياً للخارج. وبالرغم من تحول الحزب إلى اليمين - أو فى رأى بعض المراقبين، بسببه - فقد الحزب أصوات الليكود وتابعيه اليمينيين المتطرفين، وأيضاً أصواتاً حزب شاس السيفاردى - الهاردى. وفى انتخابات الكنيسيت فى نوفمبر ١٩٨٨ حصل الحزب الدينى الوطنى على خمسة مقاعد فقط. وتمكن من الحصول على ستة مقاعد فى يونيو ١٩٩٢.

ويؤكد إيشون قائلاً: «نحن نعيش فى عصر نجحت حقيقة فيه الفكرة الصهيونية الدينية. إلا أن هذا الانتصار لم ينعكس فى صندوق الاقتراع». ويقول إنه كلما زاد نجاح الأصوليين الصهاينة فى الاندماج فى المجموعة الأكثر اتساعاً كلما أصبح نمط

* الحزب الدينى القومى... تأسس بعد اندماج حزبي مزراحى وعمال مزراحى ويطلق عليه إسم المفدال أيضاً...

التصويت أقل ضيقاً، والحزب الدينى الوطنى. أكثر ضعفاً ومن ناحية أخرى يبدو الهارديون أقوى من حقيقتهم، «لأنهم نجحوا فى زيادة نفوذهم السياسى».

تزايد الإطار العريض للأصوليين الصهاينة، الذين رمزهم غطاء الرأس (كيبا) المشغول بالإبرة، وتجدهم فى كل مكان. تجدهم فى الجيش، مثلاً، فإذا وجدت ضابطاً بغطاء الرأس منذ سنوات مضت فمن الطبيعى أن تفترض أنه قسيس ملحق بالجيش. لكن اليوم هناك جنرالات فى مواقع هامة من الأصوليين، ومارشالات وضباط على كل مستوى فى أجهزة المخابرات وسلاح الجو. هنا ينطبق أيضاً على الأطباء والمحامين، وفى كل مرافق الحياة وتجدهم عشرات المهندسين الأصوليين فى هيئة تنمية وأبحاث الأسلحة. برافايل، وعندما يتم تصويرهم بالتلفزيون بمناسبة منح جائزة الدفاع السنوية فإنه يتم تصوير أقفية الفائزين منهم لأنه لا يجب إظهار وجوههم، وترى دائماً غطاء الرأس المشغول بالإبرة، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون كل من يرتدى غطاء الرأس عضواً فى الحزب أو يصوت للحزب.

أنحى إيشون باللائمة على قادة حزبه الدينى الوطنى لفشلهم فى الاحتفاظ بالولاء السياسى من جانب هذا الجمهور المتزايد، «بينما المعسكر الآخر، هارديم، زاد أيضاً فى عدده لكنه ظل طائفيّاً اجتماعياً وسياسياً، فقلما نجد هاريدى يصوت لحزب غير هاريدى. ومن ثم تنمو أحزابهم، وتنحدر أحزابنا».

الهاريديون من جانبهم لا يناقشون مع إيشون بالنسبة لحزبهم، إنما يضعون ببساطة بناءً مختلفاً على حقائقه. إن الطائفية العنيدة التى يحتقرها؛ يتمسكون هم بها كنجاح كبير لهم. إن اندماج الأصوليين الصهاينة فى المجتمع العام، الذى يراه كنجاح تاريخى، يستخفون به كنوع من الامتناس لبقاء الأصولية. وإذا كانت صحيفة إيشون تواجه خطر الإغلاق لنقص القراء، فإنهم يؤكدون فى أن هذا ليس بسبب تحول قرائها

إلى هاموديا أو ياتيد وإنما لأنهم يفضلون يديوت أهارونوت ومعاريف، الصحف غير المحتشمة واسعة الانتشار «المليئة بالصور الخليعة والمقالات الفاسقة»، وهي عبارات مستقاة من الأوامر الحاخامية التي حرمت دخولها المنازل الهاريدية، إن نجاح الأحزاب الهاريدية في زيادة قدرتها يوم الاقتراع عائد لمبالاة الأتباع بنصائح حاخاماتهم المتعلقة بالتصويت، إن الحزب الدينى الوطنى أيضا له حاخامات لكن نداءاتهم قبل الانتخابات للمخلصين بشأن التصويت من الواضح أنها أقل تأثيراً. كانت كلمة الحاخام شاح فى ملعب السلة فى مارس ١٩٩٠ علامة مميزة ليس فقط فى لغة الحزب السياسية. لقد كانت معلماً للتدهور الشديد فى العلاقة بين الهارديم وباقى إسرائيل. استخدم شاح فرصة تغطية وسائل الإعلام المكثفة فى الداخل والخارج لكلمته ليشن هجوماً مريراً على المجتمع الإسرائيلى غير الأصولى برمته، مع التركيز على الكيبوتزية، ارمز فخر النهضة الحديثة للعلمانية اليهودية مديناً لها بشكل خاص*.

«أريد الكلام علناً بدون خوف. هناك أعضاء كيبوتز اليوم لا يعرفون ما هو يوم كييبور، وما هو «الشبات» السبت، وما هو مكيف، ليس لديهم أى مفهوم عن الديانة اليهودية، فهم فى مؤخرة الأرانب والخنازير. هل لديهم أية صلة مع آبائهم؟ هل يمكن لمثل ذلك الكيبوتز أن يعمر؟ هل أكل آبائهم فى يوم كييبور؟... هل يمكن أن نسمى هؤلاء الناس يهوداً؟... لو اندلعت حرب فكيف سيقاتلون؟ إن العدو أقوى منهم».

«إننا نعيش أوقاتاً رهيبية»، قال الحاخام الموقر متفجعاً. إسرائيل يحيط بها الأعداء «الحمل وسط سبعين ذئب». لقد تم اضطهاد اليهود عبر تاريخهم، وقد أفلتوا من مضطهديهم. «ماذا كان سرنا؟ إننا يهود! هذا ما يجعلنا دائماً أقوى منهم كلهم».

* الكيبوتيز. كلمة عبرية تعنى الجمع وتستخدم بمعنى مستوطنة يهودية نعاينه تضم مجموعة من المستوطنين يعملون ويعيشون معاً...

يمكن أن يقتلوا الوالد، لكنه ربي ابنه، وابنه سوف يستمر على الدرب. لم يعد يستطيع الوالد الذهاب إلى المعبد، لكن الابن سيذهب. لم يعد يستطيع الوالد دراسة التوراة، لكن الابن سوف يدرس. لا يستطيع الابن أن يبعد نفسه عن تراث آبائه. فهو مرتبط بآبائه، طوال الطريق إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب. هذا هو الجوهر الحي للشعب اليهودي. وطالما أن اليهودي مستمر في اتباع درب أبيه وجده ولا يسعى إلى حكم أخرى، ومعتقدات جديدة غريبة. فإنه يكون على قيد الحياة. أما أولئك الذين هجروا وقطعوا الصلة، فإنهم أموات!

الحاخام شاح يقوم بزيارة غير متوقعة لليديش ويصف مشهداً سعيداً في منزل يهودي فقير، يبدو أنه في أوروبا قبل الإبادة. يجلس الأب بعد عشاء أسبوع من التجوال كبائع في القرى المجاورة عند منضدة السبت، هو الملك، زوجته الملكة، وأطفاله الأمراء، يغنون معاً أغاني الشبات (السبت). هل هناك من هو أسعد منه أو أكثر رضى؟

أضاف بالقبرية: «البعض يبحث عن حزب العمل، والبعض يبحث عن حزب، والبعض يبحث عن حزب آخر. لكنهم... قطعوا أنفسهم عن الماضي برمته دون هدى، ويبحثون عن توراة جديدة. لا بد أن نقطع أنفسنا عن الأحزاب التي لا صلة لها بالديانة اليهودية. أحدها جيد والآخر سيء، لكنهم في الأساس نفس الشيء بصفة أساسية. ولقد فصلوا أنفسهم عن أجدادهم».

ويبدو أن هجوم شاح على الحياة الإسرائيلية العلمانية وخاصة الحركة الكيبوتزية، جلب على السطح كل الحقن المعتملة داخل المجتمع الإسرائيلي ضد الهاريدية. وتعالى الصياح من أهل الفكر وسرعان ما انتشر عبر صحافة البلاد: إنه النزاع بين الحكومة المدنية والسلطة الدينية! ويتحدث الحاخام باسم الهاريدية معلناً الحرب على باقي الشعب اليهودي. وأوضح رسام الكاريكاتير في صحيفة ها آرتس، أشهر الصحف

الصباحية، شاح وهو على منصته فى وسط الجبابة العسكرية يحيط به حجارة المقبرة. كانت كلها مقابر وهو الشباب الكيبوتز الذين ماتوا فى حروب إسرائيل. «هل يمكن هؤلاء يهوداً ؟ طرح الحاخام هذا السؤال على جماعته مشيراً إلى المقابر باستخفاف».

إن الرسالة المقنعة هنا مزدوجة المعنى فالحركة الكيبوتزية تقدم دائماً نسب أعداد غير متجانسة من الضباط، والمتطوعين فى الوحدات العليا فى قوات الجيش الإسرائيلى والجرحى فى القوات المسلحة الإسرائيلىة. بينما طلاب اليشيفا يتم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية طالما أنهم مستمرون فى دراساتهم، معظمهم يستمر فى الدراسة لدرجة أنهم لا يخدمون فى العسكرية على الإطلاق.

أوضح الكاريكاتير فى صحيفة معاريف أيضاً شاح وهو يتسلق فوق القبور العسكرية لينصب منصته. وعبارة منقوشة على الضريح: «مات فى حرب يوم كيبور»، ويظهر شاح وهو يصيح: «فى الكيبوتزات لا يعرفون ما هو يوم كيبور».

ومع المرارة يأتى الإحباط أيضاً. أنحى السياسيون والمعلقون باللائمة على أنفسهم، وعلى النظام، ووسائل الإعلام، والشعب لسماحه للحاخام أن يمسك بزمام البلد كله فى قبضة مواعظه العدائية والمكايد السياسية. «إن عميد الدراويش الإسرائيلىين يلقي خطبة واحدة وإذا بالأمة كلها ترتعد»، هذا ما كتبه كاتب عمود فى صحيفة دافار. «من نحن لنشتكى من الخومينية فى الأراضى الإسلامية؟»، هذا ما كتبه عضو حزب العمل فى الكنيست إدنا سولودار فى مقال مجاور. «إنها لدينا على بواباتنا نحن».

إن الكنيست له نفحة من ذلك فى الواقع داخل بواباته، حيث أدان ثلاثة من أعضاء الكنيست من الهاريدى، فى حوار منذ أسابيع، حول كتاب آيات شيطانية لسلمان رشدى على أنه إهانة للدين، وطالبوا بمنعه فى إسرائيل. وصاح أحدهم قائلاً:

ما رأيكم لو أن أحد فعل هذا بالكتاب المقدس «العهد القديم»؟، وهاجم أفراهم شايبيرا، زعيم حاخامي اشكنازي، أيضا الكتاب واعتبره «غير إنساني وغير أخلاقي» وأيد حظره «في إسرائيل وفي كل مكان آخر» (دون إعدام رشدى).

إن حاييم هيرتزوج، رئيس الدولة نفسه ولواء جيش سابق وعضو الكنيسيت عن العمل مؤخرا، سُئل في حديث إذاعي «لو عرفت هذه الأمة كم هي مدينة لأفراد الكييونز، بأيديهم الخشنة من العمل ووجوههم البرونزية وأضاف: عندما أقف على قبور موتانا في الحرب، الذين خاضوها وضحوا دون أى تفكير فى الإختلافات السياسية والدينية، أسأل نفسى عما إذا كان يجب علينا أن نطلب صفحهم بعد أن قضوا نحبهم» وأجاب حزب ديجيل حاتورا الرئيس مطالبا إياه بالإستقالة وتوّه بأنه ارتكب عدواناً إجراميا «ببذر الشقاق بين طائفة شعبية وأخرى».

إن رد فعل ديجيل للضجة هو فى الحقيقة له دلالة على نطاق إنسلاخ المجموعة الهاريديّة عن باقى المجتمع، وأيضا على تأقلمه وثقته. وبعد ذلك الحدث مباشرة استغرق حزب ديجيل بالتفاخر مهنئاً نفسه وذلك لنشوته الغامرة حيال تغطية شاح داخلية وخارجيا إلى حد التشبع. وفى مقال بعنوان «تقدّيس الله» صرحت ياتيد نيعيمان «إننا على يقين عقب تغطية وسائل الإعلام المكثفة فى إسرائيل وحول العالم فإن رسالة الدعوة سوف تنجح فى التسلل إلى قلوب البشرية كلها: «الله هو السيد. تقدّس إسمه إلى أبد الأبدين».

استطردت الكاتبة لتشكر كل المراسلين (الصحفيين) والمصورين لجهودهم. «هذه المرة ليس لدينا شكوى من أنهم حولوا انتباههم عنا... إنهم، بالعكس، قد مكّنوا كل مواطن إسرائيلي من المشاركة فى هذا التجمع الروحي لينعموا بأريج إيمان اليهودية بالتوراة...»

ولكن سرعان ما بدأ سياسة الحزب ورجال العلاقات العامة سرعان ما بدأوا يدركون مدى الخطأ في دقة إدراكهم وحساسية إنطباعاتهم الأولية. فالتئم شملهم سريعاً وبدو على حالتهم المألوفة كأقلية أسوأ فهمها وظلمت. وبدلاً من مجرد التراجع، شن حزب ديغل هجوماً مكثف غير مسبوقاً بإعادة طبع كلمة شاح كاملة في كافة الصحف اليومية بتكلفة تقدر بعشرات الألوف من الدولارات. كما قام الحزب بإعادة طبع مستندات تاريخية تبين أن والد هيرتزوج، الحاخام الزعيم الإسرائيلي المرحوم اسحق هيرتزوج، شجب بقوة الحركة الكيبوتزية (منذ خمسين عاماً تقريباً) بسبب طرقهم غير الدينية.

ونشرت ياتيد نعيمان نقداً ساخراً عنيفاً من ثلاث صفحات ضد الكيبوتزية وحركة العمل برمتها بسبب معاملة «التمييز والإستخفاف» لمئات الآلاف من المهاجرين السفارديين الذين وصلوا إلى إسرائيل في الخمسينات (١٩٥٠) من العالم الإسلامي. كانت هناك عملية مدروسة ومدعومة من قبل حزب العمال الذي كان يرأس الحكومة آنذاك، ووجهت الصحيفة إتهامها، المبني على أسس قوية، لحزب العمال بتحويل القادمين الجدد من إيمانهم البسيط وتراثهم الأصولي إلى إسرائيليين عصريين علمانيين (يصوتون لحزب العمل)، محرومين من أي ثقافة حقيقية أو تراث. إن معظم علل المجتمع السفاردي الإسرائيلي كالجريمة، والمخدرات، وهبوط مستوى التحصيل الدراسي، والبطالة المزمنة؛ ترجع مباشرة لتلك السياسة الخبيثة والاستغلالية، وأكدت الجريمة على ذلك.

ترددت مجدداً الاتهامات وسط عاصفة أصولية علمانية بعد عام. حيث أعلن الحاخام الوزير- الذي ربط بين كارثة (السيارة- القاطرة) وانتهاك قدسية السبت، وهو حالياً على رأس وزارة إستيعاب المهاجرين- أعلن أن المهاجرين الأنوييين الجدد لن يتم

إرسالهم إلى الكيبوتزات «حيث يتم تضليلهم». هذا الغضب الشعبى بعد ما فوجئ الجانيان بهدنة عابرة عقب صدمتهما من جراء وجود رأس خنزير موضوعة أمام المعبد فى بنى براك، ولكن الحاخام شاح عاود مهاجمة هيرتزوج فى خطابه صيف ١٩٩١، وحذر من أنه «سيعاقب» لدفاعه عن الكيبوتزيين و«أكلهم لحم الخنزير».

أما بالنسبة لوسائل الإعلام سرعان ما تراجعت فى عيون يائيد نعيممان إلى متعهدين «إثارة ضد المجموعة التى تخاف الله... ومؤلفين فى مستوى ضحالة البالوعات.. يلجأون بوقاحة إلى التجسيدات المعادية للسامية».

وفى نفس الوقت سعى حزب ديجيل إلى التخفيف من تشوه صورته بدعوة أعضاء الكيبوتز لحضور احتفال عشاء ليلة عيد الفصح فى منازل الهاريدى. وقبل عدد قليل الدعوة لكن حاخامات ديجيل نجحوا فى اقناع مجموعة منهم بضيافتهم لأُمسيات سمر وحوار التى حاولوا أخلالها إنتقاد ملاحظات الحاخام ساش بصورة مقبولة. الذى تحدث مؤكداً للكيبوتزيين أن ماصرح به تابع من حب عميق لكل يهودى.

وفيما يلى إحدى المحاورات المماثلة التى جرت بين الطرفين سجلها أحد المراقبين:

- الحاخام موشية فرانك، مدرس فى مدرسة القدس ومناصر لديجيل: «إن الذى لا يتمسك بالمعتقدات الأساسية لليهودية فهو ببساطة ليس يهوديا. إن التفكير بأن الأمة يمكن أن تكون قيمة عليا هو مفهوم وثنى وفاشيستي. إن القومية ليست مفهوما يهوديا. اليهودية ليست بلدا أو لغة.

- ياريف يارى (عضو كيبوتز شاب): «الله الذى هو قيمتك العليا لا يوجد بالنسبة لى. لكنك يهودى ونحن يهود؛ نفس الأمة. إذا قصد الحاخام شاح أعمال الذهن، فقد فشل فى ذلك لأنه يتحدث بالشعارات، وكشخص علمانى لم أشعر بالذنب، وإنما مجرد إحساس بأن شاح وأتباعه يعيشون فى العصور

الوسطى. لقد عمّق الإنقسام بيننا ولا يستطيع أحد ردم الهوة».

- أريج جيلبر (مؤرخ وعضو كيبوتز): «أرفض يهوديتكم جملة وتفصيلا مثلما ترفضوننى. لقد أعلنتم الحرب الثقافية علينا، وسوف نعاود النضال».

- الحاخام فرانك: «لو كان علىّ الاختيار لابنى، لا سمح الله، بين العيش فى الكيبوتز، وأكل طعام محرم، أو الموت، سأفضل الموت. أنا مستعد للموت مفضلا إياه على مخالفة السبت».

- صهيون طوبى (سكرتير الكيبوتز): ولكن أين هى الجبانات التى يرقد فيها الذين لا يكفون عن التصريح ، (أفضل الموت) ، إن جبانات الكيبوتز مليئة بأولئك الذين ماتوا دفاعا عن بنى براك... [مشيرا إلى طائرة هليكوبتر عابرة]. تلك هى سيكورسكى، مثل تلك التى أقلتنى إلى جبل حيرمون عندما حاربنا للإستيلاء عليه فى ١٩٧٣. لقد كان الهارديون وقتها قابعين داخل مدارسهم التوراتية يدعون مصلين بنجاحنا.

- فرانك : والحقيقة إنكم نجحتم؟

الفصل الثاني

إنهم يؤدون الخدمة العسكرية أيضاً

إن بلوغ السن القانوني لحق الانتخاب، يعتبر بالنسبة لكل شاب من الأصوليين الإسرائيليين لخطوة إتخاذ قرار حاسم، ليس بالنسبة لتحديد أفضل الأحزاب السياسية فحسب، إذ يتعين عليه، عند بلوغ الثامنة عشر، الاختيار ما إذا كان يريد الاندماج الكامل في المجتمع ويحمل نصيبه فيه من العناء، أو أن يحيا في نظر معظم الإسرائيليين كطفيلي يتمتع بامتيازات، وبتعبير آخر هل سيؤدي الخدمة العسكرية، أم أنه سيلجأ إلى نظام التأجيل المقرر في القانون لطلبة مدارس التوراة .

ناضل بعض المجندين للالتحاق بالوحدات المقابلة، كما جاهد عدد أقل - حسب الاحصاءات الرسمية - بعناء لتأمين وظيفة مكتبية مريحة خلال خدمة الثلاث سنوات الإلزامية. ولكن الكل يؤدون الخدمة باستثناء الهارديين، فكل فرد، سواء كان فدائياً (مغواراً) أو طباحاً يتلقى تدريباً عسكرياً أساسياً؛ عليهم أداء الخدمة (خدمة الموظفين ثلاث سنوات والنساء سنتين) كما يتم استدعاء المجند سنوياً لفترة شهر، يعرق ويشقى ويشتكى خلالها، حتى يصل إلى عتبة الخمسينيات من عمره .

في واقع الأمر، من الصعب المبالغة في أهمية الجيش في الحياة الإسرائيلية وبالتالي في تأثير نظام تأجيل الخدمة العسكرية لطلبة مدارس التوراة في إذكاء نار العداوة، القابلة للاشتعال بين الهارديين وباقي الشعب وتتفجر القضية بصورة فجائية في كل جدل سياسي وتخيم على كل مناظرة عقائدية المظهر. وعندما قام أعضاء كيبوتز ميزراع، وهم أكبر منتجي لحوم الخنازير في إسرائيل، بالتظاهر في شتاء ١٩٩٠، ضد قانون الخنازير الذي جاء به الهاردي؛ لم تركز اللافتات والتهافتات على محاولة

الهارديين فرض نوعية الغذاء على الأمة، وإنما على تحايلهم على الخدمة العسكرية. وهى قضية، على عكس تحريم لحم الخنزير، توحد الأغلبية غير الهارديين. كان الخنق يسود دائماً كل اتصال بين الجماعتين .

إن حوالى خمسة وعشرين ألف رجل هاريدى الآن فى سن الجندية لم يتسلموا على زى الجندية، والمزيد من الآلاف تخطوا سن التجنيد أجلوا خدمتهم، من عام إلى عام، لعشرات السنوات. أمضى العديد من الآلاف بداية شبابهم فى مدارس التوراة وظهروا فقط بعد الزواج والإنجاب، وذلك ليؤدوا الخدمة المختصرة عادة من شهرين إلى أربعة أشهر، فى وحدة غير مقاتلة، بدلا من الثلاث ، وبعد ذلك يؤدون الخدمة الاحتياطية كل عام مع الآخرين. هذه المجموعة الأخيرة إذا كانت ملتحية وترتدى القبعة الهاريدية والسترة السوداء فإنهم يعانون ظلماً من نفس الإهانات والاستهزاءات فى الطرق لأنهم المؤجلين الدائمين، وفى ديسمبر ١٩٨٨، تظاهر عدد منهم فى القدس مرتدين شرائط الحملة والشارات المميزة لوضعهم ليحتجوا على هذا التعصب بدون تمييز .

وربما كان من الظلم أيضاً الإيحاء بأن الشاب الهاريدى الذى يبلغ الثامنة عشر له أى خيار. إن معظمهم تم تطبيعهم منذ الطفولة على اعتبار التأجيل بمثابة اختيار طبيعى وآلى لتحديد المهنة. وليس لديهم اختيار حقيقى إذا ما أرادوا البقاء أعضاء مقبولين فى ضمن الطائفة. وفى مقاطعات الشيفا يكون المرتدى لبرى الجندية وليس طالب الشيفا ذو الرداء الأسود؛ هو الذى يشيح برأسه ويلقى نظرات عدم الرضا. و فى حفلات الزواج الهاريدية لايطرح السؤال عن «ما هو عمل العروس؟» ولكن: «أين سيتلقى تعليمه». وهل سيتابع دراساته التلمودية، وبالتالي يستمر فى تأجيل استدعاءه

للجيش؟ أما التساؤل عن العمل والمرتب فيهم العروس الشابة التى عادة ما تعمل كمدرسة أو سكرتيرة. وتدفع المدارس العليا لتعليم التوراة والخاصة بالشبان المتزوجين راتباً متواضعاً، وتدفع الحكومة علاوات الطفل ومنحاً أخرى؛ ويكون من المتوقع أن يساعد الوالدان أيضاً إذا كان ذلك فى مقدورهما .

إن إسحاق شامير، الذى كان رئيساً للوزراء من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٤ ومن ١٩٨٦ إلى ١٩٩٢ سلم، فى حديث صريح، خلاف المعتاد، قبل انتهاء فترة رئاسته؛ بأنه «لاتسامح» مع تخايل الهارديين على قانون الخدمة الإلزامية، إن رئيس الوزراء، الذى قام إئتلافه كما رأينا، على تحالف الليكود مع الأحزاب الهاريدية، كان عادة حريصاً على عدم التعبير عن مشاعره المتناقضة بعمق تجاه الهارديم والهاريديمية إن كصهيونى من الطراز التقليدى جلب إلى فلسطين فى الثلاثينيات تلك الروح المتمردة ضد يهود الشتات (الديسابورا) الذين أطلقوا النيران على الكثير من الشباب اليهودى قبل الحرب فى بولندا .

إن شامير وزوجته شولاميت التى جاءت من بلغاريا كشابة صهيونية غير أصولية تنتهج بقناعة تامة أسلوب حياة علمانية فى حياتها الخاصة، ولكنها تمارس الشعائر الدينية حرفياً أمام الملأ فلم يتم مشاهدتهم يخالفون قواعد السبت إلا أنه ما كان يذهب رئيس الوزراء إلى المعبد والواضح أنه لا يرتاح لذلك .

وبالرغم من حرصه، ومن نظرات مساعدة القلقة مساعده القلقة، فإن شامير لم يستطع كتمان التعليق الانتقادى على نفشى ظاهرة تأجيل الخدمة الإلزامية. (بينما كان مؤيداً «التسامح» - وزيادة الميزانيات الحكومية، مع نظام المدرسة الهاريدية، إلا أنه لم يكن متسامحاً على الإطلاق مع قيام هذه المدارس بتلقين تلاميذها عدم الالتحاق

بالخدمة العسكرية. وقال متنهداً: «إنها قضية خاصة». إنها قضية مؤلمة، مؤلمة جداً، لكننى لم أبتكر شيئاً جديداً حيالها، لقد زاد عدد المؤجلين بدرجة كبيرة أثناء فترة رئاسته، ويعلق: «لكن ذلك بسبب أعدادهم المتزايدة. فأنا لم أضف بقوانين أو تعليمات جديدة، كانت الزيادة تركز على القوانين والاتفاقات القائمة منذ مدة طويلة. إننى لم أفعل شيئاً بغرض الزيادة».

وفى الواقع قام شامير، بمحاولة - على نصف اقتناع - للتقليل من حجم الظاهرة، فجلب على نفسه وإبلاً من القدح الهاريدى أثناء زيارته لاحدى مدارس الحاسيديين حيث يكون الجمع بين دراسة التلمود وآراء الخدمة العسكرية والتي تعرف أيضاً بـ (الترتيبات الخاصة) لفترة خمس سنوات، تورط فى زلة لسان بملحوظة تشير إلى أن ذلك الترتيب ينبغى تطبيقه، فى رأيه، على كل الشييفا. لقي تصريحه تأييداً حماسياً من الصحافة ومن جميع الأطراف السياسية، خاصة اليسار المتطرف واليمين المتطرف اللذين كانا معارضين آنذاك لحكومة الوحدة الوطنية الليكود - العمل، فتمكن من إثارة غضب الهارديين.

لم يكن واضحاً ما إذا كان رئيس الوزراء قد تعمد بالفعل للتصريح بما قاله، أو ما إذا كان ينويفعلاً اتخاذ قرار بشأنه، لكنه إذا فعل فسرعان ما يتراجع أمام غضبة الهاريدى، وقد صرح الحاخام شاح بوضوح وهو يتحدث فى مدرسته (بونفيز يشيفا) فى بنى براك فى أغسطس ١٩٨٨: «فى حال أفراد المرسوم الظالم (جيزيرا) ضد الشييفا لن يبقى طالب يشيفى فى هذا البلد، وبدون التوراه لن تكون هناك أمة يهودية.... أنا يهودى عجوز لاقوة لى. لكننى أقول بوضوح: إذا أتى اليوم الذى ستداع فيه القرارات ضد عالم الشييفا، فإننى أرفع يدي معلناً «قسماً ياقدس إذا نسيتك شلت

يميني» [المزمود ١٣٧: ٥]. إن أبناء التوراة حرفياً (طلبة اليشيفا) لن ينسوا أرض إسرائيل، لكنهم سينفون أنفسهم منها لا ينسى شعب إسرائيل التوراة...»

أصر شامير، وهو محق، أنه لم يغير شيئاً؛ فالقواعد التي تحكم إعفاء طلاب يشيفا من الجندية، ظلت كما هي لسنوات، كان ذلك المبدأ قد وضع أثناء المفاوضات الجارية قبل انشاء الدولة بين الآباء المؤسسين وتم تطبيقه أثناء حرب الاستقلال عام ١٩٤٨، ودعى في القانون عام ١٩٤٩. إن شرعية المفهوم مستقاة من النص التلمودي: «الذي يكون التلمود هو حرفته» ويمتد إعفاؤه من الخدمة العسكرية طالما استمر في دراسته. وكانت هناك محاولة في أوائل الخمسينيات لقصر الإعفاء على أربع سنوات إلا أن الهارديم قاوموها بدعم قوى من الحزب الدينى القومى والرئاسة والحاخامية. وبعد تولى الليكود السلطة فى ١٩٧٧ واختياره حزب إسرائيل ضمن ائتلافه تم توسيع التقنين ليشمل الطلاب والمدرسين اليشيفا والهارديين .

فى بداية الأمر، أثر القرار فى بضعة مئات من الرجال، معظمهم لاجئون من اليشيفا التى تم تدميرها فى أوروبا الشرقية. عندما تأثر دافيد بن جوريون لتوسلات حاخاماتهم للقيام برعايتهم وحمايتهم للمحافظة على آخر أثر من التراث التلمودى .

وما من أحد فى الجانبين المتفاوضين، اليهود غير الأصوليين وقلة من الجانب الأصولى، أمكنه التنبوء، بحجم وسرعة نمو تهديد النهضة الهاريدية، التى إرتكزت بصورة أساسية على اليشيفا الذين تم تجميعهم. إن بعض القادة الاشتراكيين الصهاينة نظروا لليشيفا والمجموعة الهاريدية برمتها، على أنها عتيقة الطراز، ونوع من القدر الحادث فى غير عصره، وفى أحسن الأحوال متحف حى لثقافة اندثرت. ويقول الدكتور زوراخ ورهافتينج، زعيم هام فى الحزب الدينى القومى واحد الموقعين على

إعلان الاستقلال عام ١٩٤٨ : لا أظن أن بن جوريون نفسه اعتقد أن الأصولية الدينية سنزول تماما. لكن زوجته بولا اعتقدت ذلك. أتذكر إسرائيل يشايا هو [شخصية من العمل من أصل يمني أصبح فيما بعد المتحدث الرسمي باسم الكنيسيت] مؤكداً لى أنه خلال خمسة وعشرين عاما لن يكون هناك يمينا فى إسرائيل محافظاً على ارتداء التفلين، .

إن مناحم بوروش عضو الكنيسيت القديم وهو من أجودات يتذكر فى هذا السياق أنه قام بزيارة إلى نيويورك عام ١٩٤٦، كصحفى شاب، وبينما كان ينتظر خارج مكاتب مؤسسة الحاخام الأصولى، أجودا حارونيم، وجد نفسه جالسا بجانب الحاخام حايم مائير هاجر، المعلم الهاسيدى فى فيشتنس، وجواره لاجئ يجلس بمفرده. فتح الباب وتمت دعوة بوروش للدخول، فاقترح أن يدخل الحاخام العجوز أولاً، ووافق الموظفون بامتعض .

«حضر يطلب مساعدتهم فى إنشاء مدرسة (يشيفا) ومشروع إسكان فى بنى براك. عندما غادر ودخلت، سألوني: أيها الحاخام مناحم هل ذلك الرجل مختل العقل؟ من سيتذكر أولئك المسؤولين اليوم؟ إن الأجودا حارونيم على تحتضر بينما جماعة الفيشنتس فى بنى براك لا تزال تنمو وتنمو». ويبلغ عدد المؤجلين للخدمة العسكرية بالمئات من بين الفيشنتس يشيفا بمفردها كل عام المؤجلين من الخدمة كل عام.

إن خمسة وعشرين ألف من القادرين، المؤجلين من الخدمة العسكرية، الوشيك التحقيقأخذ فى الازدياد المكثف، وفقا لما ذكره الحاخام أفراهام برون، منسق شبكة اليشيفا «التعاضد السريع لأطفال الهاريدي بدأ يصل إلى سن الجندية بأعداد ضخمة» .

إن منظمة برون لليشيفا الأصوليين الصهاينة التي بدأت في الستينيات تضم ما يربو على ثلاثة آلاف طالب. يمضى الطلاب خمس سنوات، منها سنتان في الخدمة والثلاث الأخريات في صالة الدراسة بالمدرسة. وكل أولئك اللائقين طبيا يخدمون في الوحدات المقاتلة، يخدمون معا مشكلين فصائلهم الخاصة بهم ولذا فهم يحافظون على بعض الحماس الدينى والتماسك الإجتماعى لليشيفا أثناء مهمتهم فى الجيش .

يستمر كثير من الخريجين اليشيفا الحاسيديين فى الدراسة حتى الجامعة ويصبحون محامين وأطباء ومهندسين ومنهم موشيه إشون، محرر جريدة ومنظر أصولى صهيونى والذى صرح باعتزاز شديد، إن اليشيفا الحاسيديين هم أيضا الأساس الروحى لجوش إمونييم، الحركة الوطنية المتطرفة التى تقدمت كرأس حرية فى بناء المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة. إن أكثر الحاخامات والقادة فى المستوطنات البارزين هم خريجي مدارس اليشيفا الحاسدية .

إن الجنود الحتاسيديين أبلوا بلاءً حسناً فى الحرب، وينظر إليهم باحترام فى الجيش ومن قبل الرأى العام، وأخذ طلبة (اليشيفا) فى الوقت الراهن يحتلون مكانة عالية كعلماء تلمود على قدم المساواة مع طلبة اليشيفا الهارديين، ويفرض عمداء اليشيفا باستمرار أى خيار بالنسبة لطلابهم، مشابه للخيارات المقدمة للهيستير وكانوا دائمى الرفض بإزدراء لكثير من مقترحات الجيش حتى أنهم رفضوا مقترحات بسيطة كنقل المعارف الأولية للطلبة للاسترشاد بها فى حالات الكوارث القومية ويعبر كثير من طلبة الحاسيديين يشيفا عن احتقارهم لنظرائهم الهارديين بمثل مرادة وامتعاض أى ذم قاس موجه من المعاديين للأصوليين .

ترى هل يلتحق الشباب الهاريدى بمدارس الشيفافا للتحويل على الخدمة العسكرية؟ أم أنهم كما يدعون وحاخاماتهم، يؤجلون خدمتهم العسكرية ليدخلوا فى خدمة ليست أقل مشقة وهى خدمة الرب، مختارين حياة نصف منزلة، ومضحكين طواغية بالكثير مما تقدمه الحياة العصرية؟ وهل كان الحاخامات، الذين فاضوا على مشروع تأجيل الخدمة الإلزامية مدفوعين بالرغبة المحضة فى احتضان طلابهم اللاجئين قليلى العدد، أم أن عقيدتهم المعادية للصهيونية ألقت بظلالها على إصرارهم بعدم تسجيل طلبتهم ضمن جيش الدولة الصهيونية الناشئة، والتى سيتعين عليها الاستمرار فى الحرب من أجل بقائها. وإذا كانت الدوافع الأصلية صادقة فهل لطخت بآلاف المتحايلى الذين يؤكدون أن «التوراة هى حرفتهم» ويتركون القتال والموت للآخرين؟

إن الحاخام الزعيم اسحق هيرتزوج، وهو من كبار أنصار الصهيونية والمبجل فى الدوائر الهاريدية كعالم وشخصية ورعة أيد عام ١٩٤٨ بشكل فعال مطلب إعفاء طلاب الشيفافا من خدمة الجيش. «إن طلبة الشيفافا الدينيين يستحقون إعفاءً خاصاً»، وهذا ماخطه الحاخام هيرتزوج إلى رئيس أركان الجيش، «لأنهم بعد الإبادة البقية الباقية من المؤسسات الاجتماعية للتوراة العظيمة.... إن صلب روح الشعب اليهودى يعتمد على وجودهم. وحتى مطالبتهم بالتعبئة الجزئية سيكون سبباً لاضطرابهم.

وفى نفس الوقت، سعى هيرتزوج فى حواراته المغلقة مع عمداء مدارس الشيفافا الهاريديين، لإقناعهم بأن على طلبة الشيفافا من وجهة النظر الأخلاقية والهلاشية. الالتزام بأداء واجب المشاركة فى خدمة الدفاع الوطنى ولم تصادف وسلاته وحججه إلا آذانا صماء. كما أكد الحاخامات الهاريديين على أن أى تخفيف فى منهج الشيفافا سوف يدمر فعاليتها: ويحاجون بقولهم إن التعليم الشيفافى ليس عملية أكاديمية فقط.

إن التجربة الدينية والاجتماعية الحميمة جزء لا يتجزأ منها. إن الهدف النهائي لليشيفا هو تشكيل بنى التوراة، كرجال حياتهم، برمتها، مكرسة لدراسة التوراة ومراعاة التميزقوت. إن أى إلهاء لابد وأن ييوق تقدم الطالب المنتظم فى اكتساب «التوراة والخوف من السماء». جادلوا أيضاً فى أن الدراسة والصلاة بالنسبة لطلاب اليشيفا هى بمثابة عنصر من عناصر الدفاع الوطنى كالدبابات والطائرات للجيش، ويوردون بغزارة الآيات التوراتية والتلمودية لتعزيز وجهة نظرهم .

بعد أربعة عقود أصبحت تلك المجادلات جزءاً من لاهوت الهاريديم. ولذا فإن التساؤل عما إذا كان معظم طلاب اليشيفا متحايلين على الخدمة العسكرية سيتفرع ويتشعب: وإن اتم إلغاء الإعفاء، فإن المدارس ستخلو من السواد الأعظم من طلابها. وبعض الطلاب سيدرسون لسنوات قليلة ثم يخرجون إلى العالم لكسب عيشهم. وغيرهم لن يدرس أبداً بعد سن الثانوية العليا، والقلق فقط سوف تقى فى اليشيفا لأجل غير مسمى، وهؤلاء هم ذوى المواهب الأكاديمية الذين لديهم طموح لأن يصبحوا حاخامات .

واليوم، فى المجتمع الهاريدى المتحفظ والواثق من نفسه، الكامل بالدعامات الفلسفية وتبرير لدعم نظام التأجيل على أسس دينية ليس من السهل التمييز بين المتحايل على أداء الخدمة لقد انتقلت هذه الفلسفة من إسرائيل إلى يهود المشتات. حيث يوجد هناك أيضاً شباب هاريدى يمضون سنوات طويلة فى مدارس اليشيفا والكولوليم أكثر من الجيل المضى (أقل بكثير مما فى إسرائيل) .

إن نظام التأجيل الخدمة العسكرية أصبح جزءاً متماسكاً من العزلة المتعمدة للجماعة الهاريدية عن المجتمع العام. فيسرائيل إيشلر، على سبيل المثال، محرر الصحيفة

الأسبوعية، البلز (طائفة حاسيدية)، حاماكليين هاباريدي، أكد لقرائه الحاسيديين: «أكبر من الالتزام باليشيفا، بأن باشور والتعلم بدلا من الخدمة في الجيش، هو منعه من مقابلة المنشقين المقززين، والحديث معهم، الذين ينشرون جرائم المقت الشديد التي تسمم الروح اليهودية». كأسلوب رد الفعل لتصريح في حوار أصولي - علماني المؤلف الإسرائيلي أ.ب. يهوشوا بأن «الإختلاف الأساسي بين الهاريديم والآخريين يمكن أن يكون مقبولا لو شارك الهاريديم في عبء الخدمة العسكرية. فلو تم إزاحة تلك العقبة يمكن أن يتلو ذلك تقارب وحديث» .

كتب إيشلر: «بسماع تلك الكلمات من فم أحق فإن رد فعلى المباشر: لذلك السبب فقط فإنه يجب هو الحفاظ على النظام الهاريدي، التحايل على الخدمة العسكرية... لأجل منع أى تقارب أو حوار مع عدو مثل يهوشوا، فإن الوضع يجب أن يبقى على ما هو عليه» .

إن الاقتصاد أيضاً عامل هام في نمو مدارس اليشيفا. أنه فقبل معسكرات الإبادة، لم يكن بمقدور الهاريديم الشبان قضاء سنوات في المدارس حتى لو أرادوا ذلك كما اليوم فإن مدارسهم تنعم بحجم من المعونات الخيرية الهاريدي ربما لم يسبق له مثيل في التاريخ اليهودي. كما أن مدارس (اليشيفا) تتمتع بمساندة مكثفة من الدولة أيضاً تؤمنها السلطة السياسية للأطراف الهاريدي وحتى الآن استطاعت الأسر الهاريدي تمكين الراشدين القادرين على كسب القوات من البقاء غير منتجين لفترة طويلة من حياتهم ولا يزال رجال الكوليل يعيشون في شقق مع نصف دستة أطفال وزوجاتهم تعمل طوال أيام الأسبوع في مدارس أو مكاتب؛ وبينما يدرسون في اليشيفا، يكون من الأفضل من ناحية مادية الانخراط في خدمة الجيش المختصره ثم السعى للنجاح في

مهنة ما. وإن عدم قيامهم بذلك، في قناعتهم، راجع إلى معتقداتهم الدينية. أما في الجانب المعادى للهاردية، بما في ذلك الأصوليين الصهاينة، فإن الانتقادات التي يثيرونها تركز على قيام الهاردية (بتكليف) أتباعها على العملية المنحرفة ألا وهي عدم الاندماج والتعاطف مع الدولة الصهيونية. وكذلك ينتقدون الجبن المحض كعامل إضافي. ونظراً لاستحالة وجود عوامل محددة في هذا النقد يمكن إختبارها وملاحظتها على أرض الواقع؛ فإن الثقل النسبي لكل من العوامل المذكورة، في النهاية، مسألة وجهة نظر، ومن جانبهم يسارع الهاريديون بالرد على المنتقدين بنفس منطقهم آخذين عليهم (تكليف) أتباعهم على معاداة الهاردية .

يقول الدكتور يوسى بيلين عضو الكنيست، وشخصية صاعدة في حزب العمل، هو رجل حاسم: «إن المجتمع بأكمله يتجمع حول قضية تأجيل الخدمة العسكرية وتلك هي القضية المحورية» والدكتور بيلين لا يقبل القائلة بأن تأجيل الخدمة العسكرية يسمو الآن إلى مرتبة العقيدة، فهو يصر على: «إن الجميع يدركون أن معظم مايسمونه» «عالم اليشيفا» وهم، وإنى أؤكد أنه إذا لم يكن هناك تأجيل فإنه لن يوجد «عالم اليشيفا» بالصورة والنسب الحالية، حيث نرى في مجتمع بأكمله كل غلام هاريدي يصبح دارس تواراة (ياشيفا باشور)، ولا يتم استثناء أحد، مهما كان مستواه متديناً، وإذا لم يتمكن من الالتحاق بمدرسة ذات مستوى جيد، يحاول في مدرسة أقل مستوى، وإذا فشل مسعاه ثانية، يبحث عن مكان أقل، وفي النهاية يجد الجميع مكاناً ما. إن ذلك أمر لاسابق له في التاريخ اليهودي . ويضيف بيلين: إلا أن استمرارهم على معدلات النمو الحالية، فمن المحتمل حدوث انفجار سكاني، والمجتمع الإسرائيلي لن يتحمل ذلك طويلاً .

إن قضية الخدمة الوطنية بالنسبة للنساء، من ناحية أخرى، لم تعد تثير الجدل في المجتمع الإسرائيلي. وفي السنوات الأولى للدولة أثارت أكثر التزاعات عنفاً وإثارة للشقاق بين الهارديين وبقية الإسرائيليين بين وأصدر الحاخامات الهارديين القياديين تعليماتهم إلى الفتيات أن يفضلن السجن، أو حتى الموت بدلا من الانخراط في الجيش. مناقشة في الكنيسيت في أغسطس ١٩٤٩ أكد اسحق مائير ليفين، زعيم أجدودات إسرائيل، على أنه هناك في الوطن «كثير من الآباء سوف يطيعون ذلك القرار حرفيا، وسوف يقاومون بالقوة» .

وفي مناظرة جرت في الكنيسيت، في أغسطس ١٩٤٩، أكد اسحاق مائير ليفين، زعيم حزب أجدودات إسرائيل، على وجود «الكثير من الآباء الذين سيطيعون فتلك التعليمات حرفيا، وسوف يقاومون بقوة» . وقد تراجع ديفيد جوريون، الذي كان رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع، فشمّل القانون الذي سبق تشريعه بعض الإعفاءات للنساء، على أساس من «المعتقدات الدينية والأخلاقية»، وقد نشبت معارك مرتبة لعدة سنوات، في الشوارع والكنيسيت بسبب جهود الحكومة لتشغيل الفتيات الأصوليات في الخدمة المدنية الإلزامية عوضاً عن الخدمة العسكرية. وكان ذلك سبباً في شق العصا بين الأصوليين الصهانية، الذين مالوا إلى القبول بذلك تحت شروط معينة؛ والهارديين الذين تابعوا التهديد بالعنف والعصيان المدني .

إن الحاخام أفراهم يشايهر، الحاخام الهاردي البارز، المعروف بـ «حازون إيش»: رؤية الرجل، حسب اللقب الهالاش لمجموع مؤلفاته الدينية، قرر إن أي صيغة للخدمة الوطنية للفتيات «ممنوعة تماماً» .

كما أصدر أربعة من الحاخامات البارزين «الدعوة التالية إلى كل بنات إسرائيل:» نحن نأمركن باسم التوراة الوقوف والقتال من أجل حياتكن ضد أولئك الذين سينتزعونكن لتجنيسكن». وحاول حازون إيش فى عام ١٩٥٣ دون توفيق إقناع وزراء الحزب الدينى الوطنى بالتخلى عن هذه القضية مثلما تخلى عنها ليفين من حزب أجوداه. وعلى كل حال، بالرغم من إقرار قانون الخدمة المدنية فى ذاك الوقت إلا أنه بقى غير سارى المفعول، ولم يتم تشغيل الفتيات الأصوليات فى أى نوع من الخدمات .

وفى الواقع هناك ستون بالمائة من الفتيات فقط مدرجات فى الخدمة العسكرية. والبعض من المتبقيات يرفعن الدعوى القانونية أم (بيت دين) بأن عقيدتهن الدينية تمنعهن من أداء الخدمة العسكرية، بينما تم إعفاء الأخريات لأسباب متنوعة. وهناك سنوياً أكثر من ثلاثة آلاف فتاة من الجماعة الأصولية- الصهيونية، يرفعن الدعوى القضائية ويتسبن لشبكة المتطوعين الأصوليين، ويخد من سنة أو سنتين كمدرسات فى القرى النائية، وطلبات الطب فى المستشفيات، أو يعملن فى المناطق المحروقة من الخدمات. أما الفتيات الأصوليات الصهيونيات يلتحقن بالجيش للعمل كمدرسات جنود فى المدارس الأصولية الداخلية أو مزارعات مجندات فى كيبوتزات- الحزب الدينى الوطنى .

وظلت الفتيات الهاريديات على رفضهن لكافة البدائل ورفضها الرجال الهاريديون أيضاً وذلك يعنى أنسن الثامنة عشر حاسم بالنسبة لأى فتاة إسرائيلية أصولية من ناحية توقعات زواجها مستقبلاً. باختيار فإذا اختارت الجيش فإنها تلغى أى تفكير فى الزواج من طالب مدرسة يشيفا هاريدي. وحتى بعض طلاب الحاسديين خاصة أولئك الذين

يحملون بمهنة الحاخامية أو التعليم الدينى- سينظرون بارتياح إلى أى فتاة اختارت الجيش، وسيفضلون خريجة الخدمة التطوعية. وبنفس المنطق- رغم أن هذا نموذج للدرجات الاختلاف الدقيقة والمميزة- سيفضل فإن الحاسدين خريج الجامعة سنفضل زوجة خدمت البلاد بدلا من تلك التى تنتهج الطريق «السهل» كمخرج ولا تفعل شيئا .

بالنسبة للنساء الهاريديات الشابات، كما هو بالنسبة لشريكها، لم يكن أمامهن اختيار حقيقى: مدرستها ومنزلها أوحى لهم برؤية كل الصيغ المتاحة للخدمة كأشكال للخطئية. إن رفع الدعوى عمل آلى، وجزء من نمو الشخصية إلا أنه لا يستحث أى نوع من البحث عن الهوية الروحية وسط فتيات المدارس الثانوية الهاريديّة .

وفى الجانب غير الأصول، لم تعد القضية مثارة؛ لأن الجيش لا يحتاج فى حقيقة الأمر إلى كل اللاتى التحقن به، ويجد من صعوبة فى تعيين الأعمال النافعة لهن خلال فترة خدمتهن لعامين. علاوة على أنه خلافاً لوضع حرب الاستقلال حينما حاربت النساء مع الرجال جنبا إلى جنب فإن سياسة الجيش منذ سنوات عديدة توجب عدم تعريض الجنديات للخطر فى المعركة أو حتى التدريب- ومن ثم فإن امتناع الفتيات الهاريديات لم الاستياء الذى أثاره رفض طلبة اليشيفا لتحمل عبء ومخاطر الجنديّة. علاوة على أن كثيرا من الفتيات الهاريديات يتزوجن فى سن مبكر مما يجعلهن معفيات بصورة آلية من الخدمة العسكرية .

ويوجد فى هذا الزمن الأقل مثالية والأكثر واقعية، إقرار عام بين الرأى العام الإسرائيلى العريض، أن الحياة العسكرية بشكل عام غير ملائمة للشابات الهاريديات، اللاتى لم يتعرضن فى تربيتهن لتجربة الصراع ولم يلتحقن بالمدارس المشتركة، واللاتى يعتبرن فقدان العذرية قبل الزواج حدث أليم ومأساوى .

الفصل الثالث

اتهامات المحرقة (الهولوكوست)

تقدم المحرقة (الهولوكوست) مبدأ غير قابل للجدل بالنسبة للكثير من اليهود، كما تقدم أيضاً بعد ذلك بكثير التبرير للأفكار الصهيونية. فهي تُثبت أن معاداة السامية متوطنة على الأقل في محيط أوروبا المسيحي، وأن اليهود في حاجة إلى وطن خاص بهم على الأقل كلاجئين عندما تكون كل الأماكن الأخرى موصدة في وجوههم، وكانت قوة ذلك الدرس هي التي ساعدت في إقناع العالم بتأييد إنشاء دولة إسرائيل في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وإسرائيل من جانبها على، تنامي قوتها، لاتزال حريصة على أن لاتدع الدرس ينمحي ويذبل من الذاكرة، فكل زيارة رسمية للدولة اليهودية تبدأ أمام النصب التذكاري لمذابح الهولوكوست في مدينة القدس حيث يقوم الزائر الكبير بوضع إكليل من الزهور أمام نصب [الستة ملايين يهودي من ضحايا هتلر].

وبالنسبة ليهودي أمريكي فإن الدرس كان أكثر عمقاً وبداخله فهناك أولاً الإستنكار. والشعور المكبوت بالذنب إزاء ما حدث في العالم القديم.. وهناك شكوك بعيدة المدى في فاعلية الحل الصهيوني... وكانت صعوبة وانتصار حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧م، هي التي أنهت الربط بين مذابح النازية ودولة إسرائيل في فكر يهود الشتات. وقد ذكر احد الكتاب في مايو ويونيو ١٩٦٧ أن المحارق تعيش في تفكير كل يهودي، وكانت نتيجة الانتصار تدفقاً لعواطف الانفعال في اليهود أكثر من أى تجربة مروا بها من ذي قبل. وكتب المفكر الديني اليهودي ابراهام ميخائيل بعد الحرب بقليل، الشعر الكثيرون منا بأن حيواننا في الميزان وليس فقط وحيوات أولئك الذين

يعيشون فوق هذه الأرض. فلقد كانت التوراة ومجمل التاريخ اليهودى عرضة لرهان صعب.

فالعالم الذى ظل ساكناً وصامتاً ولا يحرك ساكناً بينما يموت ستة مليون يهودى، وكان صامتا مرة أخرى فى عام ١٩٦٧م. وكانت العزلة قاتلة. ويعنى ابراهام إلى أن التجربة أطلقت ينابيع الأحساس العرقى، والهوية التى ظل اليهود الأمريكيون يكتبونها فى عقود ما بعد الهجرة للثقافة الجماعية. وكانت تلك الحقبة ايقاظا للخصوصية داخل الجماعات الأخرى أيضاً فى أمريكا. ولكن بالنسبة لليهود الأمريكيين وفق تعبير يعقوب نيستر فإن عملية إعادة إحياء الهوية اليهودية ولم تكن لتأخذ ذلك الشكل الذى أخذته بالهوية القوية فى دولة إسرائيل، وكرد على المحرقة دون حدث فريد وداعم لذلك مثل حرب ١٩٦٧.

وربط اميل فاكنهيام أحد فلاسفة اليهود البارزين بين البقاء ودرجة النقاء العقائدى. ويقول فاكنهيام أن اليهود وجدوا ليستمروا كيهود فقط- وأن صوت «الاشعراتز» كان هو الصوت الذى أوصله يهود إسرائيل للعالم فى مايو ويونيو عام ١٩٦٧م، برفض الخضوع وأن يكونوا عرضة للمذابح.

إلا أن بعض الكتاب الليبراليين مثل «ليونارد فين»، هاجم تسلط هذا الهاجس واعتبره نوعاً من الهزيمة الداخلية وانعكاس لسطحية التفكير.

وبالنسبة لليهود «الهارديم» فإن «المحرقة» لم تكن مبرراً للصهيونية؛ بل على العكس كانت مبرراً لمعاداتهم للصهيونية، وكان ذلك هو الأمر الأكثر استعصاءً على الفهم بالنسبة للآخرين؛ لأن الهارديم عانوا أكثر من اليهود «غير الأصوليين» من

المذبحة التي شملت نسبة أكبر من تجمعاتهم. بينما لم يتعرض يهود آخرين لمثل ما تعرضوا له «الهارديم»، (وخاصة: أولئك الذين عاشوا في الولايات المتحدة الأميركية وفلسطين).

والأكثر من ذلك أن «الهارديم» استفادوا أكثر من غيرهم مما أطلق عليه ينسبير عملية التأسيس العرقي لليهود الأمريكيين، وإعادة التركيز هذه على الخصوصية اليهودية وجعلت الهارديم أقل استعداداً للتنازل وزادت من رغبتهم في إستعادة أجيالهم الشابه وجذب آخرين إلى معسكرهم، واستفاد الهارديم أيضاً من النمو المتوازن في إسرائيل ونحو قدرات الجيلين الثاني والثالث من الإسرائيليين للتعامل مع المحرقة ومرحلة ما قبل المحرقة من حياة اليهود الأوروبيين .

ويهود الهارديم ولم يكن مثقلين «بالاعتراض الأيدلوجى ليهود الشتات» وبمواظب المؤسسين الأوائل لدولة إسرائيل، ومع ذلك ورغم المحرقة وتأثيرها على استمرارية اليهود لم تغير شيئاً على الإطلاق من الإعتراض على الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية وبعد المحرقة مباشرة كانت هناك مؤشرات قليلة حول إعادة التقييم بين أوساط اليهود «الهارديم» ولكن لأن تجمعات «الهارديم» بدأت في النمو والتزايد فإنهم واصلوا اتجاهاهم «الاشكنازى والتنديدى» بالصهيونية الذى وضعه قادتهم قبل فترة الحرب .

وقد كتب أحد هؤلاء الزعماء الهارديم من منفاه في «فالسبرج» في نيويورك: «أن بقاء واستمرار الصهيونية هو سبب رئيس للمحرقة وأن العقاب الإلهى كان شديداً ضد اليهود لأنهم سعوا لاستعادة أرضهم وسيادتهم قبل الموعد الإلهى». وبعد حرب ١٩٦٧م كتب هذا الزعيم كتاباً آخر رد فيه مقولاته السابقة من أن أنتصار حرب

١٩٦٧م، لا يعنى الموافقة على خيار الحرب.

أما الحاخام الحاسيدى بتلومفلقد عدّ متطرفاً عن للهارديم أنفسهم ويعود ذلك إلى رفضه الانضمام للقيادة العليا لحركة «أجودات إسرائيل» أكثر من كون ذلك خلافاً عقائرياً وأيديولوجياً حول صواب وخطأ الحركة الصهيونية.

وكان زعماء «الهارديم» قد نصحوا أتباعهم أثناء الحرب بعدم الهجرة إلى إسرائيل «فلسطين تحت الإنتداب البريطانى فى ذلك الوقت» رغم تصاعد الكراهية ضد السامية فى شرق وسط أوروبا فى ذلك الوقت ورغم التهديد المتزايد من جانب هتلر فى ذلك الوقت. ولم يكن هناك بلد آخر على استعداد لقبول أعداد كبيرة من اليهود كلاجئين. وللحقيقة ليس كل زعماء «الهارديم» قد نصحوا أتباعهم بعدم الهجرة إلى فلسطين فى كل الأوقات. فزعماء الصهيونية لم يكونوا قد حددوا موقفهم تماماً تجاه «الهارديم» فى ظل العدد المحدود من تصريحات الهجرة التى كانت متاحة فى ذلك الوقت من جانب الإدارة البريطانية .

وفى أواخر عام ١٩٣٠ عندما أصبح الوضع يائساً أغلقت السلطات البريطانية باب الهجرة إلى فلسطين فى ظل الضغط الذى كانت تتعرض له من جانب العرب. إلا أنه وحتى فى ظل الجيتون النازى «ومعسكرات الإبادة» ولم ينتقد الهارديم الحاخامات أو حتى حملهم على الإقتران بالخطأ لعدم السماح بالهجرة إلى إسرائيل.

ونار جدل كبير فيما بعد حول دور الحاخامات فى اليهودية وبعد هذا الجدل عاملاً فى إثارة المشاعر ولكنه فى بعض الأحيان افسد المعالجة لانتجاة ونظرة الهارديم للمذبحة. وتساءل الكتاب الجدد الذين تولوا التأريخ للمحرقة، من هم هؤلاء الحاخامات الذين أقروا بعدم الهجرة لأرض الميعاد؟

وكانت حركة «أجودات إسرائيل» هي التنظيم الوحيد لتمثيل العناصر المناهضة للصهيونية بين اليهود الأصوليين قبل المذبحة؟ ولكن كل الزعماء الشرعيين لهذه الحركة كانوا يخططون من قبل الحرب للهجرة لأرض الميعاد .

ومن بين أهم ثلاثة استمروا في ذلك الوقت ورفضوا الهجرة، كان هناك الحاخام إسرائيل مائير كاهان الذى مات عام ١٩٣٣، عن عمر يناهز التسعين عاما.

والحاخام اليشان وايزرمان الذى عاد من الولايات المتحدة إلى أوروبا بعد أندلاع الحرب ليلقى حتفه وسط طلابه من دارسى «الياشيفا» والثالث هو الحاخام «افراهام موردخاي» الذى أعلن أنه جاء إلى أرض الميعاد خضوعاً لضغوط «الهارديم» وعاد بعد ذلك بعدة أشهر إلى بولندا مرة أخرى .

وفى الكتاب الذى يعد أول دراسة منشور بالإنجليزية برغم أن هؤلاء الحاخامات لم يتمكنوا من الوصول لأرض الميعاد بسبب نفس الأسباب ذاتها التى منعت عدد كبير من مؤيدى الصهيونية من إطلاق طموحاتهم فى الهجرة أيضاً .

وهناك عشرات من الحاخامات الذين عبروا عن عدم رضائهم وعدم تشجيعهم للهجرة وهى الحقيقة التى ينكرها الكتاب مستنداً لأسباب وأهية. منها أن أغلبية كبيرة من حكماء التوراة لم يأخذوا مثل هذا الموقف .

وقد يعود الفهم الواسع للتضاد والتنافر بين الهارديم والصهيونية إلى الخلط بين الصراع ضد مبادئ الصهيونية من ناحية، ومع معركة وهمية ضد العودة لإسرائيل .

ولكن مراجعة يوميات كاتب جيتو وارسو «شليمون هيرباند» فى الفترة من ١٩٠٩-١٩٤٢ وكذلك حاخامات المانيا مثل معظم حاخامات بولندا كانت ضد

الأستقرار فى أرض الميعاد ولو كان مجلس حاخامات المانيا قد أمر أتباعه الذين كان بينهم عدد كبير من رجال الصناعة الأغنياء بالهجرة لأرض الميعاد فإن تجمعات اليهود فى إسرائيل كانت ستختلف بدرجة كبيرة عما أصبحت عليه. ومع مراعاة أن حاخامات المانيا كانوا الأكثر تفضيلاً بين نظرائهم تجاه الأستقرار فى أرض فلسطين وحاخامات اليهود فى الحجر كانوا أكثر تطرفاً من حاخامات «جليداك» فى بولندا .

فالذكريات الحزينة والمضجعة كلها تتجمع عندما العودة بالذاكرة إلى مرحلة ما قبل عودة الصهيونية لأرض الميعاد. كان هناك تسرباً متزايد من أوروبا إلى الوطن الموعود وشملت الهجرة على بعض الهارديين، الحاخامات وأتباعهم الذين حركتهم العاطفة الحياة والموت فى الأرض المقدسة .

ولكن غير الأصوليين رفضوا فى أحيان كثيرة أعداء الأصولية من الصهانية الذين على حياة اليهود فى فلسطين فإن زعماء «الهارديم» كان لهم تحفظاتهم الواسعة تجاه فكرة العودة، مضافاً إلى تحفظاتهم السابقة ضد الهجرة لأمريكا التى كانوا ينظرون إليها من جانب حاخاماتهم حتى أوائل القرن بما فيها من مادية وحرية على أنها مرادف للنزعات الدنيوية، ولذلك فإنه ليس من باب المصادفه أن أحداً من الهارديم لم يتبع رفاقه اليهود فى الاندفاع للهجرة عبر الأطلنطى، والصهيونية فى فلسطين فى نظر «الهارديم» كانت تعنى المارقين ضد التعاليم القديمة. وكان حب مبادئ صهيون القديمة قد تحول فى أوساط «الهارديم» إلى الإشمئزاز منها. فالعملية التاريخية التى تمت بعد وعد بلفور عام ١٩١٧، لم تكن مفهومه ولا مقبولة فى فكر حاخامات الهارديم، شأنهم فى ذلك بشأن بقية اليهود فى أوروبا.... وفى عام ١٩٣٠، كان هناك بالكاد نحو نصف مليون يهودى فقط قد استقروا فى الوطن القومى لليهود فى فلسطين .

ويلقى الهارديم بثلاثة اتهامات رئيسية على الحركة الصهيونية وهي:

١- اتهامات فلسفية عقلية، وهي تلك التي كتبها ستامر ريبى .

٢- اتهام تاريخي بأن الصهيونية تعجل بالنهاية وينتقم الرب انتقاماً الأمة اليهودية كلها .

٣- ثم ثالثاً اتهامات «التاريخية» جاءت على يد حاخام أمريكي شكل الاتحاداً ضد الصهيونية، وقد اتهم الحاخام قادة الصهيونية باتهامات شخصية قاتلة أثناء فترة الحرب. ويقول الحاخام اسحاق هانتر صاحب الاتهام والذي كان يشغل نائب عميد مدرسة «الباشيفاه» في نيويورك، وكان فى نفس الوقت يحظى باحترام بالغ بين «الهارديم»؛ فقد سجل هذا الحاخام أنه فى عام ١٩٢٣، قرأ الحاج أمين الحسينى المفتى الأكبر بياناً للقدس فى ذلك الوقت، والذي تحالف مع هتلر فى واحد من أكثر التحالفات اهمية فى العصر الحديث «الساك»، وفى هذا البيان أدله قاطعة بأن المفتى لم يكن فقط هو الذى زار هتلر، ولكن كان معه زعيم إسرائيلى هو «أدولف ايشيمان»، الذى زار غرفه الغاز فى «الايستراتيز» Auschwitz للوقوف على مدى فاعليتها، وهناك بالتأكيد دليل قاطع على تأييد الحسينى لما يفعله هتلر ضد اليهود وعلق عليه الآمال باعتباره الحل النهائى الذى سينجح فى أوروبا وأيضاً وبهم اليهود فى فلسطين أيضاً ويلوم هانتر الصهاينة، ليس آمال الحسينى، ولكن لادارك هتلر لخطورتهم أيضاً ويقول رغم الضغوط العلنية القوية لإنشاء الدولة اليهودية فإن المفتى لم يكن لديه اهتمام بيهود وارسو وفالينا وبورايبست وعندما ظهرت دولة إسرائيل حقيقه فإن المفتى لم يذل أى جهد للتأكيد

على هتلر بقتل أكبر عدد من اليهود، يوضح ذلك أن المؤسسين الأوائل ساهموا بوضوح فى قتل العديد من اليهود، وتم اخفاء ذلك من سجل التاريخ ووفقاً للحاخام هاتنر فإنها كانت لصرف الأنظار عن تورطها فى الأحداث النهائية المدمرة ويذهب هاتنر إلى أن الرجال العظام فى إسرائيل كانوا مسئولين عن تدمير العديد من المجتمعات اليهودية لأنهم لم يحتوهم على الهجرة.. وهذه النزعة الجدلية تبدوا واضحة فى المعالجة التاريخية لاتتفاضات الجيتو فى وارسو، وبابليتوك، وعدد من المدن الأخرى التى أنتهت فى معظم الحالات بالفشل والقمع الشديد. فذولة إسرائيل أعلنت تاريخ إنتفاضه وارسو كذكرى سنوية ليوم المذبحة واطلقت عليه يوم المذبحة والبطولة. واختيار هذا التاريخ والأسم يتضمن فى طياته ما أبداه مقاتلى الجيتو والأنصار، الذين ينتمى غالبيتهم للصهانية والعلمانيين، من معانى البطولة فى المذبحة .

كما يعنى أيضاً إنكار الإخلاص والبطولة على الآخرين حتى فى الدخول لأفران الغاز .

وأصاب الارتباك الدولة الصهيونية الوليدة بدرجة كبيرة بصورة «خراف المذبحة» لليهودى الأوروبى، وأن الضحايا ساهموا فى تدمير أنفسهم ويقصد هنيير بذلك تشكيل المجلس اليهودى لتنظيم العمالة الرخيصة والترحيل النهائى، وهذا الذى دفع بالشاعر القومى «ناشان والترمان» لأن يشرح فى عمل مثير للجدل كتب تقريبا عام ١٩٦٠، أن الأعتبارات الأخلاقية لقادة المجلس اليهودى لم تكن عالية القيمة ولم تكن فى نفس الوقت حقيرة أو خسيصة، فهؤلاء القادة كان تفكيرهم فى الحفاظ على حياة

أكبر عدد من الأرواح لأطول فترة ممكنة، وعلى الجانب الآخر فإن مقاتلى الجيتو بانتفاضاتهم المتكررة وغير الناجحة قد قللوا الفرص المتاحة لسكنى جدد فى المعازل. وكان عليهم أيضاً تحمل قضايا أخلاقية كبيرة، وكتب والترمان مقترحاً أن البعض ربما كان يحركة حافز مقاتله الفاشيه أكثر منه حماية اليهودية. وبينما يبحث آلترمان لعمل توازن فإن «الهارديم» فى غمار حماسهم المعادى للصهيونية انحرفوا فى الاتجاه الآخر. وتقلل تفسيرهم الحرفى للمذبحة من قيمة بعض أحكام حاخامات «الهارديم». ويخرج عن ذلك الحاخام مناحم زيمبا فى وارسو وفى تأييد نشط لقيادة الصهيونية للانتفاضات فى الجيتو وأشار قائد حركة «أجودات إسرائيل» فى وقت الحرب، فى فلسطين الحاخام موشيه بيلى إلى أن مثل هؤلاء الحاخامات أقتبيدوا بطريقة خاطئه أو ربما أجبروا على ذلك. والأكثر من ذلك أن الحاخام بيلى أنهم مقاتلى الجيتو بالإسراع ياهلاك أنفسهم ومقتل مئات الآلاف من الآخرين أيضاً. فهو يرى أن العصيان خيانه وكفر وانتقاص للبطولة، وانتقاص للقدرة على مواصلة الحياة والمعاناة. وأن قيما مثل الأمانة والأعتزاز القومى مستبعدة بالنسبة لغير اليهود عند الحاخام بيلى وبعض كتاب «الهاردية» بعد الحرب .

وفى عنوان لصحيفة يومية «هاريدية» «yated Ne'eman» علقت على موقف «الترمان» بالقول أن متمردى الجيتو أجبروا على الانتحار داخل معازل الجيتو وأنكروا عليهم فرصة الحياة فى معسكرات التجميع. وأنكر بيلى ومعه أخيراً أثنان من كتاب «الهارديم»، القرار المعروف للحاخام زيمبا وحاخامين آخرين عملوا وعاشوا داخل الجيتو حتى قرب النهاية، والذى أعترضوا فيه على اقتراح بحق اللجوء الشخصى لليهود منحتة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقال الحاخام «ديفيد شابارد» أننا نعلم أنه ليس

بإمكاننا أن نساعد مجتمعنا بأى وسيلة. ولكن الحقيقة المؤكدة هى أننا لا يمكن أن نتخلى عنهم ولذلك عشنا بينهم وربما نعطيهم بعض التشجيع أننا لا يمكن أن نترك هؤلاء الناس، وليس لدينا أى شئ يقلل النقاش فى تلك المسألة .

وربما يكون الشئ الأكثر تدويناً فى تاريخ لمذابح الهارديّة هى تلك النصوص التى أطلق عليها نصوص المعجزة «أو أدب المعجزة» وهى التى تخكى قصص هروب الحاخامات وطلاب الياشيفا، التى سجلت فى لغة تفيض بالشكر والامتنان والعرفان بالعناية الألّهيّة التى تدخلت فى انقاذ هؤلاء الأشخاص الأتقياء الأتقياء. وسجلت كل طائفة «حاسيدية»، تمكّن حاخامها من الهرب، مجموعة من الوقائع والأحداث غالباً ما عنونت: «معجزة خلاص الـ.....». ومعظم أساتذة الياشيفا الذين هرب طلابهم من ليتوانيا عبر صربيا وكذلك الصين واليابان، وغالباً ما اجتمع شملهم فى إسرائيل وأمريكا قد ساهموا فى ذلك الأدب الخاص بالهارديم. وهذه النصوص التى تمت معالجتها وكتبت بعناية تجاهلت أى إشارة، لأى شخص من غير قادة الهارديم. وقد مارسوا الهارديم الخداع والتمويه فى تغطية فشل زعمائهم فى فهم التهديد المحيى بهم مسبقاً وأن يهاجروا، وحثوا أتباعهم على الهجرة وكان أمامهم وقت لذلك. وكان الفشل مضاعفاً لأن زعماء الهارديّة على عكس زعماء الصهيونية أو أى من الزعماء غير «الأصوليين» الآخرين كان فى مقدورهم دفع أتباعهم إلى الهجرة، وسوف تمثل الرعاية لذلك، وحاخامات الهارديم الذين ينظر اليهم كمقائديين أصوليين أوقفوا أنفسهم على علوم الغيبيات. وذهب كتاب الهارديم إلى تفسيرات تعتمد على الأساطير من خلال كتابات الحاخام «ماتير شماسا» ١٩٢٧، والحاخام وايزرمان، وآخرون هم يعرفونهم أو على الأقل يدركونهم ليبرهنوا على ما كان الضرر والأذى القادم الذى يحيق باليهود.

ومعظم كتب «المعجزات» التي كتبت تجاهلت أن العديد من العناصر البارزة من مجالس الحاخامات في المانيا وستامار «وافقوا على الهرب من أوروبا وغالبا ما حدث ذلك بمساعدات سياسية ومالية كبيرة من الخارج، وبالأقدام على الهجرة، تركوا الكثيرين من أسرهم وأتباعهم. كما أن تلك الكتابات تجاهلت أيضاً القضايا الواضحة التي كانت تؤدي إلى التساؤل حول زعامة هؤلاء الحاخامات. تلك الكتابات نفسها اسرفت كثيراً في الأطراء على «وايزرمان» للعودة مرة أخرى طوعاً ليكون مع مريديه عندما بلغت المأساة الذروة .

وبصفة أخيرة ونهائية فإن أدب المعجزة هذا وبالأجماع أسقط أى دور لغير الهارديين وخاصة زعماء الصهيونية في المساعدة في هرب العديد من حاخامات «الهاردى» في الهرب وطلاب «الياشيفاه» وخطى «زوهاتيس وارهافنيج» وهو زعيم صهيونى أصولى من بولندا بخط قليل وهو فى كتب الهارديم الوسيطاً فى تسفيرا لعديد من الحاخامات وطلابهم من ليتوانيا للشرق الأقصى قبل ذهاب الألمان حظى بذكر قليل فى كتب «الهاردى» ويزعم «الهارديون» أن الحاخامات هم الذين قاموا بجهد أساسى فى إنقاذ أنفسهم على سبيل احساسهم بالمسؤولية تجاه مستقبل اليهود. وأنهم هربوا من أجل إعادة بناء «الياشيفاه» والمعابد وأشاروا إلى أن غالبية «الهارديين» الذين تركوهم خلفهم سيوافقون وبكل سرور التضحية بحياتهم بها من أجل أنقاذ حاخاماتهم، ومع ذلك فقد كانت هناك أدلة على وجود مقاومة واعتراض بين الأتباع المؤمنين فقد اقتبس باحث إسرائيلى أجزاءً من شهادة مكتوبة لواحد من الهارديين، الذين شهدوا أفران الغاز وهلك فيما بعد فى المذبحة، يصف فيها مقاومة هاريدى آخر ويهتف فيها ضد الحاخامات الذين يعملون دائماً على تسكين الناس العاديين بدلاً من

حشهم حل بالهجرة والنجاة وقالت واحدة من الهارديم وهى فى طريقها لملاقاة مصيرها فى الأفران أنهم- تقصد الحاخامات- قد غابت عنهم الحقيقة، وهربوا بأنفسهم لأرض الميعاد فى اللحظة الأخيرة. ونجوا بأنفسهم بينما تركوا الآخرين يذبحون كالاغنام، وتقول أيضاً «إننى وفى لحظتى الأخيرة من الحياة اتوسل إليك أن تسامحهم على جرمهم الكبير فى حق أسمك المقدس» وربما يكون الأكثر تجسيدا لعاطفة الهاريدى فى ذلك الوقت هو ما أورده حانانا شيف- الذى يشغل حالياً منصب حاجب المحكمة «الهاردية» العليا فى القدس- وكان قد شهد تلك المعاناة وهو فى العقد الثانى من العمر ويقول: «أن الصغار كان يتم تهدئتهم من قبل الكبار الذين يعيدون على أسماعهم قصص شجاعة «الحاخام»، وانعقد الحنق على الحاخامات الألمان لعدم تشجيعهم على الهجرة، وينفى فى البداية مطلقاً أن يكون الحاخامات قد أرسلوا أى أحد إلى فلسطين ووفق مايقول فقد كانت الحياة صعبة هنا، ولكنه يتذكر بعد ذلك أحد أبناء يالهاخامية وأتباعه والذى هرب مع أبيه وبعض أقاربه، ولكنه ترك خلفه زوجته واحفاده فى وارسو. ولم يكن هذا الابن يريد الاستماع لتلك القصص- لم يتحمل الاستماع- لقد كان ذلك شيئاً مؤلماً جداً بالنسبة له .»

وهناك ما هو أكثر قسوة وتشويشاً من الاتهامات التاريخية التى وردتها هنيتر فهناك الاتهامات الشخصية ضد الزعماء الصهانية، والتى تقدم بها الحاخام «ميخائيل بيرنسا سماتدل» أحد حاخامات الهاردية السلوفاكين. وتلك الاتهامات كانت ضد المبعوثين الصهانية فى سويسرا وتركيا وضد المؤسسة الصهيونية فى القدس ونيويورك .

وزعم فاسمندل أنه وزعماء يهود آخرين من غير «الهاراديين» نجحوا فى وقف ترحيل اليهود السلوفاك إلى معسكرات الموت فى صيف ١٩٤٢ مقابل دفع مبلغ

٥٠,٠٠٠ دولار للضباط السلوفاك. وكان عليهم أن التسول من أجل الحصول على ذلك المبلغ من المنظمات اليهودية الغربية، ولكن طلباتهم واتصالاتهم لم تلق عناية من المسؤولين الصهاينة واليهود لأنقاذ هؤلاء الأشخاص من الذهاب لغرف الغاز. واستشهد «فاسماندل»، في «كتاب بعد وثيقة اتهام قاسية» وضعه بعد الحرب، بأن أحد مبعوثي الصهيونية قد أجاب على ما أطلق عليه «خطة أوروبا» التي وضعتها مجموعة عمل في «برتاسلافيا» لأنقاذ اليهود؛ بأن أكد هذا المبعوث على أن اعتداءات النازي هي مجد كبير في طريق يهود أوروبا الشرقية، ووفقا لما ذكره «فاسماندل» في كتابه هذا فإن ذلك المبعوث كتب لزعماء يهود «برتا سلافيا» أنه شرف لليهود أن يتوقعوا أن يقوم الحلفاء بضمان السماح بتحويلات مالية للعدو!

وكتب فاسماندل مستنكرا ومتسائلا كيف يمكن لنا نحلم وأن نحاول الخلاص؟. ذلك أن الوطنيين الصهاينة سوف يأتون إلينا ليقولوا لنا أن دمائكم هي الشق الأسهل في المعادلة فابذلوها بسعادة، لأنه بهذه الدماء سنحصل على ما هو أهم، وهو الأرض، وفي ذلك الوقت كانت عمليات التهجير قد استؤنفت في تشيكوسلوفاكيا ونجا «فاسماندل» من الموت بالقفز من فوق قطار كان في طريقة إلى معسكرات الموت النازية .

وقد أنقسم المؤرخون حول ما إذا كان دفع زعماء مجموعة العمل اليهودية للمبلغ المذكور هو السبب وراء نجاة اليهود التشيكوسلوفاك أم لا. ولكنهم يتفقون على احترامهم «لفاسماندل» كزعيم وكضحية لتلك المأساة التي تركته فيما بعد شفيا ومحطماً .

وسجل ايهودا بيروهو أحد مؤرخى المذبحة البارزين كيف أن فاسماندل أرسل إلى زعماء اليهود فى الخارج خرائط دقيقة التفاصيل عن «الاشواتز Auschwitz» ومواعيد محددة ومتقنة لقيام قطارات الموت إلى المعسكرات فى محاولة بائسة ومخلصة للمساعدة على اقناع روزفلت وتشرشل لقصف آلة الموت النازية .

ويرى بعض دارسى تلك الفترة الزمنية فى حكاية «فاسماندل» لونا مختلفا، عن استقرار اليهود فى فلسطين ونيويورك خلال محاولتهم النجاه أثناء فترة الحرب .

ونظرو البعض إليها على إنها تنافر روحى ضد الهارديديم من جانب الصهيونية من ضحايا المذبحة. وبالتأكيد فإن تطلع الصهيونية القوى فى تحقيق أهدافها السياسية بعد الحرب مضافاً إليها تناقضهم الوجدانى الشديد مع يهود الشتات فى أوروبا الشرقية؛ قد نتج عنه فى أحيان كثيرة تباين وأختلاف فى وجهات النظر لضحايا المذابح. ومع ذلك فليس مؤكداً تماماً أن الصهاينة واليهود الغربيين كانوا يتمتعون بمثل ذلك النفوذ الكبير الذى نسه إليه الهارديدين .

ومع ذلك فإن ظلم الواقع على الهارديدين، وعدم الأحساس بهم واضح بل هو متميز ومطلق- فى كتابات ماسماندل .

فكل من قرأ كتاب «فاسماندل» من بين طلاب الياشيفاز؛ يدرك بقوة أن الصهاينة اداروا ظهورهم ليهود أوروبا وخاصة الهارديدين منهم. فى تلك الحالة وفقاً لفكر الهارديدين كانوا يتصرفون وفقاً لحقيقتهم لأن الصهاينة فى فكر الهارديدين، هم يهود غير ربانيين تمردوا ضد مصائرهم واقدارهم، ضد قضاء وقدر ذويهم من اليهود. والصهيونية فى نظر الهارديدين هى نتيجة للمادية والإصلاح فى اليهودية وكذلك العلمانية والأشترابية. وأنها كانت السبب وراء معاناة الهارديدين. وقد تم تعميم تلك

الأتهمات الثلاثة/ الفلسفية، والتاريخية، والشخصية من جانب الهارديم تماما ضد الصهاينة لتتحول إلى استنكار كامل وإدانة واسعة للعلمنة والمدنية ذاتها باعتبارها السبب الكامن وراء موت ستة ملايين يهودى على يد النازى .

ويرى الهارديون أن الجرى وراء المادية والمدنية كانت هى الخطيئة وأن المذابح كانت هى العقاب الألهى لهم وقد ورد فى التوراة نفسها أن خطايا اليهود تسبب فى تعزيب اليهود وقد ورد ذلك فى «سفر التثنية ١٥/٢٨» .

(ولكن أن لم تسمع لصوت الرب اليك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع اللعنات وتدركك) .

ويقول كتاب صلوات الأعياد «لقد طردنا من أرضنا عندما حدثت المصيبة وعلى الشخص التلمودى أن يبحث عن حسنة ومآثره عندما يتعرض الشعب المختار لكارثة، وعلى الحاخامات أن يأمرؤا بأيام الغفران والتوبة، وكتب الحاخام شانيم أوزير «جرودنكس» حاخام فينلوس أن المذبحة التى تمثل معاناة غير مسبوقه تعود فى الأصل إلى الخطيئة الكبرى «وقال الحاخام كم هو محزن حال شعبنا اليهودى. وأوضح لقد عرفه يهود المجتمعات الغربية فى أنهار من الدم وبحور من الدموع وضربت حركة الإصلاح فى مقتل، ومن هنا نفذ الشيطان إليهم ليغيرهم بالثروة ليدمرهم، فهؤلاء غير الأثوذكس ، تسببوا فى غرس الكراهية ضد شعبنا وانتشارها فى أماكن أخرى أيضاً. ورغم ذلك فإن اليهود لم يفهموا بعد لماذا هم مضطهدون، فقد اصيبوا بالعمى! وكان الحاخام جرودنكسكى قد توفى قبل أن يدمر النازى عشيرته .

وهناك مفكر هاريدى آخر هرب إلى إنجلترا كتب بعد المذبحة يقول أن المذبحة

كانت هي العقاب المرعب عندما فشل شعبنا في الرد بتقوى دينية مع التحرر والعق .
 وكتب الحاخام «الياهويسلر» أن عصر العتق والتحرر الذى منحه لنا الرب كان
 للإستعداد لعودة الماشيح- قد تم تخفيف عذاب النفى عنا ولكننا إعتدنا مخالطة
 ومحاكاتهم، واستمرت عملية المحاكاة والتقليد تتزايد بمعدل سريع مع ٢١٣ الأغيار
 الوقت الطويل، والكارثة لم تحل بنا كاملة حتى الآن. ذلك أن استغفار واحد مؤمن قد
 أجل غضب الرب، وهو لن يعاقب حتى تبلغ الخطيئة المدى المحدد ولا يوجد أمل كبير
 فى أن الرحمة والعطف ستقود إلى تحسن الأمور .

وفسر الحاخام هنيتر، ذى الثقافة المتعددة فهو درس الفلسفة فى برلين كما درس
 «الياشيفاه» فى ليتوانيا، المذبحة على أنها أقصى بلوغ لعصر الانحطاط اليهودى الذى
 تصادمت فيه كل المطالب والآمال المتعلقة بالعتق والليبرالية والتمدن ومن أعطاء الثقة
 للعنصر البشرى الأقل مرتبة فإن اليهودية قد أستدرجت بشدة لإنكار تلك الثقة الألهمية
 فيها. وهذا الإنحطاط السياسى فى العالم غير اليهودى قد ترك بصمته بقوة على
 الشخصية اليهودية .

وبالعودة لفرضيات هنيتر فإن ذلك سيقود إلى توبة قومية بين اليهود كما أشارت
 التوراة لذلك، والتى تنبأت بالمعاناة كعقوبة على الخطيئة، والمعاناة والانحطاط الملازم
 لها فى العالم هى الضرورة التاريخية والحافز إلى التوبة وذهب الحاخام دسير فى تأملاته
 حول المذبحة إلى التحذير بأنه إذا وجد اليهود أنفسهم بعد نهاية عملية التدمير تلك فى
 عصر جديد فى كنف العناية الألهمية؛ فعليهم ألا يدعوا أنفسهم يكرروا أخطائهم الغبية.
 وعليهم أن يدركوا الوحى من أعلى والعودة إلى عصر التوبة الكاملة.

وقد جاء ذلك فى رسالة عندما أطلق الحاخام شاش تحذيراته القوية المثيرة للجدل بأن مذبحة أخرى فى الطريق إلى اليهود وذلك بسبب علمانية دولة إسرائيل وحذر شاش فى ١٩٩٠، قائلاً تذكر ماقاله لك اليهودى القديم «بأن الرب صبور ولكنه يمسك بالعصا، وأن صبره سينفذ يوماً» كما نفذ من قبل ليموت ستة مليون يهودى. وبالنسبة للعديد من اليهود فإن لفظ «مذبحة أخرى» يعد من أكثر الأشياء مدعاة للإستياء- ولكن الهارديّة بإحتفاظها بإتجاه تفسير التاريخ بكل ما فيه، بما فى ذلك مذابح النازى وفق مبدأ الخطيئة والعقاب، ترفض من الناحية العقائدية أى توظيف للمذبحة على أنها شئ ليس له نظير، وهى ترى أن المذبحة كانت عقاباً مختلفاً فى الدرجة ولكن ليس فى النوع عن العقوبات السابقة من الرب لشعبه الذى يخطئ. وبالتأكيد فإن لاهوتيات الهاراديم تخفى مصطلح الهولوكوست (المذبحة) ومقابلها العبرى «حاشواة» "Hashoah" وتفضل عنها كلمة «حيربان» "Hurban" أو التدمير التى كانت تستخدم فى الإشارة إلى هدم المعبد، والكوارث الكبرى الماثلة. وتساءل الحاخام هنيير عما إذا كان من الممكن استخدام لفظ «حشواة» "Hashoah" وكانت الأجابه هى الرفض القاطع فالكلمة كانت تشير إلى كارثة بعينها غير مرتبطة بما قبلها أو بعدها، وبالنسبة لهنيير نفسه فإن هذا الاتجاه بعيد جداً عن رؤية التوراة لتاريخ اليهود؛ لأن تاريخ اليهود الأوربيين مكمل للتاريخ اليهودى ككل .

ويرى «اللورد جاكوبيفتش» رئيس حاخامات إنجلترا السابق، الذى يعترض على لاهوتيات المذبحة عند الهاراديم، وهو مع ذلك يقر به كسبب رئيس للحياة القوية والمتزايد للهاريديم، وأعترف بأن للمذبحة تمثل تحدياً مع دورة الكوارث والفواجع فى التاريخ اليهودى- ويعقبها البقاء والتكاثر- ويمكن للهاريديم أن يركزوا على المستقبل

وينسوا الماضي، ويمضى جابوكوفيتس قائلاً أن المكاسب التي تولدت من هذه النظرة تخطت كل التوقعات، والتكهنات المتشائمة التي أعطت الأيمان والتصديق الكاملين في عالم ما قبل أربعين عاماً مضت. أما اليوم فإن هناك تقدماً يومياً وجلى فالتلمود يدرس الآن في نيويورك، وتعيش حراً منفرداً في القدس، والتفكير الأحادي كان جوهرها أساسياً في هذه الدنياوية غير العادية التي غلفت هذا الأنجاز الضخم .

وأدراك جاكوبوفيتس هذا مردود عليه، فهو يمكن أن يعترف بجوهر أساسي آخر، ففكر «الهاريدى» أثناء المذبحة لم يكن أساساً منصباً على الأستمرارية والتوالد أكثر منه على الرمز، ولكنهم يحتاجون لآداء واجباتهم كيهود «هاريديين» فهذا الميل والفكر الأحادي تضمن إعادة تأكيد متزن للأخلاص والإيمان. فالهاريدية التي هي فوق ذلك ذات ممارسات موجهة مكثت أتباعها، الأقوياء والمتشددين، أخيراً مواصلة ممارساتهم وإعادة التأكيد عليها. والقصة التي تروى، وأن كان مشكوكاً فيها عن أن مجموعة من اليهود أثناء المذبحة حاكموا الله أمام المحكمة على أهمال شعبه والتخلي عنه وعندما وجدوه مذنباً قرروا تأجيل آداء الصلوات المسائية.

وفي دراسة أكثر منطقية وعملية قام بها ريف روبرت عن الأحياء من المحرقة اوضحت الدراسة استمرار تقبل مبادئ الهاريديم بين الهارديين، بينما كانت النسبة أقل بين الأصوليين المعاصرين، حيث وجدت تراجعاً خطيرة وقوية في معتقداتهم الدينية في مرحلة ما بعد الحرب .

وقام الباحث بدراسة أكثر من ٧٠٨ حالة من الإسرائيليين الناجين من المحرقة عن مدى التزامهم الدينى. فقبل الحرب، وبعد الحرب بفترة قصيرة، وبعد الحرب بخمس وعشرون عاماً نخرج بأن الأكثر تشدداً في التمسك بالتقاليد والعادات؛ كان هو الأكثر

قابلية بلاستمرار. وعلى العكس كان الاقل تمسكا هو الأكثر، من المحتمل أن يكون أقل التزاماً واستمر ٦١٪ من شديدي الالتزام على التزاماتهم - بينما استمر ٩٪ فقط من المعتدلين على اعتدالهم، وربما تقدم حالة الحاخام الحاسيدي «إيهودا حالبستام» ر تدعيمها أكبر لتلك النتائج العملية؛ فهو قد فقد زوجته وابنائها الاحدى عشر فى المخيمات، وفى مساء الجمعة بعد تحرره جلس بعد «وجه السبت» الدينية «سبت-تش» ولكن لم يكن لديه أى غطاء للرأس، وتمكن بصعوبة بعد ذلك من تناول العشاء حيث قدم له أحد الضباط كابه ليغطى راسه وارثداه الحاخام وبداخله مشاعر متبانية وقد كان ذلك قبل النازى وغزوه (ربما تكون تلك القصة أسطورية لكنها ذات مغزى تعليمى وتربوى)، ولعب هذا الحاخام دوراً كبيراً فى تنظيم الحياة الدينية والأجتماعية لليهود الذين استقروا فى المخيمات، ويذكره الأرتوذكس حتى الآن لدمائه خلفه- ولكن كان شاغله الأول فى آداء مهامه كحاخام هو تناول الوجبة الاحتفالية التقليدية «سبت-تش» .

ولا يعذب الهاريديم أنفسهم بسبب رؤيتهم الخاصة للتاريخ بالقضايا اللاهوتية. فبالنسبة لهؤلاء الذين يتشككون ويتساؤلون ليس هناك أى اجابات. وكتب أحد حاخامات اليهود «الهاريدى» أثناء المذبحة أنه بالنسبة لهؤلاء المؤمنين الذين لايشكون ليس هناك أسئلة. وقد كتب ذلك الحاخام، الذى يعد بطلاً تاريخياً وعمل كزعيم روحى ومستشاراً فى جيتو وارسو، فى عام ١٩٤٢ لأنه لسوء الحظ فإنه حتى بعض أولئك المؤمنين تماماً والموقنين، تحطم ايمانهم، وتساءلوا إلى الرب لماذا تخلت عنا؟ ويقول الحاخام أنه إذا كان اليهودى يقول ذلك كنوع من العبادة وصيغة فى الصلاة فإن ذلك يصبح أمراً طيباً، أما إذا سأل ذلك بنوع من الشك وعدم اليقين وتغفل ذلك

داخل قلبه فإن ذلك يفقده إيمانه .

وبدلاً من توجيه الأسئلة الكبرى والتي لا يمكن إجابتها بأي طريقة فإن الهارادية شغلت فكرها في مأساة الجيتو أو المعسكرات وركزت على الممارسات الدينية الواقعية والحياتية. فالمرأة اليهودية يجب أن تذهب للتعيميد والغطاس في الليلة التالية لإنهاء دورتها الشهرية، ولكن التساؤل كان في جيتو فيربو السلوفاكي حيث كانت النساء يخضعن لحظر التجول ليلاً ولذا كان عليهن الذهاب إلى «الميكافا» «الحمام» نهاراً، وتساءل الحاخام في هذه الحالة إذا كان اليوم الثامن هو يوم السبت فهل يمكن للمرأة أن تذهب للحمام في اليوم السابع بعد انتهاء الطمث. وفي رده المسبب على التساؤل أجاب الحاخام بالاستعانة بنصوص قديمة، وشدد على أهمية المتسفاه "Mitzva" في النصح بعمل التعيمير المبكر .

و كان من بين الإجراءات الأولى التي قامت بها قوات النازي هي اغلاق الحمامات، وتحريم استخدامها وكان على السيدات والرجال «الأصوليين» المتشددین الذين كانوا يستحمون في تلك الحمامات كنوع من الممارسات الدينية أن يذهبوا إلى القرى المجاورة. وعندما منع اليهود من استخدام القطارات وعربات الثروللي عادوا مرة أخرى لاستخدام الجماعات في وارسو ستارا للتسلل من المداخل الجانبية مع استمرار الأبواب الأمامية مغلقة.

وفي كتابات الحاخام «هيريربان» عن يوميات جيتو وارسو التي تم اكتشافها في «محطة ألبان» كتب يقول أنه بسبب الخوف من الانتقام النازي فقد كان يتم تسخين الحمام مرة واحدة في الأسبوع لبلا مع اغلاق الفتحة الرئيسية في الحائط وقد استمر العمل بتلك الطريقة لاسبوع طويلة، وقد كان المدخل الرئيسي للحمام مكتوباً عليه

تحذيراً بأن من يستحم بداخله يعاقب بعقوبة تتراوح بين السجن عشر سنوات والاعدام ومع ذلك فقد استمر اليهود فى الاستحمام بنفس الطريقة .

وفى معسكرات التجميع فى «تيربلنكا» كانت الصلوات الصباحية فقام بانتظام وكان السؤال الذى يشغل المشاركين فيها ما إذا كانت تتم دون مشاركة الحاخام؟ أو هل من المقبول اقامه الصلوات الصباحية قبل شروق الشمس وهو موعدها الشرعى؟ فقد كانوا يحتاجون للظلام لاداء صلواتهم وفى النهار كانوا يساقون إلى أعمال السخرة. وكان من غير الممكن أن يتمكن احداً اليهود من تسريب «التفلين» معه للمخيمات للاستعانة به فى أداء الصلاة .

ووفقا لما ذكره اليعازر بيركوفست احد فلاسفة اليهود المعاصرين فى كتاب له بعنوان «مع الله فى الجحيم» فإن هناك قلائل من اليهود كان بإمكانهم تلاوة نصوص من «الترانيم» أثناء الصلاة فى الايشواتز» فى معسكر «ماندنك»، وقد سمعنا عن بعض القصص الجديرة بالملاحظة عن بعض حالات التضحية بالذات والاخلاص الشديد من جانب يهود بذلوا جهودهم فى الحصول على زوج من «التيفلين» وتسجيله فى يومية وكانو هناك عدداً كبيراً من الاتقياء الذين يحفظون جزءاً من التلمود فى قلوبهم يرودونه فى ذهابهم وعودتهم من معسكرات السخرة يومياً. ويذكر بيرنارد ميزريل الذى قضى خمس سنوات فى «الايشتواتز» أنه وجد اجزاء من التلمود يستخدمها الأميين كأوراق للتغليف، وأن ساكنى المخيمات كانوا يقومون بجمعها لبعضها فى أماكن عملهم ليلاً، وفى السباح يأخذونها لتدارسها.

ويحكى «بيركوفتس» عن اثنين من اليهود الألمان الذين عثرا بطريقة ما على نسخة من الكتاب القدس واستطاعا دسها فى أوساط عمال السخرة وأخذوا فى دراستها سوياً .

ويقول ميريزل: «ليس كل شكل من الممارسة الدينية كان يمارس كاملاً داخل المخيمات حتى بين «الهاريديين» وأنها لم تكن حياة دينية كاملة، وأنه حتى أداء «متسفا» واحدة كان يعد تضحية بالذات إلى حد كبير وأحياناً لا تقوم بتلك المتسفا من أجل الرب، ومجرد إرتداء التفلين يمنحك قوة.

واحيانا كانت تختلط القضايا الكبرى بالقضايا الدينية الفقهيّة الشرعية المحددة. فالحاخام زيفى هاراسيش فى الحجر، وهو احد الناجين من المذبحة، يتذكر أنه استفتى فى قضيتين أولاهما كانت تتعلق بأب احد الرعايا الذى كان ابنه الوحيد فى طريقه للمذبحة، وسأل الأب هل بإمكانه أن يفقدى ابنه بالمال، علماً بأن غلاماً آخر سيقتل بدلا منه؟ والسؤال الثانى كان من صبى تقدم الصفوف ليسأل الحاخام إذا كان بإمكانه أن يقدم نفسه للمذبحة للموت بدلا من أحد دارسى التلمود الذى كان على وشك ان يذبح؟ وقد فشل الحاخام فى الاجابة على أى منهما. ويتذكر أنه قال للسائل الأول، عزيزى كيف يمكننى ان اقدم اجابة واضحة لسؤالك؟ فإنه حتى عندما يعاد بناء المعبد فإن التساؤلات المتعلقة بالحياة والموت ستكون مطروحة امام «السנהدرين» المجلس الاعلى لحكماء اليهود، وأنا وحدى هنا فى «الإيشوانز» «Aschwity» بدون أى كتاب للتشريع وبدون أى حاخامات آخرين للتشاور معهم، وبدون حتى ذهن صاف بسبب المعاناة التى نقاسيها. فأفعل كما يحلو لك وكما تعتقد أنت ولا تسألنى شيئا .

وفى حادثة أخرى وقعت فى جيتو «كوفنو» يروى الحاخام إبراهيم أو ثرى أن سؤالا يتعلق بالقضايا الكبرى والحياتية أيضاً ولم تأت الأجابه عليه من جانب الحاخام بل من أم يهودية كانت قد رزقت بطفل بعد زواج استمر خمس سنوات بلا أطفال ولكن الألمان كانوا يمنعون اليهود من أن يكون لهم أولاد وقبل أن تبدأ عملية الختان

للطفل كان صوت سيارة يسمع وكان رجال الجستابو قد وصلوا إلى باب المنزل وخيم
الرعب على جميع الحاضرين- وكانت الأم فقط هي التي أبدت أكبر قدر من
الشجاعة وأمرت «المسئول عن المختان» أن يقوم بختان الطفل وصاحت في الرجل اسرع
آلا ترى أنهم قد جاءوا لقتلنا فعلى الأقل دع ابني يموت يهودياً.

الفصل الرابع

نجاح التطرف

وفي قمة التطرف والمغالاة للمجتمع الهاردي، السماء نيتوازي كارنا أو حراس المدينة، في القدس التي لم تتردد الطائفة حتى بعد المذبحة بقليل في أن تعترض ودون مساومة على الصهيونية.

وحاولت هذه الطائفة خلال حرب ١٩٤٨ رفع الراية البيضاء والإستسلام للقوات الأردنية، بينما قام الهاريديون الآخرون بالمؤامة مع الدولة الصهيونية ولكن تلك الطائفة لم تساورها أية شكوك حتى بعد ذلك في أن الصهيونية تمثل الخطيئة القاتلة ضد الرب ومصير اليهود.

ولا تزال تلك الطائفة «حراس المدينة» تعتقد أن التاريخ يبرهن على صحة طريقهم؛ فعندما أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها قوات إلى منطقة الخليج بعد الغزو العراقي للكويت القت الطائفة بنفسها خلف صدام حسين، وفي خطاب بعث به الحاخام موشيه هاريتش مسئول العلاقات الخارجية في المنظمة إلى وفود الدول كل الأعضاء في الأمم المتحدة. عن طريق الوفد الفلسطيني، قال الحاخام- لا إن الرب يريد أن يطرد الصهاينة من الأرض المحتلة ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية ولكن، الأمريكيين يتشبثون بالإبقاء عليهم في تلك الأرض. ولذلك فإن الرب أختار صدام حسين للإنتقام منهم، وهذا في صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع. ورغم تلك التصريحات الحماسية التي تصدر وبصفة دورية من الحاخام «هاريتش» باسم المجلس الأعلى لحركة حراس المدينة والذي يتشكل من سبعة أشخاص؛ فإن الحركة فشلت في الأوقات العصيبة وتوارت الطائفة في إطار المجتمع الهارادي في القدس، وأصبحت المظاهرات التي كانت تقوم بها حركة حراس المدينة وتعد جزءاً ثابتاً من تاريخ المدينة،

نادرة وكلما تحدث في تلك الأيام.

ويلقى الكثير من المراقبين باللوم على الحاخام «هاريتش» تلك الشخصية الإنقلابية، ذات الأسلوب البذىء فى القول والفعل بما يصدم حتى أشد معارضى الصهيونية. فالحاخام هاريتش، وبسبب صفاته الكريهة، قلل من أنتشار مذهب حراس المدينة بين الطوائف الهاريدية.

ومن المواقف التى تذكر للحاخام «هاريتش»، أنه أثناء حرب الخليج قامت طائفة «ايداه هارديت» التى تعد من اولى الطوائف الهاريدية التى أستقرت فى القدس منذ حوالى القرن بوضع ملصقات حائط على جدران المدينة تدعوا للصلاة والإستغفار، وتقول أنه ليس هناك كلمة أسمها «الرأفة اليهودية» وقد أستشاط الحاخام غضباً، وعلق: بأن ذلك معناه أن الملصقات لم تحتوى على أدانه قوية للصهيونية، ولم توجه اللوم لحكومت إسرائيل تحديداً على أنها المسئولة عن عدوان صدام حسين.

وفى الحقيقة فإن تعليق «هاريتش» وتحليله كان مزاجيا وغير موضوعى، وعلى كل فإن حراس المدينة ضحايا نجاحهم فالتيار الرئيسى «الهاريدي» قد تبنى الخط الأيدلوجى المتشدد لطائفه حراس المدينة ضد الصهيونية بعد المذبحة، ذلك الخط الذى لم تتخل عنه أو تعدل منه طائفه حراس المدينة. أما دارسى الياشيفاه اليوم ليس بحاجة إلى البحث عن «التطرف الشديد». فهو يجدها فى قلب تلك الحركة. ولكن الحاخام تيتلبوم، وهو مؤلف الموجز الفلسفى «ضد الصهاينة» ومرشد طائفه «حراس المدينة» أشار إلى أن التيار الرئيسى الهاريدي قد عدل من الإعتقاد الدينى من جانب وطور من أساليب الحياة ومن جانب آخر. إعتماداً على مبررات تلموديه وسياسيين.

وقد نجح حزب أجودات إسرائيل، وتشكيلاته المختلفة عبر السنين من تخفيف حدة التشدد النظرى، ولذا أصبح بمقدورهم تبرير الحصول على المنافع المادية وممارسة

النفوذ السياسى فى الدولة الصهيونية.

وقد وصف الحاخام «هاريتش» ذلك بأنه رياء، وتملق- وهو يرفض دفع الضرائب المحلية لمدينة القدس، كما يمتنع عن أخذ نصيبه من الإنفاق الحكومى فى مجال الصحة والرفاهية العامة. ويقول الحاخام «هاريتش»: أن هناك مئات الأسر معظمهم من «ميه شاريم» يحاولون العيش دون النظر لمصادر تمويل الدولة الصهيونية وهم لا يدفعون الضرائب، ويقاطعون الانتخابات العامة والمحلية، ورجالهم لا يسجلون فى قوائم التجنيد، ولا حتى فى القوائم لدارسى «الياشيفاه». ويقول «هاريتش» أن الجيش يتركنا دائماً وإذا أعطونا السلاح سنطلق عليهم النار، ويقول لماذا يفكرون فينا؟ وهم لا يجندون العرب ونحن أكثر كراهية لهم من العرب وهناك بالتأكيد مئات الأسر من «الميه شاريم» التى إمتنعت من زيارة الحائط الغربى، وهو الأثر الوحيد الباقى من المعبد الثانى- وهو الحرم المقدس لدى اليهود- فى الأرض التى أحتلها الصهاينة، والمعروف أن إسرائيل قد أحتلت القدس الشرقية، وفيها بقايا المعبد، من الأردن بعد حرب ١٩٦٧.

ولكن لا يشعر يهود الهارديم بهذا الإحساس بالتأنيب فهم تدفقوا على الحائط من أول لحظة تم إحتلاله فيها، وذلك على الرغم أن الحائط تم إعتماده شعاراً قومياً- وليس دينياً- للدولة.

ورغم أن الحائط يجذب الآلاف من السائحين من كل الطوائف الدينية، فإن الهاريديين هم أكثر الطوائف الدينية تواجداً بجواره فكل ساعه وعلى مدار العام تجدهم يصلون ويرتلون المزامير.

وعندما دعا مجلس حاخامات حركة [أجوداه] إلى إقامة صلاة عند الحائط عشية حرب الخليج تجمع هناك بنحو ٨٠ ألف من اليهود. وربما يكون ذلك أكبر تجمع يهودى حول المعبد منذ وجوده.

ولكن سكان «ميه شاريم» وهم جزء من «حراس المدينة» لم يقتربوا من الحائط رغم قرب المسافة بينهم وبين المعبد، بأقل من ميل واحد. وعندما تخل الأعياد اليهودية مثل عيد الفصح وعيد المظلة ويتوافد الآلاف من الزائرين على الحائط فإن «ميه شاريم» يستأجرون أسطولا من السيارات لنقلهم بعيداً عن الحائط، إلى ضواحي مدينة القدس ومن موقعهم هذا يرقبون بأبصارهم للحائط وهيكل المعبد الذي أصبح الآن موقعاً مقدساً للمسلمين أيضاً. ويقومون في هذه الضواحي بأداء الصلاة في أصوات عالية وتُخرج الأمهات الطعام الذي أعد مسبقاً ويلهو الأطفال أبتهاجاً بهذا اليوم.

وحركة «أجوداه» تشابه مع الهارديم في معارضة إسرائيل، وأشار الحاخام يوسف بشير، المسؤول عن حركة حراس المدينة الأميركية في لقاء مع صحيفة «الرياض» السعودية اليومية لذلك، ولكنهم يقولون ما الذي يمكننا عمله من الناحية الواقعية فالدولة موجودة فعلاً وحتى يعود «المسيح» فإن علينا أن نعمل مع الدولة، ولكن يرى الحاخام أن تلك المشاركة مع الدولة نوع من الضلال والكفر الديني فنحن نعتقد أن المشاركة في الانتخابات عملاً وثنياً كما أن [الهاراديين] يتلقون أموالاً من الدولة (للمدارس الدينية) وتعد النقود من وجهة نظر.. حراس المدينة.. وسيلة لتغيير وجهات النظر.

وحراس المدينة الأمريكيين أيضاً يشتركون عاطفياً ولكن على نحو طفيف مع الهارديين وذلك في بعض المناسبات والتجمعات للتظاهر ضد إسرائيل خارج مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، وعندما تقيم المنظمات الأخرى المؤيدة للدولة الصهيونية أحتفالات في شهر مايو بمناسبة ذكرى (إنشاء) إسرائيل، فإن حراس المدينة ينظمون مسيرات مضادة تحميها الشرطة في الحى ٧٥، ٧٦ بنيويورك وهي المسيرات التي تجتذب تغطية إعلامية كبيرة. وأكد أتباع حراس المدينة لقراء صحيفة نيويورك تايمز واسعة الانتشار

فى عام ١٩٨٥ قبل قيامهم بتنظيم مسيرة مضادة «أن الصهيونية هى تقيض اليهودية الحقّة وإن الدولة الصهيونية زيف كامل؟؟

ولكن بعد وفاة الحاخام «تيتلبايم» فى عام ١٩٧٩، والخلاف الذى وقع فيما بعد بين ابن أخيه وخليفته الحاخام موشيه «تيلبايم» وأنصاره من جهة، وبين أرملة الحاخام من جهة أخرى؛ قد تسبب فى تخفيف العدد للصهيونية وذهب جزء كبير طاقة الطائفة إلى المشاكل الداخلية.

وفى لندن أيضاً فإن تشدد التيار الرئيسى «الهاريدي» قد ترك فراغاً محدوداً لمن هم أكثر تشدداً [حراس المدينة] وأتباعهم، وغدا نشاطهم محدوداً وهامشياً وقد دفع هذا بأحد كاتبهم وهو كاتب عمود مرموق فى صحيفة «جويش تريلبيون» أن يقول فى كتاباته «أنا لست من حراس المدينة، ولكن يمكننى أن أجلس فى أى من مؤائدهم وأقاسمهم طعامهم وأناقش أى مسألة تنتمى لليهودية حتى لو كنا على خلاف معهم. ولكن لا يمكننى أن أقول نفس الشئ عن يهودى غير متدين».

وفى حديث للحاخام شاش فى أحد الملاعب بلندن أوضح أن هناك إخفاء متعمداً لنجاح حراس المدينة من جانب الصهيونية، وقد أوضح لى ذلك إلى أى مدى يصل عدااء الهاراديم المضمر للصهيونية.

ومع ذلك فإن الحاخام «موشيه هاريتشى» دعا لتنظيم مسيرة ضد الحاخام شاش للإجتماع ضد قراره غير المعلن بتأييده للصقور الصهاينة فى «الليكود»، وربما بسبب تلك المظاهرة والمعارضة فإن خمسين شخصاً فقط هم الذين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات.

والآن فى إسرائيل أو «فلسطين»، كما يسميها حراس المدينة، فإنه نادراً ما يتم تنظيم مظاهرات - وإذا تم فإنها لا تكون عنيفة - وقليلًا ما يتم اعتقال أعضاء من نشطاء حركة حراس المدينة فى مثل تلك المظاهرات، وهذا الحال بعيد تماماً عما كان عليه الوضع أيام زعيم الطائفة الحاخام الكاريزى «أمرام بيل» الذى رحل عام ١٩٧٤ والذى سار على رأس مظاهرة مع أتباعه احتجاجاً على افتتاح حمامات سباحة مشتركة للرجال والسيدات فى المدينة المقدسة، وضد مرور المركبات فى أيام السبت فى المناطق التى يسكنها «الهارديم» وضد «بيوت الدعارة» وضد عملية تشريح جثث الموتى، وضد عمليات الحفريات الأثرية حيث تحصن الشريعة اليهودية على دفن الجثث كاملة، وبعد أن تتم عملية الدفن لا يجوز التلاعب بالجثث لأغراض طبية، أو حتى بعد مرور آلاف السنين لأغراض الحفائر الأثرية لأن ذلك بعد انتهاكا لحرمة وقدسية الموتى»

ولم يكن الحاخام «أمرام» يخشى عصى الشرطة الإسرائيلية أو رشاشات الماء التى تستخدمها ضد المتظاهرين، وكانت جماعتي «الأيداه» «الهاريدي» وكان حراس المدينة يشكلون المقدمة فى تلك المظاهرات وجند الصدام لها، وكان «البيت دين» يعطى مباركتة وتأييده لمسيرات الحاخام أمرام، كما كان يتم ارسال الأموال من أميركا لتغطية تكاليف تلك المظاهرات، وقد ضرب النموذج القوى من المسيرات منذ منتصف عام ١٩٩٠ عندما أعلن الحاخام أمرام الذى كان أرملاً، عن نيته الزواج من فتاة فرنسية صغيرة تحولت إلى اليهودية، وهى الفتاة ريث بن ديفيد - وكان هذا يعد أمراً لا يتمشى مع رجل فى مثل مكانته - وأخيراً تم نفيه من «البيت دين» وطرد إلى «بنى باراك» - ورغم أن الحاخام أدعى أنه أصيب فى خصيتيه أثناء حرب ١٩٤٨، ولذا لا يجوز له الزواج من أى واحدة إلا محولة لليهودية. وحاول الحاخام تبرير موقفه مستنداً إلى نص فى سفر التثنية ويقول النص [لا يدخل مخصى بالرض أو محبوب فى جماعة الرب] (٢٣ : ١).

وأستدعى الحاخام واقعة تاريخيه بأن الملك دواد نفسه كما ذكر التلمود جاء من سيدة تحولت للديانة اليهودية. وأخيراً فإن ريث تعود أصولها إلى شعب «الموآبيين» وهو من الشعوب السامية القديمة.

ولم يستطع «الزلي ستامرر» أن يفصل في حاله الحاخام أو يسوى حالة العداء معه، ومع ذلك فإن الحاخام أمرام عاد للقدس وأستأنف نشاطاته ولكن لم تعد الأمور إلى سيرتها الأولى. وكان الحاخام «أسحاق ويسز» صاحب العقلية المعتدلة والذي تلقى دراسته الدينية في مانشستر بالإنجلترا قد أختير رئيساً «لبيت دين»، وكان هناك أمراً يقضى بعدم تنظيم مظاهرات دون إذن من الشرطة، وإذا تمت تلك المظاهرات فتجرى بدون أعمال عنف.

وعلى كل حال فإن الإنعكاس الواضح لكل تلك التطورات هو إنتقال زمام المبادرة بشأن المسيرات والمظاهرات، التي تتعلق بأمر دينية كانت من أيدي «حراس المدينة» و «الميه- شاريم».

وعلى سبيل المثال فإن سلسلة المظاهرات التي جرت في منتصف عام ١٩٨٠، ضد أعمال الحفر الأثرية في مدينة الملك داود، إبابه عن المعبد الأول. قيادتها بين التيار الرئيسي من رجال السياسة في حركة (أجودات إسرائيل)، ودعم «الإيداه».

ولم تنجح تلك المسيرات، لأن أعمال الحفر كانت قد أكتملت بالفعل. ولكن الأثرى الأثرى البروفيسور «أيجال شالو» مات بعدها بقليل عن عمر لم يتجاوز الأربعين وأحتفل «الميه شاريم» وأسموا ذلك أنتقام الرب وحامت الشبهات حول الحاخام هاريتشي. ولكن أنكر مسؤوليته عن هذا الحادث المؤلم.

وكان هاريتش قد نشأ في نيويورك وجاء إلى القدس للدراسة في «الياشيفاه» وكان يعتبر نفسه خليفة الحاخام أمرام، وتزوج ابنة أحد زعماء جماعة حراس المدينة وهو الحاخام «آهارون»، وكان يحرص على إرتداء نفس غطاء الرأس والمعطف الضيق وهو الزي التقليدى للدارس في «الياشيفاه»، القديم قبل معرفة الهارديم للدولة في إسرائيل. ولكن هاريتش Harisch كان يفتقر إلى التكوين الجسماني والحضور الذي تميز به الحاخام «إمram»، ولكنه كان يمتلك خيالا واسعا، وكان يزعم وهو محق في زعمه هذا أن موهبته الدبلوماسية الخاصة قد تكون أقوى وأكبر تأثيراً من المظاهرات القوية، فمثلا نجح في عام ١٩٧٦، في إقناع وفد منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة لأخذ تهديد بلدية القدس بإغلاق مجزر للفراخ «المية شاريم» إلى أروقة مجلس الأمن الدولي، وقد ترأس هاريتش وفد حملة الأجتماع، وأحتج هو والوفد الفلسطيني على أن هذا التهديد يمثل اعتداءً على الحرية الدينية في المدينة المقدسة، وهاجم هاريتش ستة «محللاً للجنس» في وسط مدينة القدس بعد عدة سنوات من تلك الواقعة. وناشد الحاخام هاريتش ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المساندة في تلك الحملة وكتب هاريتش Hirsch إلى عرفات قائلاً أن الهيمنة الصهيونية الخالية على معظم فلسطين قد تسبب في تدنيس الأماكن المقدسة ونحن نناشدكم مساعدتنا في الأبقاء على قداسة «القدس».

وعندما قام وزير الخارجية الأمريكى جورج شولتز بزيارة للقدس عام ١٩٨٥ قامت حركة حراس المدينة بدعوته لزيارة «المية شاريم»، وكتب الحاخام في خطاب الدعوة «أنها المنطقة الوحيدة التي تخرج فعليا عن حكم الصهاينة»، وأضاف في الرسالة متسائلاً «لماذا تستثمر الولايات المتحدة العملية القوية «الدولار» في الإقتصاد الإسرائيلي المقيم من أجل التسلح» ولماذا لا يتم توزيع تلك الأموال على الأشخاص الذين يضعون ثقتهم في الرب وليس في السلاح كما يفعل الصهاينة».

ولسنوات طويلة فشل المسؤولون الفلسطينيون، والأشخاص العاديون في تفهم ذلك وأقامة علاقات قوية مع «هاريتش»، ولكن يوجد الآن تعاون كبير بين الجانبين؛ فعندما أعلن المجلس الأعلى لحركة حراس المدينة والمكون من سبعة حاخامات سعادته ومباركته لتشكيل الحكومة الفلسطينية في المنفى عام ١٩٨٨ - أعلن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في مقابلة مع صحيفة «بارى فاتش» الفرنسية أنه سيوحى بأختيار ممثل عن حركة حراس المدينة عضواً في الحكومة التي سنقوم مستقبلا في فلسطين.

ومن جانبهم، أعلن حراس المدينة أن وظيفة مسئول الشؤون الدينية ستقوم بها لجنة ثلاثية تضم عضو الحركة من كل من لندن ونيويورك والقدس، وفي مؤتمر «مدريد للسلام بالشرق الأوسط» المنعقد عام ١٩٩١، حضر حاييم إسحاق فريمان، وهو واحد العناصر النشطة في حركة حراس المدينة في نيويورك - كعضو رسمي في «الوفد الفلسطيني» الإستشارى في مفاوضات السلام.

والحاخام هاريتش Hirsch الذى يساهم غالبا في الكتابة في صحيفة الفجر التي تصدر في القدس الشرقية قام بإتصالات واسعة داخل وخارج إسرائيل لتحقيق أهدافه، وذلك عندما قامت حركته بتوزيع آلاف الدولارات نقداً على ضحايا الانتفاضة الفلسطينية الذين يرقدون في مستشفيات القدس - وحياتهم بأنهم الذين دمروا بسبب الصهيونية - كما أرسل أتباع حركة حراس المدينة مساعدات لعائلات المعتقلين في الانتفاضة. ومرفق بها رسائل تقول نحن - اليهود الفلسطينين - المناهضين لليهودية الصهيونية الأصولية. نعبّر عن تعاطفنا ومودتنا معكم نحن أخواتكم الفلسطينين».

الفصل الخامس

جوهرة فى التاج

الآن لم يعد هناك الكثير من التعاطف والمودة للحاخام/ هاريتش حتى داخل أوساط «المية شاريم» أنفسهم؛ ففي ذات صباح كان فى طريقة إلى المعبد عندما هاجمه شخص ملتم بالقاء مادة حارقة (ماء النار) على وجهه وحالت النظارة التى يرتديها دون اصابته بالعمى- ولكن أصيب احدى عينية إصابة خطيرة- وتم نقله للمستشفى للعلاج ومنها نقل فيما بعد إلى لندن لتلقى العلاج، ومن سريره بالمستشفى صرح للمراسلين أنه على الرغم من أن مهاجمه كان يخفى وجهه فإنه تمكن من رؤية أنه المهاجم وأنه غير ملتج، وقد ذهبت أوساط «المية شاريم» أن شخصاً وضيعاً فى إحدى لجانهم الأهلية قد اراد الانتقام من الحاخام قليل الشعبية، ومثل هذه اللجان والتجمعات منتشرة بكثرة فى أوساط الهارديم فى القدس، وفى مدينتهم «رييناي باراك» وهم معروفون فى هجماتهم بخدش وتجريح الوجه، وحتى تكسير الضلوع، ولكن الهجوم باستخدام «ماء النار» ينظر إليه على أنه تصعيد غير مسبوق .

وانتج حدى وسائل الإعلام فى ذلك الوقت إلى «ناشطى» حركة كاخ المتطرفة، المناهضة للعرب، والتى يتدعمها الحاخام الأمريكى الإسرائيلى الجنسية مائير كاهانا، الذى اغتيل مؤخراً فى نيويورك، وكانت هناك فى ذلك الوقت العديد من حوادث القتل التى تقع ضد العرب، ولم يتم التعرف على القائمين بها فيتم نسبها لجماعة كاخ. وإيا كانت دوافع ذلك الهجوم؛ فإن الهارديم لم تهتز مشاعرهم كثيراً لتلك الواقعة. وينظر الحاخام هاريتش لانخفاض شعبيته على أنه ازدياد فى الكراهية المتنامية ضد العرب فى داخل مجتمع الهاراديم. وخاصة بين طلاب الياشيفاه .

وجماعة «حراس المدينة» التي ينتمى إليها الحاخام هاريتش والتي توحدت أو وقفت مع العرب الفلسطينيين من ضحايا الانتفاضة أصبحت ملعونة ومطاردة داخل تجمعات الهاراديم، ويلقى الحاخام باللوم في ذلك الغياب والكراهية للهاريديّة على ممثل القيادة السياسية للتيار الرئيس في الهاريديّة وهو الحاخام شاش "Shach" ويقول هاريتش أن انحياز الحاخام شاش الشديد لليمين قد فاقم من أتساع العداء، وتحليل هاريتش رغم أنه يبدو موضوعياً فإنه أيضاً ذا بصيرة هامة، فالتيار الرئيس «للهارديم» رغم أنه أصبح أكثر عداء للدولة (إسرائيل)، في نفس الوقت أصبح أكثر عداءاً للعرب .

ووفقاً لرؤية حراس المدينة أنه بينما تماثل التيار الرئيس مع الجانب السلبي من أيديولوجية حراس المدينة فإن التحفظات القوية ضد الصهيونية توضح الجانب الإيجابي وهو التعاطف مع العرب الفلسطينيين، أو بطريقة أخرى فإنه خلال الخمسة عشر عاماً من التحالف السياسي مع اليمين فإن «الهاراديم» تقبلت بعض دعاوى النعرة الوطنية التي وجدت لدى الجانب المنتشد من الصهيونية، في نفس الوقت الذي أستمريت فيه في تشديد اعتراضها الأصولي للصهيونية .

ويبدو هذا تناقضاً كاملاً ولكنه يتضح بشدة في الواقع العملي فعلى سبيل المثال، عندما انطلقت تلك الموجه الكريهة من المعاداة للعرب في مدينة القدس في أغسطس ١٩٩٠، في أعقاب قتل اثنين من «الأرهابيين» الفلسطينيين لصبيين يهوديين، وكان السائقون العرب في القدس يتم إيقاقهم، وسحبهم من السيارات، وضربهم وتحطيم سياراتهم، وقد مات أحد هؤلاء الضحايا، وهو أب لسته أطفال، من أثر الضرب وكان معظم مثيري الشغب من طلاب «الياشيفا» الذين كانوا في أجازتهم الصيفية. وقد جابوا الشوارع ووحطموا السيارات الخاصه بالفلسطينيين مردين «الموت للعرب» وفي

الحقيقة فإن ساسة «الهاراديم» لديهم خط خاص فى معاداة فكرة العروبة لحد ذاتها. ومرجع ذلك ربما أمر اصيل ومماثل لنزعة معاداة الأجانب فى ظل رؤية الهاراديم للعالم.

ففى الفترة التى سبقت تأسيس دولة إسرائيل - فيما كانت الأيديولوجية الهارادية معادية تماماً لفكرة انشاء دولة خاصة باليهود- فإن مئات من «الهاراديم» قد انضموا أو ساعدوا حركة «اريجون» الوطنية المتطرفة التى كان يتزعمها مناحيم بيجين .

واليوم فإن أعضاء «الهاراديم» داخل الكنيست- فى احزاب أقصى اليمين- يقفون تماماً ضد العرب، وعندما طرحت مسألة وضع عقوبة الأعدام كجزء ضد الأرباب الفلسطينيين؛ فإن «الهاراديم» داخل البرلمان كانوا فى مقدمة المعسكر المؤيد لتطبيق عقوبة الاعدام .

ومؤخراً فإن انشاء مستعمرة «حيما نول» «للهاراديم» فى منطقة السامرة- قطاع غزة الذى تحتله إسرائيل- عاملاً مقوياً لعلاقة الهاراديم بحركة «جوش امونيم» الوطنية المتطرفة والأصولية وقد نوه المراقبون لما أطلقوا عليه حركة «هارادنيزشن» أو الطابع الهارادى لحركة الاستيطان اليهودى فى نمط الحياة اليومى، وفى نماذج الممارسة الدينية، فالمستوطنون الجدد يبدون وبسرعة شديدة مثل الهاراديم فى المظهر فالرجال تجدهم باللحى الطويلة، والنسوة بشعرهن المغطى، والملابس الواسعة الفضفاضة، والرجال على كل لايلبسو مثل «الهاراديم» تماماً منهم من يرتدون الزى شبة العسكرى، والجينز، ولكنهم يشبهون «الهاراديم» فى ارتداء الكيبسوت. ولكنه ليس اسود اللون مثلهم بل ياخذ ألوان عدة ومنسوج من القطن .

أما فيما يتعلق بالاتجاهات السياسية؛ فإن التأثير واضح في الاتجاه الآخر وهم الهاراديم هذه المرة، حيث تسربت شروح وتفسيرات التوراة لجماعة «جوش امونيم» أى لاهوتيات الهاراديم. وتلك التفسيرات تساوى بين الفلسطينيين الآن وبين «الأماليكات» والأشخاص السبعة الذين عاشوا أيام النبي موسى، كل تلك التفسيرات تسربت إلى لاهوتيات «الهاراديم» .

وكتب الإسرائيليات المأخوذة عن التوراة ترى أنه يجب قتل «الأماليكات» والرجال السبعة، مع أن شروحا أخرى للتوراة ترى أنهم يمكن الأبقاء عليهم أحياء إذا قبلوا العيش كعبيد .

وهذا التسرب إلى «اللاهوت الهارادى» يمثل أكبر تناقض فى الأمر لأن الأيديولوجية الهارادية ترفض أى ربط أو تشابه بين الإسرائيليين القدامى وبين إسرائيل الحالية، ويرفضون من الناحية العقائدية، إيمان الصهيونية الراسخ، فإن إسرائيل الحالية هى بداية الخلاص النهائى لليهود الذى تحدث عنه التوراة .

ونفس هذا الجدل ملحوظ أكثر فى تجمعات الهارادى فى الخارج. فغالبية الهاراديين فى الشتات يعملون لأن يكونوا متشددين فى القضايا الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال فإن صحيفة «جوش برس»، والتى تخطى بقبول واسع فى منطقة بروكلين، جعلت الحاخام المتطرف مائير كاهانا كاتب عمود يومية لديها. ومقال الصحيفة الأفتتاحى يأخذ غالبا خطأ وطننا وعسكرياً عندما يتم مناقشة خيارات السياسة الإسرائيلية. وهى أيضاً متشددة فى القضايا الدينية وتميل لمعتقدات الهارادى .

وقد تمكن يهود الشتات «الهاراديم» من كل ذلك مع الأبقاء، نظريا على الأقل، على تحفظاتهم الدينية على المشروع أو الفكرة الصهيونية. والهاراديين الناطقين

بالإنجليزية لايشيرون لكلمه إسرائيل والتي تدل على الدولة اليهودية ويستخدمون كلمة «تيزيل إسرائيل» أو أرض إسرائيل، وهى المصطلح التوراتى المجرد من أى مضامين سياسية، وأنه لمن حسن الحظ لتصورات السلام- العربى الإسرائيلى فإن التيارين الرئيسيين للتشدد اليهودى وهما «الهاراديم» والوطنين المتشددين-رغم أن مياهم قد امتزجت- قد أنفصلاً قبل الوصول لمناقشة القضايا الأكثر حساسية وهى مكان المعبد فى القدس .

وأنه لمن حسن الحظ أيضاً أن العقيدة الهارادية التى تحرم أى تسهيلات أو انشطه قرب بقايا المعبد قد فُرضت وسادت على الأقل فى تلك المنطقة «المعبد» والتى قد تشكل المقارنة المتوقعة «يقصد الصدام العربى- اليهودى» والصهيونيون المتطرفون الذى يحملون بتديد المناطق الإسلامية فى منطقة المعبد وهى قبة الصخرة- والمسجد الأقصى- هؤلاء الصهانية المتطرفون أصبحوا على حاشية المعسكر الصهيونى. وأستمرت منطقة المعبد- كموقع إسلامى للعبادة يدار عن طريق السلطة الدينية الإسلامية وتتولى حماية الشرطة الإسرائيلية .

ومع ذلك فإن الخطر لايزال قائماً ومحتماً ولايتطلب أكثر من قنبلتين محليتين الصنع يضعهما احد المتعصبين لكى يفجر لهيب الصراع الذى يمكن أن يؤدى إلى إعلان العالم الإسلامى الجهاد ضد اليهود. يتولى جهاز «الشين بيت» الافق الداخلى للمراقبة المستمرة للمخططين المحتملين لعملية كهذه. ويتتبع «الشع بيت» دائماً العملاء السريين داخل الجماعات الهامشية الصغيرة. وخلال العقدين الماضيين هنالك ستة محاولات لمهاجمة المقدسات الإسلامية، قام بمعظمها أفراد متعصبون بطريقة فردية ولكن فى منتصف الثمانينات قامت محاولة على أيدى جماعة من المستوطنين

جيدة التنظيم في الضفة الغربية على صلة قوية بحركة «جوش امونيم» وأعضاء هذه الجماعة أتهموا بمحاولة قتل وتشوية الفلسطينيين وحكم على بعضهم بالسجن مدى الحياة، ولكن تلك العقوبات خففت على يد الرئيس «حاييم هيرتزوج» تحت ضغط من الأحزاب الدينية اليمينية وتم الافراج عن جميع المتهمين بعد سبع سنوات سجن .

وقد أنفجر الموقف بالفعل في أكتوبر عام ١٩٩٠ وتحول إلى عنف عندما دعا أمام المسجد الأقصى المسلمين للدفاع عن المسجد من مظاهرة لأتباع المعبد، وعلى الفور قام القوميون الوطنيون «اليهود المتعصبين» بإلقاء الأحجار والصواريخ على الحائط الغربي؛ حيث يعقد عدد كبير من الهاراديين صلوات استنفار، وقد تسبب إطلاق الرصاص من جانب الشرطة الإسرائيلية في مقتل سبعة عشر فلسطينياً وأدان مجلس الأمن الدولي بالإجماع إسرائيل، وطالبت الدول العربية والإسلامية حماية دولية للمسجد .

ثم أندلعت بعد ذلك موجة من أعمال العنف من جانب الشباب الفلسطينيين المتعصبين، الذين قاموا بطعن اليهود في الأراض المحتلة، وتزايدت أعمال الانتفاضة. ورغم الإبتعاد الظاهر لزعماء حركة «جوش امونيم» عن الجماعات اليهودية السرية ومعظم الجماعات المتطرفة؛ فإن العديد من العائلات اليهودية التي تنتمي «لجوش امونيم» تعرض في منازلها تصوير ممتنع (سبق عمل معالجة للفيلم)، لمدينة القدس يظهر فيه موقع الهيكل مع قبه الصخرة بدون مسجد عمر «الأقصى» الذي يظهر بدلا منه المعبد اليهودي. ودخل دارسى الياشيفاه، والحاخامات في مناقشات خطيرة مع «جوش امونيم» حول الافتراض الذي تقوم عليه الجماعات السرية المتعصبة وهو مبدأ «إعمال يد الله» أو تنفيذ إرادته بالقوة ويرى هؤلاء أنه إذا قرر اليهود اختبار الحماس الديني

المخلص والحنين ليقوموا بتفجير المسجد «الكريه» فى مكان المعبد المقدس، وأثار ذلك المسلمون، وقاموا بهجوم قد يعرض وجود إسرائيل للخطر؛ فإن الرب لن يكون لديه خيار سوى التدخل لانقاذ شعبه ومدينته المقدسة .

وقال يهودا اتيزون أحد قادة العمل السرى اليهودى بعد الأفراج عنه أنه إذا لم تقم الحكومة الحالية بتفجير المسجد؛ فإن حكومة أخرى ستفعلها فى المستقبل. وستكون هى حكومة مملكة إسرائيل. وكان يهودا الذى افرج عنه بعد أن استنكر علانية نظريات مجموعات العمل السرى، قائلاً: أنها ليست مجموعة محبة للحكومة تلك التى قد تنسف المسجد، وقال فى اعتذاره: أننى أأمل انهم لن يقوموا بهذا العمل (تفجير المسجد)، ولكنه استطرد قائلاً لكن هذه المباني «يقصد المسجد الأقصى» سترال وهذا أمر أكيد، وأن إزالتها هى (جوهرة التاج) فى عملية الخلاص اليهودى النهائى.

وبينما ركز اتيزون وأتباعه أساساً على إزالة أماكن المقدسات الإسلامية؛ فإن مجموعة متحمسة أخرى - لا تؤمن بالعنف - قد كرست نفسها للتخطيط للمراحل التالية لعملية الخلاص اليهودى، وهذه المجموعة تضع تصوراً كاملاً لإعاده بناء المعبد، واستئناف تقديم القرابين، وإقامة الصلوات الكهنوتية على نفس النسق الذى كان موجوداً منذ ٢٠٠٠ سنة مضت .

وهناك دارسين للياشيفاه فى القدس القديمة تخصصوا فى دراسات «المعبد»، وطلاب آخرون يدرسون بدقة نصوص التلمود والتوراة ودلائل الحفريات الحديثة، ورسوموا الزخرف الأزرق للبناء المتصور مستقبلاً. كما درس هؤلاء الطلاب أيضاً مواصفات المذبح (المحراب) والأدعية المقدسة. ونسجوا أيضاً الحلل الزاهية التى ستظهر عند عودة المسيح والخلاص .

وكل تلك الفكرة حول التنفيذ الجبرى لأرادة الله مرفوضة تماماً بالنسبة لليهود «الهارديم». وأنه حتى لو تم ايجاد كيان سياسى ليهود ما قبل المسيحية، فإن وصيته- ما بعد ذلك- فى الواقع العملى تمثل تحدياً للنظام الموجود فى أظهر بقعة على الأرض، وسيكون ذلك تمرداً كبيراً على الملاذ الآلهى. وترى الهارادية أن النظام الموجود حالياً (إسرائيل) هو وجود عرضى وبالصدفة، وفى فكر الهاراديم لا يوجد مجال لحوادث الصدفة، وبالتحديد تنسيق وترتيب المعبد فى قلب الصراع العربى الإسرائيلى ووسط انتباه العالم. ويقول بعض «الهارديم» أن بقاء المعبد والمسجد الأقصى سليمين خلال حرب ١٩٦٧، ثم قرار وزير الدفاع موسى ديان بحماية وتأمين أداء الصلاة بالنسبة للمسلمين فى المسجد، يرون إن هذه دلائل على العناية الآلهية تشير لمحدودية دولة إسرائيل الحديثة غير المسيحية فى كشف القصة الكونية الكبرى. وهى أيضاً دليل على عدم مواقفه الآلهية على الدولة الصهيونية القادمة .

وتقول أفكار الهاراديم أن الخلاص سيأتى من الله فى الوقت الذى يختاره هو وأن فرض أرادة قسراً وبالقوة يعتبر خطيئة كبرى والتلمود التقليدى القديم يذكر أن المعبد الثالث سيهبط من الجنة جاهزاً ليعبر عن مصيره .

والهارديم مثلهم مثل الأصوليين الوطنيين يؤدون الصلاة ٦ مرات فى اليوم فى ثلاث قدا سات يومية، وبعد صلاة المائدة يدعون من أجل العودة السريعة للمعبد والقرايين، ويدرسون أيضاً جميع النواميس والقوانين المتعلقة بصلوات المعبد، ولكن ذلك من الناحية اللاهوتية وليس من الناحية العملية .

ويروى عن الحاخام مائير ميسرئيل كاهان رئيس حاخامات الأصوليين الأوروبيين أنه كان يواظب على اداء التمارين وصعود ونزول السلالم يوميا ليحافظ على نفسه من

الناحية العضوية ويكون ملائماً ورشيقاً لتوقع عودة المسيح المنقذ وإعادة بناء المعبد، ويرى أنه يحتاج للقوة لأداء مختلف الطقوس المنتظرة. ولذا فهو استمر في التدريب والانتظار، ولكنه لم يفعل شيئاً من الناحية العملية من أجل تغيير الحقائق القائمة في موقع المعبد .

ومما يزيد من تقوية السلبية اللاهوتية (الدينية) تمتد الهاراديم أن «الهالاشاء» [القوانين] تمنع بالفعل الدخول لموقع المعبد، والموقع بعد مقدساً اصيلاً وعلى أى يهودى ألا يطأ بقدمه المعبد حتى يتم تطهيره من الشعائر النجسة، ولكنه لا يمكن أن يطهر، وهنا تقدم القوانين مناعة وحماية لحالة الموقع حتى يتم إعادة بناء الهيكل، وعندها فقط يستطيع كل يهودى أن يتطهر ويسترد نقائه بالرش بالمياه المقدسة (الجوفية) ونثر رماد البقرة الحمراء التى ذُبِحت وحرقت، وتم حفظ رفاتها لهذا الغرض (ارقام-١٩-١) .

ومن الناحية العملية فإن «الهارديم» لا يطأون المعبد بينما يقوم اليهود الآخرون والمسيحيين بالدخول إليه كسائحين، ولكنهم ممنوعين من أداء الصلاة بداخله بأمر الشرطة الإسرائيلية .

وقد قام الحاخام موردخاى الياهو رئيس «السفارديم» فى عام ١٩٨٩-١٩٩٠ بعملية بحث عن كيفية العثور على البقرة الحمراء الخالصة عن طريق هندسة الجينات، وتم تصويره فوتوغرافياً وهو يقوم بالتجوال فى وحل مزرعة للماشية فى هضبة الجولان. وسجل عنه أيضاً أنه كان على صلة باحد المتخصصين السويديين فى زراعة نباتات الأستيلاد، وادعى هذا الحاخام أن عملية رش الرماد الخاص بالبقرة الحمراء يمكن أن تسبق عملية بناء المعبد، وهى لفكرة التى لاقت أعتراضاً من جانب معظم

الحاخامات .

وبالمثل فإن رئيس حاخامات اليهود الأشكيناہ شلومو جورين، وهو أحد المتطرفين القوميين، قد وجد سنداً دينياً قليلاً في فتوى أصدرها وتستند على شواهد جغرافية؛ مفادها أن أجزاء من موقع أو عرش المعبد الحالي ليست مقدسة وأنها ربما تكون قد تدنست من جانب بعض الأشخاص غير الأطهار، وقد اقتبس «جورين» بعض الدلائل الحفرية الحديثة لتأييد رسوماته وحساباته التي تظهر أن المعبد اليهودي القديم لم يكن مقاماً على كل تلك المساحة التي يوجد عليها اطلال المعبد الحالي ويدعم أن كنيسة قد بنى في جزء من المعبد الذي يعتقد أنه من المستحيل أن يطأه أحد الا ويدنسه .

والحكومة الإسرائيلية حسمت فتاوى وتطلعات كلا الحاخامين بأن نصحت، على نحو قوى وحاسم، أن تظل خططهم في المجال الأكاديمي النظرى، واستمر موقع المعبد الذي تحمية الدوجما الهارادية من جهة والشرطة الإسرائيلية من جهة أخرى كموقع إسلامى .

الجزء الرابع

الحياة والتعليم

الفصل الأول

ثورة التعليم

خاضت شركة طيران العال الإسرائيلية للطيران منذ عدة سنوات حرباً.. إنتهت بفشل ذريع فى مواجهة «الأصوليين» اليهود- الهارديم- ومطالبتهم بوقف حركة الطيران أيام السبت. وكانت الشركة تعاني من إرتبكات مالية هائلة. وحاول مديرو شركة العال الإحتجاج بأن مثل هذا الأمر سيكلف الشركة الكثير سواء كخسائر مادية أو فقدان لعملاء الشركة .

ولم يكن أمام شركة العال من خيار؛ بسبب القوة السياسية لحزب أجودات إسرائيل الهاريدى.

ولم يكن المتطرفون فى حاجة إلى اللجوء إلى وسائل قانونية، وإن هدد بعض كبار الحاخامات بفرض مقاطعة على شركة العال.

وانتهى الأمر بمديرو الشركة إلى أن خسارة العملاء من اليهود الأصوليين ستكون أكثر ضرراً للشركة، عن الخسارة الناجمة من العطلات الأسبوعية الإضطرابية.

وكان الحاخام أفراهام سافيرا، زعيم حزب «أجودات إسرائيل» فى الكنيست مسافراً نشطاً على خطوط شركة العال بحكم أنه من رجال الصناعة الكبار، وقد أورد فى حديث له تأكيدات تلمودية عن أثر احترام أيام السبت.. وأنه لن ينتج عن ذلك أى ضرر إقتصادى، «لأن الرب يعوضكم بطرق أخرى» .

وكان رجال حركة «الهارديم» الأصولية قطاعاً طوافاً من الأصل.. محباً للسفر وإن لم توجد إحصائيات تبرهن على تلك الخاصية .

ويبدو أن «الأصوليين» الهاريديين قد أولوا عناية بشركة العال فيما بعد. ويبدو أيضاً أن الأصوليين قد فرضوا من جانبهم حظراً صامتاً وغير معلن على الشركة .

وبذلت العال من جانبها الجهد الكبير لتلبية مطالب وحاجات الأصوليين. الهاريديين ودربت الشركة أطقم العاملين على متن طائراتها.. بأن يغمضوا أعينهم خشوعاً وورعاً عندما يجتمع المصلون ويبدأون فى ممارسة صلواتهم فى ممرات الطائرة، فى منتصف الرحلة، متخلصين من الأحزمة المثبتة فى مقاعدهم، ويحاول المضيفون من جانبهم أن يتجنبوا التحرك أثناء الصلاة أمام أنظار المصلين حتى لا يصرفوا أذهانهم عن الصلاة .

وفى صيف سنة ١٩٩٠ بدأت شركة العال فى تقديم صفحة يومية من التلمود، ضمن البرنامج الترفيهى على متن طائرات الشركة جنباً إلى جنب مع الموسيقى الكلاسيكية، والجاز، والأغاني الإسرائيلية الحديثة، والأفلام المسجلة على شرائط صوتية، وتقدم أيضاً للمسافر على متن طائرات العال درساً فى التلمود.. يستمع إليه الراكب عبر السماعة الشخصية لكل راكب .

ولم يعد تناول وجبات طعام الكوشير أو الصلاة فى ممرات الطائرات من سمات الراكب اليهودى الهاريدي فقط.. فهو ليس مجرد مصلٍ فقط بل هو طالب علم أيضاً.. وتلك الأشياء أصبحت موضع إعتراف من قبل الشركة المذكورة، التى أصبحت تتنافس وتتبارى فى تقديم الخدمة المطلوبه للراكب اليهودى المتطرف .

وقفزت شركة العال بذلك، إلى مستوى التشغيل الكامل، وكانت تقدم أرباحاً إلى الحكومة.. حتى جاءت حرب الخليج وما حدث من إنهيار طويل للآن فى الرحلات السياحية إلى المنطقة .

ولم نتج الشركة من هذا التحول المفاجئ الا بتنفيذ ما فرضته البنوك (الدائنة) من برنامج للإصلاح القاسى وكان تفسير نجاح العال.. عند الحاخامات والهاريديين وصحفهم «أن ذلك نتيجة طاعة شركة العال لتعاليم الرب وشرعه، وأنها راعت قداسة اسم الرب، وأصبحت العال بذلك الشركة الوطنية الوحيدة فى العالم التى تطير سته أيام بدلاً من سبع فى الأسبوع، وتلك القصة تمثل برهاناً ملموساً على القدرة السياسية لحركة «الهاريدية الأصولية اليهودى» وقدرة الأصولية الإقتصادية أيضاً.. وكذلك سلطة الحاخامات المعنوية المهيمنة. وتبرهن أيضاً على الاعتقاد الراسخ حول ضرورة الحفاظ على «الكتاب المقدس» ولكن المغزى الأكثر أهمية، عن ذلك كله، هو أن شركة العال قد أزعنت، وأضحت تقدم درساً يومياً من التلمود، بسبب تزايد أعداد العملاء من صنف الهاريديين الأصوليين. وهذا بذاته إنجاز كبير للحركة منذ نشأتها فى العشرينيات.

أن عملية الدرس والتعلم هى احدى الفاعليات الداخلية للإحياء الدينى المتطرف. وأن الدرس والتعلم لا يمارس فقط داخل قاعات التدريس فى مدارس التعليم التلمودى (الياشيفا). بل أن التعليم يمارس فى البيت أيضاً. وأصبحت أعداد الذين يقبلون على التعليم الدينى من التجار ورجال الأعمال والمهنيين والباحثون وطلاب المدارس التلمودية فى تزايد مستمر. وأصبح أولئك يقضون جزءاً هاماً من أوقاتهم وساعات الفراغ فى دراسة التلمود وكل التراث الدينى ذو الصلة بالدين اليهودى. إنها «دراسة من أجل الدراسة» ومن أجل المعرفة أيضاً.

وتشكل عملية المراجعة الدائمة للمادة الدراسية جزءاً عضوياً من الدراسة ذاتها. ولدراسة «النصوص» الدينية قدسية خاصة. ومحاولة فهم تلك النصوص ولو بقدر ضئيل من النجاح، إنما يمثل أيضاً سعياً مقدساً ومباركاً.

وبذلك تكون العلاقة بين المؤمن والنص الدينى، علاقة من طراز فريد وفى الأصولية اليهودية؛ الدراسة التزام دينى وواجب مشترك يقع على عاتق العلمانيين والحاخامات على حد سواء، ولا مثيل لهذا الالتزام وذلك الواجب، حتى فى الديانتين الكبيرتين الأخرتين (المسيحية والإسلام) فلا يطلب من القساوسة أو الفقهاء مثل هذا الأمر على ذلك النحو المتشدد .

ولكن عند «الأصولية اليهودية» هو شعيرة رئيسية من شعائر التبعده.. بل أن هناك قانوناً ينظم الحياة الكهنوتية فى المسيحية. وكل أسقفية كاتوليكية لها قس واحد على الأقل يتحمل مسئوليتها. والقس يدرس لكى يزيد معارفه ويطور من مهاراته وقدراته ويحافظ عليها. ثم يقدم معارفه ويعرضها على رعيته .

أما اليهود، فإنهم يدرسون لغير الأغراض العملية.. ولكن يهدف الالتزام الدينى وتشكل الدراسة الدينية حياة اليهودى وتؤثر فى شخصيته.. وتسحب المرء روحياً وفكرياً إلى عالم عقلى وذهنى مستقل ذاتياً.

أن التراث والشريعة التلمودية يغذيان الانفصال المجتمعى.. ويفرز ذلك التراث أنساقاً خاصة من الفكر واللغة.. ويخلق نظاماً من المفاهيم المشتركة والمعرفة الخاصة باليهود على نحو فريد للغاية .

ويذكرى [الهاريديون]، اليهود من غير الأصوليين الذين يمارسون دراسة التلمود وكذلك، يحققون الباحثين الأكاديميين الذين يقدمون على هذا الفعل .

ويعتبر (الهاريديون) أن ذلك جارحاً لعقيدتهم، وأزدهرت فى السنوات الأخيرة، الدراسات اليهودية والتلمودية فى الجامعات على نطاق العالم ويعترف الأكاديميون من جانبهم بازدهار سوق التعليم الوثيق الصلة بالتراث «الهاريدي» ونشر الأعمال

التلمودية.. وكل ما يتعلق بها ويقع بالكامل فى أيدى الهاريديين، والباحثين الهاريديين يقومون بتغير ونشر المخطوطات فى كتب جديدة على شكل كتب محققة. وكلها عملية تتم بأيدى دور النشر «التابعة للهاريديين» ويقدم جمهور المتطرف على شرائها ولكن تظل الفجوة واسعة بين الفهم الأكاديمى النقدى.. والتناول المقدس للنصوص الذى يقوم به «الهاريديون» .

ويقول «الهارديم» أن «ثورة» التعليم تشمل كل عنصر فى المجتمع.. امرأة كانت أو رجلاً، رغم النمو البطئ للتعليم الدينى «الهاريدي» وسط النساء... وزاد عدد الأقسام (المختصة بتلك الدراسات) وتوسع القائم منها فعلاً لجذب المزيد من الطلاب.

ومن المثير للدهشة. أن الأكاديمين والباحثين ليعتقدون أن هذا التطور سيلقى استجابة لاتتسم بالعداء من الهاريديين.. وقليل من الغضب والحقد، لأن التوراة تلقى قبولاً وإهتماماً خارجياً .

ويبدو أن «الهاريديين» أقل خوفاً من الماضى، من أن تقوم المؤسسات الأكاديمية بتشجيع الباحثين الشبان اللامعين للدراسة وتدفعهم إلى العمل العلمى والتعدى للمصادر الرئيسية «الكتب التوراتية» وأن ينال ذلك من تطرفهم وإيمانهم .

الفصل الثانى

العقلية التلمودية

إن تعلم التوراة وحفظ الوصايا هو ضرورة للحياة اليهودية، ويتمشى مع النظرة الهاريدية فى التدين وموقفها من الحياة .

أن المرء لا يتعلم بالأساس لكى يفهم ويعرف، وأنما يتعلم بغية الأمثال لأعظم الوصايا. والتى تستحق «طبقاً لوصايا التوراة» الإلتزام فى الصلاة مع كل صباح جديد وهذا الامر «هام» للتعرف على العقلية «الهاريدية» فالمرء «الهاريدى» لا يتعلم بهدف استيعاب وتحصيل المعرفة وأنما تنفيذا للوصايا. «المتسقوت» وهذا فقط ما يدفعه إلى الاندماج فى عملية التعليم. وهناك ثمة إفتراض نظرى، مفاده «أن الشخص إذا عرف وعلم فإنه لن يكون بحاجة إلى التعليم» ولا المتابعة والمراجعة الدائمة، ولأن التلمود يقول عن نفسه «لامعرفة نهائية به» ففى كل مرة يتعلم المرء جزءاً منه فإن هناك آفاقاً ومعان جديدة تتكشف للدارس؛ وتختلف الدراسة مائة مرة تماماً عن المرة الواحدة بعد المائة، وحين يقدم الجبر على ذلك. مرات ومرات فإنهم يكتشفون جديداً فى كل مرة.

إن التلمود يمتدح تكريس الجهد والمثابرة والاجتهاد فى التعليم ولا يمتدح الذاكرة الحافظة الواعية. والتى يعتبرها مجرد «صدفة بيولوجية» ويمتلئ التراث اليهودى بالقصص والحكايات عن مشاهير الحبر الذين حازوا شهرة ومنزلة سامية رفيعة عبر سنوات من الجهد العنيف والمكثف .

أن التوراة تكون «لمن يقتل نفسه، مجتهداً ومنقطعاً عليه». وتذكر تلك النصائح والوصايا لحث اليهود وتشجيعهم للإقبال على دراسته، ليس فقط الأغبياء منهم ثقيلو الفهم، بل الإنسان العادىون ذوى الذكاء العادى.. لكى يندرجوا فى مشروع تعليمى

طويل للتوراة .

ويبدو الأمر فى تلك القضية لمن هو من خارج السياق «المتشدد» أمراً غامضاً ومبهماً. وشيئاً معقداً وخفياً عليه. وعديم الفائدة العملية. أما بالنسبة «للمتشددين» فإن تلك الاعتبارات هامة وضرورية ولاغنى عنها فى التعليم، هو خير للروح وهدف رئيسى للحياة فى هذا العالم. ويضمن الفوز الخالد والأبدى فى عالم الآخرة .

وفيقيد، البعد الدينى فى التعليم، الاجتهاد المتواصل فى تسهيل وتيسير العذاب والكرب والغموض الذى يحيط بالنصوص وتعقيداتها، وكذلك فى التغلب على الاختلافات التى لاحد لها فى ميدان الإفتاء، واتساع وغموض النصوص والمادة المدروسة .

ولا يوجد «هاريدى» يعترف بأن أى جزء من التوراة، أو جملة القوانين والشرائع اليهودية أو الحكمة التوراتية، بالمعنى الواسع، يمكن الإحاطة بها «واليهودى الهاريدى» يمتنع عن مثل تلك الأفكار أو الاتجاهات ويمنعه التشدد والتطرف «أو بمعنى آخر الخشوع والتقوى المفرطة من الاعتراف بأن هناك تناقضاً أو صعوبة فى التوراة «لأن كل شئ وارد فى التوراة هو تعبير عما يريد الرب فى عالمه . وتظل الرغبة فى بلوغ الورع والتقوى هى الهدف الذى يسعى إليه كل «هاريدى» .

ويقول «الحبر» دور خاى بيتشر، المدرس بالمدارس التلمودية، وأحد القادمين من أستراليا ويعيش الآن فى إسرائيل .

«إنك لاتفكر فى الجانب الدينى، عندما تكون عاكفاً ومنقطعاً بالكامل للموضوع»

فإن المرء يتقرب إلى الرب من خلال التعليم، لأن التوراة هي رسالة «الرب الخالده إلى اليهود في العالم».

«أن [الرب] أطل علينا بتوراته «عندما خلق العالم»، تلك واحدة من الصورة التلمودية «التي تكشف عن المغزى الكوفي والعالمى للتوراة» كمظهر من مظاهر الخالق» إن الرب والتوراة وإسرائيل لشئ واحد .

وطبقا لنص تلمودى آخر «أن لليهود دور فكرى فى النظام الكوفى كحراس وحماة للتوراة»، «أن التوراة» سماوية «أو من السماء» يلقي العبارة التلمودية. ودراسة التوراة «هى الطريق الذى يقرب المرء إلى السماء» .

ويقول الرباه بنيتشر، وهو أحد المحظوظين الذين يتمتعون بأصالة وتعطش جارف للتلمود،: «حتى يمكن بلوغ التقوى، مرة على الأقل يومياً فإنه لا بد من التركيز على الكلمات التى تتلى قبل البدء فى الدراسة» والغرض كما يفسر بيتشر ذلك «هو تذكير الطالب أنه على وشك مباشرة وصية «توراتية» وليس مجرد الأقبال على رياضة ذهنية ممتعة وحسب «مبارك أنت» إختارنا الرب من بين الأمم ومنحتنا التوراة». «مبارك أنت، التى تعلمُ التوراه لشعب إسرائيل».

ويرى بيتشر «أن ذلك مفيد» مثل تلك التراتيل قبل البدء فى الدراسة بلحظات قصيرة .

إن الطلاب الذين يحبون دراستهم، بحاجة للإحساس بشعور بالبراءة وبكلمات ابرهام بورشائين سوتشاتشيف «أشهر علامة تلمودى فى هذا القرن»

«أن جوهر وصية تعلم التوراة هو الاستمتاع والابتهاج والفرح، وبذا تصبح كلمات التوراة مستوعبة فى كل قطرة دم لدارس التوراة» ويواصل العلامة ابراهام غير

مخطتين أولئك الذين يعتقدون أنهم يدرسون ويحصلون على أفكار جديدة وإشراقات، ويشعرون بالفرح والطرب لما يدرسونه أن ذلك إلى حد ما ليس تعليمًا، وتنفيذا لوصية التعليم من أجل التعليم».

أن دراسة التوراة لا تعتمد فقط على الأسفار الخمسة من العهد القديم «وانما تشمل كل التراث المقدس (القانون- أو الشرع المكتوب- التوراة- الأسفار الخمسة، والعهد القديم، والنبوءات والقسم الثالث من التوراة فى العهد القديم). وكذلك دراسة الشرع (الشفاهى) الهالاخاه» ويشير مصطلح «التعليم والدراسة» عند الهارديم إلى دراسة التلمود وكل التراث المرادف والمصاحب له. ومن الناحية الفعلية لا يوجد شرع شفهي. فكل شئ فى التراث الدينى اليهودى مدون.

ولكن مدلول الكلمة «شفهى» يشير إلى تطور التلمود، وأوجد الأصل الشفاهى للتوراة بعضاً من التناقض الظاهرى فى أسس الإيمان الأصولى لكن هناك حقيقة أخرى أن التوراة «سماوى وخالد وأزلى».

ودراسة التوراة المتواصلة «تأتى بإشراقات واستبصارات وتفسيرات جديدة» بل وأحيانا بتشريعات جديدة أو تمحيصاً لشرائع وقوانين قائمة وموجودة .

ويطلق على الحكم التلمودية المنشورة على شكل تعاليم أو تعليقات أو شروح اسم «تجديدات» وتفترض الحكمه التلمودية أن كل تجديد أو تفسير أنما قد هدى الرب به موسى .

وترى التوراة أن موسى جاءته الرسالة السماوية فى جبل سيناء «ونقلت عبر الف وأربعمئة عام (١٤٠٠ عام) من التاريخ إلى أكاديمية كيفا (AKIVA) وهو من المعاهد الدينية المشهورة فى القرن الثانى قبل الميلاد .

وفى التاريخ اليهودى الأصولى «الوصايا العشر» وهى التى كلم الرب بها الإسرائيليين فى سيناء. وكذلك الأسفار الخمسة أنزلها الرب على موسى وهى بذلك «كلمة الرب» بلاشك .

أما بقية الكتب المقدسة هى أقل درجة من حيث السماوية، أوحى بها الرب مباشرة ولم تكن املاءً حرفياً «وقد حل الوحي بها على الأنبياء والملوك والنسك .

وأنه لمن الهرطقة، الاعتقاد أن أيا من الأسفار الخمسة قد دونت بعد عصر موسى. أو يمين أى شخص آخر غير موسى. ولن الهرطقة أيضاً، الاعتقاد أن أبا من الأسفار الخمسة جاءت إلى موسى دون تفسير شفاهى مصاحب لها. وبذا تكون نظرية «التطور» مرفوضة عقائدياً. وهكذا، إذا أردنا مثلاً شهيراً من الأسفار الخمسة وهو فى الاعتقاد الأصوليين كتبت حوالى سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد جاء فيها «العين بالعين» وتفسيرها فى التلمود المكتوب ما بين سنوات [٥٥٠ - ٢٠٠ قبل الميلاد] تعنى التعويض المادى (النقدى). وليس فقء عين مرتكب الجريمة. وهذا المعنى أرسله الرب إلى موسى شفاهة. مصاحباً للنص المكتوب .

وقد أعطاه موسى بدوره إلى حلفائه. وينص التلمود «فإن موسى قد تسلم التوراة فى سيناء. وأعطاها لهوشع ومن هوشع إلى كبار الكهنة، ومن كبار الكهنة إلى الأنبياء ومنهم إلى رجال المجتمع العظيم، وهكذا حتى وصلت إلى حاخامات المشنا وفى تلك المرحلة. وبما يزيد عن قرن بعد هدم المعبد الثانى فى أورشليم سنة ٧٠ قبل الميلاد. أتخذ القرار بشأن تدوين التراث الشفاهى، وحينئذ وحسب التراث التلمودى كان محظوراً تماماً تدوين مانقل شفاهية، ذلك التحريم الذى أراد الرب لتشجيع التعليم المتواصل للتوراة .

ولكن حاخامات «المشناه» شعروا بالخسارة العظيمة التي تخيق بالأمة ومركزها الروحي وإنتشار الشكوك والمجادلات حول التراث المتنوع .

ووجدوا أهمية وجود نص رسمى للتراث الشفاهى مدوناً وكانت «المشناه»، وكانت ذات أسلوب تلغرافى مختصر بما يعكس مخاوف المؤلفين وتناقضهم إزاء مايقدمون عليه من تدوين للمعرفة .

وظلت المشناه «لأجيال متعاقبة تستخدم باعتبارها مرجعاً» مدوناً فى الأكاديميات الدينية سواء فى بابل أو فى فلسطين على حد سواء. واعتمد الطلاب على المشناه فى المدارس الدينية فى دراستهم ونشأ حول المشناه مادة ضخمة من التفسيرات والمجادلات اسميت «الجمارا» والجمارا تعنى التعليم باللغة الارامية*. وقد حررت الجمارا ونشرت فى التلمود الأورشليمى فى القرن الرابع، ثم فى التلمود البابلى الأعظم .

والتلمود مكتوب بالعبرانية.. وبصور التلمود القضايا الشرعية كما إنشغل بها المشرعون، وبنفس الجدل والنزاع العنيف الذى دار بين المشرعين ومعاصريهم وبنفس حجم المعرفة الذى كان تحت أيدي «الأخبار» ومتاحاً لهم .

والملك داوود على سبيل المثال «لم يكن مرتكباً لجريمة الزنا مع باتشيبا، رغم وجود نص فى الاصحاح الثانى (صمويل) الاسفار ١١-١٢ . فهى لم تكن من الناحية الشرعية متزوجة من يوريا عندما اغتصبها الملك، لأن كل الجنود المنخرطين فى حروب داوود، كان يطلب منهم رسمياً تطليق زوجاتهم قبل التوجه إلى ميدان القتال. وذلك تجنباً لتعقيدات شرعية إذ لم يعودوا إلى زوجاتهم .

* الأرامية: لغة سامية كانت شائعة الاستعمال على نطاق واسع فى العالم القديم.

ويوريا نفسه كان يستحق الموت لأنه من الناحية الشرعية قد ارتكب جريمة التمرد على الملك .

والخطأ الوحيد في مسلك داود أنه قتل يوريا على يد الهارديم، بدلاً من أن يلقي حتفه في ميدان القتال .

ولا تعدم «الجمارا» الوسيلة في بعض الاشارات اللغوية داخل النصوص لتبرئ وتفسير أفعالاً تستحق الادانة واللوم من جانب أحد الأبطال الرئيسيين في التوراة. وأنها إحدى الأساليب التقليدية في التراث التوراتي لتبرئة من يستحق اللوم .

وكما ترى الجمارا «أن أى شخص يعقيد أن داود آثم فهو مخطئ». ويقول الأصحاح الأول (صمويل) الثانى أسفار ١٤، ١٨ «وتصرف داود بحكمة فى كل الأحوال وكان الرب معه» .

ليس من الصعب أن يقدم على إرتكاب الأثم والمعصية من يكون الرب معه؟ ولم يكن داود مجرد ملك محارب أو شاعر ملحمى، بل «ربانى» حقيقى وتلمودى ومشروع لا يشق له غيار .

وأحيانا «يعزز التراث التلمودى المعرفة التشريعية بذكر إبراهيم واسحق ويعقوب، رغم أنهم عاشوا وماتوا قبل أن «يعطى» الرب «التوراة» إلى الإسرائيليين من خلال «موسى» ويعتبر التلمود الأجداد الثلاثة «مشبعين بالسنين التوراتية بسبب قداستهم وصلتهم الوثيقة بالرب. وهذا الفهم يؤكد ويقرر مفهوم «أن التوراة فوق التاريخ وذات صلاحية أبدية» .

ويبدو هذا المنظور غريباً للعقل النقدى المعاصر . وفى نظر الفارئ المعاصر يبدو أنه من العبث استخدام الصور «الكتابية»، والمعرفة التلمودية لإنكار عنصر رئيس، وهو تطور

القانون والشيولوجيا اليهودية ذاتها .

والتاريخ. كما يقول الهارديم على نحو سفسطائي ولد من نصوص الكتاب المقدس ذاتها، حين يصف الكتاب ثقافة بدائية قبلية، متطور تدريجياً إلى اعراف وتقاليد شرعية واجتماعية ولاهوتية عبر قرون من الزمان .

وذلك لا ينكر الأثر والدلالة التجديدية الجذرية لرسالة العبرانية الاصيلية في التوحيد والعدالة، ولكن يجب أن يسمح ذلك إتمام التطور والتقدم المتوصل سواء على مستوى النسق اللاهوتي أو على مستوى النظام التشريعي .

الفصل الثالث

قاعات الدراسة

أن أول ما يحيق بالقادم من الخارج، داخلاً لقاعة دراسة في مدرسة للتعليم التلمودى، هى تلك الضوضاء، والأصوات النشاز، التى تصيب بالصمم.

ويشاهد القادم إلى قاعة الدراسة. حركة دائمة وطلاباً يحركون أيديهم أو يعبثون بأصابعهم فى الهواء. و صياحاً عنيفاً. وبعض الطلاب وقوف، والآخرين جلوس، ومن الطلاب من يتمايل جيئةً وذهاباً على نحو رتيب، وهناك من يخرجون من قاعات الدرس يتجهون إلى الشرفات والممرات الخارجية للقاعات.

ويمارس الطلاب مثل هذه الحركات أزواجاً، وسيشاهد الزائر أزواج الطلاب يتفرسون ويمعنون النظر فى إحدى النصوص القصيرة، ثم سرعان ما يندفع الطلاب إلى نقاش حام ومطول ... وأحياناً يتجه الطلاب إلى أحد أركان قاعة الدراسة لاحتضار مزيد من الكتب. ويمعنون النظر فيها ويتجادلون أكثر وأكثر. وأحياناً أخرى يتوجه الطلاب إلى (الربان) وهو غالباً ما يكون جالساً فى أحد أركان قاعة الدرس أو فى صدرها. وبعد أن يستشير الطلاب أستاذهم، يعودون إلى مقاعدهم.

وحينما تخل فترة ما بعد الظهر، فإن هناك ثمة تغييراً، حيث تزداد القراءة والإطلاع، ويقل الجدل. وينغمس الطلاب فى التراتيل. ويستنتج الزائر من ذلك أن هدف وغرض لقاء ما بعد الظهر، مزيد من الإطلاع وإن كان بعمق أقل بينما لقاءات الصباح، أكثر جدالاً وصخباً وعمقاً.

وفى الليل. تقل حالة الالتزام الصباحى، وإن ظل بعض الطلاب على نفس حالة الهياج الصباحية والبعض الآخر يفضل الدراسة منفصلاً بمفرده.

وأحيانا ما يصاحب «الدرس الليلي» بعض الحركات الإيمائية وبعض التراتيل. كما لو كان ذلك غناءً بصوت عال.

وإن كان لا يسبب هذا الأمر أى أزعاج للآخرين. وتنتهى فترة الدراسة المسائية الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشر مساءً من الناحية الرسمية. ولكن بعض الطلاب يفضلون المكوث لساعات قليلة أخرى ليلاً. وهناك من يبدأون دراستهم قبل الفجر. وبعض الطلاب يعتبر أن (صوت الثوراة) لا يهجع أبداً فى قاعات الدرس. ولذا لا تهدأ حركه الدرس طوال ٢٤ ساعة يومياً.

وسيالاحظ الزائر أن الطلاب يتمايلون بكل أجسادهم وهم يرددون «أى، آى» من خلال مطالعة بعض الكتب الصغيرة وهى ليست «نصوصاً تلمودية» وإنما «أعمال أخلاقية» تنتمى إلى العصور القديمة وهى من الكتب التى تحث على كيفية بلوغ التفوق الروحى والاخلاقى، وعدم إضاعة الوقت الثمين فى تفاهات هذا العالم.. ولعل الزائر الذى اعتاد أن يعيش فى مناخ أكاديمى عصرى.. فإنه يتسائل كيف يمكن انجاز الدراسة الجادة فى ذلك المناخ وفى ظل مثل تلك الشروط الحياتية والتعليمية؟ وأى مسافة كبيرة تلك التى تفصل بين الحياة فى الجامعة أو المعاهد العليا. والمدارس الدينية، فى الجامعات العصرية يسود السكون وضبط النفس وفق قيم يلتزم بها الطلاب، ويفرضها أعضاء هيئات التدريس..

أما إذا سأل طالب (بالمدارس الدينية) سؤالاً فإنه سيحال على الفور إلى المشناه... للبحث عن إجابة.. ويحمل تاريخ التعاليم الدينية اليهودية ٤٨ وسيلة وطريقة يمكن من خلالها دراسة وتعلم التوراة.. ومنها:

الدراسة، الاستماع بالأذن، الترتيل بالشفاه، مباشرة التعليم مع الزملاء من الطلاب، الجدل المكثف بين الطلاب.. والدراسة أزواجاً أزواجاً ويسمى فى التعاليم

(صدّاقة) ... وتلك هى نفس الطرق القديمة والتقليدية التى أعتمدتها المدارس الدينية لتعليم التلمود. وهى ذات الطريقة التى أعتمدتها المدارس الدينية فى روسيا وبولندا فى القرن التاسع عشر.. وتلك المدارس، تعد بمثابة المدارس الرائدة للتعليم الدينى (المعاصر). ولا يبدو أن هناك ثمة تغييراً أو تعديلاً ملموساً فى هذا الأسلوب، ونحن بنهاية القرن العشرين.

ويؤكد معظم الطلاب أن تلك الضوضاء وذلك الصخب لا يشكل أى صرف للأذهان بأى حال، وأنما هو من الوسائل المساعدة فى التعليم دون أن يكون ذلك نمطاً تعليمياً غريباً.

تلك الحقائق التى تربى عليها المتطرفون (الهاراديم) من خلال نظام قاسى فى المدارس الدينية الأولية، قبل الالتحاق بها فى السنوات الأخيرة من طفولتهم..

والنمط التقليدى التلقينى، هو ذات النمط المطبق فى أوروبا الشرقية، على نفس طريقة (الجيتو) - أى تجمعات اليهود المغلقة فى الشرق الأوسط من اليهود السفارديم- والذين يرتلون خلف (الرّبان) المدرس العبارة التى يتلوها بالعبرية.. ومن خلفه الأطفال يرددون ما يقول. وأحياناً ما يقوم المدرس بترتيل قطعة من التلمود مع ترجمة باللغة اليادشيه، ويكرر الطلاب من خلفه ويتلون بعد ذلك المشنا. وما أن يبلغ الطلاب الصغار سن السادسة أو السابعة، حتى يتحول المدرس إلى (الجمارا).

والأسلوب الترتيلى.. بعيد كل البعد.. عن توصيل تلك المقطوعات إلى عقول الصغار. ولا يفهم لا النصوص بالعبرية، ولا ترجمتها اليادشيه. أو يصلوا لأى معنى من معانيها عندما يرددونها دون أدنى خطأ.

وكانت صورة التلميذ الصغير بعيون الطفولة الدافئة مع صورة «الريان» بثيابه الخشنة، مادة للكتاب والشعراء والموسيقين من اليهود في بدايات هذا القرن.

وكان الافتراض الذى أكدت عليه تلك الأعمال الأدبية والموسيقية «أن ذلك العالم قد مات؟؟ بعد مذابح «الهولوكوست» التى تعرض لها اليهود.

أما اليوم، فينشأ الطلاب الصغار فى عالم أكثر أنتعاشاً، وأكثر سعادة.. وأفضل طعاماً. عما عاشه «أقرانهم» فى فترة ما قبل الحرب.. أو تلك الظروف التى عاشها الأسلاف فى الأحياء العشوائية.

فصول الدراسة أكثر دفئاً وأفضل زينة وبهجة.. لكن ظل منهج التعليم لم يتغير جوهرياً وتوجد الآن. محاولات لحياء اللغة اليادشية كلغة للتعليم والخطاب العام فى مجتمعات الهارديم.

وخاصة فى مدارس التعليم الدينى، وما يناظرها من مؤسسات تعليم الفتيات.. وتمثل عملية إحياء اللغة اليادشية أحد عناصر العودة إلى الجذور على نحو حاسم.

ففى كثير من «الأسر» فى بنى براك وباروخ براك أو أنتيرب.. فإن الجيل الحالى «البالغ ثلاثين أو أربعين عاماً.. يتحدث لغة يادشية ركيكة.

سيما لغة الاطفال.. تتميز بالطلاقة والطبيعية. وفى المقابل.. فإن الأطفال من أصول إنجليزية أو فرنسية، أصبحت لغتهم الأصلية أقل طلاقة من لغة آبائهم.

وفى المدارس الدينية الأولية يذهب الصغار، تعليمهم العلمانى ضعيفاً أو معدوماً بالكامل، وهناك يبدأ الطفل فى الإنخراط فى التعليم.. مع أقرانه فى قاعة الدرس.

وتساعد الساعات الطوال التى ينفقها الطفل فى الفصل الدراسى مع المدرسين. فى تشجيعه على المشاركة مع الآخرين.. فى الدراسة وتطوير مهاراته فى التعامل مع

«النص» والمبادرة الأكاديمية.

وفي معظم المدارس الدينية العليا، يمتنع الطلاب أو يمتنعون من حضور الدروس بانتظام، عندما يتقدمون إلى صفوف دراسية أعلى. (وأن كان ذلك الأسلوب في أمريكا أقل من إسرائيل).

وفي السنوات الدراسية العليا.. في كثير من المدارس لا توجد متطلبات على الإطلاق.. ويقضى معظم الطلاب الوقت في قاعات الدرس.. والدرس الوحيد الذى يهرع إليه الطلاب مرة أو اثنتين فى الأسبوع هو درس يلقيه العميد على مجمل الطلاب بالمدرسة.

وأفضل الطلاب.. فى كثير من المدارس الدينية يعدون مادتهم الدراسية، وبعد أحراز تقدم فيها.. يبارزون العميد ويجادلونه فى أطروحاته، ويسعد العميد كثيراً للمبارزة مع طلابه اللامعين وإذا أنجز الطالب ٩ مرات (من المبارزة مع العميد) من مجمل عشر مرات فإنه يشطب من «دنيا الطلاب» وينتقل إلى الامساك بزماء.. التدريس»

أن الجلبة التى لا تهدأ للنشاط الفكرى والتعليمى فى قاعات الدرس، هى جزء عضوى من المنهج التعليمى القديم، وهو بذاته تعبير عن القانون الشفاهى.. الخاص بالتراث التعليمى والذى يشرط أن ينخرط الطالب فيه منذ طفولته المبكرة.

ولم يكن ذلك «النهج» مجرد إنتصار على الحداثة، أو مجرد أزدهار للدراسة التوراتية وفى المنهج السائد والمطبق اليوم فى التعليم ولكن الانتصار الحق، فى ذلك الانتشار الواسع خارج إطار «الهاردى» التقليدية، ففى السنوات الأخيرة إزدهر هذا النمط التعليمى فى مجتمعات الأرثوذكس سواء على شكل مدارس عليا أو معاهد..

وعلى نطاق العالم اليهودى كله..

وما يستحق الملاحظة، إزدهار التعليم «بالمشاركة» بين طلاب المدارس الدينية التقليدية الذين ينخرطون فى دراسات علمانية. بالتزامن مع الدراسة الدينية.

ولذا، فإن الطالب البالغ ثمانية عشر عاماً فى مدرسة «فلتيف مائير» العليا للتعليم الدينى فى القدس، أو أى مدرسة أخرى تشابهه من العشرين مؤسسة المنتشرة حول إسرائيل، يقضى حياته الصباحية مجادلاً مع نظيره فى دراسة التلمود، فى جو الضوضاء والتنافر فى قاعة الدرس. ويقضى ما بعد الظهر فى نظام آخر مختلف تماماً داخل المعمل أو قاعة كومبيوتر أو فصل دراسى له تقاليد أكاديمية عريقة.

حينما يكرس الطالب جهده فى التراتيل مع زملائه، فى ضاحية تيمور، أو الميرلاند.. داخل مدرسة «نير إسرائيل».. الدينية العليا الفخمة.

ثم .. ينتقل إلى قضاء وقته فى العمل (مراجعة الدروس) فى جو أكثر منهجية وفى مقاعد دراسية مختلفة فى جامعة «جونز هوبكنز».

ورغم نمطية أسلوب الدراسة عن طريق المشاركة والذى يعم عالم المدارس الدينية.. إلا أن هذا العالم ليس موحداً، بعد أن أصبحت المدارس التقليدية الهاردية أكثر قوة وعدداً، وزاد شعور الإذراء تجاه محاولات التوفيق مع الثقافة العلمانية أو مجرد محاولة مشاركتها لوقت الطالب الذى يدرس التوراة.

وقد أصبح هذا الإستقطاب واضحاً الآن فى إسرائيل وهو نفس الإتجاه السائد بين يهود الديسابورا.

الفصل الرابع

الحياة فى الحرم الدراسى

يعد ماشجياش من أفضل علماء التلمود ولم يكن مع ذلك أول المهتمين بحياة الياشيفاه. وكانت مسئولية الإعداد الروحى للتلاميذ، القيم الدينية والتدقيق فى الدين وتعاليمه وتتطلب. الحياة اللاهوتية تتطلب كلا من تعليم لمبادئ التوراة، وحفاظ المشفوت وحيث أن أسلوب ماشجياش لم يحظ بالعناية اللازمة. والغرض من التعاليم هو التوبة والعمل الصالح وتهدف والياشيفاه مثل المدارس الإنجليزية العامة، إلى تكوين شخصيات التلاميذ وليس مجرد تلقين المعلومات أو حفظ المبادئ الأكاديمية. والهدف هو التحول إلى التوراة وتكوين «أبناء التوراة» وأعتما على اعتبارات دينية مثل الزهد. ويحكى تراث الياشيفاه عند نهاية القرن الماضىالياشيفاه ونقطة التحول بين عالمين دارس كان يتعلم الحمارا (عن السبت) بينما كان يدخن السيجارة. ومثل هذه المعاناة قد وصفت على أنها أسلوب ماشجياش. ودائماً الإستغفار للشاعر العبرى القومى هايم ناهمان بياليك. (١٨٧٣ - ١٩٣٤) وكذلك للقادة الصهاينة الآخرين الذين أعتنقوا المبادئ الروسية لياشيفاه قبل أنذار مبادئ ومعتقدات الأصوليين.

وأصبحت هذه المؤشرات مبادئ نموذجية لأجيال كاملة من شباب اليهود فى أنحاء أوروبا. الآن أصبحت خيالات بالية عن ماشجياش. وتاريخ تلك الأخطاء حالياً لم يمثل أى أستمالة حقيقية لعالم الياشيفاه اليوم. والدراسة فى الياشيفاه فى هذه الأيام دراسة شائعة ضمن الذكور الهاريديين (أكثر من ٩٥٪ فى إسرائيل) من بين يهود الشتات. والخبرات التى تتفق مع أن انخفاض معدل طلاب هاردى الياشيفاه يرجع إلى تهتك الأصوليين ويمكن تحويله والبعض يقول غير محدود. وقد بدا واضحاً للزائرين مدى التألف بين العلم والتصوف الدينى عند الياشيفاه. وفى مقدمة قائمة الدراسة يوجد

صندوق مقدس يحتوى على صحف التوراة وأسفله يوجد كرسي مرتل الأقداس وفي الوسط توجد المنصة التى منها يمكن قراءة التوراة. وأهم شئ فى حياة الياشيفاه هو الصلاة ثلاثة مرات يومياً والتى تؤدى على نحو أكثر بظاً من المعتاد فى المعابد حيث يتغنى الناس فى وقت محدد، ويرتلوا بعضاً من التلمود فى قراءة سريعة، وتؤدى الصلوات اليومية فى الصباح والمساء. منحه، هى صلاة الصباح ومعاريف هى صلاة بعد الظهر والمساء. وعلى طريقة الليتوانينى فإن مينكا تؤدى قبل الغداء ومعاريف قبل العشاء وتستغرق كل منها على الأقل عشرون دقيقة. والعنصر الأساسى فى هذه الصلوات الثلاثة اليومية هو الجدية والخشوع والضراعة وتكون الصلوات دون صوت وتؤدى وقوفاً ويستطيع أى فرد أن يقرأ النص بلا صوت ويتدبر المعانى خلال ثلاث أو أربع دقائق، والبعض يستمر لأكثر من ذلك. وفى الياشيفاه، على التلاميذ أن يستمروا أطول من ذلك الوقت حتى تكون صلاتهم أكثر عمقاً ليس فقط بالنسبة لأنفسهم ولكن أيضاً لعائلاتهم وكذلك لكل الأمة، وبالنسبة لمعتقدات الهاريديين فإن تلاميذ الياشيفاه هم حماة الأمة؛ بل والعالم كله. وهناك دراسة عن أنتشار النظارات الطبية بين الدارسين فى الياشيفاه، وقد فسر ذلك لطول فترة القراءة والاطلاع على المطبوعات الروثة وسوء الإضاءة، ولكن دراسة طبية قد أجريت حديثاً وأرجعت اللوم إلى إستمرار التركيز على العين مما يسبب ضعفها. حيث أن العين تقترب من النص، وبالمداومة يؤدى ذلك إلى قصر النظر. وقد أجريت هذه الدراسة على دارسين الياشيفاه فى القدس حيث تبين أن ٩٠٪ منهم يرتدون النظارة الطبية. وأن الدارسين أنفسهم لا يعرفون مدى الضرر الذى يسببونه لأنفسهم وهم واقعون تحت تأثير شوكلنج على قبعاتهم وأثناء الصلاة، على كل الدارسين أرتداء قبعاتهم. وفى معتقداتهم أن شوكلنج هى معركة مستمرة بين عضلات الرقبة وقوة الجاذبية. وربما كان الدارسين أقل وعياً من تابعى المعبد وفى كل الاحصائيات وجد أن العديد من الدارسين عانوا تماماً من شيمونية اليسره حيث يغلقوا

أعينهم ويرفعوا أيديهم بالتوسل والأبتهاال.

وعند الياشيفاه فى ليتوانيا فإن صوت الصلاة يكون حزين وبعض التابعين تكون صلاتهم فى الغالب على مدار الأسبوع ويعيشون على الأغاني المرحة فى السبت والمهرجانات. والحياة الدينية لحسدك الياشيفاه والتابعين له يسيطر عليها الروحانيات وتعاليم ماشجياش.

ومن أهم شعراء الروحانيات رابى اسرائيل مانتر (١٨١٠ - ١٨٨٣) وكان رابى شخصية معقدة خلال حياته وكان هدفه الأول هو حماية عالم الياشيفاه وذلك عن طريق استقطاب العديد من الأتباع وقد أمضى عشرات السنين بين الضرب فى فرنسا وألمانيا وكذلك فى روسيا. وتحت قيادته قام بعض الدارسين على شكل مجموعات، بدراسة النصوص ولم تكن أفكار مانتر مشهورة وأن ماشجياش يركز فى حركته على أقتاع التابعين بالدور الأجتماعى والدينى للتوراة ويحث الدارسين على الحضور بالبدل الرسمية ورباط العنق وأن يحافظوا على مظهرهم. وتأثير شخصيته على أتباعه دينياً وروحياً قوى جداً وهناك أشكال مازالت موجودة إلى اليوم من مدارس الياشيفاه وتعتبر أعمال القرن الحادى عشر خاصة أعمال الأسبانى باهيا أبين يكودا والقرن الثامن عشر أعمال الايطالى موشيه حايم لوزاتو وبالنسبة للشباب لم تكن هذه الأعمال مرغوبة وفى نيويورك قدمت دراسة سنة ١٩٨٢ للإجتماعى وليام هلمرايسن وذكر فيها أن يشيفا منذ مئات السنين كتب هذه التعاليم وأصبحت الآن لا تصلح لمن يريد لها فعلاً. وهناك أيضاً من الناس من لا يزالوا يتعاملون معها بجدية شديدة. عادة ولكن ليس دائماً هناك الدارسين المهتمين بدراسة التلمود.

وفى الحقيقة هناك ثلاثة أوامر منفصلة فى حياة الياشيفاه وهى الذكاء- الأجتهد- والتقوى. ونظرياً حاول الياشيفاه أن يجمع بين الثلاثة وعملياً أعتقد تلاميذ

الياشيفاه أن الثلاث أوامر تمثل طباع مختلفة وربما تؤتى أحياناً منتصف الليل ويأكل فطار خفيف ووجبات متقطعة خلال اليوم وكان مشهور عنه أيضاً استغراقه فى التعب. ويعتبر ماشجياش مثلاً يحتذى لأتباع يشيف. ويعتبر هؤلاء الأتباع من العرسان المضلين لذى البنات عند الزواجة. حيث أنه مضمون أهتمامه الاستمرار فى التعليم والزهد بجيدة. وفى التعاليم أيضاً حب الجيران كم هم وزيادة المرض ومساعدة كبار السن.

والتعاون مع الآخرين فى التغلب على العادات السيئة.

وهنا مرة أخرى عندما عاد شاوشان وسيط الزواج وجد العديد من البنات الراغبات فى الزواج من أتباع هاريدى بحثا عن الشخصية الأفضل من مبدأ أن الطريق إلى الله هو أحسن طريق يجب أن يسلكه المرء أحياناً بعد سنين من التعب والتقوى والحياة الروحانية على طريقة الياشيفاه يتحقق للشخص شفافية الإنسان الورع وهذا لا يعتبر شخص عادى ويصبح غير قابل للخطأ. وتبدو عيناه لامعه وأبتسامة هادئة ولا يعلو صوته أبداً ولا يغضب ودائماً عنده الرغبة فى المساعدة ومن ناحية أخرى فهناك التابعين الذى لم يتعلموا أى شئ عن الياشيفاه ولكنهم تحت كل الظروف أتباع هاريدى كما هو. وفى إسرائيل هناك شاب لم يسجل كتابع من أتباع الياشيفاه وكان من الطبيعى أن تقع عيني هاريدى عليه وهذا هو الحال مع أى من أتباع الياشيفاه الخارجين عن تعاليم أيضاً وعليه أن يزيل الأفكار والمعتقدات عن الشبث قبل تحقيق تأثيره عليهم وخاصة على التلاميذ الجدد.

ومن المألوف أن يكون هناك العقاب للتلاميذ فمثلاً لو شاب ضائع فتاة أو ماشابه ذلك لابد وأن يتوقع العقاب الشديد وربما يكون ضحية للميول الشيطانية وأنها فقط نزوة وليست أثم متكررة. حتى فى مثل هذه الحالات وطبقاً لرأى الكاتب الإسرائيلى أمنون ليفى فإن الفصل من يشيفا ليس العقاب الكافى. حيث أنه من

المعتقدات لدى هؤلاء الأتباع أنه لا يمكن الابتعاد عن مجتمع الياشيفاه.

وعلى كل حال فإن مثل هذه المخالفات نادراً ما تحدث مع أتباع الياشيفاه وكل من ليفي والأجتماعي الأمريكي هلمرايس يسيطروا على أفكار هؤلاء الأتباع ينتقلوا بين الأشخاص أصحاب الطريقة وكان اللون الأسود وهو المسيطر على أتباع الياشيفاه ليس فقط في الملابس ولكن أيضاً على كل نواحي الحياة وكان من المخالفات للتلاميذ إرتداء الملابس الملونة والابتعاد عن الحياة الحديثة والتمسك بكل ما هو قدسم. أخيراً فهناك بعض التلاميذ الذين لا ينتموا لأى من هذه الحركات وهم كذلك لا يتعلموا وهؤلاء الغير متعلمين ببساطة غير راغبين فى التعليم ولا يستطيع ماشجياش أو الياشيفاه أو غيرهم من التأثير عليهم وإقناعهم بالذهاب إلى المدارس ومن ناحية أخرى فإن الشباب من أتباع هاريدى والغير أكاديميين يمكنهم اتخاذ القرار بالخروج للعمل وفى إسرائيل على أى حال فإن الشباب ليس له الحق فى اتخاذ أى قرار بحرية الا بعد أداء الخدمة العسكرية. ولذلك فعادة فهم يستروا مع الياشيفاه. وبالعوض الآخر ينضم لعالم هاريدى ومنذ مدة طويلة أنشئت منظمة تسمى بايكيم والتي تهاجم المبشرين من غير اليهود وكذلك فإن القانون الإسرائيلى يمنع ذلك ولا يوجد الكثير من هؤلاء المبشرين يعملون داخل البلاد. وعموماً فإن هذه المنظمة تبذل كل ما فى وسعها سواء أمداد بالمال أو طبع الكتيبات وتسهيل كل شئ فى سبيل أنتشار أنشطة أتباع الياشيفاه.

الفصل الخامس

الأكثر تقوى

قام شاد شان بالقاء نظرة على طالبه متميزة فى مدرسة للبنات وتريد ألا تكون على النظام القدسم، ومع إن المؤسسة لاتزال موجود فى عالم الهارديين إلا أنه لم يعد هناك شتل أو عن حياة شتل وهى الطريق العملى لإجراء الزواج. والأُن تعتبر الزوجة تائبة عن الياشيفاه وتنسق بين طلاب زوجها- معارفه- أصدقاءه كذلك وتقدم أقترحات وتوصيات وأحياناً يهيمى للبعض أنها الوجه الآخر لهاريدى الياشيفاه وأن الفتيان والفتيات يحضروا عن طريق البعض بأنفسهم. ويدخل الطلاب إلى كلية الياشيفاه أو ديان أو رابى وهذا مستقبل يكفى للوضع الاجتماعى وهذه هى مكافأة الطلاب الذين أمضوا سنوات طويلة فى الدراسة الجادة الياشيفاه. ويعتبر أيلوى طبعاً أكثر المرغوب فيهم فى سوق الزواج عند الياشيفاه خاصة إذا كان عنده حكمته الخاصة بعدم الزواج من أبنة أحد الأغنياء أو العلماء الياشيفاه.

والتلمود ذات نفسه قد فرق بين نوعين من الذكاء سينأى وأوكرها ريم والفكرة العامة هو القوى العقلية مع القوة الجسدية وهنا تقبع فكرة الياشيفاه فى أنتقاء الأولاد الأكثر ذكاء وليس هؤلاء الذين يقضون وقتهم فى تسريح الشعر واللهو.

وهنا يكون أيلوى هو المستوى الأعلى فى نظر زملائه كما أن الياشيفاه وماشجياش سوف يحاولوا التغلب على ذلك ولكن عليهم أن يتكاملوا معه بحرص شديد لأن الياشيفاه الآن يشبه نجم كرة القدم ويصبح مرغوب من الياشيفاه آخرين وبعض هؤلاء الآخرين يضعون مواصفات متشددة وعلى سبيل المثال فإن هاذيك الياشيفاه فى أمريكا وإسرائيل يتلقى الطلاب محاضرات خاصة من رابى نفسه لتوفيههم بألف صفحة فى التلمود بالقلب وطبعاً الألف صفحة أصحبت ألفين حيث أن

الصفحة على الوجهين وبها أ،ب وهذا يتطلب فترة طويلة في الدراسة لكن أى مستوى من الذكاء لا يكفى مالم يكن الطالب موهوب بذاكرة قوية وهل يعرف الطالب ما هو أكثر عن العالم الخارجى من معلومات تمكنه من التكلم والاستعداد لتخزينها فى ذاكرته. وأتباع هاريدى ليس عندهم شك فى ذلك ولكن إذا كانوا على حق فإن سبب التفاوت يرجع إلى الطبيعة الخاصة لتعاليم هاريدى الخاصة بالتلمود وهنا كما نرى ليس هناك أحد معين ولمعلومات الجميع فإن كمية المعلومات المخزنة بالعقل تكون ملحوظة للآخرين وكما هو معروف أن رابى فى بنى براك قد عرف بذكاءه وورعه أثناء الصلاة خاصة صلاة بعد الظهر.

وأتباع الياشيفاه أحبوا تبادل القصص الدينية والتي ترجع التاريخ إلى أن عالم الياشيفاه فى هذا الوقت ينتمى إلى رابى أوفاد يوسف (إسرائيل ١٩٧٣ - ١٩٨٣) والذي درسنا عنه سابقاً كعلم من أعلام حياة هاريدى السياسية ودورة حيال ذلك. عنده نسخ كامله من الأعمال الخاصة بالتلمود ويستطيع إعادة طبعها حيث أنها محتفظ بها فى مكتبة. وفى رحلة قصيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى بداية ١٩٨٠ زار خلالها ثمانية من الياشيفاه وأكتشف أن كل مها له مصادرة الخاصة وتعليمه وحاول أن يجمع بينهم ولكنه فشل فى ذلك.

وفى جامعة الياشيفاه فى نيويورك تقابل مع طلبته مع العلم أنه وصل إلى سبعين سنة سنة إلا أنه يتوقف عن التعليم ويقضى كل أوقاته فى الدراسة وعودة إلى القدس حيث أنه يستمر فى الدراسة حتى الساعة الثالثة صباحاً ومبكراً الساعة السادسة والنصف يستعد لقيادة الصلاة وأيضاً رابى مشافى والذي تقدم فى السن جداً لا يزال يمارس الطقوس الدينية ويعكف على الدراسة طول الوقت. وكل هذه الطاقة المتوفرة ليوسف وشافى وكل الدارسين وطلاب العلم مثيرة للعجب. وربما يكونا قد وصلا لسن

من الصعب معه تغيير الطباع وهذا يصور بطبيعة الحال الصراع بين القديم والجديد وعموماً فإن الحياة الحديثة قد فرضت نفسها عن طريق تكنولوجيا حديثة فمثلاً عن طريق الفاكس يمكنك نقل نص معين في مكتبه في نيويورك إلى تل أبيب وفوق ذلك فإن الدراسين في مجتمع هاريدى مزعورين وعلى الأقل مبهورين بمواكبة هذا التحديث وقادتهم تدفعهم للمواجهة.

وبالنسبة للرجعيين فإن الخط واضح (التسهيل - الرواج). ويجب أن تكون التوراة في المقدمة ويجب على الدارس أن يقتل نفسه بحثاً في العلوم الدينية وليس فقط أن يتلقى هذه الدراسة على جهاز كمبيوتر أو يجدها ملخصة ومنتقاة لأن التعليم يعنى التفهم.

وقد قدم يوسف أوفاديا رابى نفس الأفكار وتعرض لفكرة أن المرء عندما يدرس ويتفهم أى موضوع يستطيع اتخاذ القرار الصحيح.

وكما أن الأدوات الحديثة مفيدة ولكنها لن تغيير المعايير الأساسية لدراسة نص ما. وقال شيللر نوتا رابى فى هذا الصدد التعليم هو ممارسة الحب مع صفحات التلمود وأن ميلاد أى فكرة يأتى من خلال ذلك لكى تفهم - تقدر - تحب يجب أن تتعلم وتدرس النصوص الصحيحة ولا يوجد طريق آخر سوى ذلك.

وبالإضافة فإن طلاب هاريدى يقولوا أن برامج الكمبيوتر لا تتفق مع احتياجات الطلاب. وقد تم وضع نص التلمود كاملاً على شرائط كمبيوتر وكلن البرنامج مازال سعره مرتفع وكذلك غير منتشر. والمشكلة هنا أن على الدارس التعامل مع مفاتيح الكمبيوتر للوصول إلى ما يريد دراسته من النصوص فى حين أن التلمود يتطلب دراسة متقنة وبذلك يتضح أنه ثبت بالتجربة أن التكنولوجيا الحديثة تبدو غير قادرة على مساعدة الدارس.

الفصل السادس

حائط الكتب

لا يمكن اعتبار الكمبيوتر أداة عقائدية، كما لا يمكن أيضاً اتهامه بالتحيز العقائدى، كما أن كتابة تفسير التلمود والتي قام بها الحاخام الأصولى بنهاس كيهانى ولا أيضاً الترجمة الإنجليزية للتلمود والتي تقوم بها دار نشر آرت سكرول الحاريدية الموجودة فى الولايات المتحدة، كل هذه الأشياء لا يمكن اعتبارها مفيدة أو ذات جدوى عند المدارس التلمودية، مثل مدرسة الحاخام شاش والمسماة بوتفيش ولا توجد هذه الأشياء فى العشرات من المدارس التلمودية سواء فى إسرائيل أو فى الشتات.

ويعتبر الخوف عاملاً أساسياً فى هذا، فقبل إلقاء الحاخام شاخ لكلمة الافتتاح فى الدورة الصيفية لمدرسته، أثبتت شائعة أنه سيهاجم بشدة دار نشر آرت سكول فى نيويورك وسيدعو لتحريم النسخة الجديدة التى ستطبعها من التلمود، ومع ذلك لم تتضمن خطبته المذكورة أى كلمة عن نيويورك كلها!.

وقبلها بعام وفى نفس المناسبة، أدان شاش بشدة الترجمة الشعبية المنظمة والمفسرة للتلمود والتى أصدرها الحاخام أدين شتاينز التز بل والهجوم على كل أعماله.

ويقول شاش «إن الناس يقولون أن هذا الشكل الجديد الذى تتخذه الجماراه قد يجذب عدد أكبر من المتعلمين، لكن الرب لا يحتاج هذا النمط من التعليم فالرب يريد التعليم (القديم) فى الجماراه، القديمة، فدعونا نرجع للجماراه القديمة ونضمها إلى صدورنا ونقبلها».

وقد كانت هذه هى الذروة فى جملة هجوم مفاجئة ضد شتاينز التز بدأت مع أوائل هذا الصيف، وفى الوقت الذى هاجم فيه شاش شتاينز التز فى أغسطس، كان

عدد كبير من حاخامات الهارديين، في إسرائيل وخارجه، إلى شاش في حظر نشر كل أعمال شتاين شالتز وكان بعضهم متلهفاً على ذلك، في حين خضع الآخرون لضغوط شديدة من بنى براك.

صدرت الأوامر للناس بالتخلص من هذه الأعمال الموجودة بمنازلهم، وفي أحد المجتمعات قام الحاخام بجمع هذه الأعمال ودفنها.

ويعُد أوش شتاش شالتز أحد الرموز البارزة في الأوساط الثقافية الإسرائيلية. فهو عالم روحي لامع ومتعمق. وقد نشأ في أسرة غير متدينة. وجذبته دراسة التلمود والأصولية في فترة مراهقته.

وفي عام ١٩٨٨ حصل على جائزة إسرائيل رفيعة المقام عن كتابه التلمود والمحقق الذي بدأه عام ١٩٦٤ ثم جزئه الثاني والعشرين. ويعتبره العديد من العلمانيين الإسرائيليين المرشد الروحي. وقد جمعت محاضراته في الهالاخاه والقبالة وتحقق كتبه أفضل المبيعات. وهو أيضاً شخصية إذاعية بارعة. كل جزء من التلمود يبيع نحو ٥٠٠ ألف نسخة وقد حققت الأجزاء الأولى، م الترجمة الانجليزية أفضل قائمة مبيعات في أمريكا ويحظى شتاين شالتز بإعجاب شديد في أوساط الأصوليين أيضاً (وإن لم يعد يحظى بمثل هذا الإعجاب بين الموالين لهارديين «شاش»).

وقد حرص دائماً على أن يكون بمنأى عن سياسى الحزب، مما يعد إنجازاً لأى شخصية إسرائيلية بارزة. وبالرغم من تقاربه مع حركة لوبافيتش، إلا أنه بطريقة أو بأخرى تجنب التورط في الصراعات بين. لذلك جاء هجوم الحاخام شاش صدمة، خاصة لأن الهرطقة التى فهمت ظاهرياً، كانت ظهرت في كتب طبعت منذ سنوات عديدة، أعيد طبعها غالباً بدون أى تعليقات معادية من أى فرد.

كتبت "Yated Ne' emen" صحيفة حزب الحاخام شاش تقول: «إننا نحذر سلفاً من أن الفقرات المقتبسة الآتية مليئة بأشياء رهيبة ومفزعة وتُحَقَّر من الأسس والقواعد التي قامت عليها التوراة كما يُحَقَّر السلف المقدس والقضاة والأنبياء.

لا، ليس سهلاً علينا أن نعيد نشر هذه الأشياء لكن بعد خطابات رجالنا العظام حُماة التوراة ضد شتاين شالتز، ظهرت الحاجة إلى أن تشرح ذلك للعامة.

في كتابه «التلمود الأساس»، الذي صدر عام ١٩٧٧، وصف شتاين الجماراه بأنها «مقتطفات من القانون»، والأساطير والفلسفة ... والقصص الشعبية والفكاهة.

وعلقت الصحيفة: «ليست هناك حاجة توضح خطورة وجدية مثل تلك الكلمات...»

«وأن التلمود لم يكن مؤثراً، بالنظر إلى بنائه التركيبي، وقارن بين «أسلوبه التارابطي الحر» وبين «أسلوب الروايات الحديثة». ولا حاجة لنا بالتعليق على ذلك.

واستخدم السيد شتاين شالتز، بكثرة كلمة «نشوء» مقابل «القانون الشفوي» الذي يدخل في تكوينه، كما تقول صحيفة Yated.

«لنظريات الهسكلاه الضالة والمنافية للدين، وتلك التي تنتقد التوراه. ومعظم قرائنا من المحتمل ألا يكونوا قد سمعوا بشريعة حاموراي التي يعتبرها منتقدو التوراه، بحمقاتهم، مصدر قوانين التوراة. على أية حال فإن السيد شتاين شالتز يصادف بقوة على تلك النظرية وقد كتب يقول:

«ترجع فكرة عقد الزواج المكتوب إلى قديم الزمان وقد أشارت إليه «شريعة حاموراي» قبل نزول التوراة بفترة طويلة. لكن شكل ومحتوى العقد يتغير مع الوقت ويتغير تبعاً لأختلاف الثقافات، وأصر عقلاؤنا على أن يصاغ مثل ذلك العقد».

ثم أشارت الصحيفة بوضوح إلى الجماراه ورسالة السنهدرين إلى تأثير إنكار أى فرد للأصل الإلهى للتوراة بأكملها. وأن من يفعل ذلك لا مكان له ليأتى إلى العالم، حتى ولو كان ممن يقولون بأن معظم التوراة من أصل إلهى بغض النظر عن أى استنتاج أو تفسير. وأضافت الصحيفة أن مثل ذلك المحك يشمل الإيمان بعظمة وقداسة حاخامات التلمود الذين كانوا مثل الملائكة، على أية حال فقد سعى شتاين شالتز إلى إضفاء صفات الإنسانية والشخصية على هؤلاء الحاخامات، فوصف أحدهم بأنه قصير وبدين، وآخر بأنه بشوش وثالث بأنه غريب الأطوار.

ولا يمكننا أن نواصل نشر تلك الإقتباسات المثيرة للإشمئزاز لأنها تصل إلى حد الفحش الصريح. لقد تجرأ شتاين شالتز لدرجة إضفاء أبعاد بشرية على الرموز التوراتية، ففي كتاب بعنوان «شخصيات من الكتاب المقدس صدر عام ١٩٨٢» وصف فيه عدداً من الشخصيات الواردة بالكتاب وذكر أن زليخه شخصية حاسم وشمشون شاب مستسار.

أما داوود فهو مغامر. وفي كتاب «النساء فى الكتاب المقدس» (الذى صدر عام ١٩٨٤) وصف شتاين شالتز بأنه متعطش للدماء.

وصار علماء الهاريديين، بحثاً عن أسباب يفسرون بها الشدة غير الصائبة فى هذا الهجوم الضارى، أشاروا إلى التخمينات المستمرة فى نيويورك بأن الحاخام لييا فينتشر المسن، الذى ليس عنده أولاد كان يدعو شتاين شالتز «خليفته».

(وبعد ذلك تحركاً مميزاً وغير مسبوق، لكن تقوى شتاين شالتز الشخصية المفترضة، شعبية واسعة الذكاء الجبار، والذى يعترف به حتى منتقده، إنه أمر غير قابل للتصديق).

آخرون يسعون إلى تفسير تلمود شتاين شالتز بالإنجليزية الذى يوشك أن يصدر فى الولايات المتحدة.

هل يؤثر منافسون، مدعون، فى الحاخام شاش؟ لكن شاش نفسه ينكر وجود أى دافع خفى، وقد شرح أنه لم يكن مطلعاً أبداً على أعمال شتاين شالتز حتى لفت نظره إليها، منذ بضعة أسابيع لعلى تشوف فى أعقاب بداية الهجوم، قفز أعداء شاش الطبيعيين، وهم طوائف الحاسيدين من ليوفنتشر و وجير، فوق دفاع شتاين شالتز.

دخل شتاين شالتز نفسه فى مفاوضات بشأن الضجة التى أثارها إيداه رديت بالقدس وذلك فى تحرك وصف على نطاق واسع بأنه محاولة للترضية.

فى أحد المراحل زعم أن الكتابين الاثمين شخصيات من الكتاب المقدس نساء من الكتاب المقدس قد تعرضا للتبديل والتحريف عند تحريرها، وهو أمر استنكرته بحزم دور النشر المحترمة.

وفى آخر الأمر وافق على أن يلغى ويعدل أى شئ يتطلب التعديل، طبقاً لتعليمات «رجال الجيل العظام» (أى حاخامات إيدا بليت دين)، متمنياً لهم طول الحياة... متقدماً لهم بعميق الشكر لما أبدوه من عطف تجاهى.

كل فرد يُعيد نسخته، سوف يتسلم نسخة مُعدلة. (نادراً ما فعل أحد ذلك، بالطبع: أولئك الذين يبالون بالحرمان من حماية القانون فإنهم لا يرغبون فى أن يعترفوا بأنهم قد إشتروا الكتب المُحرقة أولاً).

من جانبهم أعلى حاخامات إيدا أنهم راضون. لكن ظل موقف شاش كما هو. فقد أصر على أن تلك الهرطقة قد لطخت كل أعمال شتاين شالتز، بما فى ذلك كتاب التلمود الضخم. مؤكداً أنه ليس هناك توبة ولا إلغاء عانى شتاين شالتز بشدة من

آلام شخصية لكنه تراجع عن القتال موضحاً ذلك فى مقابلة معه أنه فضل الصمت والظهور كأحمق بدلاً من إحداث قدر عظيم من غضب الرب. وأكد أنه تلك الكتب الائمة لم تكتب للقراء الهاريديين.

«أساساً الناس معرضون لأسلوبى، لاستخدامى للغة. ذات مرة ذكر أحدهم ليس فى بلاد العجائب أن مليئة بالرموز الجنسية، ونصح أى فرد يخضع لتحليل نفسى ألا يقرأها فى بعض الحالات، يكون بعض الناس غير المقصودين بقرأة كتبى، ربما تؤذى مشاعرهم... وأنا أقول، إذا كنت مثل هؤلاء الأشخاص، إذا كنت حساساً ومعرضاً لأن تؤذى مشاعرك، لم يكن مقصوداً إيذاؤك، لكنى أظل استعداداً للصحيح.

مبيعات شتاين شالتز تأثرت بشدة لدرجة أن مكتبات الهاريديين أوقفت إقتناء كتبه. وتباع أعماله فى سوق رحب معظمها لا يتأثر بشجب شاش.

ويقول العديد من الإسرائيليين الذين لديهم خبرة ضئيلة فى تعلم التلمود، أيضاً العديد من القراء الناطقين بالإنجليزية، أن تلمود شتاين شالتز كشف لهم أدباً وتراثاً آخر لم يكن متاحاً لهم الإطلاع عليه.

ويواصل جامعو التلمود الأكثر تقدماً، بما فى ذلك الهاريديين، الرجوع إلى طبعة شتاين شالتز للحصول على توضيحات لغوية، نظرة تاريخية وجغرافية، ومعلومات إقتصادية وأجتماعية غير المتاحة فى أى مكان آخر.

وأصدر الحزب الدينى القومى قراراً يؤيد شتاين شالتز، «الذى اقترب بمئات الآلاف من اليهود إلى مصادر إيماننا» وأدان الحزب مدخل الهاريديين المعادى للصهيونية، الذى يتجاهل العملية التاريخية للإصلاح الوطنى الجارية الآن ويستخف، باستهزاء، بالمجتمع العلمانى».

وطلب الحزب أى فرد، فكر فى حرق أو دفن الكتاب. أن يرسل الكتاب للحزب لإعادة للحزب توظيفه.

أستمر كتاب «مختارات وتعليقات على التلمود» فى الصدور جزءاً بعد جزء، وكل جزء يظهر يتخاطفه جمهور مُقدر لهذا الإنتاج العملى الضخم والثورى لمؤسسة هاريدية.

هذا العمل يسمي «Otzar» وضعه الحاخام جوزيف باكسباوم ونشرته ماشون أورشليم، وقد صُمم كرفيق شامل لطالب التلمود متقدم المستوى. فالطالب عند دراسته للنص من الجماراه، وراشى، والتسفوت، يمكنه الرجوع إلى Otzar سواء لتفسير النقاط الغامضة أو لجهد مفصل، ومحكم فى القضايا الرئيسية.

أورد كتاب الاوتزار Otzar أعمال العشرات من كبار المعلقين، راشونيم «واكرونييم»، لكنه أكبر من مجرد عملية «قص ولصق»، فقد استوعب ومزج وأعاد صياغة كتابات كل أولئك المعلقين فى فقرات طيبة وبأسلوب عبرى حديث سلس الفهم. كان بوكسباوم حكيماً، أو محظوظاً، بدرجة كافية فى حشد الدعم النشط والمتحمس، من عميد الياشيفاه الأمريكى، الحاخام إسحق هانتر، لمغامرته.

أخذ هانتر لقب رئيس ماشون أورشليم بعد أنتقاله إلى القدس فى أوائل السبعينيات. لكن عندما سعى ماشون ليفتح فرعاً فى ريهفوت، بالقرب من تل أبيب، نصح الحاخام شاش شباب العلماء الهاريديين ألا يلتحقوا به.

أتصل هانتر تليفونياً بـ شاش وأبلغه أنه سوف يزوره.. فرد شاش، وهو دائماً دمث الخلق، بأنه سوف يزوره فى القدس. وقد زاره بالفعل.

وبينما شاش يتخذ له مقعداً قال هاتر: «لقد أتيت لأقصى ما بقى لى من عمرى فى إسرائيل. وأنت تفسد على ذلك. إذا كان لديك أى تعليقات نقدية حل كتابنا أوتزار، فلتفضل بالكتابة إلى وأنا سأبذل قصارى جهدى لرد». لم يستطع شاش، وهو مندهش مما يحدث، إلا أن يغمغم قائلاً: «بالطبع، إذا كان رجلاً عظيماً مثلك يعنى شخصياً يعنى بالأمر فإن كل شئ على ما يرام عمل آخر مثير للخلاف لمدى مؤسسة التلمود، والتي تُحجب بالإجماع خضوعاً لضغوط المتشددین، هو الموسوعة التلمودية. تصدر هذه الموسوعة بمعدل جزء كل عامين حيث يتولى جمعها وتصنيفها فريق من علماء الهاريديين بالقدس وتوزع هذه الموسوعة، بنشاط، هيئة تعليم التلمود على مستوى العالم.

وعلى خلاف كتاب أوتزار، الذى هو أساساً مساعد للمعلمي الجماراه، فرن مدخل الموسوعة أكثر طموحاً. كل باب يختار موضوعاً تلمودياً أو من الهالاخاه ويبدأ بالنصوص ذات الصلة التوراتية، لإعطاء الطالب تفسيراً شاملاً لكل الثقافة التلمودية المتعلقة بهذا الموضوع.

ويمكننا أن نقيس حجم الإفراط فى النفاق غريب الأطوار فى عالم الهاريديين وذلك من خلال توافر، الموسوعة، وأوتزار، التلمود الإنجليزى الصادر عن دار أرت سكروى، ومشناه الخاخام كيهاتى، وحتى تلمود شتاين شالتز المصنف فى القائمة السوداء، فى حجرات نوم الطلبة بينما لا تراها فى قاعات الدراسة فضلاً عن أنها غير متاحة فى مكتبه الياشيفاه.

والطلبة يلتمسون العون من تلك المراجع فى أعمالهم التمهيدية الخاصة، ولا يقتصر ذلك على الطلبة فالمحافظون من أعضاء هيئة التدريس yeshava يستخدمون أدب سام زدت سرأ، خاصة شباب المحاضرين، فى اعداد المحاضرات. على الأقل ليكونوا

مستعدين لإتقاء الطلبة المسلحين بأسئلة التقطوها خلسة من هذه الأعمال أما الاستعانة الذكية بهذه الأعمال فإنها توفر للحاخام الوقت والجهد ويساعده على إعداد محاضرة أكثر عمقاً وتوثيقاً.

ويقر بعض عملاء الياشيفاه صراحة هذا الوضع كمحاولة عملية للتوفيق بين المدخل المحافظ والمدخل المتحرر. ويقولون أن الأعمال الجديدة ليست بالضرورة سيئة أو تشوبها الأخطاء لكنها ذات تأثير عكسي على الشباب في سنوات تكوينهم.

ويقول أحد العملاء المحنكين مفسراً ذلك: سنوات الكفاح مع الجماراه، راش، التسفوت سوف تجعل منهم علماء حقيقيين».

وينظر الحاخام شاش والمحافظون إلى التبسيط والجماهيرية كأخطار تهدد الأساليب المقدسة، منذ زمن، في تدريس التلمود.

المتحررون ويحاول أن يبرهنوا أن راش نفسه هو أعظم من جعل التلمود مبسطاً وشعبياً: فبدون تعليقه، الذى بدأ بلا شك ثورياً في القرن الحادى عشر، لبقى التلمود كتاباً مغلقاً للجميع مساعدا دائرة بالغة الصغر من العلماء.

ويجادل المتحررون أيضاً في أن المؤسسة التلمودية الأصولية، عبر القرون، كان لها دائماً رجالها المتخصصون، في إعداد الموسوعات وأختيار المواد الأدبية، وحاولوا أن يمدوا العلماء بمدخل متكامل بالمصدر. ولم يكن من الممكن تجنب أن تأتى أعمالهم أقل شمولاً، بينما يستفيد العلماء المعاصرون بالفهارس والكمبيوتر، وبحث المخطوطات المقارنة لمساعدتهم.

ويقول المتحررون: إنه لأمر محزن وساخر أن تلقى هذه الأعمال بصفة خاصة جفاءً في أوساط الهاريديين المتشددین في خضم «الظلامية» المعاصرة. لكن حتى

بوكسبارم، تاشر أوتزار، يقول أنه لم يكن مرتاحاً عندما أخبره عميد الياشيفاه الكبرى في القدس بافتخار أن غالباً كل زوج الدارسين في قاعات الدرس يتعلمون أوتزار جنباً إلى جنب مع الجماراه . وقد شعر بأن ذلك كان استخداماً زائداً عن الحد للعمل الذي جعل تعلمه سهلاً.

ويقول أنه كان سعيداً في الياشيفاه الحاسيدية في ويليامسبرج، في نيويورك، عندما شاهد رفأً عليه نسخاً من أوتزاره، جيدة الإستعمال، متاحة الرجوع إليها، وهي موجودة في آخر قاعة الدراسة. جاءت عناوين الأجزاء وصفحاتها مندفة بوقاحة.

وتعترف تلك الصفحات بشكرها للدعم، الذي تتلقاه ماشون أورشليم من الحكومة الإسرائيلية، وتذكر عدداً من المسؤولين وعنيت. الدولة حاخامات للمشروع، كل اللعنة على ستامرز المعادي للصهيونية بقسوة.

«لكننى لا أهتم ماداموا يستخدمون الكتب» هكذا يقول بوكسبارم بنظرة فلسفية.

ولا يخلو المتحررون، بالإضافة إلى المحافظين، من الرياء والنفاق. حيث يتجاهلون مؤسسات التعليمية غير الهاريدية رسمياً بينما ينتحلون آراء هذه المؤسسات. الاتجاه الرسمى بالتجاهل على العلماء غير الأصوليين (أو غير اليهود) وأعمالهم بل حتى على التلموديين الأكاديميين ذوى الممارسات الشخصية الأصولية. بل أصطدمت أيضاً الزعامة الهاريدية ذات القواعد السياسية أو الأيدلوجية.

وهكذا فعالم التلمود الإسرائيلى الشهير بروفيسور إقرايم أورباخ من الجامعة العبرية (١٩١٢-١٩٩١)، والذي تعد معظم أعماله عن معتقدات التلمود وعن التسفوت، مثلاً يحتذى به، ورد اسمه فى كمجرد «عالم» أو «كاتب».

من المحتمل أن تكون أستاذيته الجامعية فى حد ذاتها علامة سوداء ضده، ومع ذلك فإن تلمودى أصولى آخر من الجامعة العبرية، وهو البروفسيور يشير إسرائيل طاشيم بالاسم إلى أورباخ بأنه كان نشطاً سياسياً، وكان مرشحاً لمنصب رئيس الدولة، وهذا أيضاً، بلا شك يحسب عليه.

لم يحظ علماء آخرون بالإهتمام والذكر، من بينهم البروفسيور الداخلى سول ليبرمان، بالمعهد اللاهوتى اليهودى (المحافظ) فى نيويورك، أحد علماء التلمود البارزين، والحاخام شولومو جورين، الذى شغل منصب كبير أساقفه الجيش الأسرائيلى لفترة طويلة ثم أصبح كبير حاخامات الاشكناز (٧٣-١٩٨٣)

وغالباً ما تجادل جورين Iluy فى ياشيفاه هيفرون، بالقدس. ما تجادل مع القيادة الهاريدية. وكان الجدل أكثر حدة فى السبعينيات عندما أعرض أخ وأخت من وصمة عار، هالاخاه رهيبة وهى، عدم شرعية النسب ويأخذ الحقد الهاريدى ربما أشكالاً متطرفة مثلاً فإن الموسوعة التلمودية (الجزء ١٨)، فى مدخل من ١٣٠ صفحة عن الكهرباء فى (إضرام النار فى يوم السبت)، نقلت الموسوعة من أكثر من ١٠٠ كتاب ومقال لكنها لم تنقل شيئاً عن جورين الذى كتب بتوسع فى هذا الموضوع.

وعندما يدرك الأكاديميون، من جانبهم، الأبعاد المؤثرة لثورة التعليم الحريدية، فإنهم لا يملكون سوى القليل من الاحترام الكثير مما يسميه الحريديون «مؤسسة تعليمية» وهم ينظرون إلى مدخل الإفتاء التلمودى كمدخل غير كافٍ لعالم معاصر، الذى يتناول نصاً ومؤلفاً، قديماً ومبجلاً، بعقل مفتوح ونقد، وسوف ينتقل إلى مصادر معاصرة أخرى بما فى ذلك المصادر غير اليهودية لمساعدته على تفسير مقاطع تلمودية.

وللسبب نفسه فإن الهاريديين يعتبرون الكثير من الأعمال العلمية فى دراسات اليهودية وكذلك التلمود فى الجامعات وكأن لا علاقة لها بالموضوع.

حيث يتدع الهاريدون خلفية تاريخية وأجتماعية واقتصادية وشخصية وأدبية لأى نص دخيل حيث ينشغلون على سبيل الحصر بالمنطق الداخلى للهالاخاه. فى أحسن الأحوال فإن ذلك يعد أهتماماً سطحياً، وفى أسوأ الأحوال فإن ذلك يفتح الطريق لقراء ثوريه لمصادر الهالاخاه، التى قد تنحدر إلى الهرطقة من المنظور الهاريدى.

لدى كل فريق من المؤسسات التعليمية تعريف مختلف لكلمة عالم» لا يوجد حواراً أو منافسة حقيقية. فالعالم لدى كل منهما يصل إلى مكاتته بدون اتصال أو إدراك، وفى المجال الهام لبحث المخطوطات والنشر فإن هذين النوعين من العلماء يستعد كل منهما ضد الآخر بشكل متزايد. غالباً كل العمل فى ذلك المجال يقوم به الآن الهاريدون.

نشرت الصحافة الهاريدية، فى الشتات وفى إسرائيل، وبمعدلات ملحوظة، نصوصاً مكتشفة حديثاً لأعمال مشهورة وأخرى أقل شهرة، تنتمى معظمها لفترة القرون الوسطى. وقد علق الباحثون بغزارة على معظمها.

التمويل السخن متاح لهذا النوع من العمل وذلك من خلال التبرعات والمخ التى تقدمها الدولة فى أقطار عديدة وكذلك من مؤسسات يهودية دولية علاوة على ذلك فإن الكتب تعتمد على أكثر من مجرد مبيعات الكتب. فالكتيب تلقى شعبية فى أوساط الجمهور المتعلم الهاريدى، كل شاب هاريدى، يود أن يكون أحد جدران منزله مغطى بكامله بالأدب الدينى والتلمودى.

فكلما كان الكتاب أحدث وأعقد، كلما كان يشهد على أن صاحبه متعلم جيداً البروفيسور. ولا يزال طاشيم خريج آخر من هيفرون، محافظاً على روابطه مع عالم الهارديين، ويرحب بكل هذه الأعمال المخطوطة، مع أنه يصر على أنها غير مؤهلة لتكون.

فلن تمنح الجامعة العبرية دجة الدكتوراه اعتماداً فقط على مخطوطات محررة ومنشورة حديثاً.

ويهزأ طاشيم، وهو المسئول عن المخطوطات التلمودية التابعة للجامعة العبرية، من طلاب الكلليل الذين يظنون أنهم بدراستهم للمخطوطات سيصبحون باحثين، ورجال علم مرموقين.

ويسخر طاشيم من حجم المواشى والتفسيرات فى كتب الافتاء التلمودية.

التى تزين طبعات المخطوطات الهاريدية ويصفها بأنه لا حاجة لها وأنها قشور لا فائدة منها. ينظر الهاريدون لهذا النوع كذروة الدراسة التلمودية،. لكن بقدر ما أنا مهتم بها بقدر ما تشغل أرفف حجرة كاملة.

ويرفض طاشيم مادة السيرة الخاصة بالمؤلف، والتى يضمها الباحثون الهاريدون عادة فى هذه الكتب، ويعتبرها دعاية لا علاقة لها بالتعلم وتنهار المعايير الموضوعية والمنظمة فى البحث أمام ذلك التقديس الذى يصفينه الباحثون على المؤلف القديم باعتبار أن محرره قديس.

الفصل السابع

أساليب جديدة وحديثة فى التعليم

كيف يمكن أن تحول أزدحام المرور إلى فصل لتعليم التوراة، أنه ما عنوان كبير ظهر فى صحيفة كاملة من مجلة «جويش أكشن» الأمريكية الخاصة باليهود (الأصوليين) مع رسم كاريكتورى ضخمة يبين السائقين العاضبين وهم يتبادلون الانخاب- وينظرون بغضب لأى سيارة تظهر بسرعة أمامهم، بينما يتوقف تماماً الطريق السريع، وتقول الرسالة الإعلانية «سترتفع محتوياتك فى الطريق السريع مع تذوق لشرائط تعليم التوراة».

وقد أخبر القراء عن موجات لبث تعاليم التوراة عبر أثير نيويورك فى يوم الاثنين العاشرة مساءً على موجة ١٠٥٠ أيه - أم» وتقدم تلك الشرائط موضوعات متعددة مثل الأجهاض وهو موضوع حساس فى وجهة النظر اليهودية، وعن النزعة النباتية، وهل تنسجم مع تعاليم التوراة. قضية النساء، وهل خلقن حقاً متساويات مع الرجال وموضوع الاستحمام والأسرار الفلسفية لمياه الطهارة.

وجميع المحاضرين فى تلك الشرائط حاخامات على مستوى رفيع من التعليم.

ويظهر الهاريديون وتردوداً وإزاء عملية التجديد فى أسلوب ومحتوى التعليم فدراس (الياشيفا) المدرسة الدينية كما رأينا فى عزله دائماً داخل الاردة المحافظة وهم مترددون بطريقة فطرية حيال أى اتجاه جديد يظهر ويبدو لهم وكأنه يؤثر على مضمون التلمود «أو الطرق التقليدية لوسائل تدريسه وتلقينه- وعملية الابتكار والتجديد فى الجوانب التكنولوجية يتم التسامح بشأنها عموماً وشملة- ونورف التعليم فى عالم الهاريديين الآن الكاسيت والتليفون- والفديو والكمبيوتر وإستخدمت مؤخراً تدريس ونشر التوراه.

وحتى عمداء المدارس الدينية الكبار يباركون ويؤيدون وسائل التعليم الحديثه ونظريتهم فى ذلك أن نقل تعاليم التوراة عبر تلك الوسائل يعد أمراً مقبولاً؛ وفى النهاية فإن أى شخص لن يقضى حياته كلها فى المدرسة الدينية «الياشيفاه».

وفى اعلان آخر عن التعليم باستخدام الشرائط فى صحيفة «جويش اوبزرفر» الأمريكية دعوة للقارئ إلى مغاشة تجربة «الياشيفاه» مع الحاخام «ياسشور فراند» وهو محاضر فى «الياشيفاه ازرائيل» فى منطقة بالتي مور ويسمى ذلك مشروع نقل التوراة ويقوم الحاخام يجمع الدرس التى يلقيها فى تفسير التوراة «الأسفار الخمسة لموسى» كل يوم سبت فى المعبد- فعلى مدار السنة يستكمل شرح هذه الأسفار.

ويستمر الاعلان فى توضيح أن تلك الطريقة العملية تصلح لشرح كافة القضايا الفقهية- وتناسب الرجال المتدينين والعلمانيين على حد سواء ويقدم الاعلان عرضاً عن ٤٠ شريكاً مجانياً.

وتقدم مدارس «الياشيفاه» فى القدس ومساحاتها وفروعها فى مختلف تجمعات اليهود فى الخارج مكتبه كاسيتات بمحاضرات لنحو ٣٠٠ محاضر وتتراوح الموضوعات التى تتناولها محاضرات الحاخامات أمور الحب والزواج والخطبة والأمور العقلية والفلسفية وذلك فى محاضرات لكبار الحاخامات أمثال ديفيد جو تيليب- جوذر هوبكنز- دا وزاك مليوسو فى فرنسا سجلت عدة شرائط حول نفس الموضوعات سجلها حاخامات الهارديدين الفرنسيين.

وفى إعلان آخر لمجلة «جويش اكشن» يعرض عن تقديم تعليم الياشيفاه عن طريق المكالمات التليفونية. ويقول العنوان كيف تحمى نفسك فى يوم كيبور (عيد الغفران) ففى الأيام العشر السابقة ولايتكلم لا تسمع إلى (اللشون هارا) ويعطى أرقام تليفونياً للحاخام شمراش هالسنون- أحدهما بالإنجليزية والآخر بالعبرية- وخط إذا

رغبت فى نقل الخدمة إلى المدينة التى تعيش بها.

وتقدم خدمة تليفونية مجانية عبر الخط الساخن- وتقدم صلوات الحائظ الغربى للمعبد فى حالة الأشخاص المرشى وذلك تحت عنوان (خدمة صلاة على مستوى عالى) وتلك الخدمة مفتوحة على مدار أربعة وعشرين ساعة. وفى حالات الضرورة تعطى للطالبين جرعات من التفأول ووسائل الأمل.

والصلاة التى كانت لإسرائيل عن طريق التلغراف أصبحت الآن تنقل عن طريق الفاكس بالنسبة للمستقبل.

وهناك جهازاً آخر كان على وشك إحداث ثورة فى عالم الهاريديين وهو جهاز الفيديو- والذى يحظره ويحريمه زعماء الحاخامات باعتبارها أداة للشيطان- وكان الهاريديم أول من أئجه لأستخدام الفيديو فى عملية التعليم- وكانوا يصورون كل مناسبة عامة ويرسلون بالفيديو إلى المكتبات وإلى الأشخاص- ولكن ليس متاحاً الآن ذلك ولم يعد مصورو الفيديو يلقون ترحيباً أو قبولاً فى المناسبات العامة للهاريديم أو فى حفلات الزواج حيث سبق للهاريديم استخدام الفيديو فى تصوير الأفراح.

واخيراً قرر «البيت دين» «للإيداه هاورنى» فى القدس ان أجهزة الفيديو تعتبر خطأً كبيراً ومكروهاً. وقال [البيت دين] فى عام ١٩٩٠ أن الرب قد منع أى شخص من إمتلاك هذا الجهاز فى منزله أو فى أى مكان ونشرت هذه التحذيرات والتنبيهات أوساط الهاريديم ومجالسهم فى القدس وفى مدينة (بتي بارك).

أعلنت مجموعة من الحاخامات فى [الحيرار حاسيديك] أن ثقباً كبيراً حدث فى حائط النقاء عنن طريق أختراع تلك الأسلحة المسماة بالفيديو، وهذا السلاح دمر بالفعل بيوت اليهود وبدلاً من أن يكون أداة ترفيه وثقافة كما أعتقدنا إلا أنه تحول

ليكون أكثر الأجهزة سوءاً نفس الفساد وقد دخل إلى بيوتنا عبر استخدامه الاساس فى حفلات الزفاف ليتحول إلى أداة للشيطان- واليوم يجبرك هذا الجهاز أن تفعل كذا وغداً أفعل كذا- إلى أن يفسد أعضاء الأسرة بمشاهدة هذه الأشياء المحققة ومشاهدة أفلام الفيديو الوقحة التى تباع فى المحلات. والمشكلة بالنسبة لجهاز الفيديو ذات شقين فاولاً: ليشاهد الناس أشياء ممنوع عليهم مشاهدتهم أثناء حفلات الزفاف نفسه حيث أنهم يأخذون معهم أفلام الزفاف إلى منازلهم ويروا ما كان ممنوعاً عليهم مشاهدته مثل الرقصات الجنسية. حيث أن الهارديم يفصلون بين النساء والرجال فى الأفراح.

وكل جانب يمثل للأحتفال بمفرده والنساء البنات يظهران كطيئة فى شرائط الفيديو حيث يمر الجارسونات الأولاد (وهم من غير الهارديم) بين صفوفهم. والشئ الثانى الأكثر سوءاً أن بعض الشباب البالغين يقومون باستعزة الشرائط السيئة من المحلات ليشاهدوها فى المنزل وذلك فى مجتمع يعتبر فيه الذهاب إلى دار السينما ممنوعاً - ومشاهدة التلفزيون من المحرمات.

ومن هنا جاء القرار الذى اتخذه كبار رجال الدين و«أيده الهارديم أن التعليم والتسلية عبر شرائط الفيديو يجب أن تلغى من أجل الحفاظ على النقاء كاملاً.

وهناك الكمبيوتر الذى يعتبر جهازاً غير مشكوك فيه - والكثير من الهارديم لديهم كمبيوتر شخصى لأغراض العمل الاحتياجات المهنية ولذلك تلعب شرائط (ديسكات) الكمبيوتر دوراً كبيراً تعليم التلمود وفى الياشيفاه والتعليم الدينى. وبانتشار استخدام التكنولوجيا المتقدمة فى تعليم «الهارديم» وهو ما يطلق عليه (دايال- آه- داف) ويقابله فى الإسرائيلية [كول- هذاف] أو صوت الصفحة- والتحق الآلاف وربما مئات الآلاف من اليهود عبر أنحاء العالم بهذه الخدمة- والدرس الذى يذاع إذاعته باللغات الإنجليزية والياشيفه- والعبرية (لغة اليهود الألمان)- وإذا كان هناك فراغات

بالشريط زيادة عن الدرس يذاع خلالها بث ديني والخدمة التليفونية هذه موجودة في لندن وملبورن وواحد وعشرين مدينة في أمريكا الشمالية.

وفي الخارج، وتقدم ليهود الشتات خدمة مجانية لفترة محددة كل شهر يتلقاها المشترك على رقمه الكودى.

وفي داخل إسرائيل فإن الخدمة المجانية والمكاملة التى تستغرق ساعة كاملة تحتسب على أنها ثلاث مكالمات محلية فقط بدلاً من عشرين مكاملة.

وشرائط التعليم بالكسيت منتشرة فى مكاتب (دايال- آه- داف) مقابل دولارين فقط للشريط ويمكن تغيير الشريط مقابل سنتات معدودة. ويقول الحاخام ميخائيل سالبى أحد محاضرى «الياشيفا» فى القدس والذى يعد من أكثر محاضرى (دايال- آه- داف) شعبية أن اليوم الوحيد الذى يستريح فيه هو يوم السبت حيث المكالمات ممنوعة- ويقول الحاخام أنه يتلقى مكالمات من الداخل وأحياناً من الخارج لتوضيح نقاط معينة فى الشريط اليومى. وأحياناً يكون السؤال من صحفه- أو رسالة سابقة يكون الحاخام قد سجلها منذ شهور أو سنوات مضت ولكن الطالب حدث وسمعها. وينظر الطلاب والدارسون إلى الحاخام سالبير كما لو كان مدرسهم الشخصى وذلك لدقته وبراعته ودروسه وسير الحاخام ويحيونه فى العلن بالتحية التلمودية «ليعمك السلام يدى ومعلمى».

ويرسل الحاخام دروسه وتفسيره إلى دارسين من مختلف المستويات وهو يقرأ النص ويترجمه ويشرحه ويلوح عدة مرات خلال الصفحة ويوضحها ويقارن بين تفسيراتها المتنوعة.

وعندما يسمح الوقت أو تكون هناك ضرورة فهو بوسع المناقشة ويفوص في شروح أخرى ويرأ القواعد المتعددة للنص- وغالباً ما يشير للدارسين ذوى المستوى الدراسى المتقدم أو الذين لديهم وقت للقراءة إلى الكتب الخاصة بالتفسير التى تتناول مع القضايا على مستوى أعمق كثيراً.

وأى شخص لديه خلفيه عن تعليم التلمود وقدرة على التركيز فإنه يأتى المحاضرة بفهم قوى للصحفة- وهؤلاء الذين يتابعون ملاحظات الحاخام سالبير يمكنهم أن يمضوا وقتاً آخر فى مطالعه شروح التلمود والبحث عن تطبيقاته الفقهية فى «الياشيفاه».

وبالنسبة للدارس الذى سبق له سماع شرح هذه الرسالة من قبل فإن مكتب [الدال- داف] يمدّه بطريقة للمراجعة التى تركز مرة أخرى على جزء آخر لدراسته.

[والداف هايمونى وهو برنامج صحفة كل يوم على المستوى العالمى كان قد ظهر على يد الحاخام «مائير شابارا» عام ١٩٩٢ وهو القائد الكاريزمى للهاريديم والذى مثل حركة «أجودات إسرائيل» فى البرلمان البولندى وه الذى أسس أول ياشيا هاراوية فى بولندا ولاقت فكرة البرنامج تأييداً كبيراً من كل قادة حركة «ايودات» على الرغم من سخرية واستهزاء «ليتونيا ياشيفاه» والآن تشجع الكلية طلاب الياشيفاه على اعتماد [الداف- هايمونى] وأيضاً استخدام شرائط «دايال- داف» فى التعليم.

وتنشر Dail - A - Daf شرائط للتلمود الأورشليمى وهناك شرائط مختلفة أيضاً للمشناً [والهالاخاه] وكذلك شرائط للتوراة- ولكن يلقى التلمود البابلى الاساس الوحيد عند الهاريديين وأوجدت «العرف- هاميونى» أسلوباً عالمياً موحداً.

وبإمكان أى شخص أن يذهب إلى أى محاضرة - أوتصل [الدائال - داف] ليعرف أين توقف فى اليوم السابق.

وتنتهى الدورة كل سبع سنوات ونصف وسط احتفالات كبرى فى كل دوائر الهاريديم وتجمعاتهم بالخارج. وكتب صحيفة: نيويورك جويش عن «الإحتفال لساحة ماديسون فى ٢٦ أبريل ١٩٩٠».

ويعتبر «الداف - هاميونى» هو أكثر الطرق شيوعاً لتعليم العلمانيين وإن لم تكن الطريقة الوحيدة فهناك شروح على مستوى أعمق وأكثر تخصصاً حيث هناك خطوط قليلة من نصوص التلمود التى تتم مناقشتها فى ساعة أو اثنتين - وكل ذلك بوضع برنامج يشغل به المحاضرين والطلاب على السواء فى مناقشات متعددة. وتشمل لعب الكمبيوتر شورخاً فى «الهالاخاه» وفى أسفار موسى الخمسة والفلسفة والقبالية (فلسفة سرية خاصة باحبار اليهود - والهاريدين) وفى الواقع فإن كل بند فى التوراة يدرس ويحاضر فيه. وهناك درس للرجال ولل سيدات ودروس تشمل طقوس وشعائر لما قبل الشروق والغروب والليل وطقوس خاصة بالمعبد والمدارس والمنازل - وهناك دورس لأوقات الغذاء لمسامرة فى شارع وول ستريت للمال - ومكاتب المحامين فى واشنطن ومكاتب وتجار الماس بتل أبيب وللمحاسبين بغرب لندن وهناك تعاليم خاصة برجال الكنيسة الإسرائيلى.

ولعبت التكنولوجيا الحديثة أيضاً دورها فى توفير الراحة للمدارسين ويسرت التدفئة المنزلية الكهربائية كثيراً فالشخص يمكن أن يشاهد ويقرأ داخل سيارة مكيفة ويقرأ ويتعلم وفى غرفة دافئة وجيدة الرضاء بصورة أفضل من الاسلاف الذين كانوا فى الماجى - فا لواحد منهم إذا كان بإمكانه أن يوفر بعض الوقت من مشاعله اليومية فكان عليه أن يقطع مسافات طويلة فى الثلوج والوحل من أجل أن تلقى الدروس والتعليم فى

مكان قليل الاضاءة وهذا نتيجة ثورة العلمانيين وقوتهم فى أوساط الهاريديم.

والتساؤل حول ماهية التعليم من الناحية الفعلية وفى، وبالمعنى الحرفى لكلمة تعليم.. فى الإنجليزية لا من خلال المعنى غير المتبلور لكلمة.. Lernen الياشيفه والتي تأخذنا وإلى المعانى الدينية والتثقيفية للكلمة.

وقد قضى عالم الاجتماع هامويل هيلمان قضى سنوات فى دراسة وملاحظة عناصر الاشتراك فى العديد من [Shiurim] فى أمريكا وإسرائيل وكتب يقول:

«لقد أدركت بالنسبة للعديد من اليهود الذين لاحظتهم أن كلمة «Lernen» تعد أكثر من مجرد الاستيعاب البسيط للمعرفة لشيء واحد والعديد من الذين شاهدتهم تعلموا لعدة سنوات ولكنهم بدؤا غير قادرين على مراجعة النصوص بمفردهم أو على الأقل تذكر كثير من المضمون- وهؤلاء الذين تعلموا كثيراً يبدون سعداء فى تكرار ما درسوه. والأفضل تعليماً كما يبدو.. فى نوعية ترديد ما يعرفه كل شخص وقد شن استاذ التلمود الأمريكى الشهير وصاحب التعبيرات القاسية يعقوب نيستير فى كتابه عن اليهود الأمريكين هجوماً مدمراً ومزدوروا إزاء الظلم وسوء السمع الواقع على دراسات التوراة عن طريق الهواة داخل المعبد والياشيفاه على حد سواء- ونتيسير الذى التحق بالحركة المحافظة ولكن اكسبته بعض أعماله تقديراً فى أوساط الهاريديم الأصوليين وهو يوافق على أن مصطلح "Levnen" فريد فى معناه ويحاول أن يكون المصطلح مسأله دينية وحدثاً مقدساً ولكن يقر، على أنه من غير الممكن الحظ من شأن المعنى الحرفى للكلمة.. بمعنى استخدام العقل لاستيعاب المعرفة.. وبهذا المعنى يزعم.

ويعصف نتيسر طلابه بعد عام من الدراسة فى «الباشيفاه» الإسرائيلى يقول عندما اسأل عما تعلموه فأنهم يذكرون اسم الرسالة أو النص وعندما اسئلهم عن النقطة الرئيسية فى الرسالة أو جزد منها فهم لا يذكرون شيئا فهم لم يتعلموا.

وينتهى نيسنر إلى أن كلمة Lerne و hearniny .. والتى نعى التعليم.. لا تؤثر قلبهما فى الأخرى.. عند الهاريديين كثيرا.. .

وانسى الرئيس الذى يحس به المرء فى عملية.. hearniny الشعور بالقدسية والراحة والاطمئنان ويعصف هليمان تلك العملية.. بأن تشمله بعدم أصالة الممارسين لها. ولاشك، أن هناك كثير من الرجل والخداع فى أوساط الهارديم وفى الباشيفاه ولكن هناك أيضاً الكثير من الصدق والاخلاص والكفاءة الأكاديمية. فتفتح وأعادة الأشياء المعروفة وتكرارها تميز جزءاً من الطريقة التقليدية فى الـ "Levnen" وحكماء الهاراديم المعروفين مثل الحاخام يوسف والذى لايرقى الشك لأقواله نظراً والذى لم تشكك فى أقواله الانجازات الأكاديمية التى قام بها نيتسير تثحق بنفس تلك الطريقة التقليدية ويقول هليمان أن بعض العلمانيين) الذين لاحظهم لسنوات شاركوا فى التعلم عن طريق (الكمبيوتر) لسنوات دون استيعاب أو فهم لمضمون النص وتعلم بعض مستخدمى الكمبيوتر الطريقة الصحيحة للتحرك دون أن تتعمق فى الغرض من أو الهدف من اللعبة- ولكنه يؤكد ان أحداً لا يستطيع أن يأخذ الحركة الصحيحة بدون فهم المغزى الفكرى.

وسجل نيتسنير بنزاهة أكاديمته تجربته الشخصية فى التعلم فى المستوى المتقدم فى القدس ووجد أن الاستمرار صعب جداً حتى رغم أن لديه خليفة عن التلمود ويريد حقاً الانتظام ليتعلم ويلاحظ.

ويروى تجربته مع تلك الشرائط التي وصفت وناقشت ما كان يعتبر سرّاً «يادشياً» مثل أمر قرابين المعبّد - وهو ما وأستطاع بصعوبة أن يفك طلسمه وبينما يتناول الشريط عمليّ نحو تقديرى فى دور التهان فى رش الدم فى الأركان الأربع للمذبح ويقول ظللّيت أنا جاهلاً إزاء القرابين التى شرحت- وما الذى يفترض أن يقوم به الكاهن بالضبط أثناء تلك العملية.

ويستمر فى وصف تجربته قائلاً لقد حاولت وسألت وتعجبت وضحكت وكان ذلك، على ما يبدو فى التوقيت الخطأ - وهزج بدون أى قناعة أو قدرة على الاستمرار- ويقول وجدت نفسى مشدوداً نحو الخارج ووجدت النقاش يغالبنى.. ووجدت أيضاً أنه لامفر من خروجى من.. تلك الدائرة.

الفصل الخامس

الدخول متأخراً

وفى مواجهته ذلك فإن تعاضم وتكاثر الشباب الأصوليين الذين يعرفون بأسم البعليين [التائبين] فى صفوف الهاريديم قد يكون بمقدورهم تخفيف جدة الصراع بين الهاريديم والثقافة العلمانية. أول على الاقل تقديم شكل من أشكال التكامل بين عالم الياشيفاه وعالم الدراسات الأكاديمية. ومعظم البعليين التائبين دخلوا الهاريدية أثناء أو فور دراستهم الجامعية. وشرط الهاريديم، الوحيد لقبول التائبين البعليين والترحيب بهم كان هو هجر معتقداتهم وثقافتهم السابقة وإن على كجماعة أن لا يبحثوا عن أى تركيب أو توليف بين التوراة والعلمانية رغم صعوبة هذا الافتراض من الناحية العملية وانتشرت و«الياشيفاه» بتوسع بين التائبين البعليين فى السبعينيات والثمانينيات الخاصة فى القدس ولم يكن ذلك موقفاً ليبرالياً تجاه أصحاب الدراسات العلمانية على نحو أكبر مما يحظى به طلاب «الياشيفاه» التقليدية للهاريدية. وإنما الهدف هو تحويل الكلاب إلى هاريديم ولم يهدفوا إطلاقاً إلى خلق كادر خاص مستقل عن الثقافة الهاريدية..

ويعتقد الهاريديم أنهم ابتلعوا التائبين البعليين دون هوادة ودون تأثير على جوهر الثقافة الهاريدية وأختلط التائبين البعليين بالبيئة الهاريدية لدرجة أنه لا يمكن تمييزهم من ناحية المظهر الخارجى - أما داخلياً فهم كائنات مسموحة تماماً حتى مع الاستمرار فى وظائفهم الأكاديمية والمهنية - حيث ينصح هؤلاء بأن يصبحوا حاخامات ويدخل أطفالهم تيار التعليم الهاريدى يظهرون فى «الياشيفاه» وحلقات الدراسة كاعضاءها مشين فى المجتمع الهاريدى ليس كممثل أى أحد وذلك فى المجتمع ليكرس نفسه للتعليم والثقافة وإذا كان تدفق البعليين التائبين لم يؤثر على مضمون الهاريديم

فأنها بالتأكيد اثرت في الشكل - في إعطاء قوة دافعة للتدفق القوى للإنجليزية والفرنسية للأدب والكتابة الهارداية. وقوائم الكتب والنقوش الفنية في نيويورك كثيرة ومئات من عناوينها تحتوى كل كتب التوراة الأعمال الكلاسيكية لليهودية تشمل التلمود نفسه وكتب الصلوات ونصوص شعائرية أخرى وكلها تمت ترجمتها وتم التعليق عليها تفصيلاً تماماً مثل الكتب التاريخية وكتب السيرة الذاتية وكتب الأطفال وكل هذه الكتب تم أنتاجها وطرحها بشكل شيق ومكتوبة جيداً وذات إخراج لائق وهذا الشكل الجديد من الكتابات الأدبية ليست منتقدة أو دوجماتية شديدة مثل أى كتابات في التراث الهاريدى كتب من قبل باللغة العبرية القديمة راو العبرية أو الهاريدية قبل مائة عام.

وعلى الرغم من تصميم كتاب ومحبرى تلك الكتب على أنها لا تختلف عن القديم فى المضمون فهل هم متأكدون تماماً- أن ذلك الادب الجديد/ القديم، قد كتب فى لغة مختلفة سيكون حتماً أن بمقدم أختلافات فى المضمون؟ واللغة فى النهاية أكثر من مجرد كلمات ونماذج تفكير اليهود الأمريكيين الجدد مختلفة تماماً عن تلك التى كتبت باللغة «اليادشيه» [لغة اليهود الايمان] وه نفسها على مدى القرون عولجت لتعبر نماذج ونصوص من التلمود العبرى الارمى.

وكمثال لذلك فإن تفسيراً لترنيمة السبت القبلانية تشرح خطأ واحداً كالتالى يعوزه الوضوح فى أدراكنا- ويبدو كما لو كنا نراقب حدثاً عبر الغيمه والضباب كنتيجة لذلك قلل من تقديرنا لكبر وعظه الله وأنها ولا شك كانت محادثة مخلصه لتقديم النص الأصلى، ولكنه كتب بالإنجليزية القرن العشرين وبعض الكلمات والجمل المستخدمة لها مولالات الإنجليزية فى القرن العشرين فهل تمثل تلك الكلمات واللغة ما كانت تقصده قصائد القرن السادس عشر، وهلى حدث تسرب طوعاً أذكرها للمدينة

لنصوص القديمة؟

وفى الياشيفا المدنى للهاريديين الأمريكية حيث كانت اللغة المستخدمة فى الدراسة هى الإنجليزية ومع ذلك فإن الطلاب والمدرسين كانوا يميلون لربط حديثهم وخطهم بكلمات من (اليادشية) اللغة القديمة أو فى الشكل للتعبير عن شرح وفارق قليل وضئيل فى معنى تلمودى لتوضيح ذلك الغرض. أو يقومون بترتيل الانجليزية فى التلمود الخاص فى الاغانى التى تم استنباطها من (البيرية) لمصاحبه الاسئلة ولأجابات فى معظم نصوص التلمود.

وقد خطرت فكرة فرج اللغات فى عملية التعليم.

وفى كتاب «لهيمارش» عن تدريس الياشيفا فى أمريكا فإن محاضرا للياشيفا فى نيويورك قال لطلابه اما اشعر أن تشتير يجب أن نعطي يجب ان تعطى الكثير من بنود «الجماراه» والـ Meforshim - التقليدية ويقول أنا أعتقد أن ذلك يمكن أن يتم بدون الـ Ploiderring [مناقشة القضايا الادور التى معنى لها- والتى تعكس دائماً الجهل اكثر من المعرفة.

وبالنسبة لبعض الهاريديم فإن الطريقة التى ينطقون بها الإنجليزية فلاحظ فيها أن الصوت المرتفع قرب نهاية الكلمة تماماً كما هو الحال فى طريقة الاستنباط التلمودية واستخدام كلمات لها مدلولات مختلفة- ولكن بالنسبة لبغض طلاب الهازادمة الآخر من فإن استخدام الترنيم التقليدى والقواعد أثناء التعليم هو استخدام رزين لنماذج التفكير والعمليات المرتبطة بالتلمود.

وعموماً فإن الكتب الحديثة التى تكتب بالانجليزية والفرنسية والعبرية المدينة فإن مثل ذلك التلحين (الترنيم) بها مستحيل ويؤكد زعماء حاخامات الهاريديم ان تلك

الكتب يمكن أن تتجاوز تلك الفجوة فى الاختلاف.

ومثلما كتب أحد علماء الاجتماع فإن الناس أخترعوا اللغة ثم وجدوا أن منطقها يفرض نفسه عليهم وقواعد اللغة الحديثة ربما تكون الآن تفرض نفسها بطريقة مناسبة لتفتح عقلية الهارديم وبالتأكيد فإنها ستكون البعض الحديث للغة «اليادشية» فى العديد من تجمعات الهارديم ويفترض الحاخام فاندل فيينا فى «النائب المساعد لياشيفاه للبعليين فى القدس» والتى تعتبر أكبر ياشيفاه، يفترض أنه يفترض أنه ليس استخدام اللغات الحديثة هو الذى يكون مناسباً للتأثير فى جوهر عملية التعليم ولكنها الحاجة غير المسبوق لنقل التلمود للمبتدئين مع تثقيف البالغين - والحاجة غير المسبوق التى جادت بحركة التوبة المتأخرة خلفت طرقاً جديدة للاتصال داخل عملية التعليم وذلك يمكن أن يؤثر على المضمون كما يؤثر على الشكل، وفى ياشيفاه فإن التدريبات الدينية تبدأ بالنسبة لكل دارس فى اليوم الأول من تجربته فى «الياشيفاه» وربما التجربة الأولى للأصولية أو أى شكل من اليهودية فى حياته. والحاخام فانياح الذى كان يوماً مدرساً فى نيو جيرسى مقتنع بأن مواجهته غير المتوقعة على المصدر ومع جوهر الثقافة الهاريدية هى الطريق الأفضل فتح العقل واشغال روح الباحث عن الخلاص وفى معظم حلقات الدراسة «للبعليات» الثابتات كما هو الحال فى كل مدارس البنات فى الهاريدية وحلقات السيدات فإن مثل تلك المواجهة غير متاحة. وكمبدأ دينى فإن النساء لا يتعلمن التلمود. ومن يعلم أبنته التوراة كمن يعلمها الفساد كما تقول «المشنا» فى الرسالة رقم ٤:٣ «وطبق اليهود فى الماضى ذلك الخطر بشدة ومنعوا التعليم الدينى العميق لبناتهم وفى حالات قليلة استثنائية كان يتم تعليم سطحى من قصص التوراة والصلاة مع تدريس لفنون المطبخ والحياكة وكانت فترة ما بين الحروب العالمية فى القرن العشرين هى البداية الفعلية الفساد عن طريق حزب (ايورات إسرائيل) فى محاولة لوقف نزوح النساء الصغيرات من الأصولية - بحثاً عن التعليم.

واليوم يوجد لدى كل مجموعات الهاريديم مدارس وحلقات للدراسات للنساء والبنات والبعض منها يقدم لهن منحاً للدراسة في الخارج لان العديد من النساء «الهاريديات» يتفوقن على نظرائهم من الرجال.

وهناك الجماعات الأكثر محافظة وتشدداً مثل قيم «سفامارها سيواك» في نيويورك «والايداه هارنى» فى القدس فإن الخطر التقليدى على التعليم الدينى للبنات لا يزال قائماً- ونصوص معنية من بينها حتى الأسفار الخمسة الأولى من التوراة لا يتم تدريسها.

ويتم تكرير وتنقيح المادة من مصادرها وترجم إلى «اللغة اليادشيه» وتدرس بذلك الشكل الملخص للبنات والسيدات الصغيرات.

وفى الغالبية لحلقات الهاريديم التى تنتمى إلى «أحودات» وبقية الأحزاب الأخرى فإن الخطر تم تفسيره على أنه يخضع فقط للقانون الشفوى يخضع لفكرة زن ذلك هو أن التلمود ليس التوراة وتفسيرها وأنه ليس محلاً للأعمال الأدبية والعقلية وليس للكتب فى تطبيق الاحكام «الهالاخاه»- وهذا هو الحال أيضاً فى مدرسة أورشلیم مستر اسكول التى بها ٤٠٠ طالبة فى «نيفى أورشلیم».

ويقول الحاخام «ديفيد بودين» رئيس مدرسة البنات العليا فى لندن مع ذلك فإنه لو اردات واحدة أن تدرس التلمود فإن أحداً لن يمنعها هذه الليبرالية المتاحة فى معقل الهاريديم الوروى ربما هى ان انعكاس لان التلمود المكتوب حديثا بالانجليزية وبموافقة حاخامية له من السهل الوصول إليه- فالتراجم القديمة «للمشنا» والجماراه كانت سرية وغير حوارية. وترجمة كانت شتاين شولتز محظورة وربما يعكس أيضاً مطلب البعليات التائبات غير العالى ولكن المسموح أيضاً بعدم حرمانهم من دراسته تجربة التلمود التى تعتبر هامة جداً لحياة الهاريديين عموماً وبالنسبة للعودة للتوبة خاصة-

لأزواجهم أو أزواجهم في المستقبل بالنسبة لغير المتزوجات. وفي مدينة القدس فإن واحدة على الأقل من «الياشيقياء» الأكثر تقدماً القت بالفعل الخطر التقليدي وتقدم للبنات مناهج لا تختلف جوهرياً عن تلك التي يتم تدريسها للرجال في «الياشيقياء» والبنات يتعلمن في الواح "Chavrusa" ويتجادلون مع بعضهن ومع الحاخامات- ويحضرن محاضرات "Shiuvim" حيث يحاول السياجا "Sugya" شرحاً أكثر تعمقاً. وقيمة تشجيعهن على هجر الفن الكتابي الجديد للتلمود والأفكار التدريسية الجديدة أيضاً والعمل باللغة الارامية الاصلية من أجل تنمية قدراتهن المستقلة في مهارات تعلم الجماراه.

وحركة البعلين التائبين مع أنها تعتبر ظاهرة مهمة في التاريخ اليهودي المعاصر فإنها لم تصل بعد لمستوى وحركة البعلين التائبين أنها تعتبر ظاهرة مهمة في التاريخ اليهودي المعاصر فإنها لم تصل بعد لمستوى التوقعات والآمال المخاوف التي ولدتها في المجتمع اليهودي في مستوياتها الأولى. وفي أيام عزها في أواخر ١٩٧٠ كان يتم النظر إليها من جانب الهارديم وبقية اليهود على السواء على أنها تغيير كبير، لحصص التناسب والتوزيع في المجتمع، فـا بالنسبة للهاراديم كانت تلك أخبار جديدة بالتأكيد تلك احبار جديدة بالتأكيد تؤيد وتركز أحساسهم الموضوعي بأن الهاريدية تلقى كل ما سبقها- وبالنسبة للآخرين فإنها كانت عامل اضطراب وتخويف والاسر التي كان يقدم أحد الابناء أو البنات بها فجأة بالتغيير وينتج أسلوب الحياة والاحكام المتشددة للأصوليين(الاصلاء) كان يتم استيعابهم وفصلها.

وحمل رجال السياسية وجنرالات الجيش في إسرائيل الخطأ ترك اتفاق من الطيارين الحريين الخدمة بعد رفضهم الطيران في يوم السبت وأصرارهم على إطلاق اللحية رغم أن طولها يتعارض مع أقنعة الأكسجين التي يرتدونها. وكان الوعاظ

والخطباء الذين تحولوا إلى حركة التوبة ممنوعين من التحدث إلى المستلمين العسكريين وأوقف وزير الدفاع في إسرائيل تدريس برامة التائبين البعلين للجند في الياشيفاه البعلية. وقد بالغ ناشطى حركة الوبه فى نشاطهم علنا. ويقول مفاهيم بورش أحد أعضاء حركة [أحودات إسرائيل] فى الكينسيست أن ذلك أرتد ضدهم فى النهاية.

ويلقى الحاخام نوتاه ستيلر Shiller من «ياشيفاه» Onr Samayoch باللوم على تقارير وسائل الاعلامية العدائية والخوف الذى لا يستند إلى عقلى من الهاريديم فى بعض قطاعات المجتمع الاسرائيلى. وكانت الحقائق فى ذلك الوقت أنه بالنسبة لكل أسرة فان شيئا غير سعيد أن يدخل أحد أطفالها شاذارا بنشيفاه- بينما تسعد مئات الأسر الأخرى بذلك. والعديد من الشباب اليهودى الذين جاءوا من الخارج ويخدمون الآن فى الجيش الاسرائيلى يشعرون بالامتنان «ياشيفاه» Onr Samayoch أكثر من الأخذ جبراً للدراسة فى «ياشيفاه» التقليدية ويورفق الحاخام شايلى على أن قوة حركة التوبة قد وصلت إلى الذروة بين الشباب.

وهو يرجع السبب فى ذلك إلى التغيير داخل المجتمع الغربى. وعندما قام الحاخامات الأمريكان المهاجران فينباج Weinbacu وشيالير Schiller بأفتتاح ياشيفاه Onr Samayosh فى أوئل السبعينيات فى غرفة خلفية من ياشيفاه القدس فإن اليهود الهييين (الوجوديين- والمقارنيين من جبل فيتنام ما الذى يريدونه فالبعض منهم أستمررو والتحق فى التجربة الهاريديه- والبعض الآخر أنجرف بقوة فى التجربة. وتوسعت ياشفيا Onr Samoych ليصل عدد طلابها الآن إلى ٥٠٠ طالب- ولها ساحات وأفرع عديدة فى نيويورك ولوس أنجلوس وتورنتو- ليندن- جوها نسبرج- وملبورن وأنتشر الآلاف من خريجيهها بين أوساط اليهود. ولكن مع ذلك فإن هيكل الدراسة فى داخل إسرائيل قد تغير كثيراً والتسجيل للبنات والأولاد على حد سواء يتناقص وأصبح النظر إلى التعليم

العالي أقل في إسرائيل وأبناء الطبقة الوسطى في إسرائيل في التعليم العالي يتناقصون. ولم يعد الدارسون يتدفقون من الخارج كما كان الأمر في البداية. ومع ذلك تقرر إعطاء الفرصة للياشيفاه بدلاً من التغيير المفاجئ ولكن استمرارها على المدى الطويل كما يقول الحاخام شالير أمر أكثر اجتهاداً وأكثر خطورة. والبرامج التي تقوم ياشيفاه OnSamayosh بتوزيعها لفروعها في الخارج تجذب الأشخاص الذين في الثلاثينات والأربعينات وهم الجيل المخضرم من الهيبين (الموجودين) ويقول الحاخام بنهاس Pen-has مدير تعليم اليهود أن مدرسة Onr Samoych في مدينة لوس أنجلوس قد شاخت وكبرت وتلاميذ المدرسة الآن أصبحوا أكثر ميلاً للمادية عما اعتادوا أن يكونوا مشاعر اللامبالاة والأسترخاء هي السائدة في الساحة - وعملية التمويل (الديني) التي تأثرت في الماضي بالواعظين الكارزميين لحركة التوبة أصبح أقل عما كان عليه منذ سنوات. والظاهرة على المدى الطويل في مجال للجدال والتفكير - والهارديم دائماً يميلون للمبالغة في تقدير عددهم وأهميته - وأعداء الهارديم يرون أنها قلت وراء أعضاء الهاردية موضوع قوى في التصوف والتحول من الوقاية لإعادة الانبعاث. وأيا كانت الاحصاءات فإن حركة التائبين البعلين أعطت الهارديم تأكيد إلهي بصحة معتقداتهم وتمثل بالنسبة لهم تحول تاريخي بعد قرون من الياشيفاه أصبح هناك عدد لا بأس به.

والاحصاءات تصلها مؤثرة وذات دلالة - وأحد مشروعات البحث وهو مشروع تقرير سكان نيويورك في عام ١٩٨١ الذي اداره بأول ريتير باند وستيفن سوستين لصالح اتحاد محبي اليهود في نيويورك ويوجد البحث أن بالمائة من يهود نيويورك تم تصنيفهم على أنهم محافظون جداً (وتم التصنيف على أساس هؤلاء الذين يرفضون التعامل بالمال في يوم السبت) - وأقل محافظة جاءت بنسبة أقل ١٠٪ وعلى أساس الاسرة المحافظة التي ترفض أشعال الشموع في ليلة الجمعة كتأكيد قوى للتقاليد.

والباحثين الأكاديميين لا يزالوا غير متأكدين حول نسبة النائين البعليين الذين ظلوا أصحاب العقيدة (أصوليين ولكن عالم أجماع أمريكي درس حركة التائبين البعليين لعدة سنوات يقرر أن نسبة كبيرة من البعليين الذين درسوا في «الياشيفاه» لفترة زمنية طويلة أستمروا داخل الهارديم.

وفي أوساط السفارديم - وخاصة داخل إسرائيل فإن حركة البعليين والتائبين لا تزال محتفظة بقوتها الأولى وإجتماعات البعث والحماس لا يتزال تقدم عمليات التمويل الدينى بالجملة مع عشرات من الأشخاص الذين يأتون علنا عن الحلول التي يزروها للبقاء كمحافظين في حياتهم. والحاخام ريفين الباز هو الأكثر شعبية في أوساط - السفارديم - وهو أيضا صاحب «ياشيفاه» للشباب من حركة التائبين البعليين - وخطب ومواعظ الحاخام الباز ذات طابع درامى وملئية بالسخونة - وتصوير وأحياء تصور الجحيم وذكر العديد من المعجزات. وقال الحاخام أن الخطر بين الذين لا يتوبون فإنهم كما قال الحاخام لأحد مستمعيه ويوضعون في قبر داخلى حتى ذقونهم في فراء (روث) فعلى.

بينما يذكر معجزة لأحد الضباط من البعليين التائبين وهو ضابط عسكري نجى من موت محقق عندما حال كتاب المزامير الذى يضعه في جيب السترة بدون اختراق رصاصة لصدره.

ولأن مجتمع السفارديم أقل نسقية وطبقية في محافظته من مجتمع الأشكيناز فإن ظاهرة التائبين لاقت توتراً أقل من الناحية الأسرية والاجتماعية. ولذا فإن عملية "wazava Biterhcev" لم تولد أنفصاماً كبيراً للعضو التائب مع بقية أفراد الأسرة - ولم يتم النظر إليهم بنفور لأتجاههم نحو الهاريدية وكان قليل من التفكير والسخرية التي تسببها عملية «شاذارا بتشيفاه» في السفارديم. والأسرة السفاردية غالباً ما تكون فخورة

بأحد أقاربها التائبين البعليين - ولذا يظهر تفكيره ومظهره الخارجى بسرعة. وخلال أسابيع يتم تدريب الصغير عن طريق كاهنه حيث يصبح حاخام، وفى بعض الأحيان يؤدى الانسلاج إلى تطرف شاذ وفى المحاكم الجنائية الإسرائيلية فإن عدد البعليين التائبين الذين يمرون فى قفص الاتهام يبدون خارج نسبتهم داخل المجتمع بصفة عامة. فالمجرمين يعتقدون أن القضاة تحركهم دوافع دينية - فهم يغفون فى الاعتقال بمجرد أن يبدأوا فى تربيهم لذقونهم ويرتلون المزامير. والحاخام أوفاده يوسف تم أقناعه بأن يطلب تخفيف العقوبة من رئيس الدولة لقاتل مسجون وهو واحد من أكثر عناصر العمل السرى سوداً فى السمعة فى إسرائيل - وهو علنا وأحد من البعليين التائبين داخل السجن يقوم بقراءة التوراة كل يوم. وهو يقوم بتبرعات كبيرة لصدقات الهارديم وأدرجت حركة التائبين البعليين فى السفارديم بقوة مع حزب شاس الدينى - وبرامج تعليم الصغار لحزب شاس تتيح منابر للوعاظ الباحثين مثل الحاخام الباز - ومدارس التنشئة المجانية لها تمتد التائبين البعليين بالوسائل العلمية والجذابة لتقوية وترسيخ أطفالهم مع مكتسباتهم الجديدة فى القيم وأسلوب الحياة. وأكد سياسو حزب شاس أحقية البعليين التائبين من السفارديم فى الحصول على حصصهم المحددة من الدعم الحكومى.

وحزب شاس الدينى الذى كان قد تأسس عام ١٩٨٤ - كان له منحى ضغوط غير مستوى. وهو يقاوم اتهامات سياسية بالخيانة والتمويل غير المعروف ولكن قاداته الكبار يتوقعون له صورة مشرقة فى المستقبل البعيد - وفى انتخابات ١٩٩٢ ورغم المشاكل التى يعانى منها الحزب فإنه أستطاع الحفاظ على قصائده الستة داخل الكنيست وكان نقيضه ٣٦ صوتاً فقط من أجل الحصول على المقعد السابع.

وترحيب ودمج الأعضاء البعلين والبليات فى الهاريدية ليس كافياً- فالأختيار الأصح هو عملية الزواج- وهنا يجد البعليون التائبون أن طريقهم مصضد بنوع من التميز غير الرسمى ولكنه تميز قوى- السفارديم عامة يحاولون ربط البعلين ببعضهم البعض فى الزواج- وتسرى إشاعة فى الهاريديم فإن من يتزوج أو تتزوج من بعل أو بعلية فإن شيئاً سيئاً سيحدث له كأن يصبحوا فقراء- وتحدث لهم مشاكل صحية- والأسواء من ذلك عدم التوافق والانسجام العاطفى بين الطرفين. وبعض الملاحظين وجدوا هذه الفروق- إلا أن البعلى أستمروا رادياً مع ذلك- وربما إلى الخوف من جانب الهاريديم من انسلاخ من أقاربهم التائبين ورغم أن الزواج من البعلين مؤسس دينياً على أساس أنهم جاوراً من أصول (بيوت) غير بقية أو غير أصولية وعملية النكاح أو الجماع لا تحمل تحريماً دينياً ولكنها تعد وصمة عار مع ذلك. وبعض الداخلين الجدد الذين ربما يكونوا كيفوا أنفسهم مع الهاريدية كما قرروها- سوف يذعنون لذلك العجز وسيبحثون عن الزواج من شركاء لهم من نفس الطائفة. وهم غالباً يفضلون أن يفعلون ذلك حيث يجدون توافقاً أكبر من مروا بنفس التجربة ونفس عملية التحويل الدينى- ومروا أيضاً بنفس التوترات والتناقضات فى الماضى والحاضر. ولكن بعض التائبين البعلين الذين دخلوا الهاريدية بإخلاص وجدوا أنفسهم قد شحروا من الاعتراض الجماعى الصارم عليهم- وأحد المحامين الأمريكيين الذى قام بعملية تأريخ تحول إلى الأصولية وخرج منها مرة أخرى بعد خمس سنوات كتب يقول أننى تعبت من التجاهل وعدم الاحترام ضد التائبين- وتعبت من أن أكون غريباً وسط أهلى- فالأصولية غفلوا عن كل ما فعلته خلال السنوات الخمس وهم يقولون أنه شئ لطيف ولكن يسألونك عن الزواج هل تقبل لأبتك أن تتزوج وأحد منهم؟

الجزء الخامس

بالخبز وحده

الفصل الاول

نقود وصدقات

يصارع يتشيل ميتشل جود فارب- البالغ من العمر ٣٤ سنة- الموت منذ ١٥ عاماً، فهو فى معركة مستمرة مع مرض الهودكين وهو أحد أنواع السرطان الليمفاوى وكما يقول، فان ذلك هو السبب فى آن بابه مفتوح ليلاً ونهاراً لفقراء القدس.

ويقول- كما جاء فى التلمود- إن المحبة هى السبيل الفعلى لحياة ممتدة وفى سنة ١٩٩٠، وزع (تصدق) بثلاثة ملايين دولار، جاء أكثر من نصفها من الأخوة «الهاريدين» ريتشمان Reichmann المقيمين فى تورنتو- بكندا.

وقال مويش Moish عن بول ريتشمان (وهو مدير أعمال هذه العائلة، التى جاءت الثامن فى الترتيب الثامن بين أغنياء العالم قبل أن تفلس ١٩٩٢) لقد كنت أفعل ما أريد بما أعطانيه من نقود فتكمنت من شراء يخت وأن أسافر حول العالم، فقد كان يثق فى ثقة عمياء.

وأكدت مصادر أخرى فى الهاريدي أن الأخوة ريتشمان كانوا ينظرون إليه بنظرة خاصة.

فأثناء الركود الاقتصادى فى الغرب فى عامى ٩٠، ١٩٩١، أدخل الأخوة تخفيضاً كبيراً على المساعدات التى كانوا يقدمونها والتى وصلت فى السنوات القليلة الأخيرة إلى مئات الملايين من الدولارات وجهت معظمها إلى (المجتمع الهاريدي) هذا بينما لم تمس مخصصات يتشيل وقاله أنه ساعد سبع آلاف أسرة فى سنة ١٩٩٠، وهذا يعنى كما يقول: « أن ١٥٠ ألف إنسان قد أنتفعوا من ورائى بشكل أو بآخر» وهذا سبب كاف- كما يرى- لأن يحافظ الرب على حياته أما وابين تينينباوم وهو

أيضاً أحد كبار ملوك المال اليهود الخيرية فى تورنتو، وهو نفسه ليس هاريدى، فقد حذر فى سنة ١٩٩١ أن الاعتماد المتزايد للهاريديين فى إسرائيل على المساعدات الخيرية يعد أمراً «مخيفاً».

وقد أبرز سقوط آل ريتشمان فى ١٩٩٢ مدى أهتزاز الاقتصاد الهاريدى.

وقد لاحظ المراقبون السياسيون أن هناك علاقة بين هذا بين تلهف الأحزاب الدينية للانضمام إلى الائتلاف الجديد الذى تكون مع حزب العمل بعد انتخابات يونيو ١٩٩٢ فى إسرائيل.

فقد أنضمت حزب شاس سريعاً، والآخرون وقفوا فى تردد سببه تحالف العمل مع حركة ميرتيز العلمانية وإن تطلعوا رخاء مادی لمؤسساتهم الشعبية والتعليمية.

ومع ذلك فإن وابن تينينباوم كان يساعد والده جوزيف فى توزيع ملايين الدولارات كل عام على مدارس التلمود التابعة للـ(الهاريدى)إسرائيل، و ذلك من المؤسسة الخيرية الخاصة بالعائلة.

ويؤكد وابن أنه « ما لم نجعل هذه المؤسسات تزدهر فسنفقد زحم ديننا كله».

ووفقاً لما يقوله رابى ديفيد ريفسون رئيس مدرسة القدس الجديدة، إحدى المدارس النسائية فى القدس وتضم ٤٠٠ من مختلف أنحاء العالم- فإن تينينباوم هو أكبر المتبرعين للتعليم الدينى فى إسرائيل ويهتم تينينباوم خصوصاً بمدارس تشوفا التلمودية ويعتبر أيضاً- مع الكثير من الحياد- الأب الروحى لحركة تشوفا (التوبة) وقد كتب ذات مرة أن أبناءه قد استوحوا قليلاً من أبويهم اليهود المهاجرين فى شمال أمريكا.

فقد كانت الأيام عصيبة وقتها وكان شظف العيش يجعل المواهب تبتعد، ولذلك رحل الكثيرون بعيداً عن أصولنا وتراثنا، والآن يحدث العكس، الآلاف من الشباب الذين لم يتلقوا أى تعاليم يهودية، يبحثون وينقبون ويعيدون ارتباطهم بيهوديتهم ويقول ريفسوف: «أن الإنسانية عند اليهود لا تصدق» و «اليهود يعرفون أن عليهم مساندة رفقائهم، فالأغيار يتصدقون أما إذا كانوا أثرياء جداً أو إذا كانوا يشعرون أنهم مذنبون بشدة.. أما اليهود... فهم كما يقول التلمود (متواضعون، رحماء، ومحسنون) هذه هى سماتهم وهى متأصلة فيهم، فاليهودى قد يفقد صلته بكل شئ.. ماعدا حبه للآخرين».

وقد جمع ريفسون معظم تمويل مباني معهده والتي تكلفت عدة ملايين من الدولارات من يهود غير شرقيين، لكنه كان يدخل المتبرعين له فى سجل تاريخ المعهد، ويقول إن «معظم اليهود يعتقدون أن اليهود الآخرين لابد وأن يكونوا متدينين، لكن الآن أبعد من ذلك، فالأغيار يدرسون جيداً لمن سيعطون أموالهم أما اليهود فينفقون فى المجالات التى يعرفون أنها ستصيبهم بالأسى!» ويقول تينيباوم: «أنا مهموم بموقف الهاريديين من بقية اليهود. فهم ينظرون إليهم شذراً لأنهم ليسوا أبناء المدارس التلمودية «السوداء»، فأنا قلق بشدة بسبب مما يسمى بمسألة (من هو اليهودى؟) فقد أقتربنا مؤخراً من الانفجار لكن الأمر سيعالج بالتأكيد. وأصدقائى فى إسرائيل قلقون على مستقبل الدولة بسبب الانقسام الدينى- العلمانى. وهو ينمو بالملازمة على الهاريديين فى هذا الاستقطاب المتنامى فيقول: «إنهم كمن يضع عصا فوق عينه»، إلا أنه يستدرك بسرعة ويقول: «لكنى لا أريد أن أتحذث ضد أناس أحبهم». والتصور الذى يقدمه التلمود لليهود بأنهم متواضعين ورحماء ومحسنين، قد انعكس على الاقتصاد الهارىدى وتمارس الدوائر اللوبشية الهاريديّة المحترفة- نفس الدور تقريباً ولكن بطموح أكبر- فى الأروقة والزهايز فى الكنيسة الإسرائيلية، فالخيرية ليست مجرد

مظهر لحياة الهاريدى، وإنما هى النفس الذى يتنفسه، جزء من حياته. وكما يقول البروفسيور مناحم فريدمان وهو عالم اجتماع كرس حياته الأكاديمية لدراسة الهاريدية: «فأن العالم يقوم على ثلاثة أشياء، على التوراة، العبادة، والإحسان» كما يرد فى المنشأه.

فالتوراة ليست للنخبة فقط، وإنما هى تطل المجتمع كله، وكذلك الإحسان أيضاً، ليس فقط مجرد نموذج تقليدى للمساعدة من الغنى للفقير فتقريباً كل فرد فى المجتمع الهاريدى فى إسرائيل يتلقى الصدقات بشكل أو بآخر ويقول فريدمان: «إن سواء فى إطار تعليم التوراة أو فى إطار المساعدات الاجتماعية، فإن كل منهما يتجاوز أى شئ آخر ما عرفه التاريخ الطويل لليهود بوضوح.

ومجتمع المتعلمين الآن لم تر إسرائيل مثله من قبل فالتعلمون المنتظمون فى الدراسة كانوا دائماً أغلبية فى المجتمع أما الباقي فكانوا يهتمون بالسعى وراء لقمة العيش.

أما فى القرون الأخيرة، فإن المتعلمين بما فيهم جماعات الهاريديين المقيمين فى المدن الأربع المقدسة (القدس، طبرية، صفد، حبرون) كان هؤلاء المتعلمين تيلقون المساعدة من مجتمعاتهم الأصلية فى ماعرف بنظام الحالوقاه (Holluka) (أى توزيع الصدقات) فإذا وجد كوليل* Kallel (المناطق التى يعيش بها اليهود فى الشتات) ولا يتلقى من الدعم الذى يكفيه فبمقتضى هذا النظام يتم إرسال مندوبين لزيادة التمويل اللازم له، والسفارديم فى فلسطين أيضاً يعيشون بنفس الطريقة مدعومين من بمجتمعاتهم الأصلية عبر الأمبراطورية العثمانية؛ كان-هذا فى الماضى... أم الآن فإن

* Kollel الكوليل.. المدرسة العليا المخصصة للرجال المتزوجين ليعلقوا فيها على مواصلة العلوم الدينية والتوراتية وهى مثل الياشيفاء وأن إقتصرت الياشيفاء على الطلاب غير المتزوجين .

المجتمع الهاريدى فى إسرائيل كله يعتبر Kollel واليهود الهاريديين فى الشتات يمثلون المجتمع الأم بالنسبة لهم.

وتجاول الأغلبية فى إسرائيل أن تظل (فى مرحلة التعليم) حتى بعد الزواج، وبالتعبير الاقتصادى، فإن ذلك يعنى تضائل التطاوع المنتج من الهاريديين.

هذا بينما تتزايد معدلات تدفق المساعدات الخيرية القادمة من الشتات والتى تمثل الأسلوب الحديث لنظام الحلاقاه القديم.

كما أن التمويل الذى تقدمه الدولة لا تحفظ عليه المعارضة ويذهب إلى الهاريديين، كنوع من المساعدة الخيرية الحكومية ويعتبر الهاريدون بهذه الأموال لا يختلف عما تقدمه الدولة من دعم للجامعات أو الفنون والآداب.

ويرى بعض المراقبين، وبينهم هاريديين، أن هذا الهرم الضخم محكوم عليه بالإفلاس والأنهيار قريباً تحت ضغط النقل الديموغرافى للهاريديين بالإضافة للسخط المتزايد بين غير الهاريديين بسبب أموال دافعى الضرائب التى تذهب إلى المؤسسات الهاريدية .

ومع ذلك، معظم الهاريديين عندما يسألون عن توقعاتهم لآفاق اقتصادياتهم، فإنهم يتعشمون في الرب لكي يحافظ على تدفق الدولارات لهم.

الفصل الثانى

الذين يساعدون أنفسهم

«عرض خاص للعميل الهارىدى» هذا هو الإعلان الضخم الذى نشرته صحيفه هآرتز الإسرائيلية فشركة آفيز لتأجير السيارات كانت تعرض أسطولها للبيع، والإعلان يوجه العميل الهارىدى إلى سيارة صالون فرنسية الصنع ويصفها بأنها السيارة المثالية للعائلة فهى تكفى سبعة أفراد) وإذا كان عدد ٧ أماكن بالسيارة ليس كافياً تماماً بالنسبة للعائلات الهارىدية، فإن فكرة شراء سيارة جديدة نوعاً ما حتى مع التخفيض الذى تقدمه شركة آفيز، تعتبر كالحلم بالنسبة لمعظم العائلات الهارىدية.

فالضرائب على السيارات فى إسرائيل باهظة جداً، ومن يملك سيارة غالباً ما تكون قديمة ويتحشر فيها العائلة كلها ويتمنون ألا يراهم رجال الشرطة.

وكلمة (هارىدى) وكذلك (العائلة كبيرة) أصبحت ذات دلالة حقيقية سواء فى الإعلان أو فى الواقع.

وقد أصدرت مؤسسة التأمين الحكومية فى إسرائيل فى ١٩٩٠ تقريراً عن الفقر حذرت فيه من أن ١٠٪ من السكان يعيشون تحت خط الفقر وأن الفقر منتشر بين العائلات الكبيرة أكثر من الصغيرة وقد نشرت صحيفة هامهان هاهارىدى تحت عنوان (إنهم يقصدوننا!) موضوعاً بقلم يزرئيل إيشلر رئيس التحرير قال فيه: «إن تقرير مؤسسة التأمين الوطنية لا يصنف الفقراء بناءً على الخلفية الدينية، لكن العلاقة واضحة فعدد كبير من العائلات التى تعيش تحت أو فوق خط الفقر مباشرة تنتمى للمجتمع الهارىدى.

رغم المساعدات الكبيرة التى تتدفق من الشتات وتلك التى تخرج من الحكومة، فإن الهاريديين فقراء ويزدادون فقراً « وقد تضمن التقرير المذكور أن فى كل عائلة يحتاج الفرد إلى ٥٠٠ شيكل (٢٥٠ دولار فى ذلك الوقت) شهرياً ليتجاوز خط الفقر ويعنى ذلك أن العائلة الهاريدية التى تضم ٨ أطفال تحتاج إلى ٥٠٠٠ شيكل شهرياً، فكم عائلة هاريدية توفر لها هذا الدخل؟ حتى مع وضع قروض ومرتبات مؤسسة التأمين فى الاعتبار؟ وكم أسرة من أسرنا لديها ١٠ طفل أو أكثر؟ فلماذا لا ينادى القادة بوقف كل هذا؟

فالجميع يتكلم عن الحالة الصعبة جداً للمدارس التلمودية والمؤسسات الأخرى. ونحن نعرف عن الكثير من المؤسسات الضخمة غير الدينية والتى تتلقى المعونات يبدخ بينما الوضع فى المدارس الهاريدية أكثر من سئ. بالتأكيد لأبد من الاستمرار فى طلب التمويل لمؤسساتنا لكان لماذا لانطالب بذلك أيضاً من أجل كل العائلات وكل الطلبة المغتربين وعائلاتهم فالكمل يعيش تحت خط الفقر.

وفى الواقع فإن السياسة الهاريديين ينادون بأعلى أصواتهم بالنيابة عن تنظيماتهم، وقد أدت الاتفاقات الإئتلافية بين الأحزاب الدينية إلى زيادة المرتبات التى تخصصها الحكومة للمدارس الدينية والوعاظ والطلبة المغتربين.

وفى كل عام عند تقرير الميزانية، ينشط أعضاء اللوبى الهاريدى فى الكنيست من أجل منح أكبر قدر ممكن للمؤسسات التى يمثلونها. وعلى مستوى القاعدة أيضاً، هناك جهود كبيرة ومنسقة لزيادة حجم الموارد للمجتمع الهاريدى، فالصحف الهاريدية تنشر بعض الإعلانات عن السيارات، وكثير من الإعلانات عن محلات السوبر ماركت الرخيصة، «صالات الأفراح» منخفضة التكاليف وبازارات ملابس الأطفال، وتقوم بكل ذلك متطوعون وبدون هدف تحقيق أرباح وكل مجاورة هاريدية تتباهى على الأقل -

بمحل رخيص حيث تباع السلع أرخص بكثير من المحلات العادية وتذكره الدخول «كارت رسمى» يشهد أن هذه العائلة لديها ٤ أطفال أو أكثر، وبعض الحالات تطلب دليلاً على وجود حاجة اقتصادية حقيقية.

وفى هذه الأماكن لا توجد أضواء خافته أو تكييف هواء أو موسيقى هادئة ولا توجد ماكينات للقهوة والفطائر، كذلك لا توجد لوحات إعلانية مزخرفة، وإنما مجرد حوائط عارية وفوف معدنية مكتظة بالمواد الغذائية، وأدوات النظافة والفواكه والخضروات، فى عبوات ذات حجم اقتصادى وتحمل خاتم الحاخامات الهاريديين ويتسابق معظم المصانع فى إمداد هذه المنافذ بالمواد المطلوبة حيث يتناسب معدل دورة البيع عكسياً مع مستوى الرفاهية للمتعاملين معها.

وفى بعض الأسواق الهاريديّة الرخيصة هناك أوقات مختلفه لكل من الرجال والنساء، كما لا تطلب هذا المحلات إثباتا بعدد الأطفال أو حجم العائلة، وهذه المحلات تتبع الحاسيديين وهى سبعة على مستوى الدولة، ويقول أحد مديري هذه المحلات أن «من حق كل عائلة كبيرة فقيرة أو غنية أن تشتري ما تريد، لذلك لا يأتى محتاج ويشعر بالإحراج» كما أن هذه المحلات مفتوحة لغير الهاريديين.

وقد دخلت هذه المحلات الرخيصة مجال الملابس والأثاث وأخذت مقار ثابتة، مع وجود اختلاف واحد وهو أنها نبع بسعر التكلفة مضافاً إليه النفقات ويبقى الاستثمار الأساسى هو «الهبة والصدقة» ويبقى المحل نفسه بدون أرباح.

وتنطبق نفس القاعدة على قاعات الولائم الهاريديّة حيث تقام حفلات الزفاف وولائم الختان، وهناك يتم الحجز بجزء من القيمة، ويقول حايم ايزاك كوهين مدير تجمع ساد اجورا الحاسدى بالقدس أن قائمة الانتظار محجوزة لعدة شهور قادمة لكن

الوسيلة لأهم لتوفير النقود هي النقود نفسها وذلك عن طريق «g'mach»* حيث يمكن أن تعترض المثات وربما الآلاف بدون فائدة. ومن النادر أن تجد أهل بيت هاريدى يكون الزوج فيه (يتعلم) ولا يلتجئ لهذه النوعية من التمويل فى مناسبة ما وعدة عائلات تقوم بالاقتراض أكثر من مرة ومن g'mach بدون النية فى السداد نصت التوراة مراراً وتكراراً على تحريم الفائدة (أخذها أو دفعها) «سفر الخروج ٢٢ / سفر اللاويين ٢٥ / سفر التثنية ٢٣» .

وقد تضمن التلمود الطريقة التى يمكن بها التحايل بذكاء على هذا الخطر وذلك لتسهيل عمليات التجارة.

وتقدم فروع البنك الإسرائيلى سندات تجارية تعرف بأسم هيترسكا Heteriska، وهى موقعة من حاخام وتهدف لتسهيل المعاملات المالية العادية، وتعتبر وسيلة سهلة للتعامل بين أى دائن ومدين.

لكن تتميز المساعدات المقدمة من g'machim بأنها بدون فوائد ويرتبط السداد بالدولار الأمريكى أو الفرنك السويسرى لتجنب مخاطر التضخم.

والقائمون بالنواحي الإدارية متطوعون لذلك لا توجد نفقات إدارية لأنه لا توجد مكاتب أصلاً ومن ثم فإن النفقات غير المباشرة هى فقط ديون معدومة لم تدفع من قبل.

وعلى حد تعبير أحد الأساتذة فى مدرسة تلمودية هاريدية فإن من يوقع على السندات من هؤلاء يفعل ذلك بكبرياء ولذا تجدهم يعيشون على الاستدانة بصفة دائمة.

* g'mach .. الجاماش.. وتعنى جمعية أو مؤسسة للإقراض المالى بدون فوائد...

ويقول هذا الأستاذ: «دعونا نأخذ يوماً في حياة أحدهم كمثال.. (إننى أحتاج ألف دولار كقرض، فإتصلت بزميلو حكيث له مسألتى) وسألتنى على الوقت الذى أحتاجه، فقلت فى مصر مدة ممكنه، فأجابنى ممكن لمدة يوم واحد وحصلت على القرض لكنى لم استطع سداده فعرضت على زوج أختى أن يقرضنى المبلغ فقال أنه يوافق ولكن حتى التاسعة والربع من مساء نفس اليوم!. والنكتة هنا هى أن هناك مبلغ واحد فقط هو ١٠٠٠ دولار ويدور فى دورة مستمرة فيما بيننا.

وقد ظهرت إعلانات فى الصحف الهاريدية تعرض تبنى المولود الذى يفقد عائلته مقابل مبلغ مالى، وهذه العروض معدة للأسر التى فقدت عائلها وليس بين أفرادها من هو فى سن العمل (ويساعد الهاريدون بعضهم بعضاً بالبيع والشراء فيما بينهم وهى ظاهرة منتشرة بينهم فى الشتات إلا أنها أكثر انتشاراً فى إسرائيل حيث الضرائب وأرتفاع الأسعار خصوصاً على الملابس (وسبب النظام الصارم للضرائب، فإن المواد الصنعة فى إسرائيل ذاتها تباع فى تل أبيب بضعف السعر الذى تباع به فى بريطانيا) وعندما يسافر الهاريدون للخارج فإن العديد منهم يحضرون معهم نوعيات فخمة من الملابس التى اشتروها من تجار جملة أو محلات تجزئة تابعة أيضاً للهاريديين فى الشتات (فى الخارج) ويقول الزوجات أنهما يزوران عائلتهما فى أوروبا فى كل صيف ويجمعان مصاريف الرحلة من الأرباح التى تعود عليهما من حصيلة بيع بعض المعاطف والفساتين بعد عودتهما وتقول الزوجة أن المشتريين يحددون نوعية البضاعة المطلوبة قبل السفر لذلك فإن عنصر المخاطرة غير موجود.

والأمور تسير على مايرام لأن الهاريديين - رجالاً ونساءً - يهتمون أكثر بالمظهر لذلك يرتدون ملابس أغلى مما يرتديه الآخرون فى حياتهم اليومية.

فالملابس الحقيقية والتي شيرت والسرراويل الفضفاضة، مرفوضه عند للرجال ومحظورة تماماً على النساء. وغير مسموح لهن على الإطلاق بارتداء البنطلونات حتى الواسعة منها (الباجى)، طبقاً لتفسير نص التوراة الذى يقول: «لا يكن متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب.. سفر التثنية وترتدى النساء الفساتين بشكل لا تفعل مثله باقى النساء حتى فى ملابس العمل يختلفن عن الأخريات وكذلك بقية الملابس فى الصيف والخريف. والفتيات غير المتزوجات بالذات يولين اهتماماً كبيراً للملابس وينفقن عليها الكثير.

وبإضافة إلى الانخفاض فى الأسعار عند البيع، والقروض الميسرة، تتميز مجتمعات الهاريديين بنظم دعم أخرى عديدة منها مثلاً أن نجد فى نشرات مطبوعة بالعبرية والإنجليزية أن هناك إمكانية لاستئجار بعض المعدات مجاناً وهى :

- ميكرفونات (للخطب والموسيقى فى الاحتفالات العائلية).
- أطباق السبت (لحفظ حرارة الأطعمة يوم السبت حيث يحرم الطهى).
- أحجار ياقوت (من أجل حمل صحن وولادة سهلة) وهى قائمة شعبية توضع حول العنق.
- طعام Arbes وهى عبارة عن حمص يؤكل كتقليد فى احتفال الأسرة بأول ليلة جمعة بعد ولادة الطفل الذكر.
- أعطية خاصة للوسائد التى يوضع الطفل عليها بعد الولادة.
- المزوزاه (Mezuzos) وهى حلقة صغيرة توضع داخل علبه من الخشب أو المعدن وتعلق على الباب.

- (سفر تواره) Sefer Torah وهي عبارة عن نص من التوراة منقوش بالريشة ويستخدم في التعبير وتتكلف الواحدة الجديدة منها أكثر من ٢٠ ألف دولار.
- الموائد والمقاعد (لاستخدام الأسر في مختلف المناسبات السعيدة والحزينة).
- أسرة وحضانات للأطفال، وروعى أيضاً إضافة أنواع على النمط البريطاني لخدمة مهاجرى بريطانيا دول الكومنولث.
- وجبات مجمدة (تقدم فى حالات المرض ولكبار السن والحالات الخاصة).
- أشرطة تسجيل (تتضمن موضوعات التوراة).
- فساتين الزفاف وملابس الأمهات.
- أدوية الأطفال والأغذية الخاصة بهم (وتصرف الأدوية بناءً على أوامر الطبيب فقط).
- قواطع متحركة (تستخدم لفصل الرجال عن النساء فى الاحتفالات العائلية والمناسبات العامة).
- وتضم كل قائمة الأسم والعنوان ورقم الهاتف الخاص بالأسرة التى تقدم هذه الخدمات.

وهذه المساعدات متاحة لكل الأفراد سواء كانوا من الهاريديين أم لا، وهذا من الناحية الشكلية فقط أما عملياً فإن معظم المتلقين لها فضلاً عن جميع المتطوعين والمساهمين من الهاريديين والسبب كما تقول السيدة سبرى بروهن هو «أن اليهود غير الشرقيين (غير أصوليين) لا يدركون مفهوم الـ g'mach وهذا ليس عدلاً- ليس فيما يتعلق باليهود فى الشتات، أصوليين أو غير أصوليين لأنهم يساعدون بعضهم بدرجة

عالية- لكن فى إسرائيل فإن مفهوم الثقافة الاجتماعية والتقاليد اليهودية لا تحظى باهتمام فى غير مجتمعات الهاريديين وهى ظاهرة سجلها علماء الاجتماع ويتأسس لها القادة فى إسرائيل.

وربما كان المواطن الإسرائيلى الواقع تحت ضغوط الأعباء الاقتصادية والواجبات العسكرية، وربما ليس لديه إلا وقت قليل للأعمال الإنسانية أو التطوعية.

وتحت النشرات الدعائية حول «المساعدات»، الأفراد سواء كانوا من المقيمين منذ فترة طويلة أو ممن وصلوا حديثاً، أن يبادروا بالتطوع لتقديم الخدمات أو التبرعات العينية، أو تقديم أموال (تسمى العُشْر) للمساعدة فى تمويل هذه البرامج والخدمات وتقول هذه النشرات: «إذا كنت تعرف أحداً محتاج فلا تتردد فى الاتصال بنا، نحن هنا لنساعدك. وشعارنا هو: (عندما تستطيع... يجب أن تعطى، وعندما تحتاج... يجب أن تطلب) وهذا هو العطاء المتبادل».

وتتعرض العديد من هذه المساعدات والمبيعات للهجوم على أساس أنها منح عائلية خاصة ترتبط برحيل بعض الأقارب وتكون غالباً من الميراث الذى كان يملكه المتوفى.

ومعظمها يظل فى نطاق محلى ضيق، وأحياناً تخرج من الإطار المحلى إلى نطاق أوسع وربما تصل إلى مشروعات على المستوى الوطنى وعلى سبيل المثال فمئذ بضعة سنوات استغل شاب هاريدي من القدس يسمى يورى لوبوليانسكى فكرة التمويل بقروض لا ترد فى مجال المعدات الطبية وأنشاء متجراً للكراسى المتحركة والعكازات وأجهزة قياس ضغط الدم وغيرها.

واليوم فإن مؤسسة «Yad Sarah» (حيث أطلق اسم والدته عليها) أصبحت واسعة الانتشار على المستوى الوطنى وتنفق ملايين الدولارات على مختلف المعدات

الطبية فى كل المدن الرئيسية، كما أنها تتلقى دعماً جزئياً من الحكومة للمساعدة فى خدمة المواطنين.

وقد اتجه لوبوليانسكى بالتالى إلى السياسة، وهو الآن نائب لعمدة القدس ممثلاً لحزب ديجل هاتواره وهناك فكرة هاريدية مبتكرة أخرى للمساعدة الذاتية وهى مؤسسة (الخلاص) التى أقيمت فى بروكلين، فى نيويورك، وهى لخدمات الأسعاف والطوارئ وتعتمد على المتطوعين وكثيرون فى نيويورك يتقدمون للانضمام لهذا المشروع وعادة ما يصل الفريق الخاص بها إلى مسرح الحدث قبل وصول سيارات الإسعاف النظامية بوقت طويل.

وقد تلقى مؤخراً مئآت من الهاريديين فى نيويورك ولندن وأخيراً فى عدة مدن إسرائيلية دورات متقدمة فى المساعدات الأولية بهدف الانضمام إلى مؤسسة (الخلاص) ونشغل الصحة وخيراً كبيراً من اهتمام الهاريديين كما يتنبون مجال الطب بشغف وتركيز.

ورغم أن العلاج التقليدى والسحر والتعاويذ لاتزال تستخدم حتى الآن.

فمثلاً أحد الهاريديين من القدس يعيش على تربية الحمام الذى يوضع على سرة من يعاونو «اليرقان» فتموت الطيور ويتحسن المريض فى الحال وهناك دلائل قوية على جدوى هذه الطريقة - إلا أن الطب الشعبى لا يحل أبداً عند الهاريديين محل العلاج العلمى الأفضل والأكثر تقدماً والمتاح على نحو أيسر.

وتواظب الصحافة الهاريدية على نقل أحدث ما ظهر فى مجال الطب وتفرد مساحات أكبر بكثير بالمقارنة بالصحف الأخرى لقضايا الصحة ويخصص الأخبار والحاخامات ساعات طويلة لتوعية الأفراد بمشكلاتهم الصحية.

ويوفر الوعاظ أيضاً الأموال للمرضى سواء بالاتصالات الشخصية أو من خلال المنظمات التطوعية.

ويقول مايكل جود فارب إن أكثر من نصف الصدقات التي يوزعها تذهب إلى عائلات تحتاج في الغالب إلى نفقات طبية.

فغالبا ما يحتاج المريض أن يسافر للخارج في حالة العمليات الجراحية المعقدة وتصل تكاليف الرحلة بالإضافة لمصاريف العلاج إلى أكثر من ١٠٠ ألف دولار.

وحتى النسبة للعائلات الثرية فإن هذا المبلغ يمثل مشكلة كبيرة وأحيانا تكون لدى المستشفيات الإسرائيلية القدرة على أداء الخدمة العلاجية المطلوبة لكن الحاحم ينصح المريض بالعلاج في الخارج، وفي هذه الحالات فإن السلطات الصحية الإسرائيلية ترفض تغطية أى جزء من النفقات لكن في حالات أخرى كثيرة كما يقول جود فارب فإن الأطباء المحليين هم أنفسهم الذين ينصحون بالعلاج في الخارج.

وبعض العمليات مثل زرع القلب لا تجرى في إسرائيل لذلك فإن جزءاً من تكاليف العملية يقع على عاتق المريض وأسرته ويقول فارب: «بالنسبة لى فإن توصية السلطات الصحية والكهنوتية هما الأساس، لذلك يجب أن أرى الملف الكامل الخاص بالمريض والخطاب الموجه من الطبيب المعالج إلى أو المستشفى الذى سيعالج المريض بالخارج».

ويتمتع جود فارب باتصالات طبية مع وكالات السفريات الهاريدية والتي ترتب السفريات للمرضى.

ولكنه لا يستطيع مع ذلك أن يقدم أكثر من ٥ أو ١٠ آلاف دولار للحالة الواحدة.

ولا يوجد العديد مثل جود قارب، لذلك نجد أن الصحف الهاريديّة ولوحات الإعلانات في المعابد في إسرائيل وخارجها تضم كشوف بالحالات الحرجة موقعة من قيادات الحاخامات وتحدد كيفية تقديم المعونات والتبرعات إليهم ويعتبر توقيع الحاخام شهادة بصدق المعلومات المذكورة.

الفصل الثالث

النصف الآخر

أحياناً نخبرنا لوحة الإعلانات قصة عائلية هاريدية، - لا يذكر أسمها - تعرضت لظروف صعبة نتيجة لموت مفاجئ لأحد أفرادها أو إفلاس تجارى.

ومرة أخرى أستجاب المجتمع لاحتياجات معروفين وضعوا توقيعاتهم كدليل على الصدق. ومن المعتاد أن يدق جرس الباب عدة مرات فى صباح الأحد فى منزل هاريدى متوسط المستوى فى نيويورك أو لوس أنجلوس أو جوها نسبرج أو ملبورن، حيث يقف فى كل مرة خارج الباب ميشولاخ (زبون) Meshulach ملتحي ويتوقع أن يستقبله أهل المنزل بحفاوة أو على الأقل بأدب واحترام فيدعونه للدخول وربما يقدمون له الشراب ومبلغاً غير قليل من المال.

وقد عانت تلك الحرفة من تقلبات الاقتصاد العالمى وهى تمر بحالة كساد من أواخر الثمانينيات.

ومن هذا الوقت أصبح أمر عاديًا أن يتجول رب الأسرة الهاريدى فى إسرائيل حول العالم ستجدياً فى كل مرة يبلغ فيها ابن أو أبنة سن الزواج.

وقد أدى هذا إلى سخط وتدمير فى أوساط الحاخامات وقيادات المدارس التلمودية (الياشيفا) ويرجع ذلك إلى هذا الاحتكاك الحتمى الذى يحدث بين هؤلاء الذين يسعون لخدمة أنفسهم وبين من ترسلهم المؤسسات التعليمية.

والخط الفاصل بينهما ليس واضحاً كما يبدو لأن مؤسسات المشيولاخيه أحياناً تأخذ ٥٠ أو ٦٠ أو حتى ٧٠٪ مما يأخذه الأفراد لأنفسهم، وهذا معروف تماماً للتطوعين والمتلقين أيضاً.

وفى مساء الأحد، يكون رب العائلة قد تلقى دعوة وضغط عليه بالحاح ليحضر عشاء سنوى فى المدرسة التلمودية أو لأى سبب آخر فى مجتمعه أو فى إسرائيل ونادراً ما يخرج بدون تبرع مكون من ٣ أرقام، ولو ظل فى البيت مساء الأحد أو منتصف الأسبوع فإنهم يتصلون به تليفونيا تم عن طريق حاخام معروف لن يقنع بأقل من ١٠٠ دولار وينتظر المزيد.

وكل هذا يأتى على رأس قائمة تضم رسوم المدرسة التلمودية للأطفال وواجبات عضوية المعبد، وقد يتجاوز هذا نسبة ١٠٪ من الدخل والمقررة من قبل نظام الحلاقاه لتخصص لأعمال الصدقة والإحسان وتتحدد مكانة الرجل الذى فى المجتمع الهارىدى بأعماله الإنسانية أكثر من ثروته، ما يشكل ضغوطاً اجتماعية تكون أحياناً عاملاً مساعداً فى التوسع الزائد فى العطاء والانخفاض وربما الانهيار فى الثروة الشخصية.

وتمتزج التقلبات فى مجال الأعمال مع حقيقة أن عدداً كبيراً من الهارىديين فى الشتات يختار تكوين ثروته من خلال مجالين تجاريين سريعى التغير وهما الماس والعقارات. وهما من أكثر المجالات تأثيراً بالتغيرات فى المناخ الاقتصادى كله فعندما ينشط الاقتصاد ويزدهر فإن تجارة الماس والمجوهرات سرعان ما تزدهر وكذلك أسعار العقارات التجارية والسكنية- تكون أول ما ترتفع أسعارها.

وعندما يحل الكساد، محلياً أو دولياً، فإن أول الضحايا هى تجارة الماس- لأن الناس حينئذ يكون لديهم القليل لينفقوه على الأحجار الكريمة سواء كهدايا أو استثمار- وسوق العقارات وتجارة الماس حرفه تقليدية يهودية منذ أن استقر اليهود الأسبان فى أمستردام فى القرن السادس عشر.

واليوم فإن التقديرات المعتدلة تشير إلى أن أكثر من ٧٠٪ من المتعاملين والوسطاء فى المراكز التجارية الرئيسية فى العالم (لندن/ لوس أنجلوس/ نيويورك/ تل أبيب) هم

من اليهود وشهرة اليهود فى مجال العقارات أكثر من مجرد تطور فى تاريخ الشتات ففى أوروبا الشرقية كان أملاك اليهود للأراضى نادراً بل كان فى بعض المناطق أحياناً محرم من قبل الكنيسة أو السلطات المدنية.

وشهرة الهاريديين فى هذا المجال فى أوروبا وأمريكا الشمالية تعكس إلى حد كبير فجوة الثراء بين قطاعات كبيرة من اليهود الغربيين والشرقيين والذين من بينهم معظم الهاريديين والذين وصلت عائلاتهم فى منتصف القرن الماضى إلى تلك المناطق.

ويعتبر عائلة ريتشمان مثلاً على ذلك، فهذه العائلة التى اعتبرت فى عام ١٩٨٩- وفقاً للإيكونوميست- أكبر مالكة للأسهم والأوراق المالية فى العالم، قد وصلت إلى كندا فى الخمسينيات قادمة من طنجة فى المغرب بعد أن فر الأب من فينيا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة.

وطبقاً للصنداي تايمز فإن أكبر مالك للعقارات فى عام ١٩٩٠ هو سيزموند ريرجر وهو حاسيدى لا يحب الشهرة. وقد وضعته الصنداي تايمز فى ترتيب الخامس والعشرين بين أغنى الأشخاص فى بريطانيا وجاء المطرب المشهور بول مكارتنى مباشرة.

وهاريدي آخر من بارونات الممتلكات السكنية وضع فى قائمة الصنداي تايمز وهو ينزيون فريشواتر والذى وصل أبوه كلاجى بولندى فى بريطانيا قبل نشوب الحرب الثاية بثلاثة أيام.

وقد بدأ عمله كتاجر منسوجات ثم أتجه للعمل بالعقارات وفى أوئل السبعينيات أصبح صاحب أكبر ملكية أراضى فى لندن.

وهكذا كان مجال العقارات هو النموذج الأمثل لتحقيق ثراء سريع فى السبعينيات والثمانينيات.

ولم تكن كل حالات التضخم فى الثروة مصحوبة بسمعة أخلاقية موازية لها، إذا يشير الناس إلى أولئك المدانين فى جرائم اقتصادية من اليهود، ويعانى كثير من اليهود من وره الاتهامات التى توجه لهم بشأن الأمور المالية.

من المؤكد أن هناك كثيراً من رجال الأعمال اليهود ونسبة عالية منهم من الهاريديين، وبعضهم لا يخرج عن حدود الأمانة بينما يتجاوزها البعض دونما لم وفى تأنيب الضمير.

ولكن لا توجد إحصائيات تدل على أن اليهود يفعلون أكثر مما يفعل الآخرون فى مجال الأعمال على مستوى العالم ولا يوجد كذلك ما يثبت أن الهاريديين أسوأ- أو أفضل- من الآخرين. (يلاحظ أن العديد ممن أدينوا فى فضائح تجارية داخلية فى نيويورك ولندن خلال ٨٩- ١٩٩٠ كانوا يهودا، وإن لم يكونوا هاريديين) ويرى بعض- من دارسى حياة الهاريديين أن مؤسساتهم لا تحظى باحترام على نطاق واسع.

أما رجال الأعمال الهاريديين، فى تعاملاتهم مع الآخرين سواء كانوا يهوداً أو غير يهود، يرون أن الوضع هكذا يعتبر عادلاً. ويقول أحد المصادر فى مجال البنوك أنه بينما يستهزئ بعض الهاريديين بالقانون بلا خجل، فإن معظمهم ليسوا أكثر جشعاً من باقى التجار، لكن نقص التعليم وشعورهم بالاغتراب عن المجتمع المحيط بهم يجعل التهرب الضريبى منتشر بينهم ويزيد جهلهم من احتمالات الإيقاع بهم.

ومعظم الهاريديون على كل المستويات يعلنون افتخارهم بالسمعة الطيبة والإسم العالمى الذى حققته عائلة ريتشمان .

وقد كتبت صحيفة اكونتنى التى يصدرها معهد شارترد Chartered للمحاسبة فى إنجلترا وويلز أنهم من أصحاب أعمال النموذجيين مثلما هم ممتازين فى أخلاقياتهم.

وأكثر من ذلك، إن الأخوة الثلاثة بول، ألبرت، رالف (ولهم أخ رابع يعيش فى إسرائيل وليس شريكاً لهم فى شركتهم أولبيا أندبورك) هؤلاء الأخوة عاشوا فى ضواحي ثورنتو حياة متقشفة.

كان أحد الصيادين يهدد بأن يقيم دعوى ضد أسس التفرقة الدينية إذا ما منع من ذلك. وتساءل: «لماذا يجب عليه أن يضع ركنيزة السلم على الحشائش؟ أليس بإمكانه أن يجعلها تستند إلى الأشجار؟ سأخبرك إنهم يقومون بجولة هنا.

عموماً، بالرغم من أن روح الصيف هى الانطلاق ويبدو أنها تشمل كل فرد فى Catskills، فإن اليهود وغير اليهود يتساوون فى ذلك.

فى أمسيات أيام الأحد، وبعد انتهاء السبت يعج منحدر الهاريديين الضخم بجماهير مبتهجة من صانعى الأجازات والسكان المحليين.

الحسيديون فى ملابسهم البيكشيس الحريرية يتسابقون مع شباب أسود، وشقراوات يرتدين سراويل قصيرة ويلعبون على موائد مشتركة، ويميلون معاً ويتدافعون على مضمار سباق الخيل، ويصطفون أمام الآيس كريم والكعك.

مثل هذه الأماكن، المخصصة للبهجة والتسلية، بالمدينة محظور دخولها على الهاريديين المحترمين، بل إن البعض منهم لا يسمح لأطفاله المراهقين بارتياح محلات البيترزا.

فى الجبال، تكون القيود أقل تشدداً. العديد من الزيجات التى نشأت فى المدينة بنظرة فإبتسامة ثم تبادل التعارف بخجل فى مقهى (وود بورش)، أو فى جو مرح

وانطلاق حيث تبدى إعجابها به بثبات وصراحة.

بالطبع، ليس كل الهاريديين يلتزمون بالقواعد والمعايير التي يضعها حاخاماتهم وزعمائهم الروحيين.

الكثيرون من أمثال باروخ بارك الحريدي وزوجته، بمجرد زواجهم فإن المنظور الـ Shidduch لم يعد يُمس، وهم متواجدون على موائد القمار وعجلات الدوليت بمدينة Atlantic City في مساء السبت، أو يتريضان سوياً على شاطئ فلوريدا.

إن الصراع مع الميول الشريرة، كما يحددها الحاخامات، هو صراع مستمر طوال الحياة.

أما بالنسبة للشباب في معسكراتهم الصيفية، فإن الرياضة جزء رئيسي من البرنامج.

وينطلق أفراد المعسكر بين ملاعب البيسبول بجرون ويقذفون الكرة ويتأرجحون بحوية وأنطلاق، أو يلعبون الكرة الطائرة مثلما يفعل الشباب الأمريكي.

وحتى الفتيات، في معسكراتهن المنفصلة عن الشباب، بملايسهن المحتشمة ليمارسن لعبة الكرة الطائرة المنشطة.

هناك إختلافات دقيقة لكن يمكن تمييزها، بين قطاعات الهاريديين المختلفة، العديد منهم يديرون معسكراتهم بأنفسهم.

الأولاد الحريديون، لآباء غير حسدين، سوف يرتدون الملابس الرياضية الملائمة.

الحريديون العاديون، مثل بوبوفرز، لن يرتدوا الشورتات والتي شيرت، لكنهم سيلعبون وهم يرتدون ملابسهم الطويلة.

أما الجيررز الأكثر تشدداً يلعبون وهم مرتدون معاطفهم السوداء الطويلة فيما يبدو أنه لا ينقص من تعصبهم وحماسهم.

ستامررز، المغالون في محافظتهم، والمجموعات المتحالفة الذين من أصل بلغاري، وهم فقط الذين يتجنبون الرياضة بمجرد أن تصل الفتيات إلى سن الثانية عشر والأولاد إلى سن الثلاثين، وهى السن، التى يراها الهالاخاه، بداية البلوغ.

المفارقة، أن المنافسة الرياضية بإسرائيل تلقى عبوساً في أوساط الهاريديين، وقد ربط الحاخام شاش، في خطبة ألقاها عام ١٩٨٩، بين الرياضة والانتحار. وضرب أمثلة لمستمعيه بأولئك الرياضيين الذى يطلقون النار على أنفسهم لأنهم خسروا المباراة. ويتساءل: «ما المتعة التى من الممكن أن يحصل عليها الرياضيون من المباراة نفسها؟» بعد كل ذلك، مجرد انتصار يعطيهم الرضا والسعادة. وفي سبيل ذلك الإشباع هم مستعدون أن يسحقوا ويقتلوا وإن لم يحققوا هدفهم فلا متعة لديهم في هذه الحياة على الإطلاق. من ذلك يمكننا أن نرى إلى أى حد يجب أن نتأى بأنفسنا مستندين بقوة إلى الثقة في حكمتنا العظيمة.

لكن هذه النصائح لا تلقى أذاناً صاغية بقدر ما يهتم الحريديون الأمريكيون. الرياضة مثل كل الجوانب المفسدة في الروح الأمريكيه التى أخترت العالم المحمى للهاريديين.

حتى في إسرائيل، وبالرغم من ذلك، انطلقت أنواع جديدة في السنوات الأخيرة مع أفتتاح منتزهات مائية (بالطبع هناك فصل بين الجنسين) خاصة للهاريديين. وقد حظى ذلك بدعم قيادة الحاخامات.

وتخصص إسرائيل شواطئ للرجال وأخرى للنساء في العديد من منتجعاتها

الساحلية، وذلك ليستخدمها الحريديون. السباحة ورياضات الماء تخطى بترحيب حاخامات الهاريديين الإسرائيليين أكثر مما يرحبون بالتنس أو كرة السلة.

ربما يعتبر المرح تحت الماء مجرد أمتداد ميل مغناطيس الذى يعد نشاطاً صحياً وروحياً وفيزيقياً.

والذى يمارسه كثير من الهاريديين، خاصة الحسيديين، يومياً أو على الأقل أسبوعياً.

وبعض الـ Mikves تقدم حمامات تركية ويقضى أفكيندوس ساعات فى التدليك وحمامات البخار والأسترخا.

والسباحة أيضاً تتم فقط عندما يكون أحد الجنسين غير موجود، حيث أنه من غير الممكن حدوث أى اختلاط بين الجنسين الأمر الذى يمنعه الحاخامات بشدة خصوصاً بين من هم فى سن العاشرة وما فوقها من طلبة المدارس التلمودية وطلبة المدارس الثانوية.

فيمكن للفتيات (أو الأولاد) التجول فى ملاعب الكرة أو التنس لكن لا يمكن دخول حمام السباحة فى الأوقات المخصصة للجنس الآخر وأى تدل علامة على الشذوذ الجنىسى تواجه باستبعاد القائمة بها من قبل لجنة الأمن الداخلى أو أى من الإداريين، وهذه الحوادث العرضية نادرة جداً بين الهاريديين فالعلاقات الجنسية تعتبر خطيئة كبيرة فى نظام الحلاقاه.

وأدى النجاح الذى حققته مستعمرات الدور الواحد عبر السنين إلى أقتناع الزعماء الهاريديين الأمريكيين بالخروج من المدن المزدهمة كبديل جيد لمجتمعاتهم.

والانجاء نحو الضواحي لا يعنى بالضرورة إضعاف الروابط المجتمعية والثقافية إذا

ما تحركت مجموعة مع بعضها وحملت معها مؤسساتها الدينية والتعليمية إلى الموقع الجديد.

كما يقدم الانتقال إلى الضواحي حلاً لمشكلات المساكن في الأحياء الهاريدية التقليدية.

ففى وليا مزيرج بيروكلين فالسمبرج وهى منطقة غير جذابة تقع على النهر فى الجانب الشرقى من مدينة مانهامشن ينمو الإعمار السكانى للهاريديين وإن كانت هناك بعض الشكوى من التمييز فى المعاملة.

وكان الستامررز من بين الأوائل الذين دخلوا الحلبة منذ ٢٥ سنة، حيث أقاموا Colony (بيتا للمغتربين) فى مدينة مونرو، على مسافة ساعة تقريباً بالسيارة من المدينة ومجموعات أخرى من الهاريديين أختارت مدينة مونسى وهى أيضاً مكان ريفى للمبيت فيه يقع فى شمال نيويورك وهو يرأس قسماً صغيراً ولكنه متماسك، كون قريته الموحدة الخاصة به (فى الميدان الجديد) فى ضواحي مدينة مونسى، وأميد Amid، يحكم أرض الزراعة والغابة هذه المجموعات هى التى خلقت تقريباً التجسيد العملى للشنتل اليهودى الأوروبى ولكن المستقر فى ضاحية أمريكية.

[شنتل Shtetl وتضم هذه الشنتلات منافذ للتسوق ومحطات الوقود، والطرق السريعة كجزء من المشهد الكامل للمدينة الريفية الجميلة. وفى المنزل تجدد ربة المنزل وهى تقرأ (تعالى وأنظر) وهى مجموعة اشعار يديشية من قصص الكتاب المقدس.

والمجتمعات الهاريدية الريفية تتسع بسرعة أكثر وأكثر والجيران المحليين، اليهود والأغيار، لا يستقبلون دائماً بالعائلات الهاريدية الكبيرة الصاخبة بالأحضان، كما أن هناك اشتباكات تحدث بشكل دورى كنتيجة لاصطدامهم بالقيم الخاصة بهؤلاء الجيران.

الفصل الرابع

مكانة المرأة

إن مشكلة الإسكان فى «مجتمع الدارسين» بإسرائيل لا مثيل لها لأن العديد من الهاريديين يتعلمون ولا يعلمون. وعن هذه الأزمة يقول «حاييم إسحق كوهين»، المدير التنفيذى لـ Sadagora الهاريدية، «الأزمة ليست بعيدة عنا إنها الآن.. الناس لا يجدون مكاناً يقيمون فيه» والعثور على مسكن أمر شاق على المواطن الإسرائيلى العادى. فالإيجارات مرتفعة ومرهقه جداً مما يدفع المواطنين إلى شراء منازلهم فيلجأون إلى الاقتراض والرهن ليسددوا ثمن هذه المنازل. ومن ناحية أخرى تراجع بناء المساكن بينما إزداد الطلب عليها، فارتفعت بالتالى أسعارها إلى أرقام فلكية، خاصةً عند مقارنتها بالمرتبات المنخفضة وضرائب الدخل المرتفعة السائدة فى إسرائيل.

وقد ساعد موجات الهجرة الجماعية السوفيتية، خلال عامى ٩٠ - ١٩٩١، على زيادة الوضع بؤساً وقهوطاً. عما كانت عليه، مع ملاحظة أن المواطن الإسرائيلى العادى لايعول سبعة أو ثمانية أطفال، ومسئول عن تزويجهم، كما هو الحال عند الهاريديين، مما يعنى أن قدر الجميع أن يعيش الأزمة. (وإن كانوا جميعاً يأملون أن يكون لديهم عدد كبير من الأطفال).

حتى ربيع ١٩٩٢، عندما إنهارت أوليمبيا بورك كان صندوق ريتشمان قد ساعد كل حديثى الزواج من الهاريديين. ويشترط الصندوق أن يكون العريس مسجلاً فى الكوليل. ويقدم الصندوق نحو ١٢ ألف دولار فى صورة رهن بالإضافة إلى قرض ميسر قدره ٣ آلاف دولار لتغطية تكاليف الأثاثات الضرورية للمنزل. ويسدد القرض بدون فوائد على عشر سنوات ولا تكفى هذه المبالغ لشراء شقة.

يقول الصحفي «متشا أودينهيمر» من القدس: «ومن المعتاد أن يتأقلم الأزواج وأبنائهما على العيشة فى حجرتين وصالة، ولكن المتاعب الحقيقية تبدأ عندما يصل واحد من هؤلاء الأطفال إلى سن الزواج حيث تكاليف الزواج فى كثير من مجتمعات الهاريديّة تصل اليوم إلى ٤٠ ألف دولار. وهو المبلغ الذى يغطى تكاليف الزفاف «وتأثيث الشقة» هنا يبرز السؤال: من أين يأتى أب، أمضى معظم حياته يدرس فى الياشيفاه أو الكوليل، بهذا المبلغ من المال كل عام أو عامين حتى يزوج أولاده.

كتبت صحيفة هاموديا الهاريديّة فى عام ١٩٩٠ تلفت الأنظار إلى الظاهرة المفزعة المنتشرة بين شباب الهاريديين وهى سقوطهم صرعى بسبب الأزمات القلبية التى ترجعها الصحيفة إلى أعباء الزواج المادية المرتفعة.

وتتسأل الصحيفة: «ماذا يحدث لنا؟! الرجال فى ربيع حياتهم يسقطون تحت «عبء» تزويج أبنائهم.. إنها لتضحيات باهظة على «مذبح» الزواج. فالرجال يحتضرون من الجهد الذى يبذلونه حتى لا يزحف المشيب على بناتهم ويصبحن عانسات.

تمس مشكلة الإسكان جوهر حياة الهاريديين.. وهو شكل الزواج. والسكن مع الأسرة حلاً على المدى البعيد، ولا حتى على المدى المتوسط، فالقوانين تتعامل بتشدد مع موضوع العلاقة بين الجنسين. فلا يمكن للزوجة وحماها أن يسكنا نفس الحجرة بمفرديهما. وبسبب الضغوط الواقعية الأخرى، مثل مساحة الشقة، فإنه من الصعب أن يأتى أقارب فرد من الأسرة للإقامة معه.

وليس الحل هو تأخير الزواج بالطبع، وهو ما حدث فى مجتمعات أخرى تواجه نفس المشكلات الاقتصادية، لأن الزواج حق وواجب فى المجتمع الهاريدي.

ويهدف التعليم عند الهاريديين بأن يسمو بالإنسان فوق أندفاع الرغبة الجنسية لدى من لم يتزوج بعد. ويتعطش المجتمع الهاريدي إلى زواج الشباب مبكراً كلما أمكن. إن المرأة الهاريدي التي تبلغ الثانية والعشرين دون زواج فإنها تعتبر حتماً «على الرف» وتهامس الناس متساءلين: «ما الأمر؟ وما هو الخطأ فيها؟».

لكن الزواج المبكر يثير مشكلة الإسكان لأنه يعنى قصر الفترة بين نشوء جيلين ويدخل الأبناء الجدد إلى سوق الإسكان بأسرع مما هو فى قطاعات أخرى بالمجتمع.

هنا عامل آخر يلعب دوراً فى مشكلة الإسكان وهو إصرار الهاريديين على العيش فى مدنهم أو ضواحيهم مما يرفع أسعار الشقق فى هذه الأماكن. فالشقة فى مدينه بنى باراك الهاريدي تتكلف أكثر مما يتكلف مسكن مشابه فى أى من المدن التابعة الأخرى المحيطة بتل أبيب. وكذلك فإن شقة، فى أحد الضواحي المقصورة على الهاريديين بشمال القدس ويسعى زعماء الهاريديين فى إسرائيل إلى مواجهة هذا الجانب من المشكلة بالبدء فى كل مشروعات الإسكان الخاصة بالهاريديين، فى المدن والقرى، وينصح، الهاريديون، أتباعهم بالإقامة فى هذه المساكن.

(نشأت إحدى هذه المدن الهاريدي إمانويل فى الضفة الغربية المحتلة، فى حين بُنى أخرى بيتار فى جنوب القدس مباشرة. لكن بصفة عامة فإن الهاريديين يرفضون أن ينتهزوا فرص الإسكان المدعومة التى قدمتها حكومة الليكود للمستوطنين فى الأراضى المحتلة.)

يقف وراء تلك المحاولات بتوزيع السكان واصدار والتشريعات الإجتماعى لمواجهة ضغوط السوق الحاخام سيمانشابونيم التري، وهو حاخام حاسيدى (١٨٨٧ - ١٩٩٢) وقد أجبر شباب الحاريديين، الرافضين للسكن بعيداً عن بنى باراك والقدس، على السكن فى أشدود على الساحل، وفى هاتزار بالجليل وفى أرار بمرتفعات جودين المجدة

وكانت. هذه المناطق نادراً ما ترى شخصاً هاريدياً حتى بدأ العمل بها فجاء العمال ومديرو المشروع والبلدوزرات وخلطات الأسمنت.. ثم جاءت العائلات والأطفال وأخيراً تم بناء «الكنيس» اليهودى والياشيفاه.. لتستكمل بذلك مقومات مجتمعات الهاريديين المعزولة والمطبوعة بطابعهم الخاص فى الحياة.

واتبعت طوائف Belter الحسىدى، Breslevers، Vishnitzer وآخرون وبعض مجموعات الميتناجديين هذا الاسلوب بنوء مدنهم [كريات (Krayot)] ذات التجمعات السكنية فى المناطق النامية حيث يمكن للعائلات الشابه أن تجد المساكن بأسعار معقولة نسبياً بمساعدة القروض الحكومية الميسرة ووضع، الحاخام التتر، خطة العمل الطائفية بالتحريم الواضح الجلى، على حديثى الزواج شراء المساكن فى القدس أو بنى باراك، خلال السنوات الخمس الأولى من زواجهم.

وتولى هذا الزعيم المبدع، مهام منصبه عام ١٩٧٧، وعمره يناهز الثمانين عاماً، ونجح فى ضغط الإستهلاك لسلع أخرى. فعلى سبيل المثال. أعلن التتر، قبل سوكون (Sukkot) بفترة قصيرة، أنه يمكن للمجتمع أن يكتفى بواحدة من المجموعات الأربعة (الموالح، أفرع النخيل، أفرع الريحان، أفرع الصفصاف: وهى التى تستخدم فى الاحتفالات الدينية، وهى تلك التى أوردها العهد القديم فى سفر الاووين «وتاخذون لأنفسكم فى اليوم الأول ثمر اشجار بهجة وسعف النخل واغصان اشجار غيباء وصفصاف الوادى وتزحون امام الرب الهكم سبعة أيام»: يدفع كل حاسىدى أسعاراً باهظة وقد انخفضت الأسعار على الفور بعد أن كانت قد وصلت إلى ١٠٠ دولار لتلك المجموعات).

وتنص تعليمات الحاخام التتر على وضع حد أقصى لعدد الضيوف فى حفلات الزفاف أو الاحتفال بوصول الأطفال لسن الرشد، بل وتحدد تلك التعليمات أنواع

الطعام التى تُقدم للمدعوين. وهناك قواعد تحكم حتى أنواع الأواني الخزفية التى قد يستخدمها الحسيديون فى المطابخ والحمامات.

لكن كل ذلك ماهو إلا محاولات علاج منفصله نادراً ما تحمى المجتمع الهاريدى، بينما الضغوط الاقتصادية والديموغرافية تزداد باستمرار. بالإضافة إلى أن تلك الإجهادات لم تلتفت إلى تهديد خطر لجوهر الفكرة الاجتماعية للزواج نتيجة الظروف الاقتصادية للهاريدين ألا وهو التناقض الحاديين نمط الحياة لكل من الزوج والزوجة.

لم يعد فى استطاعة الشابات الهاريديات، وهن المسئولات عن إعادة أطفالهن بصفة رئيسية، مواصلة العمل فى سلك التدريس مثلما كن يفعلن منذ عقد أو عقدين مضياً. هناك الآن عدد كبير من الفتيات يتخرجن من الحلقات الدراسية لتدريب المدرسين الهاريدين، ولا يوجد بالمقابل وظائف تدريسية كافية لشغلها فى المدارس الهاريدية. نتيجة لذلك فإن النساء الهاريديات يتجهن للحلقات الدراسية الخاصة بمجالات الكمبيوتر والرسم والحياسة وأعمال المكتبات. لكن لا يمكن أن تتوافر لكل الخريجات وظائف فى شركات أو مؤسسات هاريدية. ومن ثم فإن كثيرات منهن ينتهى بهن المطاف فى أماكن عمل غير هاريدية.

ويتوقع علماء الاجتماع أمثال مناحم فريدمان أن يؤدى ارتفاع مستوى تعليم الزوجة، بالإضافة إلى خبرتها اليومية فى العالم الخارجى، إلى تمزيق روابط الأسرة الهاريدية. إن معدلات الطلاق بين الهاريدين فى إزدیاد مستمر (وإن كانت لاتزال أقل من مثيلتها فى المجتمعات الأخرى) ويشير فريدمان إلى أن هذا الارتفاع معدلات الطلاق يعكس الضغوط والتحديات التى يتعرض لها الزواج الهاريدى. ويلاحظ أن «معظم حالات الطلاق فى المجتمعات الهاريدية تبدأ من النساء». يواجه الأزواج مشكلة

بطالة مشابهة وخائفة. فقليل من الطلاب فى الكوليل يستطيعون أن يتحول إلى محاضرين فى الناشيفاه أو حاخامات، أو حتى مدرسين فى الياشيفاه. الصغرى ولا يوجد فى هذه الوظائف ما يكفى لأعدادالكثير من الخريجين. وعلى أية حال فليس كل رجال الكوليل (Kollel) مؤهلين لشغلها. فضلاً عن ذلك فإن الأزواج ليس لهم حرية الاختيار لدراسة الكمبيوتر أو الرسم: فإنهم لو فعلوا لكان عليهم أن يلتحقوا بخدمة الجيش (التحدى القانونى الصارم) لكن من الناحية العملية فإن بعض رجال الكوليل يعملون بعض الوقت بصورة غير رسمية فيما يسمى «الاقتصاد الفرعى غير الرسمى» والذي يزدهر فى أوساط المجتمع الهارىدى.

فى عدد من العائلات، بينما تتقدم الزوجة فى عملها بمركز كومبيوتر أو وكالة إعلان فإن الزوج يظل قانعاً كعضو عادى مُجد فى الكوليل، يتلقى أجراً زهيداً ويحدوه أمل متواضع فى الترقية إلى وظيفة فى التدريس أو الحاخامية.

فضلاً عن التباين الحاد بين الزوجين من حيث الاشباع الوظيفى واكتساب النفوذ، فإن الوجود المزدوج للزوجة، كأمرأة عاملة محترفة فى العالم غير الهارىدى، وكإمرأة بالمجتمع الهارىدى، يؤثر سلباً على حياتها فى المجالين.

فى العمل.. نجدها سعيدة.. تمزح مع الآخرين (رجال غير هارىديين) فى اتصالها الحر معهم فتقول النكت وتضحك وتناديهم بأسمائهم الأولى وتستخدم اللغة العامية بمفرداتها الجديدة. أما فى المنزل فهى محتشمة منكفئة على نفسها. ولو زارهم أحداً من أصدقاء زوجها فى المنزل فإنها تحييه سريعاً بعيون تتجنب النظر إليه ثم تنسحب إلى المطبخ.

هذه هى الحالة فى بيوت الهارىديين وأقل منها بين الميتناجديين. لكن الفجوة بأقل عند الهارىديين.

ولا يرد بتفكير الحسيدين أن يلتقى الزوجان مساءً فى لقاء عائلى، أما بين الميئناجديين فإن ذلك نادر جداً.

وفى مجتمعات الشتات، نجد القواعد فى كلا الجانبين ليست جامدة تماماً كما هو الحال فى المجموعات المماثلة فى إسرائيل. لكن الفجوة بين إسرائيل ومجتمع الشتات تقل أيضاً. بينما ينبعث تأثير الحاخامات المتشددى فى بنى باراك خلال العالم الهارىدى .

الزوج الهارىدى فى «الكوليل» عكس زوجته العاملة، لديه القليل من الأسباب للإتصال اليومى مع العالم غير الهارىدى وهو غير لبق فى المناسبات التى يحضرها عندما يتعذر عليه تجنبها. ويجب عليه أن يتجنب محادثة أمنية الصندوق فى البنك أو السكرتيرة فى العيادة الطبية... وبالقطع لا يود أن يسمعه أحد وهو يتحدث بلا كلفة معها.. لذلك فإن معظم البنوك الإسرائيلية تحاول ألا تضع شابة فى وظيفة أمينة صندوق بفروعها الموجودة فى أحياء. الهارىديين الكوليل الزوجة من مكتبها، كيف يتقاسمان خبرتهما اليومية؟ هل التناقض فى حياة الزوجة يبعدها عن زوجها وعن القيم المشتركة بينهما؟.

ويجب على هذا السؤال حاخام مجتمع الحاسدين بمدينة أَراد، وهى مدينة تقع جنوبى إسرائيل، قائلاً: «نعم».

وقد أصدر هذا الحاخام مرسوماً يحرم على النساء العمل فى المؤسسات والشركات غير الهارىدية لكن أَراد مدينة كبيرة وغير هارىدية مما يعنى أن النساء، طبقاً لهذا المرسوم، عليهن أن السفر بعيداً ليجدن عملاً أو قد لا يجدن عملاً (أو لا يعيشن فى أَراد) ولو طبقت هذه الوثيقة فى مجتمع الهارىديين لانهار البناء الإقتصادى لمجتمع الدارسين كله.

يؤكد معظم الحاخامات الهاريديين أنه من المقبول، نظرياً، أن تخلق تلك التباينات إجهاداً أو ضغطاً زوجية لكن على الأقل لا توجد دلائل مادية على ذلك. ويقولون أن البناء، لا ينفرد من أزواجهن ولا يشعرن بأن هناك تناقص في حياتهن.

ويقول الحاخام دافيد ريفسون، عميد «نيف أورشليم» مندهش أن ذلك لا يحدث. ولو حدث فإننى سأعرف به وأعتقد أن ذلك ضريبة يدفعها الناس مقابل مستوى التعليم الذى تلقوه.

إن كثيراً من بواعث الفخر بنجاح المجتمع يعود إلى نظام التعليم. البنات متشربات منذ السن المبكرة بالاعتقاد بأن تعليم التوراة هو أسمى هدف للرجال، وأن مهمتهن فى الحياة هى العمل على تحقيقه وذلك بمساعدة أزواجهن وأبنائهن أن يهيوا أنفسهم لهذه الغاية وقد تعلمن أن التعليم يقوم على الرضا بالنفس والفضيلة والتكامل وإذا لم يصبح زوج إحدهن محاضراً فى الياشيفا فإن ذلك لا يعنى أنه فاشل سواء فى نظر الرب أو فى عيني زوجته.

البنات أيضاً متشربات، لمشاعر ومفاهيم معادية تجاه غير الهاريديين فإنهم أقل قيمة من الناحية الدينية، عن الهاريديين فالإحسان إلى رجل البريد أو الكهربائى أمر طيب إلا إذا كان يرتدى قلنسوه وملتحياً فإن ذلك ممنوع الجلوس أمام رجل غير هاريدى بالأتويس أمر مقبول بينما الجلوس أقام رجل هاريدى فأمر واجب الإجتنب مثل هذه المحادثات المتحررة مع غير الهاريديين فى العمل لا تصادم مع القيود التى تعيش فى ظلها المرأة الهاريدية فى بيئتها الاجتماعية.

وهناك عنصر هام يفسر لنا هذه التناقضات وهو نظرة الهاريديين للآخرين، وهى تتشابه مع نظرة اليهود إلى غير اليهود فعلى سبيل المثال تقع الهالاشاه غير اليهود فى مرتبة أقل من اليهود.

فالمراة المتزوجة، مثلاً، لاتتهم بالزنا، فى تقديرات الهالاشاه المتشددة، إذا مارست الجنس مع رجل غير يهودى. ويطبق الهاريديون معايير مزدوجة مشابهة وذلك مع اليهود غير الهاريديين الذين قد يجدون ذلك أمراً مشوشاً بينما لا يراه الهاريديون كذلك.

وتشرح إمراة هاريدية ذلك بقولها: «أستطيع أن أتحدث إليك بحرية تامة لأنك لست مثلاً بالطبع، فإن النظرية ليست دائماً قابلة للتطبيق العملى لا بالنسبة لغير اليهود ولا لغير الهاريديين.

ينجح اسحق باشيفر سنجر فى روايته المعروفة قبل مذبحة اليهود فى أوروبا فى أن يصور الاضطراب الداخلى لدى نساء الهاريديين اللائى لم تستطعن أن تعشن فى ظل هذه القواعد، وفشلن فى أن يخضعن عواطفهن ومشاعرهن للقلب الإجتماعى المطلوب. كما تشهد مجتمعات الهاريديين أيضاً أولئك الذين فشلوا فى أن يستمروا ويتواصلوا مع تلك المعايير المزدوجة ويقعون فى غرام شخص من منزلة أدنى .

وبالرغم من ذلك إلا أن واسعى الإطلاع لشؤون المجتمع يقولون أن معظم حالات الخيانة الزوجية داخل المجتمع تقع بين أطراف هاريدية أكثر مما هى بين هاريدى وغير هاريدى. وغالباً ما يحدث استهجان ذلك فى كل لحظه ولكن بصوت هامس .

بينما لا يوجد هاريدى واحد من واسعى الإطلاع لديه الاستعداد أن يعترف علناً بالتشويش وعدم التناسق الذى يسود نظام زواج الهاريديين، كتهديد للمجتمع، إلا أن الكثير من المفكرين والمتحدثين يتكلمون بحرية عن الضغوط الاقتصادية، وخاصة أزمة الاسكان، بتعبيرات صريحة، ويتنبأ البعض بأن ينشأ مدخل عقائدى جديد أكثر واقعيه خاص بالخدمة العسكرية فهناك هاريديون كثيرون مجبرون أن ينكروا فى ترك الكوليل لكسب العيش. ويقول الحاخام يوسف باكسبوم رئيس دارنشر ماتشان أورشليم:

«أرد ألا يحدث ذلك فى حياة الحاخام شاس لكن ذلك وشيك الوقوع. لقد وصلنا إلى المرحلة التى يتطلع فيها الجيل الثالث من أبناء التوراه إلى تزويج أبنائهم. ولاتوجد أموال متبقية لدى العائلات فضلاً عن أن الكساد فى أمريكا قلل من حجم المساعدات عن المستوى المعتاد .

ويحلل باكسوم الموضوع وفق اعتبارات سياسية أيضاً ويقول: «هناك العديد جداً منا... الدولة لن تسمح بالاعفاء من الخدمة العسكرية للأبد ومن المحمل أن تتغير الديموغرافيا السياسية بقدم فريد من اليهود السوفيته فالأحزاب الهاريدية ولكنها أن تفرض إرادتها للنهية».

ويتنبأ باكسبوم بصيغة من الترتيبات للشباب الهاريدى الذين يرغبون فى ترك الياشيفا: «إنهم سيؤدون خدمتهم العسكرية فى وحدات هاريدية لمدى أقل من ثلاث سنوات [وهى المدة القانونية] ثم ينطلقون للعمل .

ويلاحظ باكسبوم أن بعضاً من الحاخامات الهاريديين يرون المستقبل بطريقة مشابهة لكنهم يرفضون الجهر بأرائهم .

ويتفق الحاخام ريفسون فى أن ذلك هو المستقبل المرتقب لكنه يعتقد أن هذا الاتجاه يمكن ادراكه وملاحظته بالفعل، ويقول: «منذ خمس سنوات كان اصدقائى يرسلون كل أطفالهم إلى الكويل كقضية مفروغ منها. أما الآن فإنهم يختارون من الأولاد يجب أن يبقى فى التعليم بينما يترك الآخرون الكويل فى آخر الأمر ليشقوا طريقهم فى مكان آخر يتجه الشباب إلى وظائف الخدمات مع ازدياد القابلية للعمل .

على سبيل المثال فإن المخطوطات الدينية «Safuss» تصبح أكثر شعبية بينما مخزون Sifreitarah* (وهي أوراق التوراه التي أنقذت من الإبادة) تتناقص وترتفع أسعار الكتابات الحديثة .

الحاخام ريفسون هو نفسه كشاف مواهب بين رجال الكوليل الإسرائيليين لشغل وظائف في مدارس يهودية بالخارج لكن نظرة ريفسون، ذلك الميل الأولى والذي يزعم فيه أنه يتناقض وهو يرحب بذلك، لا يرجع إلى الضرورات الاقتصادية وحدها. ويقول:

«الناس مضغوطة بالقطع لإعتبارات مادية تدفعها للتفكير في ترك المناطق المغلق لمجتمع الدارسين» .

لكن البعض بدأ يدرك تدريجياً، كما يعتقد ريفسون، أن الإلتحاق غير المنظم بالكوليل هو في الواقع أكبر مشكلة هاريدية. إنه يخلق شخاصاً فاشلين من بين هؤلاء الذين يلتحقون بالكوليل دون تنظيم فهؤلاء الرجال مقدر لهم أن يظلوا طوال حياتهم حاخامات تلموديين فاشلين. وكل شخص يعرف أنهم فاشلين فيما عدا زواجهم أنهم أنفسهم يعرفون ذلك، والعديد منهم يرفضون الاعتراف بالحقائق. وهم يعودون إلى منازلهم مساءً ويحسون لاصراً الهزيمة .

يمكن اعتبار ريفسون، وباكسباوم هاريديين متحررين. وهي بينان توقعاتهما على أساس التحليل للظروف الموضوعية .

أما يوس بيلين، من حزب العمل، كما رأين، فيصل إلى نفس التنبؤ لكي بمصطلحات أكثر حدة فيقول: «بنموهم الطبيعي سيكون هناك انفجار قريب المجتمع الإسرائيلي لن يتحمل مرآواتهم الكبيرة وغير المنتهية من أداء الخدمة العسكرية. لكن

* Sifreitarah تعني لفائف الشريعة وهي مخطوط لاسفارموس الخمسة يكتب باليد ويحفظ في تابوت العهد في

الحركات الدينية أثبتت أنهم لا يتأثرون سريعاً بالتحليل المادى الرشيد ويبدو أن الجماعات الأصولية بصفة خاصة لديها قدرة على الاحتمال تستطيع أن تتحدى بها القوى السياسية والاقتصادية .

ربما يكون من الخطورة أن تتكهن بأن الأصوليين الهاريديين اليهود سوف يتصارعون مع نمط حياتهم لأنه لا يوفر لهم مصادر الحياة الكافية لكن المصادر، بعد كل ذلك، تأتي من الرب «الذى يهب الحياة وسوف يمنح مقومات الحياة كما يقول التلمود .

ومشاعر الهاريدين ليست متعاطفة بالقطع مع التنبؤات المتزنة للباحثين ريفسون وباكسباوم ولا مع تحذير بيلين الخافت .

الهاريديون داخل إسرائيل وفى الشتات يدى ، أن مهمتهم مقدسة يرون مجتمع الدراسين يتمتع بحماية وقديسه ويتسع نفوذه على نطاق واسع وليس متوقعاً منهم أن يتخلوا عن أى من منجزات الماضى، حتى يدعموا المستقبل...

الجزء السادس

شبح الانشقاق

الفصل الأول

من هو اليهودى

إنقسم القب اليهودى إلى فريقين أثناء العقود الثلاثة الأخيرة حول مسألة. من هو اليهودى؟ هذا هو التساؤل الشائع بين زعماء الأصولية فى العصر القديم والحديث على السواء. والا تعترف الأقلية اليهودية بالأغلبية بالأقلية ويمثل هذا الوضع الإنشقاق بين اليهودية والمسيحية فى القرن التالى لميلاد السيد المسيح. ويقول الحاخام الدكتور نورمان لأم رئيس جامعة «ياشيفيا» بالولايات المتحدة إن الإنقسام العقائدى الآن أقوى من ذى قبل ويلقى بعض «الأصوليين» المعاصرين مثل الدكتور لأم بجزء من اللوم على المذهب القديم فلو كان المذهب الأصولى الحديث أقوى من المذهب القديم لما وصل هذا الانشقاق لهذه الدرجة. وقد يكون هناك حواراً ووثاماً بين الأصولية والإصلاح. إلا أن جميع المحاولات باءت بالفشل بسبب تعصب من يؤمنون بالمذهب القديم.

إلا أن كل من الأصوليين العصريين والمتعصبين ينتمون حركات الإصلاح ويلقون على كاهلها بالمسؤولية الأولى لهذا الإخفاق الذريع. ويقولون إن «الإصلاح» فى السنوات الأخيرة وسع من نطاق المواجهة فى الحرب على الأصولية: من اليهودية إلى العبودية. ولم يعد الصراع الآن متعلقاً بالعقائد أو الطقوس أو حتى علم اللاهوت. فمثل هذه الخلافات، رغم من مرارتها أمكن احتوائها داخل الدين الواحد إنما يدور. الصراع الآن حول مفهوم الإنتساب إلى الدين اليهودى. فى العصر الحديث، مع تزايد الحراك بين الأديان المختلفة، فمثلاً تزوج أكثر من نصف اليهود الأمريكيين من غير اليهوديات ولذا يفرض هذا السؤال نفسه «من هو اليهودى؟» نفسه ويرى كل من الأصولى وغير الأصولى أن تلك إشكالية خطيرة!

إن الشروط الإصلاحية (والمحافظة) للتحويل إلى اليهودية غير معترف بها من قبل الأصولى بل ويعتبرونها موضوعاً هزلياً ويقول الحاخام موسى سيرر رئيس «أجودات إسرائيل» فى أمريكا أن تلتحق بنادى رياضى بالمدينة أصعب من أن تصبح واحداً من أبناء الشعب اليهودى. من خلال التحويل الإصلاحي حيث ينظر إلى التشريعات الإصلاحية الحديثة فى الديانة اليهودية كبدعة ويقول: «إن السلوك الفردى غير المسئول فى التاريخ اليهودى المعاصر بحسب كلمات دكتور لام هى التى أدت إلى القواعد الإصلاحية المتعلقة بالزواج والطلاق وهى اتجاهات هرطقة دخلية تسمح بدخول غير اليهود بين العناصر اليهودية وستؤدى فى يوماً ما إلى الفاء الشخصية اليهودية الأصلية بالكامل».

وتبدو تحذيرات الأصولية من الانشقاق وظهور «شعبين» فى نظر معظم اليهود الآخرين على أنها هرطقة هوفعالة فى التعصب فهناك الكثير الذى يربط اليهود ومن الصعب الإقتناع بانقسام الشعب اليهودى إلا أن للأصوليين رأياً آخر، فهم يفسرون إن ذلك الانقسام لن يبلغ شكلاً مأساوياً يصل إلى شكل الإعلان الرسمى. وستحدث العملية تدريجياً بمنع حاخامات الأصولية الزواج بين اليهود الأصوليين واليهود غير الأصوليين وفى خلال وقت قصير نسبياً وسيصبح هناك مجموعتين منفصلتين نتيجة الزواج فقط. وسيأتى الانقسام العقائدى الرسمى كخطوة أخيرة ويظن الأصوليين إنه لاتزال هناك فرصة أخيرة لتفادى هذا «السيناريو» ذلك بجذب دوله إسرائيل إلى جانبيهم فلا يستطيع الأصولية التغلب على حركة الإصلاح داخل أمريكا نفسها لقلة عددهم نسبياً ولكن فى داخل إسرائيل نفسها فإن الحركات الإصلاحية والمحافظة الجديدة تعاني ضعفاً، حيث المذهب الرئيسى فى الزواج والطلاق التى يقع فى نطاق السيطرة الكاملة للحاخامات الأصوليين وهم يعتقدون أنه مع هزيمة حركة الإصلاح داخل إسرائيل نفسها ومع مرور الوقت وزيادة عددهم يمكن التغلب على حركة

الإصلاح داخل أمريكا نفسها فى معركة تحديد المعنى الحقيقى لليهودية. وإذا لم يتمكنو تجنب هذا الإنشقاق وسيكون فبإمكانهم أن يحملوا دولة إسرائيل ستكون إلى جانبهم، على أقل تقدير، إن الصراعات الأخيرة فى إسرائيل قد قام بها الجانبان بهدف التأثير على الوضع الدينى لليهود فى كل مكان. فى عامى ١٩٨٨-١٩٨٩ وعدوا غدت الهاريدية الأقوى سياسياً أكثر من أى وقت مضى، فى إسرائيل وطالبوا الحكومة أن تعترف فقط بالتحول الأصولى مما وتر الروابط بين إسرائيل ويهود «الدياسبورا» حتى وصلت إلى نقطة حرجة وهدد ممثلى اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الزعماء الإسرائيليين «بالقول لو رضختم إلى الهاريديم سندير لكم ظهورنا وتتحطم «مركزية إسرائيل» فى الحياة اليهودية حجر الأساس للصهيونية».

وأثمرت هذه التهديدات وعانت الأصولية من هزيمة قاسية ولكن لا يزال الصراع عرضة للانفجار مرة أخرى حيث لم يغير كلا الجانبين من موقعة الأساس. وكانت الأزمة التالية قضية السيدة البريطانية الشاب، بولا كوهين التى تحولت على يد كبير الحاخامات فى إسرائيل، وهى تواجه الجهود المبذولة من قبل الهاريديم لتجربها هى وأولادها من ديانتها، ويضع صراع «السيدة» المائل أمام القضاء البريطانى الأصولية والمذهب الإصلاحى ووجهاً لوجه.

لقد أطلقت إسرائيل على نفسها فى مستهل نشأتها عام ١٩٤٨ «دولة الشعب اليهودى» وأصدرت «قانون العودة» الذى يمنح الجنسية الإسرائيلية تلقائياً لأى يهودى يصل إلى إسرائيل ولم تستطيع إسرائيل الهروب من الضرورة الخرقاء، والمشحونة بالتعقيدات الدنية والفلسفية والعنصرية فى تقرير من هو اليهودى فى إطار المنظومة التشريعية: وهل هناك معيار تشريعى لذلك؟ أى انسان يدعى أنه يهودى سوف تعترف به الدلة اليهودية رسمياً.

ومن سخریات القدر، أن كثير من أعضاء الكنيسيت المشاركين فى إتخاذ القرار كانوا من المسلمين والمسيحيين الدرور وتظهر تلك المفارقة بعد كل إقتراح بخصوص تلك المشكلة حيث يصوت هؤلاء مع الجانب الخاسر وتقف جماعة الضغط المعادية للأصولية وتضم ممثلين من المحافظين وحركة الإصلاح الأمريكية، فى وجه الأصوليين وغالباً ما يشير ذلك إلى الإصلاح بأن الجماعات الأصولية ذات نفوذ سياسى متفاوت ويمثلون نقطة التوارث بين اليسار واليمين.

لم تكن الحيل الحزبية السياسية هى التى حددت فقط نتائج هذا النزاع البرلمانى خلال هذه السنوات الطويلة، فلقد كان الأباء المؤسسون لإسرائيل متضاربين فى أفكارهم فيما يتعلق «بمن هو اليهودى؟» ويتذكر القائد الأصولى د. ذوارتس وارهافتيج أن دافيد بن جوربون قائد الدولة الأسبق، وأول رئيس وزراء، إعتترف سرّاً أثناء إحدى الأزمات بتخوفه على هوية إسرائيل اليهودية على المدى البعيد. لقد تمرد بن جوربون على الأصوليين فى حياته الشخصية ويقول وارهافتيج أن بن جوربون كان أقل اقتناعاً، بما يتقارب الرفض، الأصولية كحارس للتراث القومى للدولة اليهودية الحديثة.

أما مناحم بيجين الذى قاد المعارضة اليمينية منذ عام ١٩٤٨ إلى أن وصل إلى السلطة عام ١٩٧٧، ظل يدعم ويؤيد الأصولية فى أطروحاتها حول تعريف اليهودية، رغم من أنه لم يكن أصولياً على الإطلاق. إلا أن تلك القضية تمثل له نوعاً من الكبرياء القومى والذى تجسد حسب اعتقاده فى الفهم التقليدى للشرائع.

وقد إصطدم بن جوربون مع هذه المسألة عام ١٩٥٨، عندما واجهه وزير داخلية «والمنتمى إلى اليسار، والذى أصدر تعليماته لموظفيه بتسجيل أى فرد يعترف بأنه يهودى (سواء بالدين أو بالوطن) وقد أدى ذلك إلى أزمة حكومية كبيرة فقد خرج الأصوليين فى مظاهرة احتجاجاً حل ذلك فوق هذا المدعم يصبح اليهودى هو الذى

ينتمى إلى أم يهودية أو الذى تحول إلى اليهودية، وأدرك بن جوربون الأهمية التاريخية لتلك القضية وقرر استشارة خمسين من حكماء اليهود داخل إسرائيل ومن اليهود الشتات ويمثلون جميع إتجاهات الفكر اليهودى وجه إليهم سؤالاً محدداً وهو كيف تستطيع دولة إسرائيل أن تسجل الاطفال لأب يهودى ولأم غير يهودية ويريد الألوان تسجيل المولود «يهودياً» كيهودى ووصل على سؤال بن جوربون، ستة وأربعين رداً ووافق منهم ثمانية وثلاثون على تسجيل الأطفال كيهود وأقترح خمسة تسجيل الأطفال بالديانتين، كما اقترح ثلاثة فقط أن يسجل الطفل طبقاً لرغبة الوالدين وقد تلاشت آراء «الحكماء» بعد أن مكنت الانتخابات الجديدة بن جوريون أن ينصب وزيراً للداخلية ينتمى إلى الحزب القومى الدينى وأبطل الوزير على الفور جميع إجراءات وقد سلفه إستمر هذا الحزب فى الوزارة لخمس وعشرين عاماً.

وجاء والتغيير التالى فى تلك القصة البطولية فى أوائل الستينيات على يد الأخ دانيال روفزين (أوزوالد) وهو يهودى بولندى وراهباً كرملياً هاجر إلى إسرائيل وعاش فى الدير الكهنوتى على جبل الكرمل. وقد طلب من المحكمة العليا أن يسجل كيهودى وأحداً أنه كان دائماً يعتبر نفسه واحداً من اليهود وقد لاقى الأخ مانيال تعاطفاً كبيراً. وأستطاع أثناء المحرقة الجماعية لليهود أن ينقذ الكثير منهم مضحياً بنفسه وأشادت

المحكمة بشاجعته وإخلاصه ولكنها حكمت بأغلبية الأصوات، [أربعة لواحد فقط]، وقالت: لا يمكن الاعتراف بشخص تحول المسيحية في الدولة اليهودية. كيهودى مرة أخرى يعنى ذلك الحكم حرمان روفسين من أن يصبح مواطنًا إسرائيليًا ويطبق عليه نظام «إعادة التأهيل» الذى يتم خلال خمسة سنوات لجميع المواطنين من غير اليهود. ولكنه طالب بأن يصبح مواطنًا إسرائيليًا من منطلق «قانون العودة».

ومن منطلق هذا الحكم زادت الفجوة بين القانون الدينى للدولة والقانون اليهودى «القديم» حيث أن فى الأخير سيظل روفسين الذى ولد يهوديًا سيبقى على دينه إلى الأبد وأى إجراء يقوم به من تلقاء نفسه حتى ولو كان ذلك تحوله إلى راهب مسيحى، لن يغير الديانة الأولى التى ولد عليها.

ومن خلال هذه الفجوة استطاع الكولونيل بنيامين شاليت بعد عشرة سنوات أن يقيم الدعوى من أجل أولاده أورطن وجاليا ويطلب من المحكمة العليا أن تسجليهما يهوداً، ووطنيين ودون تحديد على الرغم من أن والدتهما لم تكن يهودية وقد وافقت المحكمة العليا بأغلبية الأصوات [خمسة إلى أربعة] بقبول هذا الطلب. وبعد أن أصبحت جولدا مائير رئيسة للوزراء انفجرت الأزمة. وطالبت الأحزاب الأصولية بسد تلك الفجوة عن طريق التشريعات اللازمة. واستجابت جولدا مائير والحكومة بسرعة وعدل «قانون العودة» عرف اليهودى بأنه الإنسان المولود عن أم يهودية أو الذى تحول إلى اليهودية بشرط إلا يكون عضواً فى «نظام دينى آخر».

وكانت هناك خلافات كثيرة فى الكنيسيت حول معنى ومفهوم «التحول» وإذا ما كان ذلك يعنى التغيير إلى الأصولية أو «إن ذلك يتضمن كذلك التحول إلى المبدأ الإصلاحى أو المحافظ. وكان وزير العدل عضواً فى حزب العمل ووضح أن ذلك لا يعنى «التحول» الذى يحدث لليهود الشتات على يد حاخامات من غير الأصوليين، فإذا

جاء الفرد مهاجراً إلى إسرائيل ولديه شهادة بالتحول صادرة عن مجمع إصلاحى أو محافظ فلا يمكن أن نسجله يهودياً. وعندما اقترح غير أصولى الغاء هذا الشرط اعترض المجلس التشريعى وذكر الأصولى أن عملية «التحول» فى الأصل هى «عملية أصولية» وبالتالي لا يستطيع أحد أن يضم غير الأصوليين فيها وعندما اقترحوا إضافة كلمة «وفق الهالاخاه [الهالا شاه] الأصولية».

وامتنع المجلس التشريعى عن إقرار هذا الاقتراح أو ذاك. واستمر هذا التعديل على هذا النحو الغامض والمبهم وإن ظل هذا الأمر، موضوعاً للنقاش فى أحيان كثيرة داخل الكنيسيت وفى المحاكم..

الفصل الثانى

من هو الحاخام

إنقلت بؤرة الجدل فى إسرائيل، من التساؤل العريض لتعريف معنى اليهوديه، إلى قضية قضية التحول من دين لآخر، وخلق ذلك إرتباطاً مباشراً- بين سياسة إسرائيل الداخلية والقناعات الدينية لليهود الشتات وهم من التابعين للمذاهب الاصلاحية والحفاظة وغيرهم من اليهود غير المقيمين فى إسرائيل، وقد إنتاب هؤلاء شعور بالخطر لأن الكنيسيت تشرع قانوناً جديداً ضدهم. ولم تعد القضية غامضة أو فلسفية كما كانت تبدو ولكن من «يهود الشتات» وخاصة عندما تعلق القضية براهب يهودى أو إسرائيلى يريد أن يكون لأولاده هويتين مختلفتين الأولى «يهودية» والأخرى «بلا ديانة»، وإستمد الأخ دانيال، والكولونيل شاليت، المساندة الفكرية من يهود الشتات المتحررين، إلا أن ذلك لا يعد نموذجاً يمكن الإحتذاء به.

وأصبحت سوزان ميلر (شوسانا)، التى بطله لقضية «غير أصولية» بعدما وافقت المحكمة العليا والتى نظرت دعواها فى القدس فى ديسمبر ١٩٨٦، على تسجيلها فى إسرائيل كيهودية.

وكانت قائدة لجوقه «الثراتيل» من كلورادو وسبرنج كانت قد تحولت إلى اليهوديه عن طريق حاخام إصلاحى وقررت إن تجرب العيش فى دوله يهوديه وعوملت معاملة سيئه من قبل مسئولى وزاره الداخلية وكانت الوزارة فى ذلك الوقت بيد حزب اليهود الشرقيين «شاس».

كانت المشكلة آنذاك لا تنحصر فى إشكالية «من هو اليهودى؟» ولكن تدور حول مسألة «التحول الشرعى» إلى اليهودية على يد الحاخام. ومن هو الحاخام المؤهل

شرعياً لتحويل عبر المسيحي إلى اليهودية من وجهه النظر غير أصولية ثم يثور للسؤال التالى: من هو اليهودى إذا كان الحاخام لا يعتبر شرعياً فما القول فى من يتبعوه سواء كانوا محولين إلى اليهوديه أو كانوا يهوداً أصلاً ويفصل الجميع العيش والعبادة فى ظل رعايته الروحية وإذا لم تعترف الدولة اليهودية بتحويل طائفه دينية يهودية معينة سواء على المذهب الإصلاحى أو المحافظ بالمثل فإنها لا تعترف بالمثل بأى يهودى يرتبط بهذه الطوائف الدينية.

وتعنى الكلمة العبودية «راف»، الدالة على الحاخام، «السيد»، وفى الكتب والمخطوطات اليهودية القديمة لا تستخدم هذه الكلمة للدلالة على رجل دين تابع للمذاهب الإصلاحية أو المحافظة ولكن يستخدمون الكلمة الإنجليزية (رابى) لتشير أنه ليس من الحاخامات الموثوق بهم. وحتى ما ينشره اليهود المتزمتون باللغة الإنجليزية فإنهم يضعون علامة إستفهام؟ أمام كلمة حاخام (رابى) عندما يكون تابعاً للمذاهب الإصلاحية أو المحافظة وتعنى تلك الإشارة نفس المعنى السابق، وإذا كانت «الحاخام» إمراً يضيفون علامة التعجب! ووافق الأصولية على أن السؤال قد سلك إتجاهاً آخرًا من هو الحاخام؟. حيث يتطلب التحول إلى اليهودية حاخاماً مؤهلاً، ويعتبر الحاخام غير الأصولية وفق للتعريف والمفهوم الأصولى «غير المؤهل» إلا أنهم يصرون على أن ذلك لا يمكن أن يطعن فى «يهودية» أى شخص أيا كانت الطائفة الدينية التى ينتمى إليها، على أن يكون مولوداً يهودياً من أم يهوديه أو تحول إلى اليهودية على يد حاخام أصولى.

كما جادل الأصولية أيضاً بأن معدل الهجرة اليهودية منخفض من الغرب إلى إسرائيل، وأن عدد المهاجرين من غير الأصوليين المحولين كان ضئيلاً وفى الغالب كان هؤلاء على إستعداد «لإعادة التحول» إلى اليهودية فى إسرائيل نفسها لولا تفجر

أشكالية المذاهب الإصلاحية والمحافظة وكان ذلك أمراً غير منطقي، فكلما الجانبان يعرفان أن هناك كثيراً من الحالات العاجلة وليست مجرد تحويل مهاجر إلى اليهودية بين حين وآخر. وإذا حكمت المؤسسات التشريعية والقضائية في الدولة اليهودية ضد صلاحية المذهب الإصلاحي أو المحافظ في عملية التحول إلى اليهودية فإن تلك ستكون ضربة قوية ضد الحركات غير الأصولية في أمريكا.

في معركة إسرائيل التي ولم تكن المعركة إسرائيلية على الإطلاق حيث يضعوا رجال الدين في نيويورك بلا هوادة على الأصولية في إسرائيل والجماعات الأصولية الهاريدية ولم تكن تلك المعركة أساساً حول موضوع استقامة الشعب اليهودي فإن تلك الاستقامة لم تكن مهددة فقط في إسرائيل ولكن في أمريكا بصفة رئيسية.

ففي أى عام كان هناك أكثر من عشرة آلاف حالة «تحويل» إلى اليهودية من خلال الولايات المتحدة الأمريكية ومع هذا العدد تزايد أعداد الزيجات بين اليهود والأغيار الأخرى وبالتالي فإن الهدف الرئيسى للتحويل يزداد هو الآخر بانتظام. والغالبية العظمى لهذه التحويلات تتم على يد حاخامات إصلاحيين أو محافظين.

ويتطلب للمذهب الأصولي يتطلب للتحويل ثلاثة شروط يجريها (بيت دين) تلك الشروط هي الإنغماس في الحمام المقدس وختان الذكور وقبول الوصايا العشر أما الحاخامات غير الأصوليين فإنهم يختلفون في الشروط المطلوبة من الشخص الذى يطلب التحول إلى اليهودية فالبعض يصرون على الإنغماس في الحمام المقدس على الختان والآخرين يفضلون ذلك لكنهم لا يصرون عليه وآخرون يتناسون أحد أو بعض هذه الشروط لكن الجميع يطلبون من البعض الدراسة والالتزام المخلص تجاه اليهودية إلا أن المدى والجدية والزمن اللازم لهذه المتطلبات تختلف من حاخام لآخر وفي بعض الأحيان تكون قصيرة جداً ومجرد إجراءات تختلف من حاخام لآخر وفي بعض الأحيان

تكون قصيرة جداً ومجرد إجراءات شكلية.

أما بالنسبة للأصوليين فإن المتطلبات الضرورية اللازمة للتحويل تؤدي إلى استحالة قيام الحاخامات غير الأصوليين بهذه الإجراءات حتب لو التزموا بجميع الشروط بإخلاص تام لأن الحاخامات غير أصولي سيتصرفون وفق سلوكهم الشخصي ولذلك فهم لا يمثلون قدوة مقبولة في نظر الحاخامات الأصوليين ولا يمكن قبول شهادتهم بالنسبة للإجراءات الدينية المتبعة في عملية التحويل إلى اليهودية كما إن تلك الإجراءات لا يمكن أن تتم من خلال حاخامات لا يؤمنون إيماناً حقيقياً بالوصايا العشرة لأن هذه الوصايا بالنسبة للأصولي لا تعنى مجرد حفظ هذه الوصايا ولكن الالتزام بها في جميع السلوكيات اليومية فإذا قام الحاخام بقيادة سيادته أو إضاعة المنزل يوم السبت، فإن ذلك يعنى على الفور عدم التزامه بهذه الوصاي. قال رؤف بن بولكا وهو حاخام أصولي من أوتاوا بكندا من غير المنطقي أن يطلب حاخامات الإصلاح من المهتمدين على أيديهم والمتحولين إلى اليهودية أن يكونوا أكثر قداسة منهم بمعيار الأصوليين إن التحويل على يد حاخامات الإصلاح نوع من العبث هذا الذي تحول لم يتغير فيه أى شئ عما قبل.

ولا يعتبر ذلك مبالغة أو تفسيراً متطرفاً لأحد الحاخامات لأن الأصوليين في جميع أنحاء العالم سواء كانوا ينتمون إلى الاتجاه الحديث أو القديم يتبنون نفس رأى لاخاص الحاخام «بى بولكا» ولا يعتبرون من أهتدى على يد حاخام غير أصولي من اليهود ولذلك فهم لا يعترفون بهم ولا يسمحون لهم بالزواج في معابدهم إلا إذا أعادوا هذه الإجراءات على يد حاخام أصولي.

إن عملية الأهتمام أو التحويل إلى اليهودية أكبر مشكلة تواجه اليهود من بين الثالثة المشكلات الرئيسية الثلاث وقد تنبأ الحاخام أرفنج جرين برج من نيويورك وهو

الجناح للأصوليين الليبرالي الحديث أنه بحلول عام ٢٠٠ سيكون هناك ٣٦٠,٠٠٠ مشكلة لأشخاص تحولوا إلى اليهودية حيث أن تحولهم لن يعترف به وكذلك سيكون هناك ٢٠٠,٠٠٠ شخص يعتبرون أنفسهم من اليهود لمجرد ارتباطاتهم العائلية إلا أنهم لا يعتبرون كذلك من وجهة نظر الأصوليين بالإضافة إلى ذلك سيكون هناك ٢٠٠,٠٠٠ آخرين يواجهون مشكلة شرعية تحولهم وسيؤثر ذلك بالتالي على زواجهم.

وكما نعرف فإن الأصوليين يعتبرون الإنسان يهودياً طبقاً لوالدته وليس والده إلا أن الحركة الإصلاحية التي قادها الحاخام الكسندر شندلر رئيس مجلس التجمع الأمريكي العبري حيث غير هذا الإجراء عام ١٩٩٨٣ من منطلق المساواة بين الجنسين حيث أعلن «إن الإبن من أم أو أب يهودي يعتبر يهودياً ويعتد بذلك اليهودي بصفة رسمية»

أدى هذا القرار إلى ثورة أصولية عارمة إلا أن شندلر بعد سنوات من إتخاذه لهذا القرار أعلن أنه غير نادم عليه على الإطلاق حيث قال: «نحن لدينا خمسين ألف طفل من أبوين مختلفي الديانة وفي معظم الأحيان يكون الأب يهودياً وعشرات الآلاف من هؤلاء في مدارسنا وفي معسكراتنا الصيفية ويجب أن إلا نشعرهم بأنهم مضطهدون ومن وجهة النظر الأصولية هناك حل بسيط لتلك المشكلة وهو «التحول» إلا أنه يقول إن ذلك ليس له أى ارتباط بهذه الحقيقة فهناك أسباباً اجتماعية قهرية لهذه الارتباطات بين الزوجين إننا لا نشجع هذه الزيجات ولكنها إذا حدثت فإننا نرحب بهم في مجتمعنا الديني إذا حدث هذا الزواج فعلاً بين طرف يهودي وآخر من الأغيار فليس أمامنا من خيار سوى أن نقبلهم بين صفوفنا بدلاً من الحزن والنحيب ولطم الخدود.

أما بالنسبة للأصوليين فإن هذا الزواج بين طرف يهودى وآخر من الأغيار يعتبر كارثة بكل المقاييس كأنها حالة وفاة فإذا وقعت فى أسرة أصولية فإن الأبوين والإخوة والأقارب يمزقون ملابسهم ويجلسون على مقاعد منخفضة فى حالة حداد ويتقبلون العزاء من الأقارب والأصدقاء. حتى الأسر التى لا تميل إلى إعلان الحداد علانية بالأسلوب التقليدى المتبع فإن المتزوجين من الأغيار يحرمون من ميراث آبائهم وأجدادهم ويقول متحدث باسم الأصولية إن هذه الظروف الاجتماعية القهرية التى يشير إليها شندلر هى نوع المقامرة وهم يتهمون زعماء الإصلاح بقبولهم لنسب الأب اليهودى حتى يزدوا من عدد المنضمين اليهم ويقول الحاخام شيرر «هذه أكثر الجرائم شراً» ذلك هو الزعيم الهارىدى الأمريكى، وقريب الشبه بهتلر بالنسبة لهم ويضيف بأن ذلك يدمر على الشعب اليهودى ولم تقتنع الحركة المحافظة بالأسباب التى ساقها شندلر مثل «الاجتماعية القهرية» رفضت هذا المبدأ على الإطلاق وعلى الرغم من ذلك ففى بحث أجرى عام ١٩٩١ أتضح أن الزواج المختلط بين اليهود المحافظين أزداد بنفس درجة اليهود الإصلاحيين بينما الحركتين «الإصلاحية» و «المحافظة» يطلبان من إسرائيل بأن تعترف بالتحول إلى اليهودية الذين يقومون به إلا أنه هناك فجوة كبيرة بينهما من حيث نسب اليهودى إلى أمه أو أبيه.

أما هذا النوع من الزواج بين اليهود الأغيار فلا تعتبر مشكلة أصولية لأنها محرمة تحريماً مطلقاً لكن مثل هذا النوع من الزيجات هو السبب المباشر لمشكلة التحول إلى اليهودية والتى لا يعترف بها الأصوليين بالأسلوب الذى تتم به فإذا لم تحول الأم إلى اليهودية ينتمى الأولاد إلى الأب ويعتبرون يهوداً على الرغم من تعارض ذلك مع المبدأ الأصولى.

وقام عالم الاجتماع تشارلز سيلبرمان بدراسة واسعة وأدان رفض الأصولى للزواج المختلط حيث أنه أحد الأسباب الرئيسية للإنشقاق بين اليهود «إن إجابة الأصوليين واضحة ولا تقبل التوفيق ويجب حرمان اليهودى وشريكة من الأغيار من عضوية المعبد اليهودى على حد سواء وقد ذهب الأصولى إلى أبعد من هذا حيث أن أحد زعماء طالب بشطب هؤلاء من المناصب القيادية فى الحياة العامة وهو يعنى هؤلاء الذين يتزوجون من الأغيار.

وقام إسرائيل سنجر المدير الساخر التهمكى «للمؤتمر اليهودى العالمى» بإتباع نفس المبدأ حيث أقترح أثناء حديث له من سنيويورك» خلال عدة سنوات سيصبح جميع رؤساء الفيدراليات اليهودية فى هذه الدولة المنشقين «كان سنجر حاكماً أصولياً ويعتلى منصباً وظيفياً كبيراً كيهودى أمريكى، إن المناصب الوظيفية فى المنظمات اليهودية تعنى «الوضوح العرقى» وذلك يتناسب مع الأجيال الصاعدة من اليهود المثقفين المتدينين الذين يحتلون مناصب تنفيذية عليا ويعملون فى جميع السجلات فى المجتمع إلا أن زعماء أغلب المنظمات اليهودية الخيرية تبتعد عما يسميه سنجر «البيروقراطية اليهودية المتعفنه» حيث أصبح عدد الأصولية بها ضئيلاً جداً وتزايد نسبة الغير أصوليين والمحولين إلى اليهودية واليهود المتممين للأب دون الأم بصفة مستمرة.

أما المشكلة الثالثة التى تواجههم بعد مشكلة التحول إلى اليهودية ومسكة الانتماء إلى الأب بدلاً من الأم، هذه المشكلة على الرغم من خطورتها استطاعوا أن التغلب عليها، وهى الأولاد غير المشرعيين فى نظر القانون اليهودى ناتج إرتكاب الزنا مع سيدة متزوجة أو من خلال سفاح الأقارب أما الزنا خارج نطاق الزوجية من أب أو أم غير متزوجين أو إذا زنا الأب المتزوج فإن ذلك لا يؤدى فى نظرهم إلى ابن غير

شرعى. عندما يطلق على الطفل لقب أبن الزنا فإنه لا يستطيع أن يتزوج على الإطلاق من أى يهودى أ يهودية ولكن أبن أو ابنة السفاح تستطيع أن تتزوج من آخر غير شرعى أو من المحولين إلى اليهودية.

أما إذا زنت الزوجة الأصولية فى مذهب الإصلاح الأصولى فإن ذلك يعتبر فى نظرهم زواج ثانى ويعتبر الأبن الناتج عن ذلك الزنا ابن شرعى وذلك لأن اليهود فى مبدأ الإصلاح لا يحصلون على طلاق عند إنتهاء زواجهم الأول ولكنهم يكتبون بطلاق مدنى وفى نظر الأصولى ذلك الطلاق المدنى لا قيمة له دون أن الحصول على موافقة بالطلاق دينياً ويكتب على ورق برشمان عن طريق ريشه طائر دون تلك الإجراءات يعتبر ذلك الطلاق باطلاً ويكون الزواج الثانى زنا وكل الأطفال الناتجين عن ذلك الزواج غير شرعيين.

قدم الحاخام الأمريكى موسى فنستين حلاً لهذه المشكلة المعقدة لقد وأفى بأن الأصولية اصلاً لا يعترفون بالزواج الذى يتم على يد رجال الدين التابعين لمبدأ الإصلاح لذلك فإن هؤلاء لا يحتاجون أصلاً إلى الطلاق حيث أزواجهم من الأصل غير معترف به وعلى ذلك فإن زواجهم الثانى لا يعتبر زنا كان ذلك التفسير ملائماً جداً.

للأصوليين وتشريعاتهم لقد عبر هذا المخرج عن تفكيرهم المتعاطف مع هؤلاء المتورطين فى هذا المأزق الصعب وكان لديهم استعداداً فى إتباع مسالك ملتوية لمساعدة هؤلاء فى محتتهم. ويوضح ذلك يوضح التناقض بين التعصب الشديد الذى يظهره وعدم التعصب فى آن واحد. ويطلق الحاخام چوناثان ساكس البريطانى على ذلك التصرف بأنه «الضمنيه» المألزمة للفكر الأصولى. فالالاتجاه الرئيسى هو رفض أى

فكر يشير إلى أن الاتجاه اليهودى الإصلاحى يستطيع أن يؤثر على الحقائق غير القابلة للتغيير فى الأصولية. حيث أن الزواج لم يكن موجوداً من حيث المبدأ حيث أن مراسم الزواج تمت بطريقة غير أصولية فإن الزواج نفسه يصبح باطلاً وجميع هذه السنوات من المعاشرة الزوجية لا تغير شيئاً من موقفهم الدينى القانونى إن هؤلاء لم يكونوا زوج وزوجه فى نظر الله لذلك فقد غضروا لهم خطيئة الزنا وجميع ما أسفرت عنه من نتائج.

إلا أن هذا الحكم أكثر الأحكام إساءة للحركة الإصلاحية فمن أكل الاعتراف بشرعية الأطفال الناتجين عن الزواج الثانى أقروا بعدم شرعية الصرح الدينى الإصلاحى باكملة الذى قام بإتمام كل من الزواج الأول والثانى ويوضح القس بولكا «إن الكثير من الأصوليين لا يرضون عن ذلك المأزق وإنها لعملية إكراه لإثبات عدم شرعية جميع الزيجات التى قام بها رجال الدين فى الحركة الإصلاحية اليهودية.

كان بولكا أول من كتب عن موضوع الانشقاق فى اليهودية فى كتابه «الطوفان القادم» عام ١٩٨٥ تحت العنوان الفرعى «تصدع الإصلاح الأصولى ومستقبل الشعب اليهودى».

وقد اعتبره الجميع بما فى ذلك الأصوليين أنفسهم مثيراً الرعب وفى دراسة ثابتة لحالة اليهود مع نهاية هذا القرن يقول جوناثان ساكس «إن هؤلاء الذين يحذرون من الأصوليين المعاصر ويرفعون شعاراً بأن ذلك (قضية سياسيه ودينية حول اشكاليه من هو اليهودى إنما يملكون الرغبة لتقسيم الشعب اليهودى إلى قسمين فى المستقبل القريب» ويكتب ساكس السطور التالية.

بين اليهود أدت إلى الكثير من نقض العهود داخل الشعب حيث أنقسموا بين الهيلينيين!!، والقنانيين، والسامريين، والفريسيين، وبين اليهود والمسيحيين، وبين

والقرائين واليهودية الحاخامية* إن الوحدة بلا شك مبدأ يهودى رئيسى ولكنها غير ضرورية وملحة والسؤال المركزى الذى يفرض نفسه الآن هل سيؤدى الانقسام بين الأصوليين وغير أصوليين إلى أنشاق كبير وهل لا يمكن أن تجنب تراحيديا التفكك»

لؤمن الحاخام رابى الزعيم الأمريكى الأصولى بأنه خلال خمسة وعشرين عاماً سنلتهى الأمر لوجود شعبين من اليهود.

* القراءون نشأوا في القرن الثامن عشر وهم لا يؤمنون بالتلمود أو القانون الشفهي ويعتبرون أن الإنجيل المكتوب أساس جميع الأديان هناك حوالي ٢٠,٠٠٠ من هؤلاء في إسرائيل اليوم و ١٠,٠٠٠ في الولايات المتحدة وقليل منهم من أوروبا.

الفصل الثالث

لماذا أنا

«لماذا يكرهوننى؟ ماذا فعلت لهم؟ أنا يهودى، أنا يهودى» استمر كوى يضرب الحائط براسه ويصرخ بجنون بهذه الكلمات.

«كوى كوهين»، طفل صغير، مرح، يبلغ من العمر ثمان سنوا. بدأ يصاب بالكآبة منذ عدة شهور لكنه أنفجر بهذه الصورة عام ١٩٩٠ من منزله، فى نيو كاسل، بشمال إنجلترا وتعجب والديه بولا ويوسى بشده لهذا الانفجار المفاجئ أما شقيقته ليام والبالغة من العمر خمسة أعوام فقد أخذت تراقبه فى صمت رهيب.

قالت بولا بحزن «نعم نحن أخرجناهم من المدرسة ولكننا لم نستسلم بعد ووصلت معركة بولا كوهين إلى أعلى محكمة فى بريطانيا «محكمة اللوردات» لتحكم فى تلك القضية التى تسببت فى معاناه هذه الأسرة. وكانت من نتائج الانشقاق اليهودى المتزايد بصورة مخيفة. عند تحرير هذا الكتاب. وبدت القضية «كأزمة يهودية» على المستوى العالمى أدت إلى مزيد من التصدع والانشقاق. وأظهرت أن كلا الجانبين، يقف فى وجه الآخر ولا يريد أحدهما أن يتنازل عن موقفه. كانت حركة الإصلاح الأمريكية تحتضن عائلة كوهين معنويًا وماليص. أما الجانب الأصولى فقد أخذ يعدد الفروق بين الجانبين من حيث الحق المطلق للاحكامات الأصولية فى تحديد وتعريف من يكون اليهودى؟.

ولدت بولا كوهين باسم بولا ويلسون فى نيو كاسل عام ١٩٤٥. وقالت أن جدها لوالدتها كان يهوديًا وكان يتحدث وكان يتحدث لها وهى طفلة عن اليهود وإسرائيل. وكان أول إتصال فعلى لها، مع إسرائيل وشعبها عام ١٩٧٨. حينما عملت

فى مزرعة جماعية يهوديه لمدّه شهر كجزء من برنامج رحله أوروييه طويله، وبعد عام عادت إلى كيوييتز «حاون» على شاطئ بحيره «جاليلى». وقالت «شدنى فى ذلك الوقت يوس كوهين الذى كان يدير أسطولاً للصيد على هذه البحيرة وإن لم يتعرفا على بعضيهما بالقدر الكافى.

تعلمت العبودية فى كيوييتز «يولبان»، (داخل مدرسة لتعليم الكبار)، ثم أعلنت رغبتها للتحويل إلى اليهودية قالت: «أريد أن أصبح مثل الجميع فانت لا تستطيع أن تحبها حقاً فى إسرائيل دون أن تكون يهودياً وكان رئيس الحاخامات الاشكنازى «شولومو جورين»، قد جهز مدرستين، فى أحد كيويوتزات «الأصولية» للتحويل إلى اليهودية، حيث يتسطيع هؤلاء الأشخاص، أمثال بولا أن يعيشوا ويدرسوا اليهودية لعدة أشهر فى بيئة دينية مريحة. فإذا ظهرت أمارات الصدق والجدية فى الدراسة تتم عملية التحويل فى إحدى «بيوت الدين» فى تل أبيب. أما فى إنجلترا، كان رئيس المعابد اليهودية المتحدة متشدداً جداً تجاه عملية التحويل لذلك كانت تستغرق العملية أربع أو خمس سنوات على أقل تقدير وكان المعبد اليهودى «أصولياً» وكان يترأسه رئيس الحاخامات وهو بمثابة الكيان اليهودى الدينى الرئيسى فى بريطانيا. كان الحاخام جورين يعمل رئيساً فى الجيش الإسرائيلى ويعتبر أصولياً ليبرالياً، وذكر أن رئيس حاخامات لندن قد طلب منه التشدد فى عملية التحويل إلى اليهودية حتى لا يزحف «يهود الشتات» إلى إسرائيل للحصول على عملية تحول سريعة وسهلة. ولهذا السبب أضطر أن يضيف عبارة لكثير من الشهادات الممنوحة للمتحويلين تلك العبارة هى «لاتسرى هذه الشهادة خارج إسرائيل» ولم يكن الهدف من تلك العبارة أن يصبح المتحول يهودياً داخل إسرائيل وعلى دين آخر بخارجها لأن ذلك ليس من الفطنة فى شئ دائماً لعاقة المتحول إذا أراد أن يحث بالعهد ولايعيش داخل إسرائيل كما تعهد بذلك فى الطلب المقدم منه فى بادئ الأمر. ويوضح كوهين ذلك قائلاً «أنها مجرد

إجراءات إدارية. وفي بعض الأحيان يضطر إلى جمع جوازات سفر هؤلاء لعدة سنوات لتحقيق نفس الغاية.

وقد إستمد الحاخام كهين هذا الشرط من «التراث الدينى الفلسطينى» القديم الوارد والتلمود المقدسى وكان أكثر ترحيباً بالمحولين إلى ايهودية من التلمود البابلى الذى يدين هذا التحول ويقول «أنها شئ سئ لإسرائيل وكأنها جروح متقيمة على جلد إسرائيل وهو تعبير مناقض تماماً للوصية التوراتية «بأن أحيوا الغرباء».

أستطاع جورين أن يفسر هذا التلمود «الفلسطينى» منطلقاً من منظور صهيونى قوى: بأن «العيش فى إسرائيل الحديثه حد ذاته بمثابة تصريح «لا شعورى» مؤكد بالإتماء إلى اليهودية بينما المتحول الذى يعيش خارج إسرائيل يحتاج أن يؤكد انتماءه الدينى فى كل لحظة ولذا فمن الذى يريد التحول إلى اليهودية ويبقى فى إسرائيل، يقبل على نحو أيسر كثيراً، لأن إعترافه باليهودية يصبح باعثاً لثقة أكثر.

وكان هذا الشرط غير مستساغ ومقبول فى الدوائر الدينية فى العالم.

قال جورين «لقد قابلت بولا كوهين ثلاثه مرات مره قبل أن تبدأ برنامج التحول ومره عند نهايته ومره أخرى لأمنحها الشهاده. واصررت كما فعلت مع كثيرين من قبلها بأن تقسم على التواره بأن تبقى فى إسرائيل، وأقسمت، وسألتها إذا كان لديها صديقاً، على اكن أهداف إلى رفض من له صديق، على العكس كنت فى بعض الأحيان أجعل الصديق أيضاً يلتحق بالبرنامج وقسم نفس القسم بالبقاء فى إسرائيل، ويدل (هذا الإتجاه على تحرر جورين، بينما يرفض فإن الحاخامات الأصوليين الآخرين الشخص إذا كان له ارتباطات عاطفية من غير اليهود.

ويقول جورين أنه كان يبعث مندوباً للتأكد بأن المتقدم «يطلب للتحويل» بإمكانه أن يأكل الطعام اليهودي ولن يعمل في أيام السبت، حيث كان يعرف جيداً أن المتحولين عن طريق الكيبويتزات ليسوا على استعداد تام للحياة بالاسلوب الأصولي، «ولو أنها إعترفت أن لديها صديق في السلك الديني لأوقفت عملية التحويل على الفور».

هذا الصديق «يوسى كوهين» القس لو أن ذلك المعبد بالقدس، لطلب منه أن يخدم فيه شهراً على الأقل، من كل عام لتقديم القرابين والبخور على المذبح والقيام بطقوس الحج وكان سيحرم من الزواج بمطلقة أو عاهرة أو متحولة إلى اليهودية، ولأن للحاخام جورين أو أى حاخام أصولي آخر لا يزال مخطوراً عليه الإقدام على ذلك.

ليس كل من يطلق على اسم عائلته «كوهين» يعتبر قساً يهودياً فعلاً ولا يطلق على كل قس يهودي لقب «كوهين» فإنها مجرد عادات تتوارثها العائلات فكثير من العائلات اليهودية من غير الأصوليين يتفخرون بأنهم ينتمون إلى عائلة أرون الدينية أما اليوم مع غياب هذا المعبد هناك قوانين تحدد من هو القس خادم المعبد عن غيره حتى عند الأصوليين أنفسهم، منهم أول من يقرأون التوراة (من بين سبعة من هؤلاء يطلبون في أيام السبت وثلاثة في منتصف الأسبوع) ويمنعون من البقاء في نفس المكان مع أى إنسان ميت كما يمنعون من التجول عند القبور كما يطبق عليهم جميع قيود الزواج حيث لا يستطيع أن يتزوج من مطلقه في إسرائيل. والمعبد اليهودي المتحد في بريطانيا يطبق جميع هذه القواعد.

وليس لهذا الشخص أى اختيار فإنه إذا ولد بهذه الصفة حتى لو لم يؤمن بها أو لا يريدّها فأنها تبقى معه بقية حياته ويلتزم بجميع شروطها.

قالت بولا أنها لم تخبر الحاخام كورين بان يوسى كوهين كان صديقها لأنه لم يكن كذلك فى هذا الوقت فلم تخرج معه إلا بعد أن حدث التحول لها فى يونيو ١٩٨١ لقد أنغمست فى الحمام المقدس فى تل أبيب وثلاثة حاخامات يشاهدون ذلك من أعلى وعندما خرجت أعلنوا «مرحباً بك وسط الشعب اليهودى» وقالت «أنسى تلك اللحظة لا أستطيع أن ولن يستيع أحد أن يأخذها منى على الإطلاق».

فى سبتمبر عندما ذهبت إلى القدس لتتسلم شهادتها من جورين كانت حاملاً ولم تخبر رئيس الحاخامات بذلك وفى خلال أيام ذهبت مع يوسى إلى نيو كاسل حيث تزوجا فى «المعبد الإصلاحى» كان والدى يوسى يريدان زواجاً يهودياً وكذلك هى كانت تريد نفس الزواج وقالت «كنا نعرف أن أى معبد أصولى لن يوافق على زواج يهودية متحولة إلى «قس» يهودى ينتمى إلى طائفة كوهين أما الآن فقد ادركت أنه بزواجنا فى معبد إصلاحى يهودى ساءت المشكلة أكثر، سوءاً مما كنا نتصور، ولم ندرك مدى كراهية الأصوليين والإصلاحيين لبعضهم البعض على هذه النحو البشع. ويضيف يوسى «كنا نظن أن اليهود هم اليهود..» الآن رجعا إلى حآون، يوسى يعمل (بالصيد) وعادت وبولا التى أُسِمِيت (نعومى) طبقاً لشهادة تحولها، عادت إلى مرعى الأبقار فى الكيوييز.

وبعد ست سنوات أخرى قررا أن يتركا هذه الحياة فى «المزرعة اليهودية المشتركة» فى إسرائيل ويعودان إلى نيو كاسل فى إنجلترا مرة أخرى ويقول جورين لقد كذبت على مرتين عندما أخفت صداقتها لأحد اليهود (الكوهين) (القسس) وعندما ذهبت إلى إسرائيل على الرغم من تعهداتها لنا.

وردت بولا على ذلك الاتهام قائلة «من الظلم الأدعاء باننا ذهبنا إلى خارج لقد عاشت الأسرة فى إسرائيل حوالى عشر سنوات بعد التحول إلى اليهودية وأى انسان

يجب أن يغير محل إقامته اثناء حياته كما قالت إنها تعرف الكثيرين ممن تحولوا إلى اليهودية ويعيشون بالخارج على الرغم من عبارة الحاخام كورين بأن هذا التحول «لايسرى خارج إسرائيل» ولكنهم لا يلفتون الانظار إليهم ويقيمون في صمت بخصوص هذا الشرط.

كانا بولا ويوسى يفضلان الصمت أيضاً وأن يمتزجا في الحياة في المجتمع اليهودي الصغير، في نيو كاسل ولكن عند وصولهم كانت المشكلة قد أثّرت ذهبت السيدة ويلسون والدّة بولا إلى مدرسة «الملك دافيد» وهي المدرسة اليهودية الصباحية الوحيدة في تلك البلدة، لتسجيل الطفلة ليام للإلتحاق بالحضانة وقالت لها مدرسة أصولية إن أبتلك متحولة إلى يهودية على يد جورين ومرتجة من كوهين وهنا أسرع إلى حاخام نيو كاسل ويدعى «موشى باديل».

وفي أول يوم سبت ذهب يوسى وبولا إلى المعبد وتقابلا مع الحاخام باديل. سألهم على الفور ع شهادة تحويل بولا عندما نظر إليها أشار إلى الجملة الشرطية ولكن بولا جادلته بأن تلك الجملة كانت مجرد وسيلة لم لمنع المتحولين من مغادرة إسرائيل وأنهما بقيا هناك فعلاً لعدة سنوات بعد التحول إلا أنه أصر على إرسال الوثيقة إلى رجال الدين اليهودي في لندن قائلاً أنه مجرد سمكة صغيرة في بحر مترامي الأطراف وبعد أن استقر الأطفال في الدراسة وتناسى الجميع هذه الإجراءات البيروقراطية السقيمة وصل رد رجال الدين في لندن بأن هذا التحول أصبح لأغياً وعليهم أن يخرجوا طفليهما من المدرسة.

واندفع الأبوان إلى لندن حيث قابلا ديان اسحق بوجر الحاخام اليهودي المشهور برجاجة العقل في هذه الدولة وسأله يوسى «ماذا نقول لأطفالنا؟» فأجابه ببسطة شديدة «أخبرهم بالحقيقة بأنهم يهود في إسرائيل فقط وليس هنا في إنجلترا.

وشرح ديان بانه يستطيع أن يعيد تحويل بولا إلى اليهودية إلا أن ذلك يستلزم طلاقها من كوهين أولاً حيث أن زواجها منه يصبح باطلاً في الدين اليهودى لأنه من (الكهوهين) «ولن يكون هذا الطلاق صورياً لأننا سنعين مخبرين لمراقبتكم». وأجابه يوس «إنكم لا تعترفون أساساً بزواجنا فلماذا يقف هذا الزواج الباطل أذن في طريق إعادة تحويلها إلى اليهودية.

وتدخل المحامون ولكن بعد أنتشار الموضوع في الصحف اليهودية والانجليزية ولم يغير تدخلهم في الأمر شيئاً ورد رئيس الحاخامات لورد چاكوبو فيتز على المحامين جولد كورن ودافيز مثياس بالقول: «يجب أن تقدرُوا أنه في الحالات المماثلة المشروطة فإن «البيت دين» رفض أن يعترف بالتحويل في هذه الدولة إلا إنه في بعض الحالات الأخرى أمكن معالجة الأمر وذلك غير ممكن بالنسبة لهذه القضية حيث أنها متزوجة من (كوهين) وذلك ممنوع على اليهودى المتحول وهو يجعل إمكانية إعادة تحويلها إلى اليهودية مرة أخرى من الأمور المتسحيلة.

وقالت بولا للحاخام دايان بانها ستحدث ضجة كبيرة بكل ما لديها من قوة. إلا أنه أجابها «أفعلى كل ما تريدن وسأساعدك ولكن ليس هنا في إنجلترا) يجب أن تكون هذه الضجة هناك في إسرائيل.

كان لكرامية بوجر و(بيت دين) لندن للحاخام كورين دوراً رئيسياً في تفجير هذه المشكلة إلا أن رجال الدين في إنجلترا وكذلك رئيس الحاخامات في إسرائيل (وكان جورين قد أحيل إلى التقاعد) لم يتمكنوا من تغيير هذا الوضع أو إلغاء هذا الشرط وعندما تفاقت المشكلة، أبطل الحاخام جورين تحويلها إلى اليهودية حتى في إسرائيل نفسها وكتب في عريضة دعوى إلى المحكمة البريطانية بأن تحويل بولا إلى اليهودية أصبح باطلاً.

إلا أن جورين يقول بأنه كان متعاطفاً مع الطفلين اللذين أضريرا بلا ذنب اقترفاه من قبل الحاخامات في إنجلترا وقال أنه حاول إقناع رئيس «المجتمع اليهودي» في نيو كاسل بأن يترك الطفلين في المدرسة اليهودية (جدير بالذكر أن من بين كل خمسين طفل في هذه المدرسة هناك اثني عشر طفلاً من غير اليهود ولم يكن مسموحاً لهم بحضور الفصول الخاصة بالدراسات اليهودية وكان ذلك في نظرهم إمعاناً في الاساءة لهم). اقترح جورين بأن الطفلين غير اليهود لأن والدتهما غير يهودية ويمكن أن ينشآن في بيئة يهودية بالمدرسة حتى يستطيعا أن يتحولا إلى اليهودية عند بلوغ سن (الثالثة عشر للولد والثانية عشر للبنات).

إلا أن بولا تتهم جميع الحاخامات الأصولية بالتسبب في كل تلك المعاناة وتقول أن الحاخامات البريطانيين يتهمون جورين ويدعون بأنه هو السبب في إلقاء طفليها إلى خارج المدرسة ونبذها شخصياً من المجتمع اليهودي وبدأت عائلة كوهين في ١٩٩١ حضور الطقوس الدينية في معابد الإصلاح اليهودية في نيو كاسل. وذهب كل من كوبي وليام إلى مدرسة «نظامية» كما التحق بالفصول اليهودية التابعة لحركة الإصلاح وقالت بولا «هؤلاء الإصلاحيون هم قومي اليهود، لقد وقفوا بجانبى وهم اليهود الحقيقيون في نظرى.

إلا أن أصدقاء كوبي لازالوا من الأصوليين وهو لا مازال لا يفهم سبب خروجه من المدرسة أو عدم حضوره معهم في معابد الأصولية. ويقول كورين أنه يستطيع أن يتحول إلى الأصولية عندما يصل سن البلوغ إلا أن بولا تقول بمراره «لا أستطيع أن أضمن مشاعره عندما يصل إلى هذه السن لأن شخصيته تعرضت للإهتزاز تماماً.

الفصل الرابع

لماذا الآن

لماذا أصبحت المشكلة الأصولية في تعريف اليهودى حرجه الآن بعدد قرنين كاملين من نشأة «الحركة الإصلاحية». يوضح جوناثان ساكس ذلك الأمر بالقول: «إن السبب الرئيسى هو الاصرار اللامتوقع لكل من الأصولى وحركة والاصلاح»، وتنشأ هذه المشكلة عندما يرغب يهودى منتهى إلى الحركة الاصلاحية الزواج من الأصوليين.

(كان يمكن أن يضيف إلى ذلك أن المشكلة تفاقت كذلك عندما كان يرغب يهودى من حركة الاصلاح الهجره إلى إسرائيل) وللأسف ينظر الجانبان، كل للآخر نظره تشاؤميه، فالأصوليين سينظرون إلى المذهب الاصلاحى بأنه عارض ويجب أن يختفى سريعاً والاصلاح سينظرون إلى الأصوليين بأنهم أمام التيار الجامع للعصر الحديث فى طريقهم إلى الاختفاء، وأدرك الطرفين مؤخراً أن الطرف الآخر قد نجح ولم يتلاش*.

ويقترح اللورد چاكوبو فيتس، سلف ساكس، بأن الإصلاح الكلاسيكى كان يتجنب المواجهة فى مشكلة «وحدة الشعب اليهودى» ويعطى مثلاً شخصياً لذلك، فيقول إن والده، الراهب الراحل، كان حاكماً فى برلين، على رأس تنظيم شامل يضم المعابد الأصولية، والإصلاحية والليبرالية إلا أن (بيت دين) وجميع الأمور المتعلقة بها كانوا تحت سيطرة الأرثوذكس كان أبى رئيساً (للبيت دين) بحيث كانت أمور الزواج والطلاق والتحول تتم تحت سيطرة الإدارة الأصولية*.

* ساكس : شعب واحد (سيذكر فيما بعد)

كان ساكس صوت أصولي معاصر له صدى واسع المدى، وكان دراساً مجداً ومؤرخاً وعالم اجتماع وهو ينادى فى كتابه بأن يقوم الأصوليين بالعمل على منع الكارثة وشيكه الوقوع والتي ستفضى إلى أنقسام الشعب اليهودى.

كما يقول «نورمان لامن» جامعة يشيثا إنه لا يستطيع أن يقبل بهذا الإنشقاق، إلا أن جميع الجهود التي بذلت للتقريب بينهما باءت بالفشل، ومن اسباب الفشل، المعارضة الأصولية الشرسة التي لا تقدم على أى تنازلات إطلاقاً، بالإضافة إلى المقاومة العنيفة من الطرفين بما يحول دون إدراك أن الجانب الآخر حقيقة واقعة ولم يتلاش. وفى بعض اللقاءات مع بعض الشخصيات الهامة من الطرفين، يستطيع المرء أن يدرك أن كليهما يتجاهل وجود الطرف الآخر.

ولسخرية القدر، بدأت منذ فترة محاولات لتضييق الفجوة بين الإجتاهيين. فلم تعد الحركة الإصلاحية ترفض البعد القومى لليهودية، بل على العكس تؤيد الصهيونية التي رفضتها فى بادئ الأمر، وأصبحت اللغة العبرية مستخدمة فى الطقوس الدينية الخاصة بالإصلاح أكثر من ذى قبل.

إلا أن الفجوة، تزايدت فى بعض النواحي الأخرى فقد أجرى الإصلاحيون إنتخابات عام ١٩٩٠ للسماح بالرجال والنساء الشواذ جنسياً بالإنضمام إلى صفوف الحاخامات معلنين ضرورة منح الحاخامات الفرصة لبلوغ هذا الموقع المقدس، بغض النظر عن سلوكهم الجنسى، وهنا أعلن الحاخام ستولبر، من الاتحاد الأصولى بأن ذلك يعتبر «عملاً مشيناً على نحو شديد»، وقال حاخام إصلاحى من سان فرانسيسكو قال بأن النساء قوبلن ككبيرة مضاده عند بدء قبولهن فى صفوف حاخامات الإصلاح أما الآن فاجميع يرحب بوجودهم وكذلك فإن الحاخامات من «الشواذ جنسياً»، رجالاً أو نساءً، سوف يلقون الترحيب يوماً ما. ولازال للأصوليين يرفضون فكرة أن وجود

السيدات ضمن صفوف رجال الدين اليهودى، رغمًا من عدم وجود وجه للمقارنه بين السيدات والشواذ جنسياً.

أما بالنسبة لموضوع اليهودية نفسها فقد زادت الفجوة كثيراً عما قبل بين الجانبين. قال سيدنى كوستل رئيس رابطة الأصوليين فى ذلك الوقت «ولا يجب أن نتظر حتى عام ٢٠٠ حتى نصلح هذه الفجوات. ولا يوجد الآن أى مجتمع يهودى متجانس حيث يستطيع أى فرد أن يتزوج طبقاً لرغبته. الآن هناك مجموعتان منفصلتان فى المجتمع اليهودى المجموعة الأولى يهودية باعتراف الجميع الجميع أما المجموعة الثانية فهى غير يهودية فى نظر الأرثوذكس ولكنها يهودية فى نظر الحركات المضادة للتواره وأصبح هذا الوضع لا يحتمل وسوف يزداد سوءاً إذا ما أصرت الحركات المضادة للتواره على السير فى طريقها الذى أختارته.*

وتبلورت لدى الزعيم الأصولى كويستل فكرة تقدم بها علماء إجتماع يهود، ترى أن الزيجات المختلطة والتحول الجماعى لغير الأصولية وتدعم الاستمرارية اليهودية على المدى البعيد، فما هى مجرد الهرطقة وفساد وجنوح، ويشير علماء الاجتماع. بأن المتحولين أكثر نشاطا ويتمسكون باليهودية أكثر من اليهود الآخرين كما يؤكد العلماء بأن هذا التحول يتضمن ما يقرب ربع الزيجات المختلطة وحتى هذه الزيجات إذا تمت بدون تحول فأنها تمد الشعب اليهودى بدماء جديدة بما يعوض التناقص الطبيعى. أما من وجهة نظر الأصوليين فأنهم يعتقدون بأن الاتجاه غير الأصولى سيتلاشى تدريجياً.

وتعتمد الكثير من تلك التصورات بالطبع على تعريف وحيد لمفاهيم رئيسيه مثل. الاستمرارية اليهودية، الهوية، الإلتزام، الاستيعاب الخ، ويعترف أفضل علماء الاجتماع اليهود بأنهم متأثرون باعتبارات ذاتية، رغمًا عن أنفسهم وكتب الاستاذ ستيفان إم

كوهين «إن فهم ماضى وحاضر ومستقبل اليهودية الأمريكية ليس مجرد جدال حول الحقائق، وحتى إذا وافق المراقبون على دليل معين فأنهم يختلفون حول معناه وإذا إتفقوا على المعنى قد يختلفوا على أسلوب تطبيقه» ويحذر كوهين دون التحيز لأى جانب فيقول «إن الاعتقاد بالاستيعاب المفرط بين الغير أصولية هى أداة مؤثرة فى صراع الأصوليين مع القيادات المحافظة والاصلاحية.

ويزعم الاستاذ كوهين فى تحليله النهائى، «إن أهم نقطة تستحق التفكير وتؤثر على المستقبل هى الاهتمام بيهودية الأطفال، ناتج الزواج المختلط* إن الحكم لم يصدر بعد فى هذا الشأن» ويقول إن المنظور الاجتماعى فيما يتعلق بهذا الأمر ليس عرضة للخطأ بلاشك، أما المفهوم الأصولية فهو أن هؤلاء الاطفال غير يهود إذا لم تكن الأم يهوديه وأى معايير اجتماعية أو أى تحول إصلاحى لن يغير من مالحكم اليهودى الأصولى.

وتواصل الحركات «المضاده للتواره» حسب تعبير كويستيل طريقها. فى أمريكا عبر الحاخام الإصلاحي فى الذكرى المثوية للمؤتمر المركزى لحاخامات الاصلاح الأمريكان، فى سنة ١٩٨٩، شندلر عن رغبته للمناداه بالمقاومة العنيفة لانتقاد الأصوليين لقرار امكانيه أنتماء الاطفال إلى والدهم وأعلن «لم يدخل أجدادنا حركة اليهودية الاصلاحية لتتاجر بها من أجل تقليد تافه للأصولية وطلب من زملاءه الحاخامات الكف عن النظر إلى الأصولية برومانسية حيث أنها السبب فى سيادة القمع المبتذل والتراث البالى والفساد الأخلاقى. وهذا هو الخطر ما فى إسرائيل اليوم ليس كذلك ؟ .

* ستيفان أم كوهين وتشارلز أس. ليمان، قيمة الحياة اليهودية الأمريكية .

* وجهتى نظر (نيويورك) اللجنة اليهودية الأمريكية ١٩٨٧ ص ٢٧ .

الفصل الخامس

خطوط جديدة للمواجهة

فى عام ١٩٨٩ ظهر خطر جديد فى اسرائيل، أصبح الأصوليين أكثر قوة بعد انتخابات الكنيست عام ١٩٨٨ ولذلك حاولوا أن يعكسوا قوتهم باصدار تشريع، نستخدم ضد الحكم فى قضية سوزان ميلر الذى صدر عام ١٩٨٦. وكان فى ذلك الوقت وزير الداخلية الحاخام هو اسحاق بريز الذى إقتراح تسجيل السيدة ميلر وجميع المهاجرين المحولين «كيهود محولين». بالنسبة للقضاء سيكون ذلك أمراً مناسباً حيث يسمح بالاستجابة لطلبات هؤلاء والاعتراف بهم طبقاً «لقانون العودة» ولكنه سيكون التشريع بمثابة تحذير للدولة فإذا أراد هؤلاء المهاجرين المحولين الزواج فلن يسجل الحاخام الا هؤلاء المحولين إلى الأصولية.

ادينت هذه الفكرة بشكل واضح لأنها دعوة لمزيد من التعصب. إن التوراة نفسها تمنع، مراراً وتكراراً الاساءه للمحولين. «بأن ونحث على ذلك بالقول»: [فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء فى مصر]. ولم توافق المحكمة العليا على أسلوب بيريز وزمرته والقاضى بتسجيل السيدة ميلر كيهودية وبدلاً من تنفيذ هذا الحكم قدم إستقالته وهدد حزبه شاس بمسانده عمل رئيس الوزراء شامير على إدخال تشريع جديد خلال ستين يوماً يجعل كل تحويل، من مناطق ما البحار لايسرى الابموافقه رئيس الحاخامات فى إسرائيل ذلك وأثار ذلك «تحذيراً» عاماً بعث به إحدى وعشرون منظمة يهودية أمريكية يعلنون فيها أن قرار شامير يهدد وحدة الشعب اليهودى. والنتيجة لذلك هى حرمان هؤلاء من حقوقهم الروحيه، وخاصة المرتبطين بالحركة الإصلاحية المحافظة وإن تلك الخطوة تمثل إساءة واضحة لليهود فى جميع أنحاء العالم وتنبأوا بأن ذلك سيقضى إلى انقسام شاسع بين يهود الشتات فى العالم وبين الدولة اليهودية.

ونتيجة للجهود المكثفة للحركات غير الأصولية رفض الكنيست قرار شامير في يوليو ١٩٨٧ بأغلبية ستين صوتاً ضد ستة وخمسين صوتاً وقد رفض عدد من أعضاء حزب الليكود التابع لشامير تأييد رئيس الوزراء وأعلن بعض السياسة أن شامير نفسه أن قد لعب دوراً في هذا القرار. فقد ذكر حزب شاس أن رصيد حزب الليكود قد قفز عالياً عالية إلا أن شامير أجابهم بأنه قد فعل كل ما بوسعه.

رسمت خطوط المعركة بوضوح كامل وازدادت صلابة الزعماء الأمريكيون اليهود بعد ظهور نتائج انتخابات عام ١٩٨٨. طالب أحزاب الأصوليين والحزب القومي الدينى بتعديل قانون العودة بإضافة «تعريف اليهودى» بأنه الفرد من أم يهودية أو المحول إلى اليهودية وقادت حركة لوبا فيتش حملة معادية لهذا التعديل وكشفت من إتصالاتها بأعضاء الكنيست وقامت بحملة دعائية ضخمة فى الصحافة، نظراً الارتباط أن حزبي العمل والليكود فى ائتلاف حكومى. وخشى زعماء اليهود الأمريكيون من هذا الوضع اعتبروا أن قانون العودة يجب أن يصاحبه إحراز مكاسب سياسيه لهم وأرسل الكونجرس اليهودى الأمريكى بيرقيه عاجلة إلى شامير وبيريز بعد الانتخابات بيومين، وبعد أسبوعين فقط توصل شامير والأصوليين إلى اتفاق وطار وفد مكون من أكبر زعماء اليهود إلى القدس فى مهمة رسميه طارئة لمنع كارثة عدم اعتراف الدولة اليهودية بملايين اليهود فى جميع أنحاء العالم وأعلن الاتحاد اليهودى الفيدرالى فى بوسطن واطلانتا وبتزرج رسمياً بأنهم سيعيدون النظر فى المخصصات المالىة لإسرائيل إذا أدخل هذا التعديل على القانون وأعلنت أطلنطا بصراحه كامله «لن نرسل هذه المخصصات المالىة لإسرائيل إلا إذا توصلوا إلى مرضى لمشكلة قانون العودة.

وإيتضح من هذه الحملة مدى قوة البنية التنظيمية والمؤسسية لليهود فى أمريكا ويشكل الاتحاد الفيدرالى اليهودى فى كل مدينة الاتحاد قلب التجمعات اليهودية

بحملات مكثفة لجمع التبرعات التي تصل إلى ملايين الدولارات من أجل إسرائيل كذلك من أجل الخدمات في مناطق التجمعات اليهودية. تنميتها ثقافياً واجتماعياً إلا أن اعتماد إسرائيل على يهود أمريكا أعظم من مجرد جمع الأموال. ويصل دعم حكومة الولايات المتحدة للدولة اليهودية في إسرائيل إلى ثلاثة ملايين دولار سنوياً، في صورة معونات عسكرية وإقتصادية مباشرة ويشير الطرفان دائماً إلى القيم والمصالح المشتركة بين البلدين إلا أنه لا يمكن تجاهل التأثير اليهودي السياسى من خلال الجماعات السياسية اليهودية في تعضيد هذه العلاقة. ويرأس منظمو ومنسترو ومنفذو هذه العمليات الإتحادات الفيدرالية اليهودية في كل مدينة ويرأسون أيضاً المنظمات القومية اليهودية مثل المجلس الفيدرالى اليهودى والإتحاد اليهودى للغاثة وكلا الطرفان لهما مصلحة مشتركة حيث يستمد اليهود فى أمريكا تأثيرهم ونفوذهم من إسرائيل نفسها وإرتباطهم بها. ويقوى الارتباط بالمسائل الدبلوماسية بين الدولتين من الارتباط بين القدس وأمريكا وذلك يعزز بدوره هذه العلاقة على نحو أقوى وتته أصابع الاتهام فى الدوائر الأصولية دائماً إلى هؤلاء المؤثرين والمحركين ويستمررون أن لهؤلاء مصالح خاص وراء عدم تعديل قانون العودة حيث أن أسرههم الخاصة بها زيجات مختلطة كثير بين اليهود وغير اليهود كما أن لها كذلك أعداداً كبيرة من المحولين، وتدعم وهذه النقطة الأخيرة تؤيدها الإحصائيات وتبين أحصائية أجريت عام ١٩٩٠ فرد على الأقل داخل كل أسرة يهودية متزوج من غير اليهود.

إلا أن الأدعاء الأصولى بأن إشكاليه «تعريف اليهودى» يلقي معارضة الزعماء غير الأصوليين انما هو مخص ادعاء خاطئ تماماً لأن الملايين من اليهود الأمريكيين من غير هؤلاء الزعماء أو المحولين يكونون حباً واحتراماً دفيناً لإسرائيل من الناحية الدينية والنفسية، وقاموا بثورة عندما أحسوا بأن إسرائيل على وشك تشريع قانون يشكك فى درجة إيمانهم. وفشلت المفاوضات بين حزبى الليكود والأصوليين وكون

الليكود مع العمل «ائتلاف الوحدة الوطنية» وأصبح خطاب شامير إلى مجلس حكماء التوراة والتابع لأجودات إسرائيل والذي جاء فيه أن حكومته سوف تعدل قانون العودة، خطاباً عديم القيمة ولم يناقش شامير علانية، على الإطلاق بأن الإقدام على هذا الإجراء إنما جاء نتيجة للضغوط الأمريكية والتي مورست على الائتلاف الحكومي بهذا الشأن هذا إلا أنه اعترف لبعض المقربين إنه لم يكن ينوى على الإطلاق تعديل هذا القانون وانها كانت جزءاً من لعبة سياسية. «إلا أن أحداً لم يصدق ذلك القول اشامير» كما ذكر أحد زعماء الأصوليين بعد ذلك بعده شهور.

أما في معسكر الأصوليين فقد شعروا بالحباط الشديد لهذه الهزيمة المنكرة، وتعلموا الدرس جيداً إن إسرائيل لا تستطيع أن ترضخ لمطالب الأصوليين في هذه القضية مهما كانت ضغوط الأحزاب الأصولية في الكنيسيت، وبمعنى آخر فإن يهود الشتات الأصوليين في جميع أنحاء العالم لا يستطيعون التغلب على الحركات غير الأصولية. مهما حاولت الأصولية بوسائل التبشير ونشر التعاليم الدينية عن عدم صحة الحركات الأصولية سواء كانت اصلاحية أو محافظة إلا أنهم فشلوا في ذلك.

لقد أصبح المبدأ «اللوبا فيتش» معزولاً بصورة كبيرة سواء في أمريكا أو إسرائيل الأصوليين «أن اللوبا فيتش اختارت الطريق الخطأ لقد ارادت أن تحرك اليهود في معاقلمهم وتوقظهم لبتحمل مسؤوليتهم المقدسة إلا أنها فشلت لأنها لم تخير الاسلوب الصحيح كما أوضح رئيس مجلس الحاخامات الأمريكي الأصوليين الحديث بأن رد الفعل المضاد للأصولية قد ازداد عمقاً في قلوب اليهود الأمريكيين كما أن ديجل هاتوره» والذي يترأسه الحاخام شاس لم يكن متعاطفاً على الإطلاق مع مسألة تعريف من هو اليهودي؟ ذلك بسبب عدائية الشديد للوبا فيتش ديب وبسبب تعاليمه المضادة للصهيونية ووجدت المنظمات الأصولية أن دخلها الخيري من المساهمين غير الأصوليين قد إنخفض بصورة واضحة وكانت أكبر ضربه موجهه من زعماء المسكر

الذى يرفض التعديل فى قانون العوده أغلقت فى وجوهم كثير من أبواب الامداد المال والمعنوى اضطروا أخيراً أن يعدلوا عن رأيهم وحفظ هذا التعديل داخل الملفات إلى أجلغير مسمى ويقول استويلر «لقد تقهقرنا إلا إن ذلك لا يعتبر هزيمة لأن الهدف الرئيسى للازال باقياً»، إنه يشير إلى الحرب التى تشنها الحركات الغير أصولية لتعريف من هو اليهودى انما تنبع من احساسهم الداخلى بالذنب وبالخوف منهم يرون اننا نحن الأصوليين قد استطعنا أن نقيم علاقات طيبة مع أمريكا وأننا نعمل أفضل بكثير منهم كلما عملنا فلا بد أنهم، سيشعرون بخيبة أمل أكبر وأعظم أنظروا إلى الحقائق، نحن الآن لدينا أولاد فى الياشيفا المدارس الدينية والذين يبلغون احد عشر عاما وهم أقدر على استيعاب الكتب على نحو أفضل من خريجيه من المعاهد اللاهوتية التابعة لهم.

إن اقتناعهم غير متردد نصرًا للأصوليين مما جعل رئيس الوزراء شامير يجرى محاولة فى عام ١٩٨٩ - ١٩٩٠ للتفاوض حول قبول المتحولين من الطوائف الرئيسية اليهودية الثلاث حيث قال الحاخام شيرر «نحن الآن نحاول أن نضع نهاية لهذه الأزمة وأنا فخور بذل لو أننا لم نضع حداً لها لكانت توقفت على أى حال، إن قوة الحق ستوقفها».

وقام بتنفيذ الفكرة الرئيسية الباكيم روينستين سكرتير مجلس الوزراء الإسرائيلى ومن معاونى شامير المقربين، وقد تفاوض سراً لمدة أشهر مع ممثلى لثلاثة طوائف اليهودية فى أمريكا الممثلين فى جامعة ياشيفا (الأصولية الحديثة)، ومع الكهنوت الشيولوجى اليهودى (المحافظون) وكلية الاتحاد العبرى (الاصلاح) وقد رتب لعملية ترتيب «جهة موحدة» تضم الثلاثة اتجاهات تقوم بمقابلة الأفراد الذين يرغبون فى التحول ثم يحولهم إلى (بيت دين) محدد يعمل فى نيويورك تحت رئاسة الحاخام الإسرائيلى الأعلى وسيتم إعداد هؤلاء لعملية التحول على يد الحاخامات التابعين لهم سواء

أصوليين، أو محافظين واصلاحيين على أن تتم هذه العملية بالاسلوب الارثوذكسى وستتضمن الجهة الموحدة ممثلين عن الثلاثة إتجاهات. و«البيت دين» سيضم الحاخامات الأصوليين أو أى حاخام يوافق عليه الحاخام الإسرائيلي الأعلى وعندما ينظر روينستين إلى فشله السابق يقول أن المتفاوضين استطاعوا التوصل إلى اتفاق بالنسبة لثلاثة مبادئ رئيسية وهى: أن تتم هذه التحولات بالطريقة الأصولية، إنه لا يوجد أى فرصة لوجود (بيت دين) مشترك، وضرره وجود حوار ثلاثى متصل فى هذه العملية.

واعترض الحاخامات الأصولى على الجبهة المتحدة التى تضم ممثلين عن الطوائف الثلاثة إلا أنهم قبلوا هذا الوضع. واعترض بعض مفاوضى الاصلاح على دور الحاخام الإسرائيلي الأعلى حيث أن حركتهم كانت ضد احتكار الحاخاميه وقصرها على اسرائيل فقط إلا أنهم وافقوا على «بيت دين» ينثل حاخامات أمريكا اليهود.

اتضح فيما بعد إن هذه الحاخامات لم تصل إلى حل على الاطلاق. وعندما تسربت الأنباء بأن روينستين يحرز تقدماً قام مجموعة من الحاخامات الأصوليين ورجال الدين فى ورجال الدين فى ياشيفاه بإصدار بيان موحد يوضح استيائهم العميق من محاولات بعض الدوائر.

الأصولية فى الإتحاد مع طوائف الإصلاح والحفاظة خاصة بالنسبة لعمليات التحول اليهودية. «لا نستطيع أن نعترف بهؤلاء الذين عارضوا الأصوليه ولا نستطيع أن نعتمد عليهم فى عملية أصولية من الدرجة الأولى، وإن ذلك الإجراء يعرض وحده الدولة الإسرائيلية لخطر الداهم».

وحرر الحاخام اهارون سولوفتشيك أحد الشخصيات الهامة فى جامعة ياشيفيا، خطاباً يدين فيه التأيد الارثوذكسى للجهة الموحدة كنوع من النفاق إن من خلال

ذلك ستضار اليهودية إلى أبعد الحدود فمن خلال هذه الجهة الموحدة سيستطيع اليهود الجهلاء أن يقدموا على الطلاق على يد حاخامات الحركات الإصلاحية أو المحافظة عندما يعلمون أن زعماء الأصوليين يؤيدون هذه الجهة المشتركة التي سوف تقوم بعملية تحويلهم عندما يرغبون في ذلك حيث أنها ستجعل ما يقومون به شرعياً على الرغم من إختلافه مع المبادئ الأصولية.

أضطر رئيسى الحاخامات فى إسرائيل على الرغم من أن تعاونهم كان ضرورياً لنجاح هذه المهمة، اضطر إلى العدول عن موقفهم وأنهى هذا الموقف المفاوضات.

وأعلن الحاخام مورد شاي الياهو الحاخام الأعلى للسفارديم، معارضته الشديدة لأى اقتراح من هذه النوع وأى مشاركة من الإصلاح أو التحفظ مهما كانت والحاخام لامن رئيس جامعة ياشيفا الذى اهتز موقفه الشخصى من أثر الهجوم ضده من داخل الجامعة نفسها قال «إن العمل الذى يفخر به شيرير بهذه الصورة هو أكثر الأعمال تخريباً قام به خلال الخمسة وأربعين عاما التى قضاها فى منصبه» وهو يؤمن بأنه لو نجحت هذه التسوية لكانت أحدثت تغييراً تراجيدياً فلن يحتاج أى شخص حاصل على الطلاق من حاخامات الإصلاح إلى اللجوء إلى الاسلوب الأصولى ولن سيتطعوا أن يوقفوا المهازل التى ستحدث حينئذ لم يوافق الأصوليين على إعطاء صفه الشرعية للطائفتين غير الأصوليين. من وجهة نظر الأصوليين لا يوجد أى سخرية فى ذلك إن كلمة الطائفة تسمية خاطئة لأنها بذلك تعترف بالتعددية فى اليهودية ويوضح رئيس الحاخامات البريطانى د. جوناثان ساكس «هذه التسمية فى حد ذاتها مع عدم المبالاه بالدين والقيم الدينية والأصوليه نفسها لا تستطيع أن تتصالح مع هذا الاتجاه.. حيث أنها لا تعتبر نفسها طائفة بين الطوائف الأخرى إن الأصولية فى الإيمان الحقيقى ليس فقط لليهود الأصوليين ولكن لليهود اجمعين وكان ذلك الوضع الشيولوجى التجريبي قبل التحرر وظهور الإصلاح حيث لم يكن هناك أى طوائف

أخرى. كان هناك فقط اليهود والمرتدين هذا الوضع غير قابل للتغيير فى الشيولوجيا الأصولية حيث أن التطورات التاريخية والحديثه والتطورات الإجتماعية تصر على أن يهود الاصلاح هم يهود إلا أن يهودية الاصلاح ليست هى اليهودية ليس ذلك تناقضاً ولكنه حقيقة واقعه لأن التقاليد بنيت على اساس الشعب اليهودى ملتف حول الأصولية لذلك فإن الأصولية ليست هى المشكله الرئيسية ولكن المشكله الحقيقية تكمن فى وجود الاتجاهات الأخر غير الأصولية.

وقبل أن يصبح ساكس رئيساً للحاخامات فى سبتمبر عام ١٩٩١ نادى بفتح الحوار قائلاً بأن الأصولية ترحب بالنقاش والجدال وهى متسعه بالقدر الكافى بحيث تستطيع أن تستوعب ذلك بصدر رحب طالما كان ذلك فى حدود الايمان إلا أن معظم حاخامات الأصوليين يعتبرون هذا الإجراء خطراً من الناحية الشيولوجية ليس لديهم أى اهتمام بمناقشة يهوديه الاصلاح أو فى توسيع المفهوم الأصوليين ليشمل الاتجاهات الأخرى أما الأصوليين البريطانيين فهم واثقون من قدرتهم فى خوض مثل هذه المناقشات التى يقترحها ساكس .

بينما حاخامات الأصوليين يقتلون جهود روبنستين للتسوية والتصالح بالنسبة لعملية التحول كان الأصوليين فى إسرائيل يحددون جبهتهم الجديدة فى الحرب التى لاتنتهى حول تحديد «من هو اليهودى» وقد تحدد موقفهم بقرارين قدما فى يوليو عام ١٩٨٩ لمحكمة العدل العليا. أولهما يمثل هزيمه ساحقه للأصوليين بالنسبة لقانون العودة والآخر يمثل انتصاراً رائعاً لهم وهزيمة منكره للإصلاحيين والمحافظين خاصة بالنسبة لموضوعات الزواج فى الحالة الأولى قاضى كثير من المهاجرين المحولين وزارة الداخلية على ضوء الحكم فى قضية سوزان ميلر حيث طالبوا بتسجيلهم يهوداً طبقاً لقانون العودة (عادت ميلر نفسها إلى الولايات المتحدة دون الحصول على بطاقتها الشخصية). القضية الأخرى اثارها الاتحاد العالمى لليهودية التقدمية (الاصلاحية)

واثنين من الحاخامات ضد وزاره الاديان ومجلس الحاخامات مطالبين باعطاء الصلاحية لحاخامين من الاصلاح لاتمام الزيجات فى القضية الأولى كان رئيس المحكمة القاضى ميرشامجار حيث حكم بأن قانون العودة جاءت فيه كلمة «محول» لذلك فإذا وصل أى مهاجر ومعه شهادة تحول من أى تنظيم دينى يهودى فهذا كان وليس من سلطه وزير الداخلية السؤال عن نوع هذا التحويل سواء كان أصولياً أو غيره .

إلا أن نائب رئيس القضاء مناحم إيلون أصدر حكماً مضاداً. كان إيلون أصولياً واستاذاً سابقاً للتلمود فى جامعة القدس العبرية. كانت هناك عادة غير معلنه ولكنها مطبقيه فى إسرائيل وهى إن على الأقل عضو واحد من قضاء المحكمة العليا يكون أصولياً.

قال إيلون أن عملية التحول يجب أن تكون أصولية حيث أن قانون العودة قد استخدم التعريف الأصولى لمعنى اليهودية وأن يكون مولوداً من أم يهوديه أو محولاً وحيث أن المولود من أم يهوديه مفهوماً أصولياً فإن التحول بالتبعيه يكون هو الآخر أصولياً.

«إن دولة إسرائيل هى دولة لجميع الشعب اليهودى اشخاصاً ومجتمعات وطوائف ومجموعات سواء كانوا داخل إسرائيل أو خارجها فى كل انحاء الأرض... إن لذلك أهمية كبرى من أجل البقاء إن عملية الاندماج للشعب اليهودى يجب أن تتم بأسلوب يلاءم الجميع وفى هذه الأمور الحيوية يجب أن تتبنى مبدأ تقبله الأمة جميعها».

أما فى القضية الأخرى فقد أصد إيلون الحكم ووافق القضاء الأربعه عليه على الرغم من أن احدهم وافق رغما عن أنفه استعرض إيلون القوانين والاجراءات التى ترجع إلى عهد الإنتداب البريطانى حيث أوضح أن الزيجات اليهودية كان يجب

اتمامها طبقاً لشريعته التوراه وكان وزير الاديان له السلطة على بعض الحاخامات فى الاشراف وتسجيل الزيجات اليهودية (وبعض الزيجات المسلمة والمسيحية والدرزية) كان الوزير يستشير مجلس الحاخامات ولم يعتبره أحداً مخطئاً فى ذلك الاجراء.

القضية الرئيسية هى تعريف قانون التوراه وقد اعترض الدفاع الاصلاحى حيث أن ذلك الميثاق يختلف عند الأصوليين أو الاصلاح أو المحافظين هنا لم يستطيع ايلون أن يخفى سخريته حيث قال فلنأخذ مثالا عن مشكله زواج الكاهن (كوهين) من سيده مطلقه فإن الأصوليين يمنعون ذلك بينما الاصلاح يقبلها وهنا اقول أن هذا المنع كان طبقاً للتوراه (اللاويين-٢١-١٤) وأظن أن الأصولية لم تكن موجودة فى ذلك الوقت.

واستمر ايلون فى قوله بأن مندوب مجلس الحاخامات قد أجرى مقابلة مع الحاخامين الاصلاحيين ووجد أنهما ينتميان إلى الاصلاح ولايعرفان شيئاً عن الأصولية فى النواحي الخاصة بالزواج وعلى ذلك فإن مجلس الحاخامات الأصوليين حكم بعدم صلاحيتهم ورفض الوزير طلبهم فى اتمام الزواج ووافق اثنان من القضاة على منطق ايلون خاصه اصراره بأن تشريع التوراه هو الكيان الأصولى، والقاضى شامجر رئيس القضاة وافق كذلك وازاف قائلاً «يبدو لى أن هذه القضية خاصه بالتشريعات».

والقاضى الخامس شولومو ليفين وافق بأن المحكمه ليس لديها أى أساس قانونى للاعتراض على قرار الوزير إلا أنه لم يكن مقتنعاً بالجدال الأخير لايلون حيث قال أنه من غير المنطقى أن يرفض طلبهما لمجرد أنهما ينتميان للحركة الإصلاحيه فعلى الرغم من كل شئ هذه الحركة لديها عدد كبير من المؤيدين خارج إسرائيل وعدد لا بأس به داخل إسرائيل نفسها فالحركة فى إسرائيل أكثر تقليديه فى النواحي الثيولوجية عنها فى أمريكا ومن حيث المبدأ من الخطاء أن نمنع الشباب المقبل على الزواج من إختيار

الحاخام الذين يفضلوه هذا الرأي المتعاطف من كان مواساة لحاخامى الاصلاح وكان بمثابة تشجيع كبير للحركات غير الأصولية. فى المره القادمه، والتأكيد ستكون هناك مرات أخرى كثيرة سيكونون أكثر حرصاً فى إختيار حاخامات الاصلاح ويؤكدون معرفتهم التامه لجميع نصوص التواره مثل حاخامات الأصوليين.

وأعلن وزير الداخلية آرى ديرى بعد إعلان المحكمه لحكمها بعده ساعات بانه سوف يحترم ويتعامل مع كل منهما لم يفعل مثل الحاخام بريز عام ١٩٨٦ حيث لم يزعن لقرار المحكمه بخصوصى قانون العوده وسعى لالغاء الحكم عن طريق ادخال تشريعات جديدة.

ولذلك لم تعد لأزمه يهود الشتات مفهوم سياسى واقعى .

وفجأه انتهت مشكلة قانون العوده التى استمرت عشرين عاماً لكن الحرب لم تنته انسحب ديرى من هذه الجبهه الرافضه بسرعه واعاد تشكيل الخطوط الدفاعيه الأصولية حيث عضدها بقرار المحكمه العليا الذى صدر فى نفس اليوم عن حق اتمام اجراءات الزواج وأعلن على الفور أن جميع المهاجرين المحولين سيتم تسجيلهم كيهود وسوف تتضمن بطاقتهم الشخصية كلمه «يهودى» كما حكمت المحكمه إلا أن جميع البطاقات الشخصية للمواطنين المولودين فى إسرائيل وهؤلاء المهاجرين المولودين أصلاً بالديانته اليهوديه وكذلك المحولين وذلك يعنى أن البيانات المكتوبه فى البطاقه الشخصية بالنسبة للجنسية والحاله الشخصية ليست دليلاً على صحتها وذلك يعنى أن موثقى الزواج وكلهم حاخامات أصولى يجب أن يقوموا بتحرياتهم الخاصة عن كل عروسين يتقدمان بطلب للزواج ولايجب الالتفات إلى البيانات المذكوره على البطاقات الشخصية.

فطالما الأصوليين فقط هم المسيطرون على عملية الزواج فإنهم ما زالوا هم الذين

يحددون من هو اليهودى من وجهة نظر إسرائيل والحاخامات الآن بعد أن ايدت المحكمة العليا احتكارهم فهم لازالوا مستعمرين فى منع المحولين غير الأصوليين أو أطفال النساء المتحولات أو الاشخاص غير الأصوليين من الناحية الشرعية من اتمام زواجهم فى إسرائيل .

لقد حول الحاخام ديرى قرار المحكمة إلى نصر وكتبت الجريدة الأصولية ياتد نعمان بالخط العريض «اسلوب ديرى فى المطاوعة جعل الحركة الاصلاحية تدور حول نفسها فى أمريكا إمتدح الحاخام شيرير الوزير حيث أنه اتخذ الخطوه الصائبة فى الاتجاه الصحيح إلا أن حركة ديرى أنتقدت بعنف خارج الأوساط الأصولية فقد كتبت صحيفه إسرائيليه رائده «هاريتز» بأن ديرى قد سبب تحدياً خطير لدوله إسرائيل ويجب أن يدان ويجرد من خداعه وجاءت أكبر ضربه له من الحزب الدينى الوطنى كأصوليين صهيونيين فإن الهزيمة على قانون العوده تعتبر ضربه ضد اعتقاداتهم السياسية الدينية حيث قالوا فى جريده هاتزوف يبدو أن قوم شاس وكهنتهم لا يرون أهمية دولة إسرائيل والقداسه التى تستمدها من التاريخ اليهودى بالنسبه لهؤلاء إسرائيل مجرد موطن ثانى ولا يهمهم البيانات المكتوبه على بطاقتهم الشخصية ولكن كل ما يهمهم هو ما يظهر فى سجلات الزواج والطلاق .

كان المقصود بذلك النقد اللازم إلا أن ديرى وحلفاءه الأصوليين اعتبروه تأييداً لهم فهم يوافقون تماماً مع هذا رأى أنهم يحاربون من أجل قداسة دولة إسرائيل وبالنسبه لانتصار الأصوليين على الاصلاح والتحفظ فإن إسرائيل هى الأداة وليست الهدف لقد أثارهم الحاخام ديرى عندما أعلن رسمياً الشئ الذى كان واضحاً لمده أربعين عاما «إن دوله اليهود ليست دولة يهودية» .

الفصل السادس

السلام فى زمن الأصوليين

قرر وزير الداخلية ديرى أن يتخلى عن معركة قانون العوده ويبدأ معركة جديدة خاصة بالزواج.. وفى غضون بضعة أشهر من معركته الجديدة بدأ المثات، بل الآلاف من اليهود الذهاب إلى إسرائيل، وجاءت نسبة كبيرة من الهجرة اليهودية من «الاتحاد السوفييتى» سابقاً حيث وقد إلى إسرائيل حوالى نصف مليون مهاجر بنهاية ١٩٩٢ ومن المتوقع أن يزحف إلى إسرائيل نصف مليون آخر مع نهاية هذا القرن بشرط إزدهار الإقتصاد الإسرائيلى ليستوعب هذا الزحف البشرى الضخم لقد عاش القادمون من الاتحاد السوفيتى لسبعين عاماً تحت سيطرة الحكم الشيوعى وفى إنفصال تام عن بقية اليهود. لذلك فإن ملامح الشخصى اليهودية بين هؤلاء باهتة بينما ترتفع بينهم نسبة الزيجات المختلفة وكثير من الأسر المهاجرة التى تصل إلى إسرائيل مختلطة حيث تتضمن يهوداً ومن غير اليهود.

أما المهاجرين المشكوك فيهم فيصنفوا إلى قسمين حوالى ١٠ : ١٢ ٪ من غير اليهود ولا يدعون ذلك ولذلك لا تسجلهم وزارة الداخلية. ونسبة أخرى صغيره من هؤلاء تصل إلى بضع الآلاف طبقاً لتقديرات بعض المصادر المطلعة ليسوا من اليهود ولكنهم دخلوا إلى إسرائيل بصفتهم يهوداً بعد أن سجلوا أنفسهم فى القنصلية الإسرائيلية فى الاتحاد السوفييتى ولذلك تم تسجيلهم كيهود فور وصولهم إلى إسرائيل.

لو أن وزير الداخلية التابع لحزب شاس طلب التحقق من صحة «يهوديه» كل من هذه الحالات المشكوك فيها لكانت سياسة إسرائيل إنحرفت مرة أخرى إلى السؤال القديم «من هو اليهودى؟» وإنتشر ذلك مرة أخرى بين يهود الشتات. ويفصل قرار «ديرى» رغم من تأجيله «لمشكلة الحالة الشخصية» للفرد إلى أن يقدم على الزواج.

وبذلك تعطلت الهجرة الجماعية من الاتحاد السوفييتى إلى إسرائيل لفترة ولكن أجلت الوقت المناسب.

لكن هذه المشاكل قد تنفجر فى أى لحظة ويتوقع المراقبون مثل هذا الانفجار «إن الأزمة على وشك أن تحدث» هذا ما قاله الحاخام إيتان إيزمان مدير مكتب رئيس الحاخامات. إن حالة مهاجر واحد يتم فحصها والتحقق منهما ونرفض أن نزوجة من يهودية، سيشعل فتيل الأزمة.

ويمنع القانون على الإسرائيلى، من الكهان أو المطلقون، الزواج لذلك يضطرون إلى السفر فى مكان آخر و بعد الزواج رسميا فى ظل تشريع قانونى آخر، فإن القانون الإسرائيلى يعترف بهذا الزواج. إلا أن معظم المهاجرين السوفييت الذين يحاولون الاستقرار فى حياتهم الجديدة لا يستطيعون أن يدفعوا نفقات رحلة إلى أمريكا الجنوبية أو حتى قبرص، ويزيد عدد حالات غير المتزوجين كثيراً عن الحالات القليلة التى استطاعت الإقتران بإسرائيليين إلا أن هذا الخطر سيؤدى بمرور الزمن إلى حلولو تدريجية عملية تضاف إلى نجاح الأصولية فى إسرائيل وفى خلال خمسة عشر أو عشرين عاماً ستمكن استيعاب المهاجرين السوفييت فى المجتمع الإسرائيلى دون إنفجار الأزمة الرئيسية المتعلقة «بمن هو اليهودى؟» وسيكون انتصاراً ساحقاً.

الجهود التى تبذلها الحركات الإصلاحية والمحافظة لزراعة الأصولية فى إسرائيل. وسيظهر إن الأصولية قادرة على تحدى للمشكلات القومية ويثبت إن الأصولية تحارب أساساً الحركات الإصلاحية والمحافظة اليهودية حيث أنها تستطيع أن تحتضن حتى السوفييت إلا أنها تلفظ الحركات الإصلاح والمحافظة تماماً.

لو أن ذلك المفهوم موجود أصلاً فهو نتيجة لتأجيل دبرى لقضية الحالة الشخصية التى تمكن الحاخامات من التعامل مع كل حالة على حدة. إن المهاجرين المتحولين يمرون ببرنامج لاعادة تحويلهم يشرف عليه حاخامات فى المدن المختلفة وتشرف الرئاسة الحاخامية فى القدس على هذه البرامج وعلى (البيت دين) المسئول عن ذلك وأتاح هذا الاتجاه فى بحث كل حالة على حده جيد الحاخامات التساهل إزاء المتطلبات الأصولية خاصة قبول الوصايا العشر فى عملية التحويل يطلب جميع الاحاخامات الأصوليين التزاماً مخلصاً من المتحول للوصول إلى الدرجة المطلوبة من الإيمان إلا أن بعض من يقومون بتدريهم على ذلك يتساهلون لدرجة كبيرة وهناك حالات كثيرة اثبتت هذا التراخي.

بالإضافة إلى ذلك هناك درجة معينة من المرونة بالنسبة لموضوع اليهودية فى الحالات التى يكون الشخص قد اندمج تماماً فى المجتمع اليهودى خلال فترة طويلة وهذه الحالة تطبق خاصة فى إسرائيل حيث المجتمع اليهودى بالكامل، ولم يتبع الحاخامات فى إسرائيل هذا الخط بأسلوب خاص لكنهم يؤكدن إستخدامه بصفة عامة*.

حتى هذا الاتجاه الأصولى التحررى المبني على دراسة كل حالة على لا يمكن أن يعطى ضماناً لنجاح عملية التحول خاصة بالنسبة للمهاجرين السوفيت ويقر الحاخام ايزمان «نحن لا نستطيع أن نجعلهم يهوداً إذا لم يكونوا جادين فى هذا إن الأصوليه لا تمنحنا الوسيلة لذلك.

* هذا التعاطف أدى أن يقوم ٦٥٠٠٠ من المهاجرين السوفيت بعملية الختان بين عام ١٩٩٠ - ١٩٩٢ على الرغم من عدو ضروره ذلك فى القانون الإسرائيلى إلا أنه منشتر بين المواطنين اليهود والمهاجرين السوفيت ومى جزء من تحولهم إلى اليهودية ولكنها عملية مؤلة حيث أنها تتم فى العادة بعد ثمانى أيام من الميلاد حتى لا يتألم الطفل. فى عملية الختان عن طريق أشعة الليزر حتى تتم العملية بدون آلام.

لا نستطيع أن نكذب على أنفسنا ويعكس هذا التشاؤم الخوف من أن هؤلاء المهاجرين عبارة عن قبلة موقوته من المتوقع أن تنفجر فى أى لحظة بدلاً من أن يظل مفعولهما. وفى مقابل كل مهاجر غير يهودى يريد فعلاً أن يتحول هنالك فرد آخر.

يتناسى هذه القضية بالكامل. ويوقع البعض على طلبات للتحويل ويعتقدون ان المطلوب منهم هو مجرد التوقيع على هذا الطلب وعندما يدركون عكس ذلك ينسحبون تماماً مثل قرار قانون العودة.

قرر حزب شاس عام ١٩٩٢ الانضمام إلى حكومة أسحق رابين وكان ذلك خطوة ردمكاليه لها آثار كبيرة على مستقبل إسرائيل ودور الأصولية بها بعد خمسة عشر عاما من مؤازرة الجناح الأصولى اليميني وقاد الحاخام أوفاديا يوسف الأصولية إلى طريق التحالف من أجل السلام مع اليسار.

وقد ثبت أن هذا التحالف كان سبباً لمشاكل كثيرة وجد شاس نفسه فى صراعات ضارية مع حليف رابين الآخر اليسارى الليبرالى العلمانى «ميريتز» وزعيمته السيدة شولا ميت الونى الذى عينها رابين وزيرة للتعليم وأصرت على تدريس موضوع الخلق ونظرية النشوء فى المدارس الحكومية غير الأصولية وعندما هاجمها شاس اقترحت عدم ذكر اسم الله فى الصلاة على الاموات، وبالنسبة لحزب شاس كان ذلك تدنيساً للمقدسات وبالنسبة لحزب العمل وآخرين من حزبيها كان استفزازاً حقيراً.

على الرغم من كل تلك الاحتكاكات انضم الحزب الأصولى الكبير إلى معسكر السلام من وجهة نظر الحاخام يوسف كان ذلك ثمرة طبيعية لانتجائه للسلام «إن إستعمار احتلال الأراضى بقوة السلاح، فى هذا العصر وتحدى المجتمع الدولى يعتبر خطيئة لقد حكم عام ١٩٨٩ بانه لو استطاعنا أن نعيد هذه المقطعات التى قمنا باحتلاله إلى أصحابها لتجنبنا الحرب وإراقه الدماء ونحن نحب أن نفعل ذلك من

منطلق «مبدأ أنقاذ الحياة البشرية» لقد أعلن يوسف عن تقديره هذا فى مؤتمر عقد فى القدس حيث شاركه فى رأيه وزير الدفاع الاسبق فى حكومه الوحدة الوطنية «اسحق رابين»، وأعلن إن قانون انقاذ الحياة اشار يوسف من أكثر المحرمات ولا يسبقه وسفاح القربى والوثنية إن حق الحياة على أرض إسرائيل لها أهمية خاصة من الناحية الدينية وفى أحد فقرات التلمود «هؤلاء الذين يعيشون على أرض إسرائيل لهم إله وهؤلاء الذين يعيشون خارجها ليس لهم إله لذلك فقد أمعن الإسرائيليون فى طرد جميع الوثنيين من أرض إسرائيل ولم يبيعوا أى شبر من الأرض لهم وقال الحاخام يوسف إن ذلك لاى ينطبق على المسلمين لأنهم من غير الوثنيين (وكان يعنى أن ذلك المبدأ يطبق على المسيحيين إلا أنه فى العصر الحديث لا يجرؤ اليهود على التصريح بذلك) وحتى إذا جادل بأن هذا القانون يجب أن يطبق على المسلمين المعاصر بين الا أنه يشير بأن تطبق ذلك سيؤدى إلى كارثة حتمية حيث يقول «إن هذا الجيل المخطئ لا يستطيع أن يعتمد على المعجزات لا نستطيع أن نتحمل مخاطر الحرب فإن خطاطانا ستؤدى حتماً إلى هزيمتنا يجب أن نعيد هذه الأرضى حتى نتجنب ويلات الحرب... إلى أن ينظر الرب علينا من عليائه ويقبلنا معه ويقبل توبتنا وعندما نصل إلى هذا الحد من الطهارة سوفى عيد إلينا جميع هذه المقاطعات وأكثر منها كما هو وارد فى سفر التثنية [١١: ٢٤] يطر الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. وأكد الحاخام يوسف إن تحليله كان افتراضياً ولم يكن إسرائيل والعرب على استعداد لإجراء أى مفاوضات وبعد ثلاثة سنوات بعد أن اصبح رابين رئيساً للحكومة اصبح تأييد يوسف السياسى لا غنى عنه فى التأثير على هذه المفاوضات وبالإضافة إلى حسابات الكنيسيت الهامة فأنها أمدت رابين المساندة الدينية والشرعية الت كان يحتاج إليها للتفكير فى التنازل عن المناطق المحتلة فلو أن جميع زعماء الأصوليين أختلفوا معه فى سياسته السلمية مستغلين بذلك التوراه وتعاليمه فمن

الصعب عليه أن ينفذ هذه السياسة حتى لو حصل على موافقة أغلبية البرلمان فكل زعيم صهيوني منذ هرتزل، وكل رئيس وزراء إسرائيلي منذ عهد «بن جوريون» كانوا يسعون إلى الحصول على مساندة جزء من الأصولية. واستطاع هيرزل أن ينتصر على الصهيونية الأصولية والأصولية كانت تعارضه اليوم أصبحت الصهيونية الأصولية تميل إلى جانب الاتجاهات المشيخاتية اليمينية الحديثه ذات الاقامه السياسية بينما يميل شاس الأصولي إلى اليسار رغم معارضتهم العلمانية للمبدأ اليهودي، والحاخام شاتس بنفسه على الرغم من عداؤه الشديد لحزب العمل الا دائماً يؤيد مبدأ «الأرض مقابل السلام».

توفيا بلوستين مسؤول في الحكومة من حزب الليكود كان قد خدم أثناء حكم شامير حيث كان الوسيط بين كل من شاس ورئيس الوزراء يؤكد أن موقف الأصوليين اقرب إلى حزب العمل عن حزب الليكود.

وفي المعسكر الأصولي الصهيوني شن الحاخامات هجوماً قاسياً.

بعد أن عرض يوسف إرجاع الأرض في عام ١٩٨٩ وكتب إليه الحاخام شول يسراردى رئيس الحزب القومي الدين خطاباً مفتوحاً متحدياً فيه مفهومه الاستراتيجي واستنتاجاته الأصوليه «ما قولك في كل تلك المستوطنات الت يقمنا بينها؟ هل فكرت ما الذى يحدث لليهود من سكان المستوطنان تحت حكم العرب؟ وهل حككتك تؤكد لك أن العرب لن يطالبوا بجميع الأراضي».

كان الأصوليين تحت قيادة شاس، على حافه قيادة إسرائيل إلى السلام والمصالحة الإقليمية. هؤلاء الذين كانوا يسيثون إلى معاملتهم ويحطون من قدرهم وخاصة المعارضة اعتبروا أن عملية السلام مراوغة غير لائقة ومتناقضة مع نفسها واعتبروا أن اهتمام الأصوليين الأول هو الحصول على المساعدات المالية من الحكومة...

أى حكومة وقال ديدى زوكر أن غياب المشيحاينه فى الرؤيه السياسيه للأصوليين «الهاريدين» تعنى أن أقدامهم مغروسه فى الواقعيه وأنهم أصبحوا براجمائيين ويريدون إتفاقا مع الفلسطينيين وتعتبر التعاليم الأصوليه الحقيقيه دولة إسرائيل شيئاً هامشياً أو عابراً. أما بالنسبه لى كسياسى يسعى إلى التحالفات السياسيه لا أستطيع أن اترجم ذلك ألا أن كل منهم «برجماتى».

ويقول البروفسير افيشاى مارجاليت، وهو من حكماء اليسار اكليبار أنه يشعر بانه قريب جداً إلى الأصوليين وأنه يرى دولة إسرائيل كتجمع يضم يهود الشتات وعلى هؤلاء أن يحددوا أسلوب حياتهم الخاصه بأقل تدخل ممكن من الدوله وذلك يجب أن يطبق فى «ميه شريم» مثلما يحدث فى أى مجتمع إصلاحى آخر إن يعتمد المفهوم الأصولى اساساً على بناء مجتمع خاص بهم مبنى على دراسة التواره.

هذا المجتمع الذين يريدون بناءه هو «مجتمع الدارستى» ولا يستمد نجاحه من الحياه الإسرائيليه أو من يهود الشتات وكان لمشاركه شاس فى تحالف مع حزب العمل من أجل السلام قد عجلت بقلبه تيار الهاريدين وغدا لهم دور رئيسى فى صنع السياسيه الوطنيه لإسرائيل.

وكما رأينا فإن النمو والتقدم الداخلى مع الحاجات الاقتصاديه الموضوعيه تضطر «مجتمع الدارسين» للإلتحاق بالتوجيهات الاقتصاديه السائده فإذا تحقق السلام فعلاً فإن قضيه الخدمه العسكريه وسيصبح ذلك الخلاف الكبير بين الأصوليه والمجتمع الإسرائيلى أقل حده، وتخفض أعداد الجيش العامل ويقل التجنيد الاجبارى مع تخفيض حجم الجيش، وفى الحقيقه أدت عمليه السلام مع مصر مع الزيادة الكبيره فى عدد السكان إلى تساهل الجيش إزاء اللوائح الخاصه بالتجنيد، ويسمح الأصولى المتزوجون يسمح لهم بالإلتضمام إلى الجيش لفترة محدوده وفى سن أقل عما كان من

ذى قبل .

وتأثر الأصوليين كذلك بالاتجاهات فى إسرائيل وازدادات قوتهم نتيجة لنموهم وأصبح لهم دوراً فعالاً فى الحياة اليهودية .

أصبحوا يضعون برامجهم الخاصة بهم ويتبعون السياسات التى تتلاءم مصالحهم الخاصة. مع تقلد الحاخامات الأمريكيون أو المولودين فى إسرائيل للمناصب القيادية الدينية بدلاً من هذا الجيل القديم الذى تربى قبل «المحرقة» فى أوروبا الشرقية وأصبحت الاتجاهات السائدة مألوفة للأصوليين أنفسهم وللمجتمع ككل .

ويحاول الزعماء الشباب الحرص على الشكليات مثل آبائهم بشأن الحفاظ على تقاليد «دير هيم» كان الحنين إلى الوطن والدقه فى جميع التفاصيل من أهم اسباب نجاح الهاريديين ما بعد المحرقة اليهودية إلا أن إنفتاح أوروبا الشرقية بعد سقوط الشيوعية أضعف هذه الروح . ويستطيع أى شخص الآن أن يزور هذه الأماكن ويكى بحرية عن ذلك العالم الذى دمر إلا أن الزائر الغربى لتلك الأماكن القديمة فى بولندا أو أوكرانيا حتى لو كان دارساً متمعناً فى الأدب الاسطورى الأصولى لا يشعر أن تلك الحياة جنة بسيطة مطلقة كانت تلك الأماكن جامدة وبدائية إلا أنها هذبت الحضارة الدينية والثقافية والاجتماعية المتطورة .

وقد حفز هذا الإدراك اللاواعى التقاليد الأصولية المتناسكة فى أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية إذا نظرنا إلى ذلك بالمعايرة السياسية أو الاقتصادية فإن تلك النظرة بهدف تهدهته وتحقيق حدة الانفصال الأصولى عن المجتمع اليهودى ككل ولكن هل يتطلب ذلك تطويراً لهذا الاتجاه الدينى بحيث لا يستمر فى انفصاله عن باق الاتجاهات اليهودية مما يهدد بوقوع الأزمة الكبرى والانشقاق الشامل .

ويصر الكثيرون بأن ضغوط وإغراءات الحياة الغربية الحديثة قد تقلل من حدة الأصولية ذلك الاتجاه الذى كان متوقعا له أن يندثر وثبت عكس ذلك إن صحف الهاريديين برهنت على أن محاولة طرد الهاريديين وعزلهم كانت مفارقة.. تلك المفارقة التى ربما تكون بذاتها خطأ فى العالم المعاصر.

★★★★

تم بحمد الله

مصطلحات وردت بالكتاب

«زراعيم» البذور والإنتاج الزراعى .	ZERAIM
صلوات وبركات .	Breachot
ترك زوايا الحقل دون حصاد للفقراء وأغراض الاحسان للمسكين والغريب). (سفر اللاويين ١٩: ٩) .	Pe'ah
ما ينتجه الفلاحين، ينقسم إلى مشور .	D'mai
تحريم زراعة صنفين معاً. ولايجتمع جنسين من الهاريديم معاً. (سفر اللاويين ١٩-١٩) .	Kilayim
تعطيل زراعة الأرض لسنة من أجل الرب. وزراعتها ست سنوات متواصلة. وما يعرف ذلك باسم تسبيت الأرض. (سفر اللاويين ٢٥: ١-٧) .	Shiviit
العشور للكهنة قدس الأقداس، (سفر العدد ١٨: ٢٠-٨) .	Terumot
العشور للاويين والفقراء. (سفر العدد ١٨: ٢١-٢٤).	Massrot
عشر ليؤكل فى القدس (سفر التثنية ١٢: ٦-١٨) .	Massar Sheni
أول العجين يعطى للرب. (سفر العدد ١٥: ١٧-٢١).	Halah
لايؤكل من ثمار الأشجار الصغيرة. حينما تثمر لأول (سفر اللاويين ١٩: ٢٣) مرة.	Orlah

Dikurim	أولى الثمار، يجب أن تذهب إلى المعبد. (سفر التثنية ٢٦: ١-١١).
MOED	الأعياد والأيام المباركة.
Sabbat	«السبت» القواعد المتعلقة بطقوس يوم السبت.
Eracrin	القيود المفروضة على الحركة أيام السبت.
Pesachin	قواعد عيد الفصح ^(١) والتضحية.
Shekalim	الشفقات ^(٢) للمعبد وخدمات المعبد الأخرى (سفر الخروج ٢١: ١١-١٦).
yoma	قواعد وخدمات المعبد في يوم عيد الغفران.
Sukkab	قواعد بعيد «خيمة الاجتماع» ^(٣) .
Betzah	القواعد المختلفة المتعلقة بمختلف الأعياد والاحتفالات اليهودية.
Rosh Hashanah	روش هاشاناه: عيد رأس السنة اليهودية.
Tarrit	أيام الصوم.

١- عيد الفصح: عيد خبز الفطير وموسم الحج ويضحى فيه يحمل أوشاه أوشاه أوحدي ماعز ويسمى عيد القمح
أى الفرج... ويعنى العبور إلى الربيع من الشتاء.

٢- الشفقات وزن عبرى يعادل ١٣٠ قمحة من الذهب و٢٢٤ من الفضة و٢٤٠ من النحاس.

٣- خيمة الاجتماع: خيمه أو خباء خارج مساكن القبيلة يكشف فيها الإله عن وجوده ويبلغ إرادته لمن يطلبه .

القواعد المتعلقة بعيد التنصيب (البوريم) ^(٤) .	Megillah
القواعد المتعلقة بالأيام التي تسبق الاحتفال بعيد الفصح وخيمة الاجتماع.	Moed Kattan
إحتفالات الحج والأضاحي.	Higigah
«ناشيم» النساء.	NASHIM
تتعلق بالزواج بزوجه الأخ بعد موته وفقدان الأزواج.	yeuamot
فى قواعد الملكية فى الزواج.	tetulsot
عن النذر والعهد (سفر العدد ٣٠ : ٢٧).	Nedarim
عن عهد العفة (والاعراض عن الخمر) (سفر العدد ١٠ : ٢١-٦).	Nazir
فى الزنا والفحش.. (سفر العدد ١١ : ٥-٣١).	Sotah
حول قواعد الطلاق (سفر التثنيه ٢٤ : ١).	Gittln
عن عقد الزواج، والزواج المحظور.	Kiddushin
«نزيقين» الأضرار.	NEZIKIN
حول الأضرار والأخطاء الجائمه (سفر الخروج ٢١-٢)، وعن السرقة.	Baua Kama

٤ - البوريم: محتفل به فى ١٤ مارس وهو اليوم الذى أنقذت فيه استير اليهودية، يهود فارس من المذبحة ويسرف اليهود فى هذا اليوم فى الشراب ويسميه العرب عيد المسخره.

عن خسارة الثروة وقوانين العمل.	Baua Mestia
عن قواعد الشراكة والتأجير والبيع والإقراض والجيران والمواريت.	Baua Batra
«محاكم» لنظر القضايا الدينية والأخلاقية الكبرى. وتختص أيضاً بالنظر في مبادئ الإيمان.	Sanherdin
حول «عقوبه الجلد» (سفر التثنيه ٢٤: ١-٣).	Makot
عن «اليمين أو القسم» (سفر الخروج ١٠: ٢٢، سفر اللاويين ٥: ٤، سفر العدد ٣٠: ١-٤).	Shvout
عن الوثنيه والشرك (سفر الخروج ٢٠: ٢-٥، سفر التثنيه ١٢: ٢-٣).	Avodahzarah
كيف يمكن تقويم القرارات الخاطئة التي يتخذها المحاكم.	Horayot
أحكام متنوعة ومختلفة.	Eduyot
المقولات الأخلاقية.	Auot
(المقدسات) و (والتضحيات).	KODASHIM
التضحية بالحيوانات.	Zeuahim
عن تقديم الطعام (سفر اللاويين ٦، ٢).	Menachat
حول ذبح الكوشير، وقواعد اعداد الطعام. (سفر الخروج ٢٢: ٣٠، ٢٣: ١٩).	Hullin

عن المولود الأولى للحيوانات.	Bechorot
فى الهبات المقدمة للمعبد.	Archin
الحيوانات كقربان كبديل للأضحية (سفر اللاويين ١٦، ١٥: ٥).	Tonurah
التفكير عن الخطية.	Kritot
حول سوء إستخدام الأشياء المقدسة.	Meilah
الخدمة اليومية فى المعبد.	Tamid
التضحية بالطيور (سفر اللاويين ١٤: ١-١٤، ١٢: ٦-٨).	Klnnim
«طهاروت» (الطهارة).	TOHOROT
كيف تصبح الأوانى نجسه (سفر اللاويين ١١: ٢٤-٤٧).	KELIM
التجاسة بسبب الجيفه (سفر العدد ١٩: ١٤-٢٢).	Oholot
عن الاصابه بالطاعون (سفر اللاويين ١٣).	Negaim
الأبقار الحمراء التى يكون من جمع رمادها نجساً (سفر العدد ١٩: ١-١٣).	Parah
عن طقس الطهارة.	Tohorot
الحمامات لطقس الطهارة.	Mrkvaot

المراة الحائض (سفر اللاويين ١٥: ١٩-٣٠).	Niddah
كيف تصبح الأشياء نجسه (سفر اللاويين ١١: ٣٤-٣٨).	Machchirin
النجاسه نتيجه ارتكاب الاثم الجنسى والاصابه بالزهري.	Zavin
قواعد طقس التغطيس.	Tevul Tom
نقل النجاسه من خلال اليدين.	Tadayim
نقل النجاسه من خلال أجزاء النباتات والمفروسات.	Uktsin

الفهرس

الصفحة

٧	المقدمة.
٢٧	الجزء الأول: الفرع والخشية
٢٩	الفصل الأول: الفرع والخشية.
٣٩	الفصل الثاني: التقيد بالحلال.
٥٥	الفصل الثالث: لم اذهب ابداً إلي بروكلين.
٦١	الفصل الرابع: راحة ومتعه.
٦٩	الفصل الخامس: أطياف من السواد.
٨٣	الجزء الثاني: خطوط السلطه.
٨٥	الفصل الأول: إعلا كلمة الله.
٩٩	الفصل الثاني: أحكام قديس.
١٠٣	الفصل الثالث: جذور الروح.
١١٣	الفصل الرابع: المائدة المرتفعه.
١٢١	الفصل الخامس: باتيا والسائق.
١٣٣	الفصل السادس: نريد المسيح المنتظر الآن.
١٤٣	الفصل السابع: الحكيم البسيط.
١٥٣	الفصل الثامن: المياه المعدنية.
١٦٥	الفصل التاسع: الجذب السرمدى.
١٦٩	الجزء الثالث: المنفيون وسط اليهود.
١٧١	الفصل الأول: كابوس صهيوني.
١٨٥	الفصل الثاني: إنهم يؤيدن الخدمة العسكرية أيضاً.
١٩٩	الفصل الثالث: إتهامات المحرقه (الهلوكت).
٢٢٣	الفصل الرابع: نجاح التطرف.
٢٣٣	الفصل الخامس: جوهرة في التاج.

الصفحة

٢٤٣

الجزء الرابع: الحياة والتعليم.

٢٤٥

الفصل الأول: ثورة التعليم.

٢٥١

الفصل الثاني: العقلية التلمودية.

٢٥٩

الفصل الثالث: قاعات الدراسة.

٢٦٥

الفصل الرابع: الحياة في الحرم الدراسي.

٢٧١

الفصل الخامس: الأكثر تقوي.

٢٧٥

الفصل السادس: حائط الكتب.

٢٨٩

الفصل السابع: إسايب جديدة وحديثه في التعليم.

٢٩٩

الفصل الثامن: الدخول متأخرا.

٣١١

الجزء الخامس: بالخبز وخذلا.

٣١٣

الفصل الأول: نقود وصدقات.

٣١٩

الفصل الثاني: الذين يساعدون أنفسهم.

٣٣١

الفصل الثالث: النصف الآخر.

٣٤١

الفصل الرابع: مكانة المرأة.

٣٥٣

الجزء السادس: شبح الإنشقاق.

٣٥٥

الفصل الأول: من هو اليهودي.

٣٦٣

الفصل الثاني: من هو الحاخام.

٣٧٢

الفصل الثالث: لماذا أنا.

٣٨١

الفصل الرابع: لماذا الآن.

٣٨٥

الفصل الخامس: خطوط جديدة للمواجهة.

٣٦٧

الفصل السادس: السلام في زمن الأصوليين.

٤٠٧

مصطلحات وردت بالكتاب.